

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام
للقرآن الكريم

(المجلد السابع)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني
المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم - المجلد السابع
الطبعة الأولى: ١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

An Arabic rendering of

Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood ^{as} (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya
Muslim Community

Volume:7

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.alislam.org
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
ج	مقدمة الطبعة الأولى الأردنية
خ	مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة
١	تفسير سورة "يس"
١٩	تفسير سورة الصافات
٣٣	تفسير سورة "ص"
٤٥	تفسير سورة الزمر
٦٣	تفسير سورة غافر
١٠١	تفسير سورة فُصِّلَتْ
١٢١	تفسير سورة الشورى
١٨٩	تفسير سورة الزخرف
٢٠١	تفسير سورة الدخان
٢٠٩	تفسير سورة الجاثية
٢١٣	تفسير سورة الأحقاف
٢١٧	تفسير سورة محمد
٢٣٧	تفسير سورة الفتح
٢٤٥	تفسير سورة الحجرات
٢٥٩	تفسير سورة "ق"
٢٦٣	تفسير سورة الذاريات

٢٧٥	تفسير سورة الطور
٢٧٩	تفسير سورة النجم
٣١١	تفسير سورة القمر
٣٣٣	تفسير سورة الرحمن
٣٤٥	تفسير سورة الواقعة
٣٥٧	تفسير سورة الحديد
٣٧١	تفسير سورة المجادلة
٣٨١	تفسير سورة الحشر
٣٨٩	تفسير سورة الممتحنة
٣٩٣	تفسير سورة الصف
٤١٥	تفسير سورة الجمعة
٤٤٥	فهرس المواضيع
٤٦٣	فهرس الآيات المفسرة



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مَواج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المُنزَّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمنيّ بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحى، ويُفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مُؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يحب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله ﷻ

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتیه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يحسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأثار بنوره الوضأ ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَيِّنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظللاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نلناها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك اللآلئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تحافت التهمة الداحضة التي افترها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسير المسيح الموعود عليه السلام المنشورة

في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أقفية هؤلاء الكذابين المكذّبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع أي التنزيل الحكيم كجواهر ثمّان ووُزودٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقيّته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيّ مُغرِقٍ في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبَيْلِ وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨ م.

وقد حظي تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخبير الجاوي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بجهده في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّه ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأُنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ٧/٣/١٩٨٠م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.



بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبته من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرار دفائه. جمعت فيه أنواع المعارف وربتُ." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بينها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً فأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلّا ظلٌّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبرٍ، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخيرُ كُلُّه في القرآن". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "يس"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿يَسْ﴾

يا سيد. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١٠)

الآية ٣: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾

القرآن زاخر بالحكم. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية،

المجلد ١، ص ٤٦٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

لقد تدبرت في لفظ "القرآن"، فأنكشف عليّ أن في هذا اللفظ المبارك نبأً عظيمًا

بأن القرآن هو الكتاب الجدير بالقراءة. فالآن سيكون هذا الكتاب وحده حريًّا

بالقراءة من أجل الذود عن شرف الإسلام وقطع دابر الباطل، أما الكتب الأخرى فتكون كلها أولى بالترك نهائياً. وهذا هو معنى الفرقان أيضاً، أي أن هذا الكتاب وحده سيكون الفاصل بين الحق والباطل، ولن يرقى إلى درجته ومستواه أي كتاب من كتب الحديث أو غيرها.... اتركوا سائر الكتب الآن، واقروا كتاب الله ليل نهار. ما أكفره من شخص يعكف على قراءة الكتب الأخرى ليل نهار، ولا يلتفت إلى القرآن الكريم! فمن واجب أفراد جماعتي أن ينشغلوا بالتدبر في القرآن الكريم من كل القلب وكل الروح، ويتركوا الانشغال بالأحاديث. من المؤسف جداً أنه لا يؤبه بالقرآن الكريم ولا يُتدارس كمثل الأحاديث. إن أخذتم سلاح القرآن في أيديكم في هذا الوقت فالفتح لكم، ولن يصمد أي ظلام أمام هذا النور. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٧، عدد ١٧ / ١٠ / ١٩٠٠ ص ٥)

إن الانعكاس التام للطبع الإنساني هو القرآن الكريم فقط، كان الإنسان سيُسأل بحسب تعليم القرآن الكريم هذا حصراً حتى لو لم ينزل القرآن الكريم، لأن هذا التعليم مودع في الطباع ومشهود في كل صفحة من قانون الطبيعة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤ / ٧ / ١٩٠٨ م، ص ٧)

الآية ٧: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾

لتنذر الذين خلا آباؤهم في غفلة. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٦١)

لقد أرسلناك... لتوجه الغافلين إلى الحق وتُنذرهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥١، الحاشية)

الآية ١٣: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾

أي نحْيي الموتى بالقرآن الكريم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢٥)

الآية ٢٧-٢٨: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾

الحق أن وفاة العباد الأطهار ودخولهم الجنة في حكم واحد، لأنهم يدخلون الجنة فوراً حسب مفهوم الآية: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ و﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٤-٥٥)

المؤمن يوهب مكاناً في الجنة بعد وفاته فوراً كما يتبين من هذه الآيات. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨١)

وفي القرآن المجيد آيات كثيرة تبين أن كل إنسان يرى بعد الموت مباشرة جزاء أعماله. فمثلاً يخبرنا الله عن رجل من أهل الجنة بقوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٨)

"وإنّا لا نقول أن أهل الجنة بعد انتقالهم إلى دار الآخرة يُحبسون في مكان بعيد من الجنة إلى يوم القيامة، ولا يدخل الجنة قبل القيامة إلا الشهداء. كلاً، بل الأنبياء عندنا أول الداخلين. أياظن المؤمن الذي يُحب الله ورسوله أن النبيين والصدّيقين يُبعدون عن الجنة إلى يوم البعث ولا يجدون منها رائحة، وأما الشهداء فيدخلونها من غير مكثٍ خالدين؟"

فاعلم يا أخي أن هذه العقيدة رديئة فاسدة، ومملوءة من سوء الأدب. أما قرأت ما قال رسول الله ﷺ إن الجنة تحت قبري؟ وقال إن قبر المؤمن روضة من روضات الجنة، وقال ﷺ في كتابه المحكم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، (الفجر: ٢٨-٣١)، وقال في مقام آخر: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾. " (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٩)

كل من يموت من بين المؤمنين الطاهرين والطيبين لا بد أن يدخل الجنة فوراً. وهذا هو الحق كما هو مشروح في آيات أخرى في القرآن الكريم. من جملتها آية

أخرى يقول الله تعالى فيها: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٨٧-٣٨٨)

الآية ٣١: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
 ما من نبي إلا وقد استهزئ به. فكان من المقدر أن يُستهزأ بالمسيح الموعود أيضاً، كما يقول الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. فقد جعل الله تعالى علامة لكل نبي صادق أن يُستهزأ به، ولكن مَنْ يستهزئ بالذي ينزل من السماء مع ملكين أمام أعين الناس جميعاً؟ فالعاقل يستطيع أن يفهم بهذا الدليل وحده أن فكرة نزول المسيح الموعود من السماء فكرة باطلة تماماً. (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٦٦-٦٧)

فإذا استهزئ بي فليس ذلك بأمر جديد إذ لم يأت في الدنيا نبي إلا وقد استهزئ به. يقول الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٣٤)
 ما خلا نبي إلا وقد استهزئ به، ولكن يجب الانتباه؛ هل كان المستهزون على حق في الاستهزاء أو كان ذلك ناتجاً عن شيطنتهم وتجروهم فقط؟ (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٥٢)

وردت (ما) هنا للحصر، مما يدل دلالة واضحة على أن الصادق يتعرض للاستهزاء والسخرية حتماً، والمدعي الذي لا يُستهزأ به ولا يُسخر منه فهو ليس بصادق. إن من علامات الصادقين أن أهل الدنيا ذوي الأفكار السطحية يستهزون بهم. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣١، عدد ١٧/٨/١٩٠١م، ص ٦)

الحق أن المعاصرة أيضاً تحطّ من مرتبة الإنسان، لذلك قال المسيح ﷺ: "لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ." ويتبين من ذلك كثرة المصاعب والمعاناة التي تحملها

على أيدي قومه. وهذه سنة لا تزال جارية مع الأنبياء عليهم السلام، فأني لي أن أكون استثناء منها؟ فكلُّ ما اضطررتُ لسماعه من المعارضين كان بحسب هذه السنة: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٢م، ص ١)

الحقيقة أن السخرية والاستهزاء يؤثر في صحة النية. وقد جرت السنة بحق المبعوثين من الله أن الناس يسخرون منهم، ولكن السخرية تبقى حسرة على الساخرين، كما قال القرآن الكريم ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. الجاهل لا يعرف الحقيقة، ويريد أن يُعرض عن الأمر بالسخرية والاستهزاء، لكن التقوى توجهه إلى طريق الحق. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٣)

عندما يأتي موظف حكومي بسيط لاستلام الضرائب فلا أحد يقاومه، ومن قاومه عُذَّ متمردا على الحكومة وعوقب. لكن الناس لا يهتمون بالحكومة الإلهية. فمن المؤكد أن الذين يأتون من الله فإنما يأتون في زي الفقراء والناس ينظرون إليهم باحتقار ويسخرون منهم، ويستهزئون بهم. لكن الله ﷻ يقول: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، فالله ﷻ صادق ولا يكذب، فهو يقول قد استهزئ بجميع الأنبياء من آدم إلى الأخير. لكنه حين ينقضي الوقت يكيل لهم الناس مدحا.... قد سماني جميع علماء البنجاب والهند- على هذا المنهاج نفسه- كافرا ودجالا وفاسقا وفاجرا وذكروني بغيرها من الألقاب. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨م، ص ٤)

إن هؤلاء لم يسبونا نحن فقط بل هكذا عومل جميع الأنبياء، فقد أطلق على النبي ﷺ أيضاً لقب الكذاب والساحر والمجنون والمفتري وغير ذلك من الألقاب. ولو قرأتم الإنجيل لعرفتم أن عيسى ﷺ أيضاً تلقى المعاملة نفسها، كما أطلقت

الشتائم على موسى عليه السلام أيضاً، فالحق أنه ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. يقول الله تعالى نفسه ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. فلم يأت أي نبي لقي الإكرام فوراً، فكيف يمكن أن نخرج من سنة الله؟ (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٤، عدد ١٨/٥/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية ٤٠-٤١: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

يعترض علي بعض المشايخ المزعومين ويقولون بأن نبينا ﷺ قد بشرنا بثلاثين دجالاً وكل واحد منهم سيدعي النبوة. فجوابه: يا قليلي العقل، ويا تعساء الحظ، أليس في نصيبكم إلا ثلاثون دجالاً فقط؟ لقد أوشك خمس القرن الرابع عشر على الانقراض وقد أكمل قمر الخلافة منازلها الأربعة عشر التي تشير إليها أيضاً الآية: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ (يس: ٤٠)، وقد أوشكت الدنيا على الانتهاء ولكن دجاجلتكم لا يكادون ينتهون! لعلهم سيقون معكم إلى موتكم. (تعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢١٥، الحاشية)

يقول النواب صديق حسن خان بأنه لم يتجاوز أحد القرن الرابع عشر في تحديد زمن نزول المسيح (أي أن الكشف والأخبار كلها تخبر بمجيئه إلى القرن الرابع عشر). وإن تمام البدر يستمر إلى ١٤ أيضاً، ويقول الله تعالى عنه في القرآن الكريم: ﴿قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ٢٨/١١-٥/١٢/١٩٠٢م، ص ٣٩)

ليس بوسع الشمس أن تصل إلى مقام القمر، وليس لليل أن يسبق النهار، ولا يمكن لنجم أن يتقدم على فلكه المقدر له أو يتأخر. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٣، ص ٤٣٨، الحاشية على الحاشية رقم ٣)

ما يظنه علماء الفلك الأوروبيون المعاصرون، وهم فلاسفة أوروبا، عن وجود السماوات لا يتعارض مع بيان القرآن الكريم؛ فمع أن القرآن الكريم لم يعتبر السماوات قطبا محضا، إلا أنه لم يعتبر المادة السماوية التي تملأ القطب مادة صلبة وكثيفة ومتعسرة الخرق أيضا، بل عدها مادة لينة وكثيفة مثل الهواء أو الماء وتسبح فيها النجوم إذ يقول جلّ شأنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤١)

غير أن الإغريق حسبوا السماء أجساما كثيفة وطبقات متراكمة مثل قشر البصل، وعدّوا سماء الطبقة الأخيرة التي تحيط بالطبقات كلها منتهى المخلوقات جميعا، ويسمونها "فلك الأفلاك" و"المحدّد" أيضا، وهي تدور مع ثلاث سماوات أخرى تسمى "المدير" و"الجوزهر" و"المائل" -بحسب زعمهم- من المشرق إلى المغرب، وتدور السماوات الأخرى من المغرب إلى المشرق. ويزعمون أن الفلك "المحدّد" هو منتهى معمورة العالم بحيث لا خلاء بعدها. وكأن الله تعالى جعل من ممالكه المقبوضة جدارا ليس وراءه شيء من الخلاء.

لا يخفى ما يردّ على رأي الإغريق هذا من اعتراضات. ولا ترد من حيث القياس فحسب بل تكذّبهم التجربة أيضا. وما دامت المناظير في أيامنا هذه تكتشف النجوم البعيدة أيضا وتُري الشمس والقمر وكأنهما على بُعد بضعة أميال فقط، فمن الغريب حقا أنه مع أن السماء، بحسب زعم الإغريق، جوهر كثيف لدرجة ليست قابلة للخرق والالتام، وكبيرة بحيث لا مجال للمقارنة بينها وبين الشمس والقمر من حيث ضخامتها، ولكنها مع ذلك لم تُشاهد بالمناظير الحالية. وإن لم تُشاهد السماوات البعيدة لكان من المفترض أن تُشاهد السماء الدنيا على الأقل وهي الأقرب من بينها. فمما لا شك فيه أن صورة العالم العلوي التي رسمها الإغريق ليست صحيحة، وتقع عليها اعتراضات لا يمكن التخلص منها بأيّ حال.

أما حقيقة السماوات التي بيّنها القرآن الكريم فهي الأصح والأصوب ولا تقوم للإنسان قائمة دون قبولها، وكل ما يقال على العكس من ذلك فهو مبني على

الجهل البحث أو التعصب المحض. إن القرآن الكريم لا يعتبر السماوات طبقات كثيفة مثل الفلاسفة اليونانيين، ولا يعدّها مثل بعض الجهال قطبا محضا ليس فيه شيء؛ فإن خطأ الشق الأول ظاهر من الناحية العقلية كما قلنا قبل قليل. أما الشق الثاني القائل بأن ليس للسماء وجودا ماديا قط وهي ليست إلا قطبا محضا، فيثبت أيضا أنه خطأ محض بناء على الاستقراء؛ لأننا لو أردنا البحث والتحقيق بواسطة تجاربنا الاستقرائية عن الجو الذي يتراءى لامعا أكثر مقارنة مع النجوم، لتبين بوضوح تام أن سنة الله أو قانون الله هو أنه ﷻ لم يترك أيّا من الأجواء خاليا محضا. فمن يخرق طبقات الهواء جالسا في المنطاد يمكن أن يشهد أنه كلما صعد إلى الأعلى في الجو لم يجد جزءا منه فارغا، فمن شأن هذا الاستقراء أن يعيننا كثيرا على الفهم أن تحديد السماء في حدود ليس صحيحا، وكذلك ليس صحيحا أيضا أن المراد من السماء هو الجو الفارغ أو القطب فقط ولا توجد فيه مادة مخلوقة. فبقدر ما وصلت تجارب رؤيتنا لم نر قطبا مجردا، فأنت لنا أن نحكم بما يعارض استقراءنا المستمر ونقول بأن بعد هذا الجو المملوء هناك أنواع جوّ خالية تماما؟ هل هناك أيّ دليل ينافي الاستقراء الثابت؟ كلا. فكيف نقبل إذاً وهما لا أصل له؟ وأنت لنا أن نترك دليلا قاطعا بغير دليل مخالف وغالب؟

وإضافة إلى ذلك إن في ذلك إساءة إلى الله تعالى وكأنه كان عاجزا عن الخلق العام والكامل، لذلك خلق خلقا قليلا وترك بقية الجو غير المتناهي على حاله. ولا أفهم أيّ دليل قطعي ويقيني وقع في أيدي الذين يعتقدون بالقطب وحده أو يمكن أن يعتقدوا ضد الثبوت الاستقرائي القائل بأنه ما من جوّ يخلو من جوهر لطيف؟ إذا كان أحد يعتقد أنه لا يوجد بعد بعض الكرات المادية إلا القطب الذي لا نهاية له، فتم عليه حجتنا بصراحة تامة نتيجة حجتنا الاستقرائية. والمعلوم أن معظم ما ثبت في هذه الدنيا فقد بُني على الاستقراء؛ فمثلا قولنا بأن للإنسان عينيّن، ولسانا وأذنين، ويخرج من رحم المرأة، ويكون طفلا ثم يشبّ ثم يشيخ حتى يموت في نهاية الأمر بعد أن ينال عمرا

معينا، وكذلك قولنا بأن الإنسان ينام ويأكل وينظر بالعين ويشم بالأنف ويسمع بالأذنين، ويمشي بالقدمين ويعمل باليدين، وله رأس بين الأذنين، وكذلك هناك مئات الأمور الأخرى من هذا القبيل، وما اكتشفناه من أنواع الخواص في كل نوع من النباتات والجمادات والحيوانات؛ فهذه كلها لم يكن لها من سبيل سوى وسيلة الاستقراء؟ ولو كان لأحد كلام في الاستقراء لانقلبت كل هذه العلوم رأسا على عقب. وإذا خالجت قلوبهم شبهة أنه إذا كان للسموات وجودٌ فلماذا لا تُرى إذا؟ فجوابه أنه ليس شرطا أن يكون كل وجود مرئيا. وأنى للكيان اللطيف أن يُرى؟ وأنى لمنظارٍ أن يكتشف وجوده؟

باختصار، إن الله تعالى عدّ السماوات كيانا لطيفا جدا. هذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي أن كل نجم يسبح في سمائه التي هي مداره. والحق أن الله تعالى لا يعدّ عرشه كـ "محدد" الإغريق، ولم يعتبره محدودا، بل عدّه طبقة عليا بحيث لا طبقة أعلى منها كيفاً وكمّاً. وليس الأمر مستحيلا ولا محالا للمخلوق وللموجود بل الأقرب من القياس أن الطبقة التي تُسمّى عرش الله لا بد أن تليق بالله وغير محدودة، مثل الله، من حيث سعتها.

ولو طُرح اعتراض أنه قد ورد أيضا في القرآن الكريم أن السماوات ستنشق في وقت من الأوقات، فإذا كانت السماوات مادة لطيفة فما معنى انشقاقها إذا؟ فجوابه: إن المراد من "السما" في القرآن الكريم في معظم الأحيان هو: "كل ما في السماء" بما فيه الشمس والقمر والنجوم كلها. وإضافة إلى ذلك إن كل جرم سواء أكان لطيفا أم كثيفا هو قابل للخرق، بل اللطيف يقبل الخرق أكثر، فما الغرابة لو حدث نوع من الخرق في مادة السماوات بحكم الرب القدير والحكيم؟ وذلك على الله يسير. وفي الأخير جدير بالتذكر أيضا أنه من الخطأ الفادح حمل ألفاظ القرآن الكريم كلها على الظاهر. إن كلام الله جلّ شأنه مليء بالاستعارات الدقيقة لكونه بالغا الدرجة العليا من البلاغة؛ فإنّ الخوض في البحث عن كيفية حدوث انشقاق

السموات وانفجارها يُعدُّ تدخُّلاً بغير حق في مفاهيم هذه الكلمات الواسعة، وليس لنا إلا أن نقول بأن هذه الكلمات وغيرها من هذا القبيل تشير إلى فناء العالم المادي. إنّ ما يهدف إليه كلام الله هو أن هذا العالم المادي سيفنى بعد تكوينه. وكل ما بُني سوف يُمزَّق، وكل تركيب سيُفكَّك، وكل جسم يتشتت ويصير ذرات، ويصيب الفناء كل جسد وصاحبه. ويتبين من عدة آيات في القرآن الكريم أن كلمات الانفجار والانشقاق الواردة في القرآن الكريم بحق السموات لا تؤخذ بحرفيتها كما بحق جسم صلب وكثيف. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٣٨ - ١٥١، الحاشية في الحاشية)

لا الشمس تستطيع أن تلحق القمر، ولا الليل - وهو مظهر القمر - يمكنه أن يتعدى النهار الذي هو مظهر الشمس. أي لا يمكن لأحدهما أن يتجاوز حدوده المقدرة. فلو لم يكن هناك مدبر ينظم سيرها من وراء الحجب لاختل نظام الكون كله. وهذا الدليل نافع جداً للمتفكرين في هيئة الأفلاك؛ لأن النظام الفلكي يضم عدداً لا يحصى من الأجرام الضخام، فإن وقع فيها خلل ولو كان بسيطاً جداً لانهار العالم كله. فما أعظمها من قدرة تتحكم في هذه الأجرام بحيث لا تتصادم ولا تغير من سرعتها قيد شعرة، ولا هي تاكلت ولا اندثرت ولا حدث نقص في أدائها وأجزائها مع استمرار العمل طول هذه المدة! فكيف أمكن استمرار هذا النظام العظيم الضخم من تلقاء نفسه منذ سنين لا تحصى، إن لم يكن هنالك فوقه مهيمن حفيظ؟ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٠)

هناك نقطة أخرى جديرة بالانتباه، ألا وهي أن الناس من النوع الثالث الذين لهم علاقة كاملة مع الله تعالى ويتلقون وحياً كاملاً خالصاً، لا يستوون من حيث استقبال الفيوض الإلهية، كما لا تتساوى دائرة قواهم الفطرية، بل منهم من تكون دائرة قوته الفطرية أضيق، ومنهم من تكون دائرته أوسع منها، ومنهم من تكون دائرته أوسع كثيراً، وهناك من تفوق سعة دائرته التصور والخيال. يحظى بعض الناس

بعلاقة قوية مع الله تعالى، وبعضهم علاقتهم معه تعالى أقوى، ومنهم من لا تدرك الدنيا طبيعة علاقتهم معه، ولا يصل كنهها عقل. إنهم يغرقون في حب محبوبهم الأزلي فلا تبقى ذرة من وجودهم. وكل هؤلاء الحائزين على تلك المراتب لا يسبقون دائرة قواهم الفطرية بحسب الآية: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فلا يقدر أحد أن ينال نورا أكثر من قوته الفطرية ولا يسعه أن يعكس في نفسه صورة روحانية للشمس النورانية أكثر من قوته الفطرية. والله تعالى يُري كل شخص وجهه بحسب موهبته الفطرية، فيصغر هذا الوجه لأحد ويكبر لآخر بسبب النقص أو الازدياد في المواهب الفطرية. فمثلا إن وجهها كبيرا يبدو صغيرا في مرآة مقعرة، والوجه نفسه يبدو كبيرا في مرآة محدّبة. ولكن سواء أكانت المرآة المقعرة أو محدّبة فإنها تُري كافة ملامح الوجه. والفرق الوحيد هو أن المرآة الصغيرة لا تستطيع أن تُري أبعاد الوجه كاملة. فكما يحدث النقص أو الزيادة في حالة المرآة المقعرة أو المحدّبة كذلك تحدث التغيرات في الله تعالى - مع كونه قديما غير متبدّل - بحسب قدرة (الاستقبال) لدى مختلف الناس. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٧-٢٨)

الآية ٥٢: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾

أن فعل الماضي يُستخدم بمعنى المضارع أيضا ولا سيما إذا كان القائل يرى وقوع الحادث محتوما ويقينيا فيُستخدم الفعل الماضي بمعنى المضارع ليتبين أنه يقيني الوقوع. ففي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذا الاستعمال. منها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٥٩)

الآية ٥٩: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

السلام الحق ما يأتي من الله تعالى، إن سلام الله هو الذي سلّم إبراهيم عليه السلام من النار. ومن لم يكن له سلام من الله لن ينفعه سلام الناس ولو ألقوا عليه السلام ألف مرة.

جاء في القرآن الكريم: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾. (بدر، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ١/٨/١٩٠٧ م، ص ٦)

سلام عليكم جميعا من الله الرحيم. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٩٤)

الآية ٦٩: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾

أي لو طال عمر الإنسان كثيرا، لخارت قواه وخوت قدراته البشرية، وتطرق الخلل إلى حواسه وفتت عقله. والآن، لو افترضنا جدلا أن المسيح ابن مريم مازال حيا بجسده المادي، فلا بد من الاعتراف أيضا بحتمية وقوع خلل كبير في قواه البشرية منذ أمد بعيد، وهذا الوضع في حد ذاته يقتضي موتا، فيضطر المرء للقبول يقينا أنه عليه السلام يكون قد مات منذ مدة طويلة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٩)

يثبت موت عيسى عليه السلام من آية ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، لأنه إذا كان أحد قد بلغ من العمر تسعين سنة أو مائة، فإنه ينكس في الخلق بموجب تصريح هذه الآية حتى يكاد يفقد جميع الحواس الظاهرية والباطنية. أما الذي يعيش حتى الآن منذ ألفي سنة، فكيف تكون حواسه؟! وإذا كان ما زال على قيد الحياة، ففي هذه الحالة أي خدمة تُرجى منه؟! إن هذه الآية لم تستثن أحدا، ولا ينبغي لنا أن نوجد من عند أنفسنا استثناءً دون بيان الله تعالى، إلا أنه إذا ثبت من نص صريح أن عيسى عليه السلام مع كونه حيا بجسمه المادي منزّه من الانحلال وتردي الحالة وفقدان القوى، فيجب تقديم تلك الآية. (أيام الصلح، الخزان الروحانية المجلد ١، ص ٣٨٦)

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: ٦). أي تطرأ عليكم حالتان اثنتان فقط، أولاها أن بعضكم يموتون قبل الهرم، والبعض يبلغون أَرْدَلِ العمر فلا يعلمون من بعد علمهم شيئا. الآن، لو أُعلن عن أحد على النقيض من النص الصريح أنه قد مضت عليه مئات أضعاف

العمر الطبيعي ولكنه لم يمت ولم يبلغ أرذل العمر ولم يؤثر فيه امتداد الدهر قيد ذرة، فالمعلوم أن مسؤولية إثبات كل هذه الأمور تقع على الذي يدعيها أو يعتقد هذه العقيدة لأن القرآن الكريم لم يذكر عن الإنسان قط أن بعض الناس ينالون عمرا أطول بمئات الأضعاف من عمر البشر الطبيعي، ولا يردّهم الدهر إلى أرذل العمر نتيجة تأثيره فيهم ولا يجعلهم مصداقاً لـ ﴿نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ﴾. فلما كان هذا الاعتقاد يخالف تماماً تعليم سيدنا ومولانا ﷺ فالذي يدّعي هذا الاعتقاد فإن مسؤولية الإثبات تقع عليه. فالموت في أثناء العمر الطبيعي بحسب تعليم القرآن الكريم، وحدث التغيرات المختلفة في فترات العمر المختلفة بسبب تأثير الدهر لدرجة الوصول إلى أرذل العمر بشرط البقاء على قيد الحياة أمر طبيعي وحقيقي يلزم طبيعة الإنسان، والقرآن الكريم زاهر بهذا البيان. (الحق مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٠-١٦١)

الآيات ٧٨-٨٢: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

أي ألم ير الإنسان أننا خلقناه من قطرة ماء تُقذف في الرحم، ثم صار شخصاً كثير الخصومة، وبدأ يتحدث عنا بأنواع الحديث، ونسي كيف خُلِقَ هو، وبدأ يقول: كيف يمكن أن يحيا الإنسان مرة أخرى بعد أن تصير هذه العظام بالية؟ من ذا الذي يملك القدرة على إحيائه؟ قل لهم: سوف يحييه الذي خلقه في المرة الأولى، فهو يعلم كيف يحيي وبأية طريقة يحيي... فقد صرح الله جل شأنه في هذه الآيات أن لا شيء مستحيل عنده، فالذي خلق الإنسان من قطرة حقيرة،

هل يعجز عن بعثه مرة ثانية؟ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٧)

لم نقل قط أن الله تعالى لا يخلق الأسباب لفعل شيء، ولكن هناك أسباب تظهر للعيان وأسباب أخرى تظل خفية. باختصار، إن أفعال الله كثيرة وخارجة عن حد الإحصاء، وإن قدرته لا تعجز عن شيء أبداً، ولا يمسه من لغوب وتعب، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٠)

وإنني لصاحب تجربة في كل هذه الأمور. فمن أعلى أقسام الكشف أن يحدث في اليقظة تماماً. ولقد جربت شخصياً أن مثل أمام عيني من الغيب طعام لذيذ أو ثمرة أو شراب، ثم وُضع في فمي بيدٍ من الغيب، وتلذذت بطعمه اللذيذ حاسة الذوق في اللسان. كذلك تكون سلسلة الكلام مع الآخرين أيضاً جارية في حين تكون الحواس الظاهرية تعمل عملها على أحسن وجه، فأشرب هذا الشراب أو أكل الثمرة وأشعر بلذتها وحلاوتها بصورة بيّنة، بل تكون تلك اللذة ألطف من اللذة الدنيوية بكثير، ولا يخطر بالبال قط أنه وهمٌ أو خيال لا أصل له، بل يُري الله الذي صفته ﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٨٠) نموذجاً من خلقه.

فما دام الله تعالى يُري نموذج خلقه في هذه الدنيا، وظل العارفون في كل زمان يشهدون على ذلك، فلماذا يستغرب العاقل من الخلق التمثلي الذي سيحدث في الآخرة؟ ولماذا يتعجب من أنه سيتراءى ميزان الأعمال والصراط وغيرها من أمور روحانية كثيرة متمثلةً في أشكال جسمانية؟ هل يُستبعد من قدرة الإله -الذي أرى العارفين في الدنيا سلسلة الخلق التمثلي هذه- أن يُريها في الآخرة أيضاً؟ بل الحق أن لهذه التمثلات صلةً أقوى بعالم الآخرة، لأنه إذا كان هذا الخلق التمثلي يظهر على أصحاب التزكية في هذا العالم الذي ليس مقام تجلي الانقطاع التام، فلماذا لا يُرى في عالم الآخرة الذي هو مقام الانقطاع الأكمل والأتم؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣م، ص ١)

...أي هو كامل في الخالقية وقادر على الخلق من كل نوع. (الحرب المقدسة،

الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٠١)

الآية ٨٣: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

وإذا اعتُرض على أن خلق الله للسموات والأرض في ستة أيام - كما ورد في القرآن الكريم مرارا - يدل على ضعفه، لأن كل شيء يجب أن يحدث على إثر إرادة الله فوراً، كما يقول تعالى بنفسه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي أنه إذا أراد الله لشيء أن يكون فإنّ في أمره قوةً وقدرةً بأن يقول للشيء الذي له وجود علمي بحسب علمه ﷻ: كُنْ، فيكون.

وجواب هذه الشبهة أن مفهوم القدرة والقوة لا يستلزم أن يحدث ذلك الشيء هكذا اعتباطاً بلا أدنى تأخير، ولا يدخل في مفهوم الإرادة أن يحدث الشيء المراد في الوقت نفسه حتماً، بل سُمِّيَ القدرة والإرادة قدرةً كاملة وإرادة كاملة حين تتحقق بحسب مشيئة الفاعل الحقيقية عاجلاً أم آجلاً. فمثلاً إذا كان أحد قادراً على المشي السريع وعاجزاً عن المشي البطيء فلا يمكن عدّه كامل القدرة على المشي، بل الذي يملك قدرة على المشي السريع والبطيء كليهما هو الذي سَيُعَدُّ كامل القدرة. أو إذا كان أحد يمدّ يده دائماً ولا يستطيع أن يقبضها، أو يبقى واقفاً ولا يقدر على الجلوس ففي كل هذه الحالات لا يمكننا أن نعدّه قوياً، بل نعدّه مريضاً ومعتلاً.

لباب القول إن القدرة لا تتحقق بوجه كامل إلا إذا كان صاحبها قادراً على كلا الشقين؛ أي على السرعة والبطء. أما إذا كان قادراً على شقٍّ دون غيره فتلك ليست قدرة بل هو عاجزٌ وضعف. واللافت أن معارضينا لا يرون قانون الله في الطبيعة بأنه ينزّل قضاءه وقدره سريعاً أحياناً وبطيئاً أحياناً أخرى. وثابت أيضاً أن صفات الغضب تظهر في معظم الأحيان على جناح السرعة، أما

صفات اللطف فبطء وتأخير. فمثلا يكتمل الإنسان ببقائه في البطن تسعة أشهر، أما الموت فلا حاجة له لأيّ بطء قط؛ فيكفي الإنسان إسهال واحد من الكوليرا لموته أو رحيله إلى عالم البقاء بعد أن يلفظ قليلا من الماء متقيئا، والجسد الذي اكتمل ماديا ونفسيا في سنوات طويلة يخلّده في ملح البصر... ولكن لا بد من التذكير بالتفصيل أن الإرادة الكاملة أيضا تقتضي كلا الشقين، السرعة والبطء، مثل القدرة الكاملة تماما. فمثلا كما نستطيع أن نعقد إرادة أن يتحقق أمرٌ كذا وكذا حالا، كذلك نستطيع أن نعقدها أن يحدث ذلك بعد عشر سنوات. إن القطار والبرقيات وغيرها من الوسائل الكثيرة التي اكتُشفت ولا تزال تُكتشف في هذه الأيام، كانت دون أدنى شك في إرادة الله وعلمه منذ الأزل، ولكنها لم تظهر للعيان إلى آلاف السنين. إذًا، فالإرادة كانت موجودة منذ الأزل ولكنها ظلت طيّ الحفاء، ثم ظهرت في وقتها المناسب. وعندما حان الأوان سخر الله تعالى قوما لهذه البحوث والتحقيقات، ونصرهم حتى نجحوا في مساعيهم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٦٠ - ١٧١، الحاشية في الحاشية)

يجب ألا يفهم من ذلك أنه يُخلَق على الفور دون أدنى تأخير لأنه لم يرد في الآية لفظ على الفور بل الآية تدل على تنفيذ الأمر. والمراد من ذلك أن الله يستطيع أن ينفذ أمرا فورا إذا أراد ويستطيع أن يؤخره أيضا إذا أراد ذلك. وهذا هو الملحوظ والمشهود في قانون الله أيضا أن بعض الأمور تتم عاجلا وبعضها تتحقق آجلا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٢)

يواجه الإنسان أحيانا مصائب وصعوبات كثيرة لدرجة يكون محتارا فلا يهتدي إلى شيء، ولا تتحقق آلاف من أمانيه وحسراته، فهل يليق بإرادات الله ألا تتحقق؟ بل إن شأنه: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨،

إنما تُنال لذة الروح حينما يذوب الإنسان ويجري كالماء خوفًا وخشيةً من الله تعالى، وعند هذا المقام يصبح كلمة الله، وينطبق عليه قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١م، ص ١)

أقول صدقا وحقا بأن الذي لا يؤمن بـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ لم يعرف الله. (الحكم مجلد ٦، رقم ٨، عدد: ٢٨/٢/١٩٠٢م، ص ٣)

لا يصعب على الله شيء ولا يعجزه إنجاز أي عمل إذ إن شأنه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٨)

إن ما يُخلق من العلل والأسباب فهو "الخلق"، والذي ينشأ بمجرد ﴿كُنْ﴾ فهو "الأمر"، فقد قال ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فعالم الأمر لا ينقطع أبدًا، بينما الخلق بحاجة إلى سلسلة العلل والمعلول. كما أن الإنسان بحاجة إلى النطفة للإنجاب، ثم يخضع لقواعد مراتب الطبيعة والطب، لكن ذلك ليس ضروريًا في "الأمر". (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ١٢)

الآية ٨٤: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

كل شيء بيد الله، يفعل ما يشاء كما قال: ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (بدر، المجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥٥/٤/١٩٠٧م، ص ٨)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الصافات



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١١: ﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

حين يؤثر المؤمن الله على كل شيء عندها يُرفع إلى الله، فهو يُرفع إلى الله في هذه الحياة، وينور بنور خاص، وفي هذا الرفع يصبح مأمونا من بطش الشيطان بحيث لا تصل إليه يد الشيطان. لقد خلق الله مثالا لكل شيء في هذه الدنيا، وإلى ذلك إشارة في أن الشيطان حين يريد الصعود إلى السماء يتبعه شهاب ثاقب فيسقطه على الأرض. الثاقب هو النجم النير، كما يقال ثاقبا للذي يحدث ثقباً، كما يقال ثاقبا لما يرتفع كثيراً. وفي ذلك ذكر مثال للحالة الإنسانية التي لا تتضمن في طياتها ظاهراً فقط بل تكون لها حقيقة خفية أيضاً. فحين يتحقق للإنسان إيماناً كاملاً بالله فهو يُرفع إلى الله فتوهب له قوة خاصة و طاقة ونور يُسقط به الشيطان.

فالثاقب يقال للقاتل أيضًا، يجب على كل مؤمن أن يسعى جاهدًا لقتل شيطانه وهلاكه. فالذين يجهلون العلوم الروحانية يضحكون على هذه الأمور، لكنهم في الحقيقة هم أنفسهم جديرون بالضحك عليهم. فهناك قانون الطبيعة في الظاهر وهناك قانون الطبيعة في الباطن أيضًا. فالقانون الظاهري علامة للقانون الباطني. فقد قال الله لي أيضًا في وحيه "أنت مني بمنزلة الثاقب" ١، ومعناه أي قد خلقتك لقتل الشيطان، فسوف يهلك الشيطان بيدك. فالشيطان لا يرتفع، فإذا ارتفع المؤمن فلا يغلبه الشيطان. على المؤمن أن يدعو الله تعالى أن يهب له قوة يتمكن بها من قتل الشيطان، فإزالة جميع الأفكار السيئة تتوقف على قتل الشيطان، على المؤمن أن يعقد العزم ويداوم ولا يترك الهمة. فليعزم على قتل الشيطان فسوف ينجح في يوم من الأيام أخيرًا. فالله ﷻ رحيم وكريم، فالذين يجاهدون في سبيل الله يريهم الفلاح أخيرًا، فالدرجة الكبرى للإنسان أن يهلك شيطانه. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨م، ص ٦-٧)

الآية ٣٦: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾

فليتضح أن الهدف المنشود من تعليم القرآن الكريم أن نجعل الله أحدا لا شريك له في حبنا له كما هو الأحد بذاته لا شريك له، كما تشير إلى ذلك كلمة "لا إله إلا الله" التي يرددها المسلمون كل حين وآن، فكلمة "إله" مشتقة من "ولاه"، ومعناها محبوب ومعشوق يعبده الإنسان، فهذه الكلمة (أي كلمة التوحيد) لم تُعَلِّمها التوراة ولا الإنجيل، وإنما القرآن الكريم وحده علَّمناها، وهذه الكلمة تخص الإسلام وكأنها وسامٌ شرف له، وهذه الكلمة نفسها تُرفع من مآذن المساجد خمس مرات كل يوم وهي التي ينزعج منها النصارى والهندوس كلُّهم، ويُستشفّ من ذلك أنهم يعلِّدون

^١ هذا طبق الأصل، أما في الخزائن الروحانية فقد ورد هذا الإلهام كالتالي: "أنت مني بمنزلة النجم الثاقب." (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية مجلد ٢٣ ص ٤٣٦) (المدون)

ذَكَرَ اللهُ بِحَبٍِّ مِنَ الذُّنُوبِ، فمن مزايا الإسلام أن المؤدّن المسلم يعلن بصوت عال عند الصباح "أشهد أن لا إله إلا الله" أي ليس لنا أي حبيب ومحبوب ومعبود غير الله ، ثم عند الظهر يُرفع الصوت نفسه من المساجد الإسلامية ثم عند العصر والمغرب، وفي العشاء أيضا يرتفع هذا الصوت إلى السماء مُدوياً، فهل في أي دين آخر يشاهد هذا المشهد الخلاب؟ (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٦-٣٦٧)

الآيات ٥٥-٥٨: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

"وقصّ علينا قصة رجل مات ودخل الجنة، وكان له صاحب في الدنيا فاسق، فمات صاحبه أيضا ودخل النار، فذكر الذي دخل الجنة قصة صاحبه عند أصحاب الجنة وقال: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

وأنت تعلم أن هذه القصة تدل بدلالة صريحة على أن المؤمنين يدخلون الجنة بعد موتهم من غير مكث، ثم لا يُخرجون منها ويتنعمون فيها خالدين. " (حماسة البشري، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٩)

إن كتاب الله يذكر مقامين لجزاء البارّ والفاجر، أحدهما عالم البرزخ الذي يلاقي فيه كل إنسان جزاءه لقاءً مخفياً؛ فالأشرار يدخلون الجحيم بعد الموت فوراً، وكذلك الأختيار ينالون الراحة في الجنة بعد الموت مباشرة. وفي القرآن المجيد آيات كثيرة تبين أن كل إنسان يرى بعد الموت مباشرة جزاء أعماله. فمثلاً يخبرنا الله عن رجل من أهل الجنة بقوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ ويحكي سبحانه عن رجل آخر من أصحاب النار بقوله: ﴿فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي أنه كان لرجل من أصحاب الجنة زميل، فلما ماتا افتقد صاحب الجنة زميله، فكشف الله له عنه فوجده في قعر جهنم.

إذن فعملية الجزاء والعقاب تبدأ بعد الموت فوراً، ويدخل أصحاب النار النار، وأصحاب الجنة الجنة. ولكن هنالك بعده يوم آخر اقتضت حكمه الله البالغة أن يظهر رَجُلٌ فيه بتجلٍ أعظم. إن الله تعالى خلق الناس ليعرفوه بخالقته، ثم إنه سوف يهلكهم أجمعين ليعرفوه بقمّارته، ثم يحييهم حياة كاملة ويحشرهم في ميدان واحد ليعرفوه بقدرته الكاملة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٨)

الآية ٥٩-٦١: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

"ألا ترى أن الله تبارك وتعالى قال في كتابه المحكم حكايةً عن مؤمن مغبطاً نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

فانظر أيها العزيز، كيف أشار الله تعالى إلى امتناع الموت الثاني بعد الموت الأولى، وبشّرنا بالخلود في العالم الثاني بعد الموت، فلا تكن من المنكرين. وأنت تعلم أن الهمزة في جملة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ للاستفهام التقريري، وفيها معنى التعجب، والفاء ههنا للعطف على محذوف، أي: أَنَحْنُ مَخْلُدُونَ مُنْعَمُونَ مع قلة أعمالنا وما نحن بميتين؟ واعلم أن هذا سؤال من أهل الجنة حين يسمعون قول الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الطور: ٢٠)، كما رُوِيَ عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿هَنِيئًا﴾، فعند ذلك يقولون ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى﴾. واعلم أن قولهم هذا يكون على طريقة الابتهاج والسرور.

ثم اعلم أن الاستثناء ههنا مُفْرَغٌ، وقيل منقطع بمعنى لكن. وفي كل حال يثبت من هذه الآية أن أهل الجنة يُبَشَّرُونَ بال دوام والخلد ويُبَشَّرُونَ بأن لهم لا موت إلا موتهم الأولى. وهذا دليل صريح على أن الله ما جعل لأهل الجنة موتين، بل بشّرهم بالحياة الأبدية بعد الموت الذي قد قُدِّرَ لكل رجل.

وقال في آخر هذه الآية: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فأشار إلى أن دوام الحياة وعدم الموت مع نعيم وسرور وحبور من التفضلات العظيمة. فإذا تقرر هذا فكيف يُتَصَوَّرُ ويُظَنُّ أن نبيا كمثل عيسى مع كونه من المقربين محروم من هذا التفضل العظيم؟ وكيف يُتَصَوَّرُ أن الله يُخَلِّفُ وعده ويردّه إلى الدنيا وآلامها وآفاتِها ومصائبها وشدائدها ومراراتها، ثم يُمَيِّتُهُ مرة ثانية، سبحانه هذا بهتان عظيم. وما كان لأحد أن يعود لمثله بعدما اطّلع على خطئه إن كان من المؤمنين... وقد استدل بها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا تُوفِّيَ رسول الله ﷺ واختلف الناس في وفاته، وقال عمر ما مات رسول الله ﷺ بموت حقيقي، بل يأتي مرة ثانية في الدنيا ويقطع أنوف المنافقين وأيديهم وآذانهم، فأنكره الصديق ومنعه من ذلك، ثم بادرَ إلى بيت عائشة رضي الله عنها وأتى رسول الله ﷺ، وكان ميتًا على الفراش، فنزع عن وجهه الرداء وقبله وبكى، وقال: إنك طيب حيا وميتا، لن يجمع الله عليك الموتين إلا موتتك الأولى. فرد بذلك القول قولَ عمر، وكان مأخذُ قوله قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾. وكانت لأبي بكر رضي الله عنه مناسبة عجيبة بدقائق القرآن ورموزه وأسراره ومعارفه، وكان له ملكة كاملة في استنباط المسائل من القرآن الكريم، فلذلك هُدي قلبه إلى الحق وفهم أن الرجوع إلى الدنيا موتة ثانية، وهي لا يجوز على أهل الجنة بدليل قوله تعالى حكايةً عن أهلها: ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. فإن رجوع أهل الجنة إلى الدنيا ثم موتهم وورود آلام السكرات والأمراض عليهم نوعٌ من التعذيب، وقد نجى الله إياهم من كل عذاب، وآواهم عنده بإعطاء كل حبور وسرور من يوم انتقلهم إلى الدار الآخرة، فكيف يمكن أن يرجعوا إلى دار التعذيبات مرة ثانية؟ فهذا معنى قول أهل الجنة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. " (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٢-٢٤٥)

الآية ٦٣-٦٦: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾

كما شبه القرآن المجيد أشجار الإيمان الطيبة بالعنب والزمان وغيرهما من الفواكه الطيبة، وذكر أنها ستتمثل في عالم الآخرة وتترأى في صور هذه الثمرات، كذلك شبه كلمة الكفر الخبيثة بشجرة الزقوم في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ...﴾ بمعنى أي الضيافتين خيرٌ مقاماً، أرياض الجنة أم شجرة الزقوم التي هي بلاء للظالمين؟ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، أي أنها تنشأ من الكبر والزهو لأنهما جذور جهنم. نُوارها كأنه رؤوس الشياطين. والشيطان يعني الهالك، وهو مشتق من الشيط، والمقصود من الآية أن أكله سوف يسبب الهلاك. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٢)

الآية ٩٧: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

نصيحتي المتكررة هي أن افحصوا نفوسكم مرة بعد أخرى قدر الإمكان. ترك السيئة أيضاً آية، وادعوا الله أن يوفقكم لذلك، لأنه: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ والله تعالى هو الذي خلق القوى كلها. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧م، ص ١٠)

ترك السيئات ليس في قدرة أحد، فلهذا الغرض يجب أن تنهضوا في جوف الليالي وتدعوا الله تعالى في التهجد. هو عَجَلُ خالقكم. ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من غيره يستطيع أن يوفقكم لترك السيئات؟ (بدر، مجلد ٦، رقم ١-٢، عدد ١٠/١/١٩٠٧م، ص ١٧)

الآية ١٠٥-١٠٦: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكِ

نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

كتب الصوفية أن السالك يجب أن لا يهتم بالرؤيا والوحي الذي يتلقاه في أوائل السلوك، لأنه عادة يعترض عائقاً في هذا الطريق، فليس فيه أي ميزة شخصية للإنسان، بل هو فعل الله أن يُرى أحداً رؤيا جيدة أو يوحي إليه، أما الإنسان فلم

ينجز شيئاً. انظروا أنّ سيدنا إبراهيم ﷺ كان يتلقى الوحي بكثرة، لكنه لم يُذكر في أي مكان أنه تلقى الوحي الفلاني أو نزل عليه الإلهام الفلاني، وإنما ذُكر ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: ٣٨)، أي الذي سجل نموذجاً كاملاً للوفاء. أو ذُكر ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فعلى الإنسان أن يسعى لتحقيق هذا الأمر. وإن لم يحدث ذلك فلا فائدة من الرؤيا والوحي. المؤمن دوماً يهتم بالأعمال الصالحة، فإن لم ينظر إلى الأعمال الصالحة فيخشى أن يتعرض لمكر الله. إنما يجب علينا أن نرضي الله، وهذا يقتضي الإخلاص والصدق والوفاء، لا أن تنحصر جهودنا وهمتنا في القيل والقال فقط، حين نرضي الله تعالى فهو يبارك، ويفتح أبواب فيوضه وبركاته، ويطهر الرؤيا والوحي من إلقاء الشيطان، ويعصم وينقذ من أضغاث الأحلام، فلا يغيين عن البال مطلقاً أن الصلاح لا يتوقف على الرؤيا والإلهام، فمن الملاحظ أن الكثيرين ظلوا يتلقون الرؤى والإلهامات ومع ذلك كان مصيرهم غير جيد، لأنه يتوقف على الأعمال الصالحة. إن المرور من باب الصدق والوفاء الضيق هذا ليس سهلاً. لا نفتخر أبداً بتلقي الرؤى والإلهامات، ونجلس عاطلين، ونتخلى عن المجاهدات، فالله ﷻ لا يرضى بذلك. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨ - ١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ١٠)

الآية ١٠٨: ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾

المقامات العظيمة التي ينالها الأنبياء والرسل لا ينالونها على أمور بسيطة تتحقق بسهولة ولطف، بل قد أصابتهم الابتلاءات الجسيمة فواجهوها بصبر وهمة، وعندها أُعْطُوا من الله درجاتٍ رفيعةً جداً. فانظروا كم كان الابتلاء الذي أصيب به إبراهيم هائلاً، فقد أمسك بيده السكين ليذبح بها ابنه ثم وضعه على رقبة ابنه للذبح فإذا هو كبش، فنجح إبراهيم في الامتحان وأنقذ الله ابنه أيضاً، فسرَّ الله بفعل إبراهيم إذ لم يتلأأ أو لم يتأخر عن تنفيذ أمر ربه. فكان فضل الله ﷻ أن سلّم الابن، وإلا كان إبراهيم ﷺ قد ذبحه بحسب ظنه. فلذلك نال لقب الصادق، وقد ورد في

التوراة أن الله قال لإبراهيم أن ينظر إلى النجوم، فكما أنه لا يقدر على عدّها كذلك لن يُعدّ أولادّه، فقد كان الألم لله به لزمان قصير فمرّ، لكن الإنعام الذي أنعم عليه كان عظيمًا. اليوم جميع السادات وقريش واليهود والأقوام الأخرى يسمون أنفسهم أولاد إبراهيم. فكانت القضية لساعة أو ساعتين وقد مضت، فوجد من الله إنعامًا عظيمًا. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨ م، ص ٥)

الآية ١٥٠: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبِّكَ بُنَاتٌ وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾

أستخدم أحيانا كلمات قاسية عند الرد على المسيحيين، فمن الواضح تماما أنهم عندما يؤذون قلوبنا ويشنون على نبينا الأكرم ﷺ هجمات دون مبرر أرد عليهم ردا إلزاميا من كتبهم تنبيهها لهم فقط. فليستخرجوا لي شيئا قلته بحق عيسى ﷺ كرد إلزامي ولا يوجد في الإنجيل. لا يسعني على أي حال أن أسمع الإساءة إلى النبي ﷺ وأسكت عليها. الحق أن الردود من هذا النوع موجودة في القرآن الكريم أيضا كما ورد فيه: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (النجم: ٢٢)، و: ﴿أَلِرَّبِّكَ بُنَاتٌ وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾ باختصار، الرد الإلزامي أسلوب في المناظرة، وإلا فنؤمن بعيسى ﷺ رسولا من الله وعبدا مقبولا ومختارا عنده. والذين قلوبهم ليست نقية نفوض أمرهم إلى الله تعالى. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧ م، ص ٤)

الآية ١٦٥-١٦٦: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾

من جملة الاعتراضات: يبدو من بعض الإشارات في القرآن الكريم وكذلك من الأحاديث الشريفة أن جبريل انقطع نزوله في بعض الأيام، بمعنى أنه قد حدث في أيام بعثة النبي ﷺ أن جبريل لم ينزل عليه عدة أيام أحيانا. فإذا كان جبريل قربه ﷺ دائما وفي كل حين، وكان تأثير روح القدس جاريا وساريا في شخص النبي ﷺ على الدوام، فما معنى هذا الانقطاع؟

أما الجواب: فليكن واضحا أن الاعتقاد بأن روح القدس يهجر الأنبياء أحيانا ويصعد إلى السماء إنما هو خطأ بحث ترسّخ في بعض القلوب بسبب سوء فهم معنى النزول والصعود. فلا يخفى على أحد أنه ليس معنى النزول قط أن ملاكا يترك مقامه ومقرّه في السماء وينزل إلى الأرض. هذا المعنى يعارض نصوص القرآن والحديث الصريحة؛ فقد جاء في "فتح البيان" حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: ما في السماء موضع قدم إلا عليه مَلَكٌ ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾"؛ أي لكل واحد منا مقام معلوم وثابت لا يصعد فوقه قدماً ولا ينزل تحته قدماً.

فانظروا الآن كيف يتبين من هذا الحديث بوضوح تام أن الملائكة لا يتركون مقاماتهم. ولا يحدث قط أن يخلو منهم موضع قدم في السماء.... يجب على المرء أن يحتفظ في ذاكرته بكل حذر أن خلّو المقربين من تأثير روح القدس ليس ممكناً ولا للحظة واحدة لأن روح القدس هو روح حياتهم الجديدة، فأنتي لهم أن ينفصلوا عن روحهم؟ أما الانفصال الذي ذُكر في الأحاديث الشريفة وبعض الإشارات في القرآن الكريم فليس المراد منه إلا نوع من التجلي الذي تأخّر ظهوره في بعض الأحيان بحسب مقتضى حكمة الله تعالى. والمراد من النزول في مصطلح القرآن الكريم في أكثر الأحيان هو هذا النوع من التجلي. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٨٨-٩١)

إن معظم المشايخ المعاصرين... لا يعتقدون مطلقاً أن كل إنسان أُعطي قرينين؛ أي الداعي إلى الخير وهو روح القدس، والداعي إلى الشر وهو الشيطان، بل يقولون بأنه قد أُعطي قريناً واحداً فقط وهو الداعي إلى الشر ويبقى مع الإنسان دائماً لاستئصال إيمانه، وقد أعجب الله تعالى كثيراً بفكرة أن يجعل الشيطان مرافقاً للإنسان ليل نهار ويعطيه السيطرة على كل ذرة من كيان الإنسان ويوقعه في هوة الدمار سريعاً، وأن جبريل واسمه الثاني هو روح القدس، لم يوكله ﷻ داعياً إلى الخير

لعامة الناس قط بل ولا للأولياء أيضا، بل تُرك هؤلاء الناس جميعا في قبضة الشيطان فقط!! غير أن روح القدس ينزل على الأنبياء فقط، وحتى هذا لا يكون إلا لحظاتٍ أو لمدة وجيزة جدا، ثم يصعد جبريل إلى السماء مفارقا إياهم، بل إن الأنبياء يُحَرِّمون أحيانا من لقاء روح القدس أو قولوا جبريل، إن شئتم حتى أربعين يوما بل أكثر من ذلك. أما القرن الثاني، وهو الشيطان، فلا يفارقهم لحظة واحدة، والعياذ بالله حتى لو أسلم في نهاية المطاف!

فجوابه: إن هؤلاء القوم محبوبون وغافلون ومحرومون من حقائق القرآن الكريم، وإنهم لا يعتقدون هذا الاعتقاد أيضا بصراحة، بل وقعوا في هذا البلاء لغبائهم وقلة تدبرهم ثم بسبب بُغضهم لي وضعينتهم؛ لأن السبل التي سلكوها مقابلي كانت فيها هذه الآفات فوقعوا فيها على غير قصد منهم كما يقع الطير في الشَّرْك بغير قصد منه طامعا في حبة.

والحق أن هؤلاء القوم عندما أصروا على أن جبريل وملاك الموت وغيرهما من الملائكة ينزلون إلى الأرض بجوبيتهم الحقيقية ثم يعودون إلى السماء بعد هنيهة، وحينما ينزلون من السماء تخلو السماء من وجودهم، ثم حين يطيطرون من الأرض إلى السماء تخلو الأرض من وجودهم، وردت عليهم مئات الاعتراضات من القرآن والحديث والعقل؛ فمن جملة البلايا التي يقتضيها اعتقادهم هذا تلاشي العدل والرحم في نظام الله الروحاني، ووجد الكفار وغيرهم من المعارضين فرصة سانحة للاعتراض على الإسلام ليقولوا أية قسوة قلبية هذه وكم هو بعيد عن الرحم أن يوكل الله تعالى الشيطان وذريته بإغواء الإنسان إلى الأبد، ويجعلهم قرناء ومصاحبين له لكي يستأصلوا إيمانه، وليَجْرُوا في كل حين وآن في كيانه ومجرى دمه وقلبه وذهنه وفي كل جزء من جسده، وفي عينيه وأذنيه ويوسوسوا له، وألا يعطي ﷻ الإنسان ولو قرينا واحدا ليهديه ويبقى معه دائما. الحق أن منشأ هذا الاعتراض هو اعتقادهم المذكور أنفا لأن هؤلاء القوم يعتقدون من ناحية بحسب الآية: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾

أن جبريل وعزرائيل، ملائكة الموت، مقاما معلوما ومحددا في السماء لا يستطيعان أن ينزلا منه قيد شبر ولا يستطيعان أن يصعدا فوقه قيد شبر ومع ذلك يعتقدون يقينا بضرورة نزولهما إلى الأرض بوجودهما الحقيقي. كذلك يعتقدون بحسب زعمهم بصعودهما إلى السماء بوجودهما الحقيقي. ومن أنكر نزولهما أو صعودهما بوجودهما الحقيقي كان كافرا عندهم. إن اعتقاد هؤلاء المسلمين العجبيين يستلزم مصيبة أن نظام العدل الذي ذكرناه قبل قليل؛ أي وجود القرين الحسن مقابل القرين السيئ مع الإنسان دائما ينقلب رأسا على عقب تماما بحسب اعتقادهم هذا، ويبقى الشيطان وحده مصاحبا للإنسان دائما لأنه حتى إذا نزل الملاك، روح القدس، على أحد - كمسافر مثلاً - فيأتيه بحسب اعتقادهم للحظة واحدة أو لمدة وجيزة جدا، ثم يصعد إلى مقره الحقيقي أي السماء، ويهجر الإنسان - أيًا كان - تاركًا إياه في صحبة الشيطان. أليس هذا الاعتقاد مما يصم الإسلام بوصمة عار؟ هل يجوز القول عن الله الكريم الرحيم أنه يودّ دمار الإنسان أكثر من هدايته، والعياذ بالله؟ كلا. إن العمه لا يفهم تعليم القرآن الكريم فينسب إليه غباءه. لقد تعرض المشايخ لكل هذه البلايا التي لا يسعهم الخروج منها لسبب وحيد هو زعمهم أن الملائكة ينزلون إلى الأرض بكيانهم الحقيقي، وهذا الاعتقاد استلزم اعتقادا آخر أنهم يصعدون إلى السماء أيضا دون أدنى توقف.

فبسبب هذين المعتقدين الخاطئين وقعوا في مشكلة حتى خرقوا لأنفسهم اعتقادا ثالثا بأن الإنسان لم يُعطَ نعمَ القرين قط - مقابل بئس القرين - ليبقى معه دائما. فباختلافهم هذا المعتقد قد افتروا على تعليم القرآن الكريم افتراء شديدا وهياؤا للأعداء الأشرار فرصة للهجوم عليه. لو أنهم قبلوا أن أي ملاك لا ينزل بوجوده الحقيقي قط بل ينزل بوجوده الظلي الذي أُعطي قدرةً على تمثله، كما كان جبريل يظهر متمثلا في صورة دحية الكلبي، وكما تمثل الملاك للسيدة مريم، لما نشأ أيّ اعتراض قط، ولما استطاع أحد أن يعترض على دوام نعم القرين. واللافت في الموضوع

أنهم باعقادهم هذا يعادون القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أيًا معاداة؛ ذلك أن القرآن الكريم يبين أن السماء هي مقرّ الملائكة ومقام ثبوتهم، كما يؤكد بقوة بأن المؤمنين الكَمَل يُعطون روح القدس على الدوام ليؤيدهم ولا يهجرهم.

ومع أن كل شخص يجد في نفسه شيئًا من بريق روح القدس نتيجة النور الذي أودعتْ فطرته إياه، لكن ذلك البريق يُغشى بظلمة الشيطان لدى عامة الناس ويختفي كأنه ليس موجودا أصلا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٩٠-٩٧)

لا يعتقد الباحثون المسلمون أبداً أن الملائكة ينزلون إلى الأرض بوجودهم المادي مشيا على الأقدام مثل الناس، إذ إن هذه الفكرة باطلة بالبدهة، لأنه لو كان ضروريا أن ينزل الملائكة إلى الأرض بوجودٍ مادي لإنجاز مهماتهم الموكولة إليهم، لاستحال عليهم إنجازها على الإطلاق. فمثلا: إن ملاك الموت - الذي يقبض في ثانية واحدة أرواح آلاف الناس الساكنين على بُعد آلاف الأميال عن بعضهم بعضا في مختلف البلاد والأمصار - لو اضطر للذهاب مشيا على الأقدام إلى بلدٍ كل واحد ودخول مدينته ثم بيته لقبض الأرواح متكبدا كل هذه المشقة؛ لما كَفَتْه عدة شهور أيضا دع عنك ثانية واحدة. ثم هل يُعقل أن يتحرك أحد على غرار الإنسان ويكمل جولته في العالم كله في لمح البصر أو أقل من ذلك؟ كلا، بل الملائكة لا يتنَحَّون قيد شعرة عن مقاماتهم التي حددها الله لهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ فكما أن الشمس تبقى في مدارها ولكن حرّها وضوءها ينتشران على الأرض ويفيدان كل شيء على وجه البسيطة بحسب خواصهما، كذلك تكون الكيانات الروحانية؛ سواء أسمىها النفوس الفلكية حسب تصور اليونانيين أو أرواح الكواكب بحسب مصطلح "دساتير" و"الفيدا"، أو سميها "ملائكة الله" بكل بساطة على غرار الموحّدين. والحق أن هذا المخلوق الغريب مستقر في مكانه وعاكف على إيصال كل شيء في الأرض إلى كماله

المطلوب بحكمة الله الكاملة، فتقوم هذه الكيانات الروحانية بالخدمات المادية والروحانية. كما أن للشمس والقمر والكواكب الأخرى تأثيراً في أجسامنا وقوانا المادية، كذلك تؤثر الملائكة في قلوبنا وأذهاننا وكافة قوانا الروحانية تأثيرات مختلفة بحسب مواهبنا. كل ما يملك قدرة على التحول إلى شيء ذي بال، سواء أكان تراباً أو قطرة ماء في الحمار أو النطفة التي تُقذف في الرحم؛ تتحول بتربية ملائكة الله الروحانية إلى لعلٍّ أو ألماسٍ أو ياقوتٍ أو لؤلؤةٍ لامعةٍ من الجواهر الثمينة، أو يصبح إنساناً صاحب ذهن وقلب ذي صفات عظيمة. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٦-٦٨)

"ومقامات الملائكة في السماوات ثابتة لا ريب فيها كما قال وَعَجَّلَ حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾. وما نرى في القرآن آية تشير إلى أنهم يتركون مقاماتهم في وقت من الأوقات، بل القرآن يُشير إلى أنهم لا يتركون مقاماتهم التي تثبتهم الله عليها، ومع ذلك ينزلون إلى الأرض ويُدركون أهلها بإذن الله تعالى، ويتبرزون في برزات كثيرة، فتارة يتمثلون للأنبياء في صور بني آدم، ومرة يتراءون كالنور، وكرة يراهم أهل الكشف كالأطفال وأخرى كالأمارد، ويخلق لهم الله في الأرض أجساداً جديدة غير أجسادهم الأصلية بقدرته اللطيفة المحيطة، ومع ذلك تكون لهم أجساد في السماء، وهم لا يفارقون أجسادهم السماوية، ولا يبرحون مقاماتهم، ويجيئون الأنبياء وكل من أُرسلوا إليه مع أنهم لا يتركون المقامات. وهذا سر من أسرار الله فلا تعجب منه، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، فلا تكن من المكذبين." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٧٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "ص"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٧: ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾

يقولون إنه تخطيط لجمع الأموال فقط، وإن مساعديه ينالون الرواتب بانتظام. فليفكر الذي في قلبه شيء من خشية الله؛ أليس هذا سوء الظن نفسه الذي ظل العمهون يظنون بالأنبياء عليهم السلام منذ القدم؟ لقد أساء فرعون الظن بموسى وقال لقومه بأنه يريد أن يُخْرِجَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ويستولي عليها لنفسه. كذلك ظن اليهود في عيسى عليه السلام أنه مكّار ويريد أن يحكمهم بدعوى النبوة. كذلك ظن كفار قريش ظن السوء بنبينا الأكرم ﷺ كما نقل القرآن الكريم قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أن

هناك طمعا شخصيا كامنا في هذا الإعلان. فكيف نأسى على المعترضين مثلهم؟ إنهم يتأسون بأسوة أول المنكرين. يجب أن تكون عادة الباحث عن الحق أن يتأمل في الادعاء أولا ويتدبر الأدلة بصدق القلب ثم يتفوه بما هو مقتضى العقل وخشية الله والعدل، ليس أن يبدأ بالقول قبل التحقيق بأن كل هذا مكر وحيلة تُسجت لكسب المال فقط. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٦٨) كان الكفار يقولون عن رسول الله ﷺ أيضا: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾، أي أيها الناس إنما فتح هذا متجرا لجمع الأموال. المعارض الذي لا يحظى بالصحبة لا يصله الرأي الصائب، واتخاذ الرأي عن بُعد ليس مناسبا، فأنتى للمرء أن يصله الرأي السديد من دون أن يمكث في الصحبة ويطلع على الأحوال كلها؟ (الحكم، مجلده، رقم ٤، عدد ٣١ / ١ / ١٩٠١ م، ص ٥)

الصحبة السيئة أحد أسباب هلاك الإنسان. فأبو جهل مثلاً قد هلك بنفسه كما تسبب في هلاك كثير ممن كانوا يجالسونه. إذ ما كان في صحبتهم ومجلسهم شيء سوى الاستهزاء والسخرية، بل كانوا يقولون دائما: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾، أي أيها الناس إنما هو يتاجر بالدين. فانظروا الآن هل انتشر في العالم كله نور ذلك الإنسان الذي قيل إنه ليس إلا مخادعا يتاجر بالدين، أم نور غيره؟ لقد هلك أبو جهل، وليس في نصيبه إلا اللعنة، وعلى النقيض انظروا إلى عظمة رسول الله ﷺ إذ يصلّى عليه ليلا ونهارا، بل في كل حين وآن، ويوجد اليوم في العالم تسعمائة وتسعون مليون خادم له من المسلمين. لو عاد أبو جهل إلى الدنيا اليوم ورأى أن الإنسان الذي كان يراه يتجول في أرقعة مكة وحيدا فريدا، والذي ما اذخر جهداً في إيذائه، معه حشدٌ من تسعمائة وتسعون مليون خادم، لأخذته حيرة ما بعدها حيرة، ولقتله هذا المشهد وحده.

هذا هو الدليل على صدق النبي ﷺ. فلولا أن الله معه لما حالفه هذا النجاح الباهر. كم نسج أبو جهل من المكاييد ضد النبي ﷺ جراء عداائه ومعارضته، ولكن كان مآله الخيبة والخسران. لم يكن مع النبي ﷺ إلا بضعة نفر في أول أمره، وما كان

لأحد أن يتصور عندها أنه سيكون له شأن عظيم في العالم، وأنه سيخرج سليماً معافاً من وسط مؤامرات الأعداء وسيكون من الناجحين، ولكن من سنة الله المستمرة أن العقوبة تكون لعباده المصطفين دوماً، ولا تضرهم مؤامرات القتل وفتاوى الكفر وأنواع الإيذاء شيئاً. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤ / ١ / ١٩٠١ م، ص ٢ - ٣)

لا يغيث عن البال أن من المحال أن يتبع أهل الدنيا ديناً واحداً، لأن من سنة الله أنهم لا يزالون مختلفين ومتفرقين إلى يوم القيامة حتماً. وقد ذكر الله تعالى هذا الأمر في القرآن الكريم بمنتهى الصراحة. ليس هناك شريعة أفضل من القرآن الكريم، وقد جعل الله فيه الآيات والبركات أكثر من أي كتاب، وهي تتجدد وتبقى غضة في كل عصر وزمان، وإذا لم يكن اختلاف الناس دوماً من سنة الله المستمرة، لأمّنت أُمم العالم قاطبة بالقرآن الكريم. ولكن حتى في زمن الرسول ﷺ نفسه ظلت هناك ملل أخرى. كان النبي ﷺ كاملاً، كما كان كتابه كاملاً، ومع ذلك لم ينتفع منه أبو جهل ولا أبو لهب وأمثالهما شيئاً، وظلوا يقولون: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾، أي أيها الناس إن هذا إنما يتاجر بالدين. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٠، عدد ١٧ / ٨ / ١٩٠١ م، ص ٦)

إن الإنسان يستنتج دوماً من التجارب، كما أن العقل الإنساني أيضاً ينمو باستمرار بواسطة التجارب؛ فمثلاً يعلم الإنسان أن ثمرة شجرة المانجو حلوة، بينما تكون ثمار بعض الأشجار مُرةً. فبهذه التجربة الطويلة يحدث له الفهم والإدراك أن ثمرة المانجو حلوة حتماً. ومثل ذلك لما كانت التجربة تفيد أن سلسلة الفسق والفجور والمكر والخداع متنامية في العالم في العصر الراهن، لذا يرسخ في قلب الإنسان أن كل واحد مكارٌ وخداع حتماً، إذ علّمته التجارب السابقة ... أنه يجب أن يكون كذا، ولذا ينشأ سوء الاعتقاد بدلاً من حسن الاعتقاد، ولذلك ظل الناس يسيئون الظن حتى بالأنبياء. لقد بُعث النبي ﷺ بعد مرور ألفي عام على وفاة موسى ﷺ وكان قد ظهر في ذلك الزمن كثيرٌ من الأدعياء والذين يُظهرون معجزاتٍ مزيفةً، فكان الناس قد جرّبوهم، ولكن فجأةً قد جاءهم صادقٌ أيضاً، وأخيراً لم يجدوا بداً

من القول بحق الصادق أيضاً ما قالوا للمدعين الكذبة أي ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾، أي أنها تجارة. باختصار إن الناس يخطئون في معرفة الصادقين بسبب التجارب. إن التمكن من معرفة عباد الله فضل خاص من الله، فإذا أعطى الله أحدا معرفة فهو يتمكن من معرفة الصادقين. على الإنسان أن يُكثر الدعاء، إذ لا مندوحة من الدعاء. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٧، عدد ١٥ / ١٩٠٣ م، ص ١)

الآية ٨: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾

إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أي إنه افتراء محض. (عاقبة آثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٥٥)

الآية ٤٥: ﴿وَاخْذُ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

قال السيد أكمّل: لو استنبط من الآية المعنى الذي ذهب إليه عامة المفسرين لأدّى ذلك إلى فتح باب الحيل في الشرع. فقال عليه السلام:

لما كانت زوجة أيوب عليه السلام صالحة جدا وتخدمه بإخلاص، وكان هو أيضا تقيا وصابرا فخفف الله عنه وأرشده إلى خطة يتحقق بها حلفه دون ضرر. فإذا فهم الله حيلة فيكون مسموحاً بها شرعا، لأنها أيضا جاءت من الطريق نفسه الذي جاءت منه الشريعة، لذا فلا ضير فيها. (بدر، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ٢٨ / ١٩٠٧ م، ص ٦)

الآية ٤٦: ﴿وَإِذْ كُنَّا عِبَادًا لِّإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾

لم يشرف الله المسلمين بعطية العقل فحسب، بل أنعم عليهم بنور الوحي والإلهام أيضا، لذا يجب أن يجتنبوا السبل التي يريد منهم الفلاسفة الذين ليس بأيديهم إلا المنطق الجاف أن يسلكوها. إنهم قوم يتميزون بقوة اللسان ولكن قواهم الروحانية تكون ضعيفة جدا. انظروا كيف وصف الله تعالى عباده فقال: ﴿أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾، ولم يقل

إنهم أولو الألسنة، وهذا يدل على أن الله تعالى إنما يحب الذين ينظرون إلى فعله وكلامه ببصارة وبصيرة، ثم يعملون به. وهذه الأمور كلها لا تيسر بدون تزكية النفس وتطهير القوى الروحانية. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٧٣)

صحيح أن الحكم سيصدر بالدعاء فقط، لكن ذلك لا يعني التخلي عن الأدلة، كلا! بل يجب متابعة سلسلة الأدلة معاً، وينبغي أن لا تنقطعوا عن القلم. ولذلك قال الله ﷻ في وصف الأنبياء ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾، لأنهم يستخدمون الأيدي، فيجب ألا تتوقف أفلامكم وأيديكم، فذلك مدعاة للثواب. استمروا في استخدام البيان واللسان قدر الإمكان، والأمور التي تفهمونها لتأييد الدين استمروا في بيانها فسوف يستفيد منها أحد حتماً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/ ٢/ ١٩٠٤م، ص ٦)

يقول الله تعالى عن الأنبياء: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾، ومعناه أنهم كانوا يعملون وكانوا يدعون بكل حذر وحيطة إلى السبل التي تثبتهم الله تعالى عليها، وما كانوا يتبعون التصورات والخيالات فقط، بل كانوا أناساً عاملين، ويدعون إلى الحق على بصيرة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٤، عدد ١٧/ ٩/ ١٩٠١م، ص ٨ - ٩)

الآية ٥٠-٥١: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَنَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾

الرفع يشمل الأنبياء والرسل والمؤمنين جميعاً، وكل مؤمن يُرفع بعد موته. ففي الآية: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَنَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ إشارة إلى هذا النوع من الرفع. أما الكافر فلا يُرفع كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٧)

﴿مُمْتَحَنَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ أي ستُفتح أبواب السماء للمؤمنين. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٠)

أن اعتبار رفع عيسى ﷺ رفعا ماديا تعنت محض وحمق بحت. بل هو الرفع نفسه الذي يحظى به كل مؤمن حتما بعد موته بحسب وعد الله تعالى. أما الكفار فالحكم في حقهم هو: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤١) أي لا يُرفعون. ويقول ﷻ في آية أخرى: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾. فإن قلب القول السديد رأسا على عقب يناقض التقوى والطهارة والنزاهة ويمثّل التحريف في كلام الله. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٥٥)

يمكن أن يصعد الأطهار إلى السماء مع أجساد أخرى كما تصعد أرواح جميع الأنبياء والرسل والمؤمنين بعد الممات. وفيهم يقول الله تعالى: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ أي ستُفتح أبواب السماوات للمؤمنين.

وليكن معلوما أنه إذا كان المراد هنا الأرواح وحدها، لما جاء ضمير ﴿هُمْ﴾ لذكرها. فهذه قرينة قوية على أن الرفع الذي يحظى به المؤمنون بعد الممات يكون مع الجسد، ولكنه ليس هذا الجسد المادي المعروف، بل تُعطى روح المؤمن جسدا طاهرا ونورانيا ومصونا من الألم والعيب الذي يستلزمه الجسد المادي. بمعنى أنه لا يحتاج إلى أغذية أرضية ولا إلى ماء أرضي. وجميع الناس الذين يُبَوِّءون جوار الله ينالون جسدا كمثلته تماما. ونؤمن بأن عيسى ﷺ أيضا نال بعد الممات جسدا كمثلته تماما، وبالجسد نفسه رُفع إلى الله تعالى. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٠٠-٤٠١)

إذا كان الهدف من صعود المسيح إلى السماء هو اجتناب اللعنة، فلا بد لهذا الرفع أن يسبقه الموت، لأن هذا هو الرفع الذي يتضمن مفهوم قرب الله ويحظى به الإنسان بعد الممات لذلك قيل: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦)، وهذا هو الرفع نفسه قد ذكره الله تعالى في: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٩)، ويُفهم من: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد

فليكن معلوما أننا لا نؤمن قط بوجود عيسى في السماء بروح بلا جسد، بل نؤمن أنه موجود هناك مع الجسد، والفرق هو أن هؤلاء يعدّون ذلك الجسد جسدا ماديا بينما أنا أقول بأنه الجسد نفسه الذي أُعطيهِ الرسل الآخرون. يقول الله تعالى عن أصحاب الجحيم: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤١) ويقول عن المؤمنين: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾. إذن، إن كلمة "لهم" في هاتين الآيتين تقتضي الأجساد، فهل يذهب هؤلاء جميعا بالجسد المادي؟ كلا، بل تكون الأجساد موجودة ولكنها أجساد تُوهب بعد الممات. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٨-٩)

الأمر الحق الذي اتفق عليه المسلمون واليهود، وهو معتقدهم المسلّم به، أن عباد الله الصالحين يحظون بعد الموت بالرفع الروحاني وهذا الذي يجدر بالعظمة، فهم لا يؤمنون بالرفع المادي كما أنه ليس فيه أي فضيلة. فقد بيّن القرآن الكريم هذا المبدأ حصراً في قوله ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ أي أن الله تعالى يفتح أبواب رحمته السماوية للمتقين والورعين في نظره وهو يرفعهم روحانياً بعد الموت، أما الذين هم مقابلهم من الخبيثين والبعيدين عن الله، والذين لا تكون لهم أي علاقة بإخلاص وصدق معه تعالى، فلا تفتح لهم أبواب السماء، كما قال تعالى: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: ٤١). (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠، عدد ٢٢/٣/١٩٠٨ م، ص ٢)

الآية ٦٣: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾

لقد عادت الدنيا المبعوثين من الله تعالى دائماً، لأن حب الدنيا وحب المرسلين من الله لا يجتمع في مكان واحد قط. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٨)

إن حقيقة كون المرء من أهل الجنة أو النار يعلمها كل امرئ بعد موته حين يقول البعض بحسرة وهم في جهنم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٠٢)

الآية ٧٢ - ٧٥: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَادَّأَ سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

"فتفكر في آية: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، وتدبر كأولي النهي، وفكر في لفظ: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ولفظ: ﴿سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وألفاظ أخرى، ليظهر عليك جلاله آدم وشأنه الأعلى. فإن منطوق الآية يدل على أن روح الله نزل في آدم بنزل أجلى، حتى جعله مسجود الملائكة ومظهر تجليات وأقرب إلى الله الأغنى، وأعلم وأفضل من الملائكة أجمعين، وخليفة الله على الأرضين. " (نور الحق، الجزء الأول، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ١٣٥-١٣٦)

أي يقول الله تعالى (الذي أنت مظهره الأتم) يقول للملائكة: إذا خلقت هذا الإنسان بكمال الاعتدال ونفخت فيه من روحي؛ فقعوا له ساجدين؛ أي انصرفوا إلى خدمته بكل تواضع وخدموه كأنكم تسجدون له ... ليكون معلوما أن أمر السجدة لا يتعلق بالزمن الذي خلق فيه آدم، بل هذا أمر منفصل أمر به الملائكة بأنه كلما وصل إنسان مرتبة الإنسانية الحقيقية وحظي بالاعتدال الإنساني، وسكنته روح الله تعالى؛ فليسجدوا لذلك الإنسان الكامل. أي إنزلوا عليه بالأنوار السماوية وصلوا عليه. فهذه إشارة إلى السنة القديمة التي يُعامل بها الله تعالى عباده الأصفياء دائما. فكلما يحرز أحد تسوية روحانية في عصر من العصور وتسكنه روح الله تعالى - أي يفني نفسه وينال مرتبة البقاء بالله - يبدأ نزول الملائكة عليه بوجه خاص. مع أن الملائكة يُسَخَّرُونَ لنصرتهم وخدمته في المرحلة الابتدائية من سلوك ذلك الإنسان أيضا، ولكن هذا النزول يكون أتم وأكمل حتى يدخل في حكم السجود. ولقد بين الله تعالى باستخدام كلمة السجود أن الملائكة ليسوا أفضل من الإنسان الكامل، بل يسجدون للإنسان الكامل تعظيما

وتبجيلا له مثل الخدم في بلاط الملك. (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٧٦ - ٧٧)

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ أي إذا أتممت قلبه، ووضعت جميع مظاهر التجليات في مواضعها، ونفخت فيه من روحي، وجب عليكم جميعا أن تحروا له على الأرض ساجدين. فالآية تشير إلى المعنى نفسه، أي أنه عندما يكتمل قالب الأعمال، تتجلى فيه تلك الروح التي نسبها الله إلى ذاته. ولما كان هذا القلب لا يتكون إلا إذا طرأ الفناء الكامل على حياة الإنسان المادية، فعندها يُشرق فيه النور الرباني دفعة واحدة بعد أن كان ضئيلا، وعندها يجب على كل من يشاهد هذه العظمة الإلهية أن يسجد لله وينجذب إليه. وهكذا يسجد الجميع عند رؤية هذا النور ويقبلون عليه بطبعهم، إلا إبليس اللعين الذي يحب الظلام. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢٢)

الآية ٧٦: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾

فقد خلق الله آدم يوم الجمعة وقت العصر لأنه كان يريد أن يخلق آدم جامعا للجلال والجمال. وإلى ذلك تشير الآية ﴿خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ﴾، أي خلقت آدم بيدي. فالواضح الجلي أن يدي الله ليستا كيدي الإنسان، وإنما المراد من اليدين، التجلي الجمالي والجلالي. فالمقصود من هذه الآية أن آدم خُلق جامعا للتجلي الجلالي والجمالي. (التحفة الغولروية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٨١-٢٨٢ الحاشية) هناك نوع من العلو المذكور في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١٢)، والعلو الآخر هو كعلو الشيطان حيث قال الله تعالى أنه ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾، وقد قال تعالى له ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، حيث سأل الله تعالى هل علوك من استكبار أم هو علو حقيقي. وقد وردت كلمة "أعلى" في حق عباد الله

تعالى أيضاً كقوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، ولكن هذا العلوّ يكون عن تواضع، وذلك مشوباً باستكبار. (بدر، مجلد ١، رقم ١، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٤)

الآية ٧٧: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

تذكروا أنّ التكبر يأتي من الشيطان ويجعل صاحبه شيطاناً. وإن لم يتخلّ عنه الإنسان كلياً لا يقدر على قبول الحق أو نيل فضل الله لأن الكبر يصير عائقاً في سبيله. فيجب ألا يتكبر المرء بأي شيء على الإطلاق لا بالعلم ولا بالثروة ولا بالمرتبة والدرجة ولا بالفئة والطائفة ولا بالنسب، لأن الكبر غالباً ما ينشأ ويتطور بسبب هذه الاعتبارات. ومالم يُزكَّ المرء نفسه من نوازع الكبر والغرور هذه، لن يكون عند الله من الصالحين ولن ينال تلك المعرفة من الله التي تحرق نوازع الأهواء التافهة لأنّ الغرور من الشيطان، وهو مكروه عند الله وَجَلَّ. لقد استكبر الشيطان وحسب نفسه أعلى من آدم وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٣). فطُرد من حضرة الله. أما آدم فقد اعترف بضعفه عند الزلل (لأنه كان قد أُعطي المعرفة) وورث فضل الله. كان يعرف أنه لا يمكن أن يتم شيء دون فضل الله فدعا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٤) هذا هو السر أنه عندما قيل لعيسى عليه السلام: يا أيها المعلم الصالح! قال: لماذا تدعوني صالحاً؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٥م، ص ٢)

الآية ٨٦: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

في هذه الآية خاطب الله تعالى الشيطان وقال بأني سأملأ جهنم بالذين يتبعونك. لاحظوا الآن، فقد تبين من هذه الآية بجلاء تام أن الله لا يريد أن يلقي الناس في جهنم اعتباطاً بل الذين يستحقونها بسبب سوء أفعالهم هم الذين سيُلْقَوْنَ فيها. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣٣)

الآية ٨٧: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾

لا توجد التكاليف في أولياء الله بل يكونون بسطاء وأصفياء القلوب. لا يوجد أدنى تكلف أو تصنع في ألبستهم وأموالهم الأخرى. ولكن لو نظرنا إلى أصحاب الزوايا أو المشايخ المعاصرين نرى فيهم تكاليف كبيرة. لن تجدوا أيًا من قولهم أو فعلهم خاليا من التكلف بل يبدو وكأنهم ليسوا من الأمة المحمدية بل لهم شريعة أخرى. لو رأيتهم لباسهم لوجدت فيهم نوعا خاصا من التكلف، بل يلاحظ التكلف في أسلوب تعاملهم وكلامهم مع الناس أيضا ويكون سكوتهم أيضا مبنيا على التكلف. كأنهم يرون كل أنواع التأثيرات مرتبطة بالتكلف فقط. وعلى النقيض من ذلك إن أسوة النبي ﷺ هي: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. كذلك الأنبياء والرسل الذين جاؤوا بين حين وآخر كانوا يتكلمون بكل بساطة وعاشوا بكل بساطة، ولم يكن أدنى تكلف في قولهم أو فعلهم. أما هؤلاء القوم فيلاحظ التكلف في مشيهم وأسلوب كلامهم أيضا بحيث يبدو من ذلك كأن شريعتهم مختلفة وتتنافى مع الإسلام وتعارضه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٧، عدد ٢٤ / ١٠ / ١٩٠٥ م، ص ٥)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "الزمر"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٤: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾

كان الوثنيون يعتقدون أيضا منذ قديم الزمان أن صفات الله المبدئية أي تلك التي هي أصل الصفات كلها هي أربع فقط، أي الخلق والتزويد بأسباب مناسبة، ثم نصره العاملين لتقدمهم، ثم الجزاء في الآخرة. فكانوا ينسبون هذه الصفات الأربع إلى أربعة آلهة. فبناء على ذلك اتخذ قوم نوح أيضا أربعة آلهة. ومن منطلق هذه الصفات كان الوثنيون العرب أيضا قد اتخذوا أربعة آلهة هي اللات ومناة والعزى وهبل. وكانوا

يزعمون أن هذه الآلهة الأربعة تقوم بعملية التربية في العالم كل بحسب أسلوبها وهي شفيعتهم وهي التي توصلهم إلى الله تعالى. هذا ما يتبين من الآية: ﴿لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٥٩، الحاشية)

الآية ٧: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِيَ تُصَرِّفُونَ﴾

لقد أقيم في القرآن الكريم على كون الله خالقا بمادة القياس الاستثنائي، والمراد من القياس الاستثنائي قياس يوجد فيه عين النتيجة أو نقيضها بالفعل، ويكون مركبا من المقدمتين أي الشرطية والوضعية، فالآية الكريمة التي تتضمن هذا القياس هي: ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، أي يخلقكم بالحكمة الكاملة في ثلاثة حُجُب مظلمة في بطون أمهاتكم، بحيث يجعل الخلق من نوع، والخلق الآخر من نوع آخر. أي يحدد لكل عضو صورة مختلفة وخصائص مختلفة وقدرات مختلفة. حتى إنه يلقي الروح في قالب ميت إذ لا يمنعه الظلام من العمل. ولا يصعب عليه خلق الأعضاء مختلفة الأنواع والميزات. ولا يجد أي حرج أو صعوبة في متابعة سلسلة الخلق للأبد. ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي أن الذي يداوم على سلسلة القدرة هذه هو ربكم. أي بهذه القدرة التامة تتحقق ربوبيته التامة التي هي الخلق من العدم ومنح الوجود الكمال. ذلك لأنه إذا لم يكن هو رب الأشياء، ولم يكن في ذاته يتمتع بالربوبية التامة بل كان يمشي الأمور بأخذ المواد من هنا وهناك كالنجار والصانع؛ لما حاز على هذه القدرة التامة، ولما نجح دوما في أعماله، بل لا تقطع عمله يوما وعجز عن الخلق حتما. وخلاصة الآية أن الذي لا يكون فعله بالربوبية التامة، أي لا يكون قد خلق من تلقاء نفسه، فلا يكون حائزا على القدرة التامة أيضا. لكن الله ﷻ يملك

القدرة التامة؛ لأن القيام بأنواع الخلق وإظهار الثاني بعد الأول بلا تخلف، وإنجاز العمل باستمرار دوماً، هو العلامة الكاملة للقدرة التامة. فثبت منه أن الله سبحانه وتعالى حائز على الربوبية التامة وهو في الحقيقة رب الأشياء وليس كالنجار والصانع فقط، وإلا ما كان بالإمكان أن يستمر نظام العالم بلا خلل، وكان العالم ونظامه قد تلاشى منذ مدة. ذلك لأن الذي ليس عمله ناتجاً عن خياره التام فلا يقدر دوماً وفي كل حال على خلق شيءٍ ما وبعدد معين مطلوب.

وشكل هذا القياس المندرج في الآية الكريمة بحسب القاعدة المنطقية هو أن الذي يكون فعله ضرورياً من حيث القدرة التامة لخلق أي وجود، فلا بد أن يتمتع بالربوبية التامة؛ أي الخلق من العدم أيضاً. لكن فعل الله ضروري في خلق المخلوقات كقدرة تامة، فالنتيجة أنه من المؤكد يتمتع بالربوبية التامة أيضاً.

وإثبات الصغرى؛ أي إثبات أن الصانع الذي يملك القدرة التامة بالتأكيد، يستلزم أن يتصف بالربوبية التامة أيضاً على نحو أن العقل يحتم أن يكون الصانع - الذي قد سلّمنا بحقه أنه لا يجد أي صعوبة في إنجاز أي صنعة له، عند بدء صنع أي شيء - قادراً على تأمين جميع الوسائل لإكمال تلك الصنعة، وتوفير جميع اللوازم للوجود المصنوع في كل وقت، وبالكَم المطلوب. وأن هذه القدرة التامة لا تتحقق على وجه كامل إلا إذا كان ذلك الصانع قادراً على صناعة أجزاء ذلك المصنوع أيضاً. لأن توفر تلك الأشياء - في كل حين وبعدد مطلوب - التي لا يملك الصانع القدرة التامة على تأمينها، من المحتمل عند العقل ألا يتحقق، وليس هناك أي برهان فلسفي على عدم التحقق، وإن وُجد البرهان فليقدمه أحد. وسببه واضح وهو أن مدلول العبارة: "إن زيدا لا يملك قدرة تامة على إنجاز عمل معين" يساوي مدلول العبارة: "من المحتمل ألا يتمكن زيد من إنجاز ذلك العمل في زمن ما". فثبت أن أمر الصانع التام لا يصلح أبداً إذا لم يكن يملك قدرة تامة أيضاً. ولذلك لا يستطيع أي مخلوق من الحرفيين أن يدعي أنه صانع تام في حرفته. بل من دأب أهل كل

حرفة إذا ضايقه أحد بالحضور إلى محله مرارا ليصنع له فوراً شيئاً معيناً، أن يقول له أخيراً متضايقا من طلباته: "يا صاحبي أنا لست إلها حتى أكون قادرا على صنع شيء فورَ تلقّي الطلب، بل سوف أصنعه إذا توفر لي الشيء الفلاني والفلاني." باختصار يعرف الجميع أنه يُشترط على الصانع الكامل أن يحوز القدرة التامة والربوبية التامة. فليس صحيحاً أنه ما لم يمت زيد لن يولد لبكر، أو ما لم يمت خالد لن تُنفخ الروح في قالب وليد الذي ما زال جنينا في البطن. فثبتت الصغرى بالتأكيد. أما كبرى هذه القضية، أي من الضروري أن يملك الله قدرة تامة على خلق المخلوقات؛ فتأبته بثبوت الصغرى. كما من الواضح الجلي أنه إذا كان الله تعالى لا يملك القدرة التامة الضرورية فستكون قدرته متوقفة على ظهور بعض المصادفات فحسب. ومن المحتمل عقليا - كما بينا سابقا - أن تتوفر هذه المصادفات لله عند الضرورة، لأنها اتفافية، غير واجبة. مع أن نشوء علاقة الروح بجسم الجنين عند إعداد الجسم متلازم، فثبت أن فعل الله ضروري كقدرة تامة. كما يتحقق احتياج الله للقدرة التامة وجوبا أيضا بدليل أنه من حقنا أن نفترض مثلاً - بموجب الأصول الفلسفية المحددة - أن جميع الأرواح الموجودة تتعلق بأبدانها بانسجام لمدة معينة. فحين نفترض هذا الافتراض نجد أنه يستلزم افتراضاً آخر، وهو أن الروح لن تدخل تلك الأجنة المعدة في الأرحام قبل انقضاء تلك المدة، مع أن بقاء الأجنة معطلة دون إنشاء العلاقة بالأرواح باطل بدهاة عقليا. فالذي يستلزم الباطل باطلٌ هو الآخر. فثبتت من إثبات المتقدمين النتيجة أن الاتصاف بالربوبية التامة يتحتم على الله تعالى، وهو المراد. (المقالات القديمة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٣-١٦)

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ...﴾ من الواضح أن كلمة نزول لا تدل على النزول المادي من السماء أبداً، أما إضافة "السماء" إليها، فمثله كمثّل جائع يُسأل: ما مجموع ٢ و ٢ فيقول: أربع خبزات. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٤٥، الحاشية)

فانظروا إلى القرآن الكريم كيف بيّن معنى النزول في آياته العظمى. وتدبروا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ (الحديد: ٢٦) وفي قوله عز اسمه: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ (الأعراف: ٢٧)، وفي قوله جل شأنه: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ...﴾ وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء بل تحدث وتتولد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف عليكم أن حقيقة نزول المسيح هي من هذه الأقسام التي ذكرناها ههنا، فتدبروا في قولنا وأمعنوا نظرا. وما ينبغي أن يكون اختلاف في كلام الله تعالى، ولن تجدوا في معارفه تناقضا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٤١-٤٤٢)

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ لم يذكر هنا الضلع أو العظم أو غيرهما، والذي جاء فيها هو أنه خلق إنسانا من إنسان آخر. غير أنه قد جاء فيها أن الله غير قانونه السابق لأن الإنسان لم يُخلق من النطفة في البداية، بل خلق من إنسان آخر كيلا يحدث خلاف في النوعية، ثم بدأ بعد ذلك قانون آخر وبدأ الناس يُخلقون من نطفة الإنسان. وإنَّ نَسَخَ اللهُ قَانُونًا سَابِقًا لَيْسَ مَحَلَّ عِتْرَاضٍ لِأَنَّ الله يَنْسَخُ قَانُونَهُ لِتَظْهَرُ لِلْعِيَانِ قُدْرَاتِهِ مُخْتَلِفَةً الْأَنْوَاعِ. من معاني الآية المذكورة آنفا أن إنسانا كاملا يتكوّن في الرحم بعد خلق من عدة أنواع ويُخلق في ظلمات ثلاث. (١) البطن، (٢) الرحم، (٣) المشيمة التي يتكوّن الجنين فيها.

وليكن معلوما أيضا أنه قد أُريدت من الضلع والعظم في كتب الله علاقات القرابة أيضا، ويُفهم منها أن العلاقة بين آدم وحواء كانت قريبة جدا. ولكن ما دمنا نؤمن بالله تعالى قادرا على كل شيء لذا لا نستبعد أن تكون حواء قد خُلقت من ضلع آدم أو أن آدم خُلِق من ضلع حواء. إن كلام الله في هذا المقام يشمل معاني واسعة جدا، ومعنى الآية الواسع هو أننا خلقنا الآخر من الأول. إذا كان عند أحد اعتراض

أن الخلق من الضلع ينافي قانون الله في الطبيعة فجوابه أن الخلق من النطفة أيضا ينافي القانون الذي ظهر للعيان في البداية بحسب مبدأ الآريين. فالذي استبدل قانونا بقانون آخر للخلق، هل يُستبعد منه أن يخلق في الخلق الأول إنسانا من ضلع إنسان آخر بحسب مبدأ الإسلام كما خلقه في الخلق الأول على غرار الفطريات بحسب مبدأ الآريين لأنه قادر على كل شيء. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٤-٢٢٥)

أنزلنا الدواب مثل الخيول والحمير وغيرها. هل لأحد أن يُثبت أن كل هذه الأشياء قد هبطت من السماء حقيقة؟ (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٥)

الآية ٢١: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾

أما النبوءة التي تحتوي على الوعد، أي البشارة عن إنعام، فلا تُلغى قط. لقد قال تعالى في هذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ولم يقل: إن الله لا يخلف الوعيد. والسر في ذلك أن نبوءة الوعيد يمكن أن تُلغى نتيجة الخوف والدعاء والصدقة. ولقد أجمع الأنبياء كلهم على أن البلاء الذي يكون نازلا على شخص في علم الله، يمكن رده نتيجة الصدقة والخوف والخشوع. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٤)

الآية ٢٢: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

لقد ذكر في هذه الآية أيضا على سبيل المثال أن الإنسان يقضي حياته رويدا رويدا مثل الزرع ثم يموت. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٠)

الآية ٢٤: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

"يَعْنِي ذَلِكَ الْكِتَابُ كِتَابٌ مُتَشَابِهٌ يَشَبَّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا لَيْسَ فِيهِ تَنَافُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ مَثْنِيٌّ فِيهِ كُلُّ ذِكْرٍ لِيَكُونَ بَعْضُ الذِّكْرِ تَفْسِيرًا لِبَعْضِهِ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ يَعْنِي يَسْتَوِلِي جَلَالُهُ وَهَيْبَتُهُ عَلَى قُلُوبِ الْعُشَاقِ لِيَقْشَعِرَّ جُلُودُهُمْ مِنْ كَمَالِ الْحَشِيَّةِ وَالْخَوْفِ يُجَاهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا بِتَحْرِيكِ تَأَثِيرَاتٍ جَلَالِيَّةٍ وَتَنْبِيهَاتٍ فَهْرِيَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ يُبَدِّلُ اللَّهُ حَالَتَهُمْ مِنَ التَّأَلُّمِ إِلَى التَّلَذُّذِ فَتَصِيرُ الطَّاعَةُ جُزْءَ طَبِيعَتِهِمْ وَخَاصَّةً فِطْرَتِهِمْ فَتَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَعْنِي لَيْسَ يَلْزَمُ الذِّكْرُ فِي قُلُوبِهِمْ كَسِيلَانِ الْمَاءِ وَيَصْدُرُ مِنْهُمْ كُلُّ أَمْرٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِكَمَالِ السُّهُولَةِ وَالصَّفَاءِ لَيْسَ فِيهِ ثِقَلٌ وَلَا تَكْلَفٌ وَلَا ضَيْقٌ فِي صُدُورِهِمْ بَلْ يَتَلَذَّذُونَ بِامْتِنَالِ أَمْرِ إِلَهِهِمْ وَجِدُون لَذَّةَ وَخِلَاوَةً فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ وَهَذَا هُوَ الْمُنْتَهَى الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرُ الْعَابِدِينَ وَالْمُطِيعِينَ فَيُبَدِّلُ اللَّهُ أَلَامَهُمْ بِاللَّذَاتِ." (الحق، مناظرة لدهيانة، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٧-٣٨)

أما القرآن الكريم فقد مشى في تعليمه الأخلاقي بمحاذاة قانون الطبيعة، فقد حثَّ على الرُّحْمِ حين يتطلب قانون الطبيعة الرحمة، كما علَّم الغضب والعقوبة بقدر ما يسمح به قانون الطبيعة من ممارسة القسوة والشدة والغضب بحسب المبدأ نفسه. فتعليمه كاملٌ من كل النواحي داخليا وخارجيا. وإن تعاليمه واقعة على الدرجة القصوى للاعتدال، وتروي جميع فروع شجرة الإنسانية، لا فرعا واحدا فقط، وهي تربي جميع القوى لا قوة واحدة. وقد أشير إلى هذا الاعتدال والاتزان في الحقيقة في قوله تعالى ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ ثم في كلمة ﴿مَثَانِي﴾ أشير إلى أن آيات القرآن الكريم تتسم بكلا النوعين من النور

عقلانيا وروحانيا. ثم قال بعد ذلك أن القرآن يفيض ببيان عظمة الحق لدرجة تقشعر لها قلوب المستمعين إلى آياته، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله تعالى. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٨-٥٩)

الآية ٣١: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾

ليس من عادة الله أن يرسل الناس إلى الدنيا ثانية، وإلا فنحن أحوج إلى عودة سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم من عودة عيسى عليه السلام، وفي ذلك تكمن سعادتنا الكبرى. ولكن الله تعالى حرمانا من هذا الأمل بقوله له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢)

الآية ٣٧: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

حين قرب موعد وفاة أبي المرحوم ميرزا غلام مرتضى ولم تبق إلا سويغات، أخبرني الله بوفاته معزيا بكلمات: "والسما والطارق"، أي أشهد السماء والحادث الذي سيقع بعد غروب الشمس. ولما كانت وسائل دخلنا الكثيرة مرتبطة بحياته؛ خطر ببالي بمقتضى البشرية أن وفاته سوف تجلب لنا مصائب جمّة لمصادرة مبلغ كبير من الدخل الذي كان مرتبطا بحياته، فتلقيت على إثر هذا الهاجس إلهاما نصه: "أليس الله بكاف عبده"، فغاب ذلك الهاجس كما يغيب الظلام بسطوع النور. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ١٩٨)

الآية ٤٠-٤١: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

...عذاب مقيم أي عذاب الآخرة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان

الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٣، الحاشية رقم ١١)

الآية ٤٣: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

الأموات لا يعودون إلى الدنيا ثانية، ولا يورد الله تعالى موتتين على الأنبياء. وقد قدر وحكم أيضا أنه هيهات لمن مات وخلا من هذه الدنيا أن يعود إليها ثانية، فيقول تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٤٦)

قدرته ﷻ على إنزال عذاب موتة ثانية دون مبرر على من أماته مرة، لا تتلاءم مع مشيئته تعالى على الإطلاق، وهو القائل في كلامه المجيد: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨٧)

والآية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ هي من الآيات البينات المحكمات. وليست في القرآن الكريم آية واحدة فقط، بل عدة آيات تقول بأن الذي مات لن يعود إلى الدنيا مرة أخرى. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤٥-٤٤٦) "إن آيات القرآن كلها تدل على أن الميت لا يرجع إلى الدنيا أصلاً، سواء كان في الجنة أو في جهنم أو خارجاً منهما، وقد قرأنا عليك آنفاً آية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ و﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦). ولا شك أن هذه الآيات تدل بدلالة صريحة على أن الداهيين من هذه الدنيا لا يرجعون إليها أبداً بالرجوع الحقيقي. وأعني من الرجوع الحقيقي رجوع الموتى إلى الدنيا بجميع شهواتها ولوازمها، ومع كسب الأعمال من خير وشر، ومع استحقاق الأجر على ما كسبوا، ومع ذلك أعني من الرجوع الحقيقي لحق الموتى بالذين فارقوهم من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة الذين هم موجودون في الدنيا، وكذلك رجوعهم إلى أموالهم التي كانوا اقتترفوها، ومساكنهم التي كانوا بنوها، وزروعهم التي كانوا زرعوها،

وخزائنها التي كانوا جمعوها. ثم من شرائط الرجوع الحقيقي أن يعيشوا في الدنيا كما كانوا يعيشون من قبل، ويتزوجوا إن كانوا إلى النكاح محتاجين، وأن يؤمنوا بالله ورسوله فيقبل إيمانهم ولا يُنظر إلى كفرهم الذي ماتوا عليه، بل ينفعهم إيمانهم بعد رجوعهم إلى الدنيا وكونهم من المؤمنين. ولكننا لا نجد في القرآن شيئاً من هذه المواعيد، ولا سورةً ذُكرت فيها هذه المسائل، بل نجد ما يخالفه. " (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٧)

"إن الله ما وعد بحشر الموتى في القرآن إلا وعداً واحداً وهو الذي يظهر عند يوم القيامة، وأخبر عن عدم رجوع الموتى قبل يوم القيامة، فنحن نؤمن بما أخبر وننزه القرآن عن الاختلافات والتناقضات، ونؤمن بآية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. " (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٨-٢٤٩)

إن عودة الميت إلى الحياة ثم إقامته في الدنيا مستحيل تماماً بحسب القرآن الكريم. والآية ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ تمنع عودة الروح. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٣٩، الحاشية)

نؤمن بموجب النص الصريح في القرآن الذي يتبين من الآية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، بأن الذين يرحلون من هذا العالم لا يُعثون للعيش في هذا العالم ثانية. لهذا لم يكتب الله ﷻ المسائل الخاصة بهم في القرآن الكريم؛ فعندما يعودون كيف تُعاد إليهم أموالهم التي قد وُزعت. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٢٤)

الذي يموت في الحقيقة ويرتحل من هذه الدنيا ويقبض ملك الموت روحه لا يعود أبداً. كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٤٢)

أي عندما توافي المنية الأرواح يجعلها الله تعالى تحت سيطرته.. بمعنى أنها تخضع عند موتها لسلطة الله وسيطرته تلقائياً.. أي تصبح الأرواح كالعدم تماماً وتزول عنها صفات الخيار ومعرفتها الشخصية ويسيطر عليها الموت كلياً.. بمعنى أن الأرواح

تصبح في حالة العدم وتزول عنها صفات الحياة. والروح التي لا تموت في الحقيقة بل تكون بحالة شبيهة بالموت تطراً عليها هذه الحالة عند نوم الإنسان. وفي هذه الحالة تكون الروح تحت تصرف الله تعالى وسيطرته تماماً ويطراً عليها تغير بحيث لا يبقى فيها شيء من حالة الشعور والإدراك الدنيوي.

باختصار، تكون الروح في حالة الموت والنوم كليهما تحت سيطرة الله تعالى وسلطته، إذ تتلاشى منها علامة الحياة تماماً، أي الخيار الذاتي والمعرفة الذاتية. والروح التي أورد الله عليها الموت في الحقيقة يمسكها من العودة. أما الروح التي لم يورد عليها الموت كلياً فيرسلها إلى الدنيا مرة أخرى إلى أجل مسمى، ففي نظامنا هذا آيات للذين يتفكرون. هذه هي ترجمة معاني الآية المذكورة مع الشرح. وتدل هذه الآية الكريمة على أنه كما يصيب الموتُ الجسد كذلك يصيب الأرواح. ولكن يتبين من القرآن الكريم أن أرواح الأبرار والأخيار تُحيا مجدداً بعد بضعة أيام، بعضها بعد ثلاثة أيام وبعضها بعد أسبوع وبعضها بعد أربعين يوماً، وتنال حياة ثانية مليئة بالسعادة والمتعة الكثيرة. هذه هي الحياة التي لنيلها يخضع العباد الصالحون لله تعالى بكل قوتهم وسعيهم وكامل صدقهم وصفائهم، ويذلون قصارى جهودهم للخروج من ظلمات النفس، ويختارون حياة المرارة لنيل رضا الله تعالى وكأنهم يموتون في هذا السبيل.

فكما تبين الآية المذكورة آنفاً بجلاء أن الموت يصيب الروح أيضاً مثل الجسد تماماً، وإن كانت كيفيات ذلك العالم خافية جداً لا تظهر في هذه الدنيا المظلمة. ولكن مما لا شك فيه أن عالم الرؤيا أي عالم النوم نموذج لذلك العالم. والموت الذي يصيب الروح في هذا العالم يلاحظ نموذجاً في عالم النوم أيضاً لأننا نرى أن صفات روحنا كلها تنقلب رأساً على عقب فور لجوئنا إلى النوم وتتلاشى سلسلة اليقظة كلها وتنعدم صفات الروح كلها وكافة العلوم التي كانت روحنا تتحلّى بها، ونواجه في النوم مشاهد الروح التي يتبين منها أن روحنا قد تغيرت تماماً، وقد فقدت كافة صفاتها التي كانت موجودة في اليقظة. هذه الحالة تشبه الموت بل هي نوع من

الموت. وهذا دليل قطعي ويقيني على أن الموت الذي يصيب الروح عند موت الجسد يشبه الموت الذي يصيب الروح في حالة النوم، ولكن ذلك الموت ثقيل جدا مقارنة بهذا الموت. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٢-١٦٤)

من الخطأ تماما القول إن أحدا يحيي الأموات حقيقة. إذا لم يكن هذا الإحياء بمفهوم آخر فلماذا قال الله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. لقد تبين من هنا أن تعبير الإحياء له معنى مختلف تماما، وإلا لصار هناك تناقض حتمًا، حيث يقول الله من ناحية لا يعود أحد إلى الحياة أبدا، ويقول من ناحية أخرى إن فلانا عاد للحياة ثانية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ١٩٠٢/٤/٢٤، ص ٦-٧)

نحن نؤمن بسنة الله المذكورة في القرآن الكريم. الأموات الذين يُوضعون في القبور ويزورهم الملائكة يفتي القرآن بحقهم بقوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ ولكن من منطلق آخر يحدث الإحياء في حال الموت غير الحقيقي. فقد حدثت معي أيضا أحداث من هذا القبيل، فحالات الموت التي وردت على ابني مبارك أحمد ليست من قبيل ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، وهذا النوع من الإحياء هو ما نؤمن به ونقول: إن الميت يقوم حيًا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٢/٧/١٠، ص ٢)

ما كان يعارض قانون الله السائد في الطبيعة المذكور في القرآن الكريم لا نعدّه خارقا للعادة. لماذا ننكر مثلا إحياء الموتى على وجه الحقيقة؟ لأن القرآن الكريم قد حكم: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٠، عدد ١٩٠٢/١١/١٠، ص ٦)

لا نعتقد أن إحياء الموتى لا يكون حتى إعجازا، وإنما نعتقد أن الميت لا يعود إلى هذا العالم مرة أخرى. إن حياة ابني مبارك أحمد إعجازية، فلا نقاش في أن الذي يقبض الملك روحه تمامًا ويُدفن في الأرض لا يعود إلى الحياة أبدا... وقد قال الله

ﷻ أيضا: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٢)

أليس صحيحا أن القرآن الكريم قال بكل صراحة بأن الأموات الحقيقيين لا يعودون؟ وما معنى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾؟ إن قلت بأن الأموات الذين أحياهم المسيح عليه السلام ما كانوا أمواتا حقيقيين لأنهم لا يعودون بحسب منطوق الآية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فما العيب في ذلك؟ كيف يثبت إنكار المعجزات من ذلك؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٩)

نرفض قطعاً أن أحداً يستطيع أن يحيي أمواتاً حقيقيين، يقول القرآن الكريم: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٦، عدد ١٠/٤/١٩٠٨م، ص ٢)

يستدل القساوسة بإحياء عيسى الموتى على ألوهيته، مع أن الله ﷻ يقول ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، فيستحيل أن يكون تناقض في كلام الله، حيث يقول في آية إن الموتى لا يعودون إلى الدنيا من جديد، ويقول في أخرى إن الموتى يمكن أن يُحيوا. وقال الله ﷻ بحق النبي ﷺ ﴿لَمَّا يُحْيِيكُمُ﴾ (الأنفال: ٢٥)، والجميع يعرفون أن المراد منه الإحياء الروحاني. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨م، ص ٥)

الآية ٥٤: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

... إن الذين أسرفوا على أنفسهم (أي ارتكبوا الكبائر). والبيان أن بني آدم ليسوا عبادَ النبي ﷺ بل كل نبي وغير النبي عباد الله ﷻ. لكن لما كان النبي ﷺ حائزاً على القرب الأتم بمولاه الكريم، أي كان يحظى بالقرب من الدرجة الثالثة،

فقد صدر هذا الكلام أيضا من مقام الجمع، ومقام الجمع. (الكحل لعيون الآرية الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ٢٧٦-٢٧٧، الحاشية)

قال تعالى في هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ أي قل يا خدامي ولم يقل: "قل يا عباد الله"، والسر في استخدام هذا الأسلوب هو أنها نزلت لكي يبشر الله تعالى برحمة لا تنتهي، ويهْدِي روع الذين صاروا مكسوري القلوب بسبب كثرة المعاصي. فأراد الله جلَّ شأنه بواسطة هذه الآية أن يقدم مثالا على أنواع رحمته ويُري العبد إلى أي مدى يُكرم عباده الأوفياء بإنعاماته الخاصة فوضَّح ﷺ بقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ أن انظروا إلَّام وصل رسولي الحبيب، انظروا كم أحرص عبيد المصطفى هذا درجة عليا بواسطة الطاعة الكاملة حتى صار له كلُّ ما كان لي. والذي يتحرى النجاة فليكن عبدا له؛ أي يجب أن يفنى في طاعته وكأنه عبدٌ له عندها سيُغفر له مهما كان مذنباً من قبل. إن "العبد" يُطْلَق في اللغة العربية على الرقيق أيضاً، كما يقول الله جلَّ شأنه: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ﴾ (البقرة: ٢٢٢)؛ ففي هذه الآية إشارة إلى أن مَنْ يودَّ النجاة فعليه أن ينشئ مع هذا النبي علاقة العبودية أي لا يخرج عن أوامره قيد شعرة وليُعَدَّ نفسه مطيعاً له كالرقيق عندئذ سينال النجاة.

في هذا المقام أتأسف على أولئك الموحدين المزعومين والعمهين الذين ييغضون نبينا الأكرم ﷺ حتى يعدّون من الشرك التسمية بأسماء مثل "غلام نبي" و"غلام رسول"، و"غلام مصطفى" و"غلام أحمد" و"غلام محمد". بينما يتبين من هذه الآية أن هذه الأسماء هي مدار النجاة. وما دام مفهوم العبد يتضمن أن يتخلّى المرء عن كل نوع من الحرية وحب الذات ويتّبع سيده تماماً، لذا فقد رَغِبَ الباحثون في أن يُنشئوا في أنفسهم هذا المضمون إن كانوا يريدون النجاة.

والحق أن للآية المذكورة آفا والآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣٢) مفهوماً واحداً، لأن كمال الاتّباع يستلزم الفناء والطاعة التامة التي يتضمنها مفهوم العبد. والسرّ هو أنه كما تعدّ الآية الأولى

بالمغفرة بل تبشّر المرء كونه حبيب الله، وكأن الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ بتعبير آخر هي: قل يا متّبعي الذين ارتكبتم الذنوب بكثرة لا تقنطوا من رحمة الله، لأن الله جلّ شأنه سيغفر لكم الذنوب كلها ببركة اتّباعكم لي. ولكن لو أريد فقط من "عبادي" عباد الله عموما لفسد المعنى، لأنه ليس صحيحا مطلقا أن يغفر الله تعالى للمشركين والكافرين جميعا هكذا دون أن يتحقق فيهم شرط الإيمان وشرط الاتّباع. إن هذا المعنى يناقض نصوص القرآن الكريم البينة بصراحة تامة.

فليكن واضحا أيضا في هذا المقام أن محصلة هذه الآية هي أن الذين يصبحون عبيدا لك يا رسول الله، قلبا وقالبا، يوهّبون نور الإيمان والحبّ والعشق الذي سيحرّهم من غير الله، ويُقَدِّون من الذنوب، ويُرْزَقون حياة طيبة في هذه الدنيا، وسيُخْرَجون من قبور الأهواء النفسانية الضيقة والمظلمة. وهذا ما يشير إليه الحديث: "أنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي". (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٩٠-١٩٤)

... أي أنه تعالى ليس عاجزا عن ترك المذنب دون عقاب لأنه مالكة والمالك يملك القدرة كلها. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٦)

حين يفنى الإنسان في حب الله تعالى ولا يبقى من وجوده شيء عندها تُستخدَم مثل هذه الكلمات لبيان حالة فنائه لأن وجوده يتلاشى في هذه الحالة، كما يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ انظروا الآن أنه قد قيل هنا: ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ بدلا من يا عباد الله، مع أن الناس عباد الله وليسوا عباد النبي ﷺ. والمعلوم أنه قد قيل ذلك على سبيل الاستعارة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٦)

لو كان المراد من هذه الآية أن الإيمان بالتوحيد وحده فيه كفاية لثبت من الآية التالية أن الشرك وغيره من الذنوب سيغفر دون التوبة، والآية المشار إليها هي: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا ﴿ بينما الأمر ليس هكذا قط. (حقيقة الوحي، الخزائن، الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٥، الحاشية)

الإنسان هو في الحقيقة عبدٌ أي خادم، ومن عمل العبد أن ينجز ما يطلب منه سيّده. ومثل ذلك إن كنتم تريدون الفوز بفيوض النبي ﷺ فيتحتّم عليكم أن تكونوا عبيداً له، فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ فالمراد من العباد هنا هو الخدام وليس المخلوق. ولكي تكونوا عباد النبي ﷺ يجب أن تُصلوا عليه كثيراً، ولا تعصوا أيّاً من أوامره، بل تمسكوا بجميع أوامره. (بدر، المجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣، ص ١٠٩)

الكلمات من هذا القبيل التي أوردها الله تعالى بحق الأنبياء؛ قد خاطب النبي ﷺ بلقب فيه احترام أكثر من غيره على الإطلاق فقال: "قل يا عبادي". من المعلوم أن هؤلاء الناس كانوا عباد الله وليس عباد النبي ﷺ، يتبين من هذه الآية مدى سعة هذه الكلمات على سبيل الاستعارة. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ٧/١١/١٩٠٧ م، ص ٣)

الآية ٦١-٦٢: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

هذه الآية تفسر الآية السابقة، لأنه قد كُشف فيها حقيقة النجاة، وهي بلوغ المؤمنين مراداتهم. وقيل أيضاً بأنهم سيُحفظون من سوء ذلك اليوم كلياً ولن يمسّهم السوء قط، ولن يدنو الحزن منهم أبداً.

ويمكن أن يُستنتج من الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٧٢) معنى أن يكون الخطاب في الحقيقة موجّهاً إلى المأخوذين في عذاب جهنم، وأن يُنجّى بعضهم الذين يملكون شيئاً من التقوى، أما الآخرون فيلقون في جهنم. ويمكن استنباط هذا المعنى حين يُستثنى من هذا الخطاب الأبرار والأخيار وجميع المقدسين والمقربين. ولكن الحق

أنه يبدو أن المراد من كلام الله جلّ شأنه هو المعنى الذي بيّنته آنفاً. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٦-١٥٧)

الآية ٦٨: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

... أي سيطوي الله تعالى السماوات بيمينه عند فناء الدنيا؛ فلو كان المراد من شق السماوات هو الشق بالمعنى الحرفي، لعارضته كلمة "مطويات" وأعطت معنى مغايراً ومنافياً تماماً لأنها لا تتضمن معنى الشق، بل تذكر الطّي فقط. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٢، الحاشية على الحاشية)

الآية ٦٩: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾

والنفخ في الحقيقة نوعان: نفخ الإضلال ونفخ الهداية، كما تشير إليه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾. هذه الآيات ذوات أوجه فهي تتعلق بالقيامة وبهذا العالم أيضاً. كما الآية: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الحديد: ١٨)، وآية أخرى: ﴿فَسَأَلْتُ أَوْدِيَّةً بِقَدْرِهَا﴾ (الرعد: ١٨). تعني هذه الآيات من منطلق هذا العالم أنه سيأتي زمانان في الأيام الأخيرة، أحدهما زمن الضلال، وفي هذا الزمن يسيطر نوعٌ من الغفلة على كل شخص أرضيّ وسماويّ، أي على كل شقي وسعيد، إلا من وقاه الله. والزمن الثاني سيكون زمن الهداية. فيهبّ الناس فجأة وهم قيامٌ ينظرون. أي ستزول الغفلة وتعمّ القلوب المعرفة ويطلع الأشقياء على شقاوتهم وإن لم يؤمنوا. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٢١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة غافر



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٤: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

يثبت من هذه الآية غفران الله الذنوب بالتوبة. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢١٠)

الآية ١٧: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

الجزء الكامل لا يتحقق إلا بتجلي الملكية التامة الذي يستلزم هدم بنيان الأسباب. فإلى هذا الأمر يشير تعالى في آية أخرى فيقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ

الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿غافر: ١٧﴾ أي في ذلك اليوم سوف تتجلى ربوبية الله تعالى من تلقائها دون توسط الأسباب العادية. وسيكون ملحوظا ومشهودا أن كل شيء إنما هو فإن وبلا حقيقة، سوى قوة الله العظمى وقدرته الكاملة. عندها ستترأى بكل جلاء أن السعادة كلها والمتعة كلها والجزاء والعقاب كله من الله ﷻ، ولن يكون هناك حجاب ولا مجال للشك. والذين تبتّلوا إليه كليا سيجدون عندئذ أنفسهم في سعادة كاملة تحيط بجسدهم وروحهم وظاهرهم وباطنهم ولن يُجرم جزء من وجودهم من تلك السعادة العظمى. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٥٤-٤٥٥، الحاشية رقم ١١)

...أي سيفني الله تعالى كل شيء بتجلياته القاهرة ويظهر وحدانيته. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٤، الحاشية)

الآية ٢٩: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾

ليس ممكنا بحال من الأحوال أن يحقق الله نبوءة مفترٍ قدّمت شاهدا صادقا على ادعاء كاذب، لأن ذلك يُوقع خلق الله في الخطأ كما قد عدّ الله تعالى تحقق النبوءة علامةً لصدق المدّعي الصادق إذ يقول: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾... يقول الله تعالى بكل صراحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ ففكر جيدا أنه ليس معناها إلا أن نبوءة المدّعي الكاذب لا تتحقق أبدا.. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٢٢)

فلو كان صحيحا أن الله يؤيد الصادق وأنه يحقق وعوده لا الافتراءات، فلا بد للمنصف أن يؤمن بالمبدأ أن النبوءة التي صدرت باسم الله ثم تحققت، فمن المؤكد

أنها من الله. وإن لم نؤمن بهذا المبدأ فلا يبقى أي برهان على صدق جميع الكتب الإلهية، وتصير طرق اليقين بصدقها كلها مسدودة. وإلى هذا المبدأ أشار الله تعالى في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾؛ أي أنّ من علامات الصادق أن بعض نبوءاته تتحقق. ووضع هنا شرط البعض لأن من المحتمل أن يتأخر عذاب نبوءات الوعيد في حال التوبة والرجوع. حتى لو لم يكن هناك أيُّ شرط، فمن الممكن أن تؤجل بعض نبوءات العذاب ولا تتحقق في ميعادها. كما حدث مع قوم يونس عليه السلام. باختصار؛ إن النبوءة التي نُشرت باسم الله وتحققت، فإن التشكيك فيها واعتبارها وليدة المصادفة، يعدّ هجوماً على نظام الله الديني، ورغبةً في هدم بناية النبوة بأكملها. (الاستفتاء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ١١٢)

... أي أن المعتدين لن ينالوا النصر الإلهي سواء أكانوا مفترين أو مكذبين؛ فهل يمكن التصريح بأكثر من هذا؟ فقد قال الله تعالى مرارا في القرآن الكريم إن المفترين يهلك في هذا العالم حصرا، بل إن أكبر دليل على صدق الأنبياء الصادقين والمبعوثين من الله أنهم يموتون بعد إنجاز مهماتهم، وينالون الفرصة الكافية لنشر الدين. (الأربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٣٤)

أي إذا كان كاذبا سيهلك على مرأى منكم وسيهلكه كذبه، ولكن إذا كان صادقا فسيكون بعضكم عرضة لنبوءاته ويرحلون من دار الفناء هذه على مرأى منه. (تحفة الندوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٩٦)

وضّح القرآن الكريم بإيراد لفظ ﴿بَعْضُ﴾ أن تحقق جزء من نبوءة الوعيد يكفي دليلاً على تحققها. (تحفة الندوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٩٨)

إن كان هذا الرسول صادقا فلا بد أن تتحقق بعض نبوءاته المتعلقة بكم، أي إن تحقق النبوءات يعد من علامات الصدق. (الآية السماوية، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٩٤، الحاشية)

إذا كان هذا الرسول كاذبا سيهلك بنفسه، أما إذا كان صادقا فستتحقق الوعود بعذابكم. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٠، الحاشية)

لقد اختيرت كلمة ﴿بَعْضُ﴾ لأنه ليس ضروريا أن تتحقق أنباء الوعيد كلها بل يمكن أن تزول بعضها نتيجة طلب العفو. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٠، الحاشية)

إذا كان مدعي النبوة كاذبا فسيهلك تلقائيا لأن الله تعالى قال لا يفلح الكذاب. وإلا فسيشتبه أمر الصادق والكاذب. أما إذا كان هذا الرسول صادقا فستتحقق لا محالة بعض نبوءاته عن الوعيد. إن كلمة "بعض" في هذه الآية تشير صراحة إلى أن نبوءات الوعيد (أي العذاب) التي يتنبأ بها الرسول الصادق ليس من الضروري أن تتحقق كلها، غير أنه من الضروري أن يقع بعضٌ منها كما تقول الآية: ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٩٧)

من المسلّم به أن نبوءات الوعيد يمكن أن تزول دون أن تكون مشروطة بشرط، لأنها تتضمن وعد العذاب للمجرم. والله تعالى هو الملك الحقيقي وقادر على أن يرفع عذابه عن أحد بناء على توبته واستغفاره كما رفعه عن قوم النبي يونس عليه السلام. هذا ما أجمع عليه الأنبياء كلهم. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.. لاحظوا معنا الآن أن الله تعالى قد استخدم في هذه الآية كلمة "بعض" ولم يستخدم "الكل"، ومعناها أن نبوءات العذاب التي تنبأ بها النبي سوف يتحقق بعضها حتما، وإن أُجِّل بعضها. فيتبين من النص القرآني أن تحقق نبوءة العذاب ليس ضروريا. كذلك يفهم من الآية نفسها أن المفترى لا يمكن أن يتجنب العذاب بحال من الأحوال، لأنه قد ورد عنه أمر قاطع وهو: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾. إذن، فإذا كانت نبوءة العذاب عن المفترى فإنها لا تزول. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٦٧-٥٦٨)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ فقال تعالى هنا إن بعضا من نبوءات الوعيد سوف تتحقق، ولم يقل إنها كلها ستتحقق حتما. بل إن تحقق كافة نبوءات الوعيد ليس ضروريا بل يمكن أن يزول بعضها. ولو لم يكن ذلك في مشيئة الله لقال: إن يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم، ولكنه لم يقل ذلك. (حقيقة الوحي، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٠٣، الحاشية)

واعلموا يقينا أن المرسلين من الله تعالى يُعرفون بالآيات والتأييدات التي يُظهرها الله لهم وينصرهم بها. إنني صادق فيما أقول، وإن الله تعالى الذي ينظر إلى القلوب عليم وخبير بما في قلبي. ألا يمكنكم أن تقولوا على الأقل كما قال رجل من آل فرعون: ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾؟! ألا توقنون بأن الله تعالى أشدّ عداوةً للكاذبين؟! لو هاجتموني مجتمعين فإن غضب الله أكبر وأشدّ من ذلك، فمن ذا الذي يستطيع أن ينقذ أحداً من غضب الله تعالى؟! هناك نقطة جديدة بالذكر في الآية التي أوردتها؛ وهي أن الله تعالى سيحقق بعضا من أنباء الوعيد وليس كلها، فما الحكمة في ذلك؟ الحكمة أن أنباء الوعيد تكون مشروطة، وتزول أيضا بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الحق.

النبوءات نوعان، أولاهما: نبوءات الوعد؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾. ويؤمن أهل السنة بأن الله تعالى لا يُخلف وعده في تحقيق هذا النوع من النبوءات لأنه كريم، ولكن فيما يتعلق بأنباء الوعيد فيمكن أن يعفو عن الناس بعد الإنذار لأنه رحيم. إنه لجاهل وبعيد جداً عن الإسلام من يقول بأن أنباء الوعيد كلها تتحقق حتما، لأنه يهجر القرآن الكريم لأن القرآن يقول: ﴿يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

من المؤسف حقا أن كثيرا من الناس يسمون أنفسهم مشايخ، ولكنهم لا يدركون ما يقوله القرآن والحديث، وليسوا مطلعين على سنة الأنبياء، بل يُزبدون ويُرغون فقط بَعْضا ويخدعون. اعلّموا أن الكريم إذا وعد وفى. فمن مقتضى كونه ﷺ رحيمًا؛

أن يعفو مع كون العبد جديرا بالعقوبة. والعفو من فطرة الإنسان أيضا. ذات مرة أدلى أحد الناس في قضية رُفعت أمام قاضٍ إنجليزي بشهادة زور، وكنت حاضرا حينها، وكانت الجريمة ثابتة عليه، ثم جاءت رسالة مفادها أن القاضي قد نُقل إلى مكان بعيد فحزن. كان المجرم طاعنا في السن، فقال القاضي للكاتب: لو ألقى هذا في السجن لمات فيه. ثم قال الكاتب أيضا: الرجل مُعِيلٌ يا سيدي. فقال القاضي الإنجليزي: لقد أُعِدَّ ملف القضية الآن، ولم يبق في اليد حيلة. ثم قال للكاتب: حسنا، مَرِّق الملف. فكَرُّوا الآن، إذا كان هذا الإنجليزي يستطيع أن يرحم؛ أفلا يمكن لله أن يرحم؟!

ثم فَكَّرُوا أيضا، ما الهدف من الصدقات والتبرعات أصلا؟ لماذا هي رائجة في كل قوم؟ الإنسان بطبعه يميل إلى الصدقة عند المصيبة والبلاء، فيتصدق الناس بدفع النقود أو بذبح الخراف أو إعطاء الفقراء ألبسة أو ما شابهها. فإذا كان البلاء لا يُردُّ بالصدقات؛ فلماذا يتصدق الناس في حالة الاضطرار أصلا؟! الأمر ليس كذلك، بل البلاء يُردُّ حتما، وهذا ما يثبت بإجماع مائة وأربعة وعشرين ألف نبي. وأعرف يقينا أن هذا ليس ما يدين به المسلمون فقط، بل هذا هو اعتقاد المسيحيين والهندوس أيضا، وأرى أنه ما من أحد في الدنيا ينكر ذلك. فما دام الأمر كذلك فمن الواضح تماما أن مشيئة الله يمكن أن تنزل.

الفرق الوحيد بين النبوة وإرادة الله هو أن النبوة يُطَّاع عليها النبي، أما إرادة الله فلا يُجَبَّرُ بها أحدٌ بل تبقى خافيةً. ولو كُشفت إرادة الله نفسها بواسطة نبي؛ لَسُمِّيت نبوءة. فإذا كان زوال النبوة مستحيلا؛ لكان زوال إرادة الله بالصدقات أيضا مستحيلا. ولكن هذه الفكرة باطلة تماما. ولأن زوال نبوءات الوعيد ممكن؛ لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. هنا يشهد الله تعالى بنفسه أن بعضا من نبوءات النبي ﷺ أيضا زالت، فأجيبوني على ذلك إن كنتم تعتضون على هذا النحو على نبوءاتي. وإن كذبتُموني في هذا الأمر فلا تكذِّبوني وإنما تكذِّبون الله.

أقول بكل ثقة ويقين بأن أهل السُنَّة كلهم، بل الدنيا كلها؛ متفقة على أن وعيد العذاب يزول نتيجة التضرع والابتهاال. هل نسيتم مثال يونس عليه السلام؟ لماذا زال العذاب عن قومه؟ اقرأوا في "الدر المنثور" وغيره من الكتب وسفر يونان في الكتاب المقدس؛ كان الوعد بالعذاب قاطعا، ولكن لما رأى قومه أمارات العذاب تابوا ورجعوا إلى الله، فعفا الله عنهم وزال العذاب. أما يونس عليه السلام فكان ينتظر العذاب في يوم محدد، وكان يسأل الناس عن أخبار القوم. وسأل أحد الفلاحين؟ ما أخبار نينوى؟ فقال: كل شيء على ما يرام، فحزن يونس كثيرا وقال: لن أرجع إلى قومي كذّابا. فلاعترض على نبوءة من نبوءاتي المشروطة بشرط مسبق، مع وجود هذا النظر وشهادة القرآن القوية؛ ينافي التقوى. لا يليق بالمتقي أن يتفوّه بكلام دون تفكير، ويُقدم على التكفير.

إن قصة يونس عليه السلام مؤلمة جدًا وعبرة لمن يعتبر، وهي مسجلة في الكتب فاقرأوها بتدبر؛ ترون فيها أنه أُلقي في اليم ودخل بطن الحوت، ثم قُبِلت توبته. لماذا أنزل الله به هذا العقاب والعتاب؟ لأنه لم يحسب الله قادرا على رفع الوعيد. فلماذا تستعجلون أنتم بشأني وتكذبون الأنبياء جميعا بُغية تكذبي؟! (محاضرة لدهيانه، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٧٦-٢٧٩)

لإضعاف عباد الله الصالحين والمبعوثين منه تبذل كل أنواع الجهود، لكن الله تعالى يكون معهم وتبوء جميع تلك الجهود بالفشل. ففي مثل هذه الأوضاع يظهر بعض السعداء والنبلاء أيضا، فيقولون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

إن صدق الصادق بنفسه يشكل برهانا ساطعا وإثباتا على صدقه، كما أن كذب الكاذب نفسه يُهلكه، فكان ينبغي أن يفكر هؤلاء قبل معارضتي في أن كتاب الله يتضمن علامة لمعرفة الصادق، لكن المؤسف أن هؤلاء يقرأون القرآن فلا يتجاوز حلقومهم. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١١، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٤م، ص ٢)

الأمور التي تكون مبنية على نفاق الطبع وتصحبها نجاسة الحياة الدنيا ستهلك بهذا السم تلقائياً. هل ينجح الكاذب يا ترى؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. كذب الكاذب يكفيه هلاكاً. أما الأعمال التي تهدف إلى إظهار جلال الله تعالى وبركات رسوله وترسيخها أو الغراس التي غرسها الله بيده وتحميها الملائكة، فمن يستطيع إتلافها؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٥م، ص ١١)

الآية ٥٢: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

إن قانوننا في الطبيعة هو أننا ننصر رسلنا والمؤمنين في الدنيا والآخرة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخرائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٠، الحاشية رقم ١١)
 إن وعد الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وعد حتمي ويني. أقول: إن لم يلهم الله أحدا للنصرة أتى له أن ينصر. الواقع أن المعين الحقيقي والناصر هو الله الذي شأنه: نعم المولى ونعم الوكيل ونعم النصير. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ٨، عدد: يناير ١٩٠٤م)

الآية ٥٨: ﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

نلاحظ بالتأمل في الأحاديث أن الدجال في الحقيقة اسم الشيطان، ثم إن الفئة التي يوظفها الشيطان قد سُميت دجالاً استعارةً لأنها كأعضائه، وإن آية: ﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ أي أن صنائع الله أكبر بكثير من صنائع الناس؛ فهذه إشارة إلى أولئك الناس الذين ورد عنهم أنهم في الزمن الأخير سيبتكرون مخترعات عظيمة ويمدون أيديهم إلى أفعال الله، وقد كتب المفسرون بأن المراد من "الناس" هنا هو الدجال، وهذا القول دليل على أن الدجال المعهود ليس شخصا واحداً، وإلا ما كان لتُطلق عليه كلمة "ناس". وأي شك في أن كلمة "ناس" تُطلق

على الجماعة فقط، فالجماعة التي تخضع لوساوس الشيطان تُسمى باسم الدجال، وإلى ذلك يشير ترتيب القرآن الكريم حيث بُدئ بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢) وختم بـ ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس: ٦-٧) فالمراد من الناس هنا أيضا الدجال. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٩٦)

فليتضح أن كلمة "الناس" في القرآن الكريم قد جاءت بمعنى الدجال المعهود أيضا، وإذا حددت القرينة القوية هذا المعنى لها في آية، فالتفسير الآخر لها معصية، فقد وردت كلمة الناس في آية أخرى للقرآن الكريم بمعنى الدجال، وهي: ﴿خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾. أي أن الأسرار والعجائب التي يزرع بها صنع السماوات والأرض لا يساويها صنع طباع الدجال المعهود. أي مهما بذلوا من جهود مضيئة في اكتشاف أسرار الأرض والسماء ومهما كانوا عباقرة فلن تبلغ طباعهم منتهى تلك الأسرار. ولا يغيب عن البال أن المفسرين فسروا كلمة الناس في هذه الآية أيضا بالدجال المعهود حصرا. انظروا تفسير "معالم التنزيل" وغيره. وكتبوا قرينة قوية أن الدجال المعهود يسعى بابتكاراته وصنائعه لينجز أعمال الله، وبذلك سيدعي الألوهية. وسيكون حريصا جدا على أن يقلد الله ﷻ في جميع الأعمال الإلهية من إنزال المطر وإثمار الأشجار ومواصلة النسل للإنسان والحيوان وتأمين وسائل السفر والسكن والمرافق الصحية غير العادية للإنسان. وأن يسيطر على كل شيء حيث لا يبقى أمامه مستحيل. وإلى ذلك تشير الآية المذكورة، وملخصها أن الأسرار التي أودعت في السماء والأرض ويتمنى الدجال أن يستولي عليها من خلال علمه الطبيعي هي أرفع وأكثر من تقديره لجودة الطبع ومبلغ العلم. وكما أن المراد من لفظة "الناس" في الآية الكريمة هو "الدجال"، كذلك المراد من الناس في آية ﴿أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١) أيضا، الدجال حصرا. لأن معنى هذه الآية بالقرينة المقابلة يتعين على التقدير التالي "كنتم خير الناس أخرجت لشر

الناس"، ولا شك أن المراد من "شر الناس" حزب الدجال. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٢٠-١٢١)

الآية ٦١: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

فليكن واضحاً أن استجابة الدعاء في الحقيقة فرع لقضية الدعاء. ومن المسلم به أن الذي لا يفهم الأصل يواجه تعقيدات في فهم الفرع ويخطئ في كل خطوة. فهذا هو سبب سوء الفهم الذي وقع فيه السيد المحترم. إن ماهية الدعاء هي أن هناك علاقة تجاذب بين العبد السعيد وربّه، بمعنى أن رحمانية الله تعالى تجذب العبد إليها أولاً ثم يتقرب الله تعالى إلى العبد نتيجة مساعٍ صادقة من العبد. وفي حالة الدعاء تبلغ تلك العلاقة مبلغاً خاصاً وتُظهر خواصّها العجيبة. فحينما يخضع العبد لله تعالى باليقين الكامل والأمل الكامل والحب الكامل والإخلاص الكامل والعزيمة الكاملة، بعدما كان في مواجهة مصيبة شديدة، ويتيقظ إلى أقصى الحدود ويتقدم في مجالات الفناء ممزّقاً حُجُب الغفلة فإذا به أمام عتبات الله الذي لا شريك له. عندها تضع روحه رأسها على عتباته ﷻ وقوة الجذب المودعة فيه تجذب ألطاف الله تعالى. عندها يتوجه الله ﷻ إلى إتمام ذلك الأمر ويلقي بتأثير الدعاء على الأسباب المبدئية التي تؤدي إلى خلق أسباب ضرورية أخرى لنيل ذلك المطلوب. فمثلاً إذا دعا لنزول المطر نشأت بتأثير الدعاء بعد استجابته أسباب طبيعية ضرورية لنزول المطر، وإذا كان الدعاء على قوم لحلول القحط بهم خلق الله القادر على كل شيء أسباباً معادية لذلك القوم. لذا فقد ثبت عند أهل الكشف والكمال من خلال تجارب عظيمة أن قوة التكوين تُودع في دعاء الإنسان الكامل، أي يتصرف دعاؤه في العالم العلوي والعالم السفلي بإذنه تعالى، ويجذب العناصر والأجرام الفلكية وقلوب الناس إلى ما يؤيد المطلوب. ونظائره في كتب الله تعالى المقدسة ليست قليلة. بل الحق أن حقيقة بعض أنواع الإعجاز ليست إلا استجابةً للدعاء في الحقيقة. وآلاف المعجزات التي ظهرت

على أيدي الأنبياء أو الكرامات العجيبة التي أظهرها أولياء الله منذ القدم كان مصدرها الحقيقي هو الدعاء وحده. إن أنواع الخوارق التي تُرى تجليات قدرة الله القادر على كل شيء تكون نتيجة تأثير الدعاء في معظم الأحيان. الحادث العجيب الذي جرى في بركة العرب؛ حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات، وتحلّى بالصبغة الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مرّ الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبعثم بالمعارف الإلهية ينطقون، وحدث في العالم دفعة واحدة انقلاب لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط، أتعرفون كيف حدث ذلك؟ إن هو إلا نتيجة تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة عبداً متفاناً في الله، هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلاً على يد ذلك الأمي ضعيف الحيلة. اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله بعدد همه وغمه وحزنه لهذه الأمة، وأنزل عليه أنوار رحمتك إلى الأبد.

لقد وجدتُ من خلال تجربتي الشخصية أن تأثير الدعاء أنفذ من تأثير الماء والنار، بل ليس في سلسلة الأسباب الطبيعية شيء ذو تأثير عظيم مثل الدعاء. ولو أثّرت شبهة أن بعض الأدعية تذهب سدى ولا يُعرف لها أيّ تأثير لقلْتُ: هذا الوضع تماماً ينطبق على الأدوية أيضاً، فهل أوصدت الأدوية باب الموت؟ أو هل يستحيل أن تخطئ الأدوية الهدف؟ ومع ذلك هل لأحد أن ينكر تأثيرها؟ صحيح تماماً أن القدر محيطٌ بكل شيء، ولكن القدر لم يُبطل العلوم ولم يستخفّ بها، ولم يعدّ الأسباب شيئاً عبثياً. بل لو تأملتم في الموضوع لوجدتم أن الأسباب المادية والروحانية أيضاً لا تخرج عن نطاق القدر. فمثلاً لو قدّر الخير لمرضى لتيسّرت له أسباب العلاج كلها ويكون الجسم أيضاً مستعداً للانتفاع بها. عندها يؤثر الدواء كما يصيب السهم الهدف. هذا هو القانون في الدعاء أيضاً، بمعنى أن جميع الأسباب والشروط لاستجابة الدعاء لا تجتمع إلا إذا كانت الاستجابة من مقتضى مشيئة الله. لقد ربط الله تعالى نظامه المادي والروحاني بسلسلة واحدة من المؤثرات والمتأثرات....

الدعاء في آية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الذي أمر به ليس المراد منه الأدعية العادية، بل المراد هو العبادة التي فُرضت على الإنسان، لأن فعل الأمر هنا يفيد الوجوب. ومعلوم أن الأدعية ليست كلها واجبة؛ فقد وصف الله تعالى جلّ شأنه الصابرين في بعض الآيات وقال بأنهم يكتفون بالقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون". والقريظة القوية على فرضية هذا الدعاء هو أنه لم يُكْتَفَ بالأمر فقط بل ذُكر بلفظ العبادة وأُلْحِقَ به الوعيد بعذاب جهنم في حالة العصيان. والمعلوم أن هذا الوعيد لا يرافق الأدعية الأخرى، بل وُبِّخَ الأنبياء عليهم السلام أحيانا على الدعاء، كما تشهد عليه الآية: ﴿إِنِّي أَعْظُكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٧). فقد تبين من ذلك بكل وضوح أنه إذا كان كل دعاء عبادةً لما وُبِّخَ نوح عليه السلام بالقول: ﴿لَا تَسْأَلْنِي﴾ (هود: ٤٧). وفي بعض الأحيان الأخرى حسب الأولياء والأنبياء الدعاء من سوء الأدب؛ فقد عمل الصلحاء بـ "استفت قلبك" في مثل هذه الأدعية؛ بمعنى أنه لو أفق القلب عند المصيبة بالدعاء توجهوا إليه وإذا أفق بالصبر صبروا وأعرضوا عن الدعاء. وبالإضافة إلى ذلك لم يَعِدِ الله تعالى باستجابة الأدعية الأخرى، بل قال بوضوح تام بأنه سيستجيب منها ما يشاء ويردّ ما يشاء كما تنصّ عليه الآية القرآنية بجلاء: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ (الأنعام: ٤٢). وإذا قبلنا تنازلا أن المراد من لفظ "أدعوا" هنا هو عموم الدعاء، فلا مناص من القبول أيضا أن المراد من الدعاء هنا هو الدعاء بجميع شروطه. وإن جمع الشروط كافة ليس بوسع الإنسان ما لم يحالفه توفيق من الله تعالى.

والجدير بالذكر أيضا أن التضرع وحده لا يكفي في الدعاء، بل لا بد من التقوى والطهارة وصدق المقال واليقين الكامل والحب الكامل والتركيز الكامل، ولا بدّ كذلك أن لا يتنافى مع حكمة الله ما يدعو به الإنسان لنفسه أو الذي يُدعى له من حيث دينه ودنياه؛ فقد تجتمع في معظم الأحيان في الدعاء الشروط كلها ولكن يكون المطلوب منافيا لمصلحة الطالب عند الله بحسب حكمته ولا خير في تحقيق

مطلبه، فمثلا لو أن ولدا عزيزا جدا على أمه طلب منها بإلحاح شديد وبكاء مرير أن تعطيه جذوة من النار أو حيّة، أو تُطعمه سمّا يبدو جميل المنظر في الظاهر فلن تحقق الأم مطلب الولد أبدا. ولو فعلتْ ثم نجا الولد صدفةً بحياته وأُتلف عضوٌ من أعضائه فسيشكو بشدة أمّه الغيبة بعد بلوغه الرشد حتما. وإلى جانب ذلك هناك شروط أخرى كثيرة إن لم تجتمع كلها لما عُدد الدعاء دعاءً أصلا. وما لم تصحب الدعاء روحانية كاملة، وما لم تكن هناك علاقة كعلاقة القربى بين الداعي وطالب الدعاء لكان أمل التأثير في الدعاء وهما بحثًا... لا شك أن أدعية المؤمن تحمل في طياتها تأثيرا حتما وتتسبب في إزالة الآفات والحصول على المراتب والإلا كيف تكون كذلك يوم القيامة؟ فكروا، ثم فكروا جيدا، إذا كان الدعاء شيئا لا تأثير له في الحقيقة، ولا يمكن أن يكون سببا لزوال آفة في الدنيا فكيف يصير كذلك يوم القيامة؟ من الواضح جدا أنه إذا كان في أدعيتنا في الحقيقة تأثير يُنجي من الآفات فلا بد أن يظهر ذلك التأثير في هذه الدنيا أيضا لكي يتقوى يقيننا وأملنا، لندعو للنجاة في الآخرة بحماس أكثر.

أما لو لم تكن الأدعية بشيء يُذكر في الحقيقة ولن يصيب الإنسان إلا ما هو مقدّر له لكان الدعاء عبثا بشأن الآخرة أيضا كما هو عبثٌ بشأن اجتناب آفات الدنيا... وكان الأمل في الدعاء طمعاً باطلاً!...

ومن جملة الأسباب العادية التي ظل يشهد عليها أكثر من مئة ألف نبي وعشرات الملايين من الأولياء. ثم ماذا كان في أيدي الأنبياء سوى الدعاء؟ (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٩-١٥)

والوسيلة الرابعة التي جعلها الله لنيل المقصود الحقيقي هي الدعاء كما يقول ﷺ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقد رغب الله الإنسان في الدعاء مرة بعد أخرى لينال هذه الغاية بقوة الله لا بقوته هو فقط. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٨)

التجربة تشهد على أنه إذا اتفق بفضل الله أن يصدر الدعاء بكل شروطه، فإن ذلك العمل يتحقق حتماً، وإلى ذلك تشير الآية القرآنية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي داوموا على الدعاء في حضرتي فسوف أقبله أخيراً. فالغريب في الأمر أن جميع الناس رغم إيمانهم بمسألة القضاء والقدر يتوجهون إلى الأطباء عند إصابتهم بمرض، فلماذا لا يقيسون الدعاء على الدواء. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٣٢، الحاشية)

بين الدعاء والاستجابة علاقة قوية تلاحظ منذ القدم ومنذ خلق الإنسان. فحين تتوجه إرادة الله إلى تحقيق أمر معين، فمن سنة الله ﷻ أن أحد عباده المخلصين ينشغل في الدعاء باضطراب واضطراب وقلق وبذل كل همّة واهتمام لتحقيق ذلك الأمر، فتجذب أدعية ذلك الرجل المتفاني الفيوض الإلهية من السماء فيخلق الله ﷻ أسباباً جديدة لتحقيق ذلك. هذا الدعاء وإن كان في العالم المادي يصدر من الإنسان، لكن ذلك الإنسان يكون في الحقيقة متفانياً في الله، وعند الدعاء يأتي إلى حضرة الأحدية والجلال بقدوم الفناء، بحيث لا تبقى يده له - في ذلك الوقت - بل تصبح يد الله. فهذا هو الدعاء الذي يُعرف به الله وتُكتشف ذاته ذو الجلال الذي يتوارى وراء آلاف الحُجب. فالسماء تُدنى من الأرض للذين يدعون، وتُخلق أسباب جديدة للفرج بتقبُّل الدعاء، ويوهب علمها قبل الأوان، وعلى الأقل يرسخ من الغيب اليقين في القلب بإجابة الدعاء كالوتد الحديدي. إنما الحق أنه لولا الدعاء لما كان لأي إنسان أن يحرز درجة حق اليقين في معرفة الله ﷻ. فبالدعاء يُنال الإلهام والدعاء نحن نكلّم الله تعالى، فحين يبلغ الإنسان بقدوم الإخلاص والتوحيد والحب والصدق والصفاء بالدوام على الدعاء درجة الفناء، يتجلى عليه ذلك الإله الحي الذي يخفى على الناس. فلسنا بحاجة إلى الدعاء لمجرد تحقيق مكاسبنا المادية فقط، بل الحقيقة أنه ليس بوسع أي إنسان الوصول إلى الله الحق ذي الجلال بدون الآيات الطبيعية التي تظهر بعد الدعاء، الذي تباعد عنه كثير من القلوب. يزعم السفهاء أن الدعاء لغو وأمر

سخيف! لكنه لا يعلم أن بالدعاء وحده يتجلى الإله ذو الجلال على الباحثين عنه ويُلهم قلوبهم: "أنا القادر". فليتذكر كل من لديه الجوع والظمأ لليقين أن الدعاء وحده وسيلة تهب اليقين بالله لطالب النور الروحاني في هذه الحياة وتزيل جميع الشكوك والشبهات؛ لأن الذي تتحقق أهدافه دون الدعاء لا يعرف كيف ومن أين تحققت له. بل إن الذي يركّز على الأسباب والوسائل وحدها ويتغافل عن الدعاء لا يخطر بباله أن الله ﷻ قد مكّنه بيده من تحقيق أهدافه حتماً وحققاً. ولهذا السبب فإن الذي يتلقّى إثر الدعاء البشارة في الإلهام من الله بنجاح، فهو عند تحقق ذلك النجاح يزداد حبا لله ﷻ ومعرفة وإدراكاً له، ويُعدُّ تلك الإجابة للدعاء آيةً عظيمة في حقه. وكذلك يمتلئ باليقين فينةً بعد فينة، ويجتنب الثوائر النفسانية وكلّ أنواع الذنب لدرجة وكأنه بقيت روحه فقط. أما الذي لا يلاحظ آيات رحمة الله بالدعاء فيبقى محروماً من ثروة حق اليقين رغم إحراز النجاحات طول الحياة ونيله الثروة الهائلة والأموال الكثيرة وتوفّر أسباب التمتع. ولا تؤثر تلك النجاحات أيّ تأثير إيجابي في قلبه، بل يزداد غروراً وتكبّراً بقدر ما يفوز بالثروة والتقدم. فإذا كان لديه أيّ إيمان بالله ﷻ فيكون إيمانا ميتاً غير قادر على منعه من الثوائر النفسانية ومنحه الطهارة الحقة. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٣٩-٢٤٠)

العلامة الأولى للمقبولين عند الله هي استجابة الدعاء، ولا سيما حين يبلغ ألم قلوبهم ذروته، ثم ليفكروا كيف يمكن أن يبقى المسيح ﷺ محروماً من جني ثمره دعائه مع أنه تضرع في البستان، وهو موضع الثمار، وأعيان نفسه حتى كاد يهلكها حزناً إذ ظل يدعو طول الليل بمنتهى الألم قائلاً: "يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس". هذه الفكرة باطلة تماماً عند العارفين والمؤمنين، كأن يصف لهم أحد النهار على أنه ليل، أو ينعت النور بالظلام، أو يقول عن ماء معين عذب إنه ملح أجاج.

لا يمكن بحال من الأحوال أن يرّد الله تعالى الكريم والرحيم هذا الدعاء الذي دعا به طول الليل بابتهاال وتضرع وإلحاح وسجدة وإرهاق النفس، ولا سيما إذا كان

الدعاء قد جرى على لسان مقبول عند الله. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٤١-٢٤٢)

إن الله تعالى لا يعجز في أمر، غير أن كتاب الله قد بين قاعدة بشأن الدعاء بأن الله، ببالغ رحمته، يعامل الإنسان الصالح معاملة الأصدقاء، أي أنه تعالى حيناً لا ينفذ مشيئته تعالى ويسمع دعاء عبده، كما قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وحيناً يأبى إلا أن ينفذ مشيئته كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٦)، ذلك ليزيد العبد يقيناً ومعرفةً بمسايرته وفق دعائه حيناً، وحيناً آخر بمنحه خلعةً رضاه بتنفيذ مشيئته هو سبحانه، ويرفعه مرتبة، ويحبّه حباً، ويقدمه في سبيل الرشاد. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢١، الحاشية)

لقد رُعب في القرآن الكريم في الدعاء والمجاهدات بكثرة كما يقول تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٩) الفكرة بأن كافة أدعية المقبولين مستجابة حتما خاطئة تماماً. بل الحق أن علاقة الله مع المقبولين إنما هي علاقة صداقة، ففي بعض الأحيان يستجيب أدعيتهم وأحياناً أخرى يريد منهم أن يخضعوا لمشيئته. وهذا ما يحدث في الصداقة كما ترون، إذ يخضع الصديق مرة لإرادة صديقه ويعمل حسب مشيئته، ثم يأتي وقت حين يريد من صديقه أن يخضع هو لإرادته. إلى ذلك يشير الله تعالى في القرآن الكريم في ذكر وعده للمؤمنين باستجابة دعائهم فيقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وفي موضع آخر يعلم الصبر والرضا بقضائه وقدره فيقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧). (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٦-١٥٧)

تذكروا ثم تذكروا أن الخضوع إلى غير الله يعني قطع العلاقة معه ﷺ مهما كان الالتزام بالصلاة والتوحيد قويا - لأن إقرار التوحيد عمليا هو الصلاة في الحقيقة - ولكن يبقى صاحبهما محروما من البركة والفائدة ما لم تكن فيها روح الفناء والتذلل

والقلب الحنيف. اسمعوا! إن روحا صادقة مطلوبة للدعاء الذي قال وَعَلَىٰ عنه: "ادعوني أستجب لكم". فإذا لم تكن في التضرع والخشوع روح الحقيقة فالأمر لا يعدو ترديد الكلمات كما هو حال البغاء.

قد يقول هنا أحد بأن الأخذ بالأسباب ليس ضروريا، هذا سوء فهم، الشريعة لا تمنع الأخذ بالأسباب. أليس الدعاء أيضا اتخاذ الأسباب؟ أوليست الأسباب هي الدعاء؟ إن البحث عن الأسباب دعاءً بحد ذاته، والدعاء مصدر الأسباب العظيمة! إن خلق الإنسان الظاهري بما فيه يدها وقدماه يدل بصورة طبيعية على تبادل التعاون بين الناس. فما دام ذلك موجودا في الإنسان فكم هو غريب أن يصعب عليه فهم معاني الآية: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٣). أقول بأنه يجب أن تبحثوا عن الأسباب أيضا بواسطة الدعاء. فلما أريكم سلسلة ومرشدا كاملا أقامه الله في أجسادكم فلا أدري كيف يمكنكم إنكارها. لقد أقام الله تعالى سلسلة إرسال الأنبياء في الدنيا بُغية توضيح هذا الأمر أكثر ولشرحه للعالم بوضوح أكثر. كان الله قادرا، وهو قادر في الحقيقة، ألا يدع الأنبياء عليهم السلام في حاجة إلى أي نوع من الاستعانة إذا شاء ذلك ولكن مع ذلك يأتي عليهم وقت حين يضطرون للقول: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الصف: ١٥) ولكن هل يكون كلامهم على غرار كلام المتسولين العاجزين؟ كلا، بل تكمن عظمة في قولهم: "من أنصاري إلى الله" أيضا. فهم يريدون أن يعلموا الناس أساليب الأخذ بالأسباب وهي شعبة من الدعاء، وإلا فإنهم يؤمنون بالله إيمانا كاملا ويوقنون بوعود الله إيقانا كاملا... إن الدنيا ونصرتها تكون أمامهم كالميت ولا أهمية لها حتى بقدر حشرة ميتة. ولكنهم يختارون هذا السبيل أيضا ليعلموا العالم طريقا عاديا للدعاء. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، عدد: يناير ١٩٠٤ م ص ٧-٨)

هناك ثلاث وسائل فحسب لاستجابة الدعاء، أولا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾، وثانيا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وثالثا: الهبة الإلهية. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، عدد: يناير ١٩٠٤، ص ١٥)

الدرجة الأولى لخلق الأسباب هو الدعاء الذي جعله قانون الله الجاري في الطبيعة ضروريا لكل بشر، ولا بد لكل طالب بُغيته أن يجتاز هذا الجسر. فكم هو مخجل إذاً أن يحسب المرء أن هناك تناقضا بين الدعاء والأسباب. ما هو المقصود من الدعاء؟ ليس المراد منه إلا أن الله العالم الغيب الذي يعلم أدق الأسباب يوفق الداعي للعمل بأحسن الأسباب أو يخلقها من عنده لكونه خالقا وقادرا. فأين التناقض إذاً، بين الدعاء والأسباب.

إضافة إلى ذلك، كما تثبت العلاقة بين الدعاء والأسباب بشهادة قانون الطبيعة كذلك تثبت بشهادة صحيفة الفطرة أيضا. كما نلاحظ أن طبائع الإنسان كما تتوجه إلى الأخذ بالأسباب والعلاج عند حلول المصيبة كذلك تميل إلى الدعاء والصدقة. إذا ألقينا نظرة على أقوام العالم لوجدنا أنه لم يخالف ضمير أي قوم هذه المسألة المتفق عليها. فهذا دليل روحاني على أن شريعة الإنسان الباطنية قد أفتت للأمم كلها منذ القدم ألا يفصلوا الدعاء عن الأسباب بل يبحثوا عن الأسباب بواسطة الدعاء. فلباب القول إن الدعاء والأسباب أمران طبيعيان يخدمان فطرة البشر كالشقيقتين منذ القدم بل منذ أن خلق البشر. والأسباب هي كنتيجة حتمية للدعاء، والدعاء هو بمنزلة الدافع والجاذب للأسباب. وإن سعادة الإنسان تكمن في أن يطلب العون من مبدأ الفيض قبل الدعاء لكي تيسر له الأسباب المثلى نتيجة نيله النور من ذلك الينبوع الأبدي. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ٢، عدد: فبراير ١٩٠٤م، ص ٤٢-٤٣)

يقول بعض الناس مستعجلين بأننا لا نمنع من الدعاء ولكن المراد من الدعاء هو العبادة فقط التي يترتب عليها الثواب. ولكن من المؤسف أنهم لا يفكرون أن كل عبادة لا تنشأ فيها الروحانية من الله تعالى وكل ثواب يُتوقع حصوله كخيال محض في زمن من الأزمنة المقبلة كلها أفكار باطلة. العبادة الحقيقية والثواب الحقيقي هو الذي يشعر المرء بأنواره وبركاته في هذا العالم. إن علامات قبول عبادتنا هي أن

نشاهد عند الدعاء تماما بعين قلبنا أن نورا تراقيا ينزل من الله تعالى ويزيل المواد السامة من قلوبنا، وينزل علينا كشعلة ويملأنا على الفور بكيفية طاهرة من انشراح الصدر واليقين والحب والمتعة والأنس والذوق. وإن لم يحدث ذلك كان الدعاء والعبادة عادة وتقليدا محضا. كل دعاء، وإن كان لحل مشاكلنا الدنيوية، يأتي مروراً بحالة إيماننا ومستوى عرفاننا، أي يهبنا التقدم في الإيمان والعرفان ويهبنا السكينة الطيبة وانشراح الصدر والاطمئنان والحبوكة الحقيقية أولاً ثم يؤثر في مكروهاتنا الدنيوية، ويزيل أحزاننا بأنسب طريقة ممكنة. فثبت من هذا البحث كله أن الدعاء لا يُعَدّ دعاء ما لم يكن فيه قوة الجذب في الحقيقة وينزل بعده نور من السماء حقيقةً يزيل كربنا ويهبنا انشراح الصدر والطمأنينة. صحيح أن الله الحكيم ينزل بعد دعائنا نصرته وعونه بأسلوبين اثنين، أولاً: يزيل بلاء نكاد نموت تحت أعباءه، ثانياً: يهبنا قوة تفوق العادة لتحمل البلاء بل يرزقنا المتعة فيه ويرزق انشراح الصدر. فثبت بكلي الأسلوبين أن نصرته الله تعالى تنزل حتما نتيجة الدعاء. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ٢، عدد: فبراير ١٩٠٤م، ص ٤٨)

إن لفرضية الدعاء الذي فرضه كلام الله على المسلمين أربعة أسباب. أولها أن يتمسك العبد بالوحدانية برجوعه إلى الله دوماً وفي كل حال، لأن الطلب من الله بمنزلة الإقرار بأن الله تعالى وحده يحقق المرادات. والثاني ليتقوى الإيمان باستجابة الدعاء وتحقيق المراد. والثالث إذا حالفه فضل الله بأسلوب ما فذلك ليزداد علماً وحكمة. والرابع أنه إذا بُشّر الإنسان باستجابة الدعاء في الإلهام والرؤيا ثم تحقق بحسب ذلك، فليزداد معرفة بالله، وليتقدم من المعرفة إلى اليقين ومن اليقين إلى الحب ومن الحب إلى الانقطاع عن غير الله. والتخلي عن كل ذنب وهو الثمرة الحقيقية للنجاة. أما إذا تحققت آمال أحد تلقائياً وكان بعيداً عن الله وغافلاً عنه فإن تحقق جميع تلك الأمنيات تكون حشرات في نهاية المطاف، وإن جميع الأهداف التي يفتخر بها الإنسان تؤدي إلى الأسف والحزن في آخر الأمر. إن جميع أنواع الترف

الدينيوي سيتحول أخيرا إلى الحزن وستتراءى كل راحة حزنا وألما. أما البصيرة والمعرفة فيتمتع بها الإنسان بالدعاء وإن النعمة التي ينالها عند الدعاء من الكنز السماوي فلن ينقص منها ولن تزول أبدا، بل يتقدم الإنسان في معرفة الله وحبه يوما بعد يوم ويستمر في الصعود إلى الفردوس الأعلى بسلم الدعاء. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ٢، عدد: فبراير ١٩٠٤م، ص ٥٠-٥١)

إن في الأدعية تأثيرات ولكنها تظهر للعيان بعد الصبر. الأكثر سعادة عندي هو من يبقى قريبا من سلسلة الدعاء دائما. إذا عارض العالم كله هذا الكلام فهو مخطئ. الدعاء يتسبب في إحداث انقلابات عظيمة، ويؤري تأثيره من الأرض إلى السماء ويظهر تجليات غريبة، غير أن ظهور الدعاء الحي للعيان وتحقيقه يعتمد على فضل الله تعالى. (مكتوبات أحمد، مجلد ٥، الجزء ١، ص ٢٠، رقم ٥٣، المكتوب الرقم ٥٣، إلى السيد عبد الرحمن المدراسي رحمته الله)

إن من سنة ربي الحكيم والتقدير أن مشيئته التي يريد إظهارها بعد قبول الأدعية إنما يُظهرها في كثير من الأحيان بتأخير وبطء ليهرب الأتقياء والمستعجلون، وينال نصيبا من فضله الخاص أولئك الذين سُجلوا سعداء عند الله. (مكتوبات أحمد، مجلد ٥، الجزء ١، ص ٣٤، رقم ٨٢، المكتوب إلى السيد عبد الرحمن المدراسي رحمته الله)

أحيانا يصاب المرء بخيبة الأمل في دعاء معين، ويظن أن الله تعالى قد رفض دعاءه، مع أنه تعالى يكون قد استجاب دعاءه وتكون الإجابة بصورة الرفض، لأن الخير كامن له في رفض دعائه في الواقع. إن الإنسان قصير النظر ولا يفكر تفكيراً بعيد المدى، بل يتمسك بظواهر الأمور، فالأولى به أنه إذا دعا الله تعالى ولم يأتِ الدعاء بنتيجة مرضية، فعليه ألا يسيء الظن بالله تعالى فيقول بأنه تعالى لم يسمع دعائي. إن الله تعالى يسمع دعاء الجميع حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ولكن السر في عدم استجابة دعاء المرء هو أنه في بعض

الأحيان يكون الخير والبركة كامنا للداعي في رفض دعائه. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٣١)

أودّ بيان علاقة دعائنا بالله تعالى. عندما يبكي الرضيع من شدة الجوع ويصرخ للحليب، يتدفق الحليب في ثدي الأم. لا يعرف الطفل حتى اسم الدعاء، ولكن ترون كيف تستدرّ صرخاته الحليب. هذا أمرٌ قد جرّبه الجميع. وقد لوحظ في بعض الأحيان أن الأم لا تشعر بوجود الحليب في ثديها، ولكن صرخة رضيعها تجلبه تلقائياً. فهل صرخاتنا أمام الله تعالى عاجزةٌ عن جلب شيء من عنده؟ كلا، بل إنها تجلب وتجلب كلّ شيء، ولكن العميان الذين يدّعون أنهم علماء وفلاسفة لا يقدرّون على رؤية ذلك. لو فكّر الإنسان في فلسفة الدعاء واضعاً في الحسبان ما بين الطفل والأم من علاقة، لفهم موضوع الدعاء بمنتهى السهولة. فالقسم الثاني من الرحمة يخبرنا أن هناك رحمًا ينشأ بعد السؤال، فلو تأبرتم على السؤال لوجدتموه. فقول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ليس كلاماً فارغاً، بل هذا هو مقتضى الفطرة البشرية.

إن السؤال خاصية الإنسان والاستجابة صفة الله تعالى، ومن لم يفهم هذا الأمر وأنكره فهو كاذب. إن مثل الرضيع الذي ذكرته آنفاً يبين فلسفة الدعاء أيما بيان. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٩-١٥٠)

نجد مسألة القضاء المعلق والمبرم في القرآن الكريم، وإن لم توجد بهذه الكلمات. فقد ورد في القرآن الكريم مثلاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فمن هنا يستشف أن الدعاء يمكن أن يُقبل، وأن الدعاء يصرف العذاب، وبه تستقيم القضايا كلها دعك عن آلفها. فالجدير بالانتباه أن لله سيطرة تامة على كل شيء، يفعل ما يشاء، سواء اطلع الناس على تصرفاته الخفية أم لا، إلا أن التجارب الواسعة النطاق لمئات المحنكين ونتائج دعاء آلاف المتألمين الصريحة، تفيد بأن لله تصرفاً خفياً مستوراً، فهو يحو ما يشاء ويثبت ما يشاء. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢٢/٤/١٨٩٩م، ص ٣)

فقول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ليس كلامًا فارغًا، بل هذا هو مقتضى الفطرة البشرية. إن السؤال خاصية الإنسان والاستجابة صفة الله تعالى، ومن لم يفهم هذا الأمر وأنكره فهو كاذب. (الحكم مجلد ٥، رقم ٣٣، عدد ١٠/٩/١٩٠١ م، ص ١)

اعلموا أن الله تعالى كريم ووفي جدا، إذا أثر المرء رضاه ورضي بمشيئته فلا يتركه بدون الجزاء. باختصار، في هذا المقام يريد الله تعالى فرض رأيه. أما المقام الآخر فهو ذلك الذي يقول الله فيه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أي أنه تعالى يعِدُّ بإجابة دعاء العبد. (الحكم مجلد ٩، رقم ١٨، عدد ٢٤ / ٥ / ١٩٠٥ م، ص ٨)

إن التدبر في القرآن يكشف لنا أن الله تعالى يجيب أدعيتنا وهو قريب منا جدا. ولكن الداعي إذا لم يراع في دعائه صفات الله وأسماءه، فَقَدَ دعاؤه التأثير. ولا يهلك الناسُ لمجرد جهلهم بهذا السر فقط، بل أيضا لأنهم لا يحاولون معرفة هذا السر. سمعتُ كثيرا من الناس يقولون: لقد دَعَوْنَا كثيرا ولم يكن لدعائنا نتيجة، فأدى بهم هذا إلى الإلحاد. والحق أن لكل أمر قواعد وقوانين، وللدعاء أيضا قواعده وقوانينه. هؤلاء يشتكون من عدم استجابة أدعيتهم، ولكن سببه أنهم لا يراعون تلك القواعد والمراتب التي لا بد منها لاستجابة الدعاء. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ٢٤ / ٣ / ١٩٠١ م، ص ٢)

إن مذهبي بشأن مواساة البشر أن الصدر لا يتطهر كما يجب ما لم يدعُ المرء للعدو أيضا. إن الله تعالى لم يشترط في قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أنه إذا دعوتم للعدو فلن أجيب. كلا، بل إن مذهبي أن الدعاء للعدو من سنة النبي ﷺ. لقد أسلم عمر رضي الله عنه نتيجة الدعاء فحسب، إذ كان النبي ﷺ يدعو له كثيرا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧ / ٨ / ١٩٠٢ م، ص ٥-٦)

الإله الذي يكلم هو ذلك الإله الوحيد الذي قدمه القرآن الكريم والذي قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. هذا هو القول الحق تماما. فمن آمن بالله -أي كان- إلى

فترة بصدق النية ونقاء القلب وجاهد واستمر في الأدعية سوف تُجاب أدعيته حتما.
(الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ١٧/١٢/١٩٠٢ م، ص ٢)

فليكن معلوماً أن القرآن لا يريد أن يجعل الأمور كلها مقتصرة على الأسباب الطبيعية مثل الملحدّين بل يوصل إلى التوحيد الخالص. الحق أن الناس لم يفهموا حقيقة التوبة ولم يتدبروا في طبيعة علاقة القضاء والقدر مع الدعاء. فالذين يدعون يفتح الله لهم سبيلا ولا يُردّ دعاؤهم. فمن ناحية هناك الدعاء، ومن ناحية أخرى هناك القضاء والقدر، وقد حدّد الله لكل منهما مواعيد. وجعل العبودية تابعة للرؤية فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.... للقضاء والقدر علاقة متينة مع الدعاء. القدر المعلق يزول نتيجة الدعاء. عندما تُطلّ المصائب برأسها يؤثر الدعاء حتما. إن الذين ينكرون الدعاء مخدوعون. لقد بيّن القرآن الكريم جانبين للدعاء؛ ففي أحد الجانبين يريد الله أن تُقبل مشيئته، وفي الجانب الثاني يستجيب لعبده. ففي: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٦) يُقيم ﷻ حقه ويريد أن تُقبل مشيئته. أما ما أكّد الله عليه بإيراد النون الثقيلة فهو أنه يريد أن يبيدَ القدر المبرم، وعلاجه: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧). الوقت الثاني هو لهماج أمواج فضل الله ﷻ ولطفه وقد ذكره في: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (المؤمن: ٦١).

فعلى المؤمن أن يكون على علم تام بكلا الوقتين. يقول الصوفية بأن السلوك لا يكتمل ما لم يراع المرء المناسبة والمقام، ويقولون بأن الصوفي لا يدعو ما لم يعرف الوقت. يقول السيد عبد القادر الجيلاني أن شقيا يُجعل سعيدا نتيجة الدعاء، ويقول أيضا إن أمورا شديدة الخفاء وشبيهة بالقدر المبرم أيضا تُزال بالدعاء.

باختصار، يجب الانتباه دائما إلى تقسيم الدعاء. ففي بعض الأحيان يريد الله أن يطاع أمره وأحيانا أخرى يقبل دعاء عبده. وكأن هذه المعاملة كالمعاملة بين الأصدقاء. فكما كان النبي ﷺ يحظى بأعلى مراتب قبولية الأدعية؛ كذلك كان يحتل

أعلى مكانة من حيث التسليم والانقياد أيضا. (الحكم مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢٨/٢
١٩٠٢م، ص ٣-٤)

إنني أرى أن خوف الله وخشيته تقضي على حياة الإنسان الآثمة. عندما يتولد الخوف الحقيقي في القلب تنشأ فيه الرغبة في الدعاء. الدعاء شيء يجبر النقص الناتج عن ضعف الإنسان لذا لا بد من الدعاء. لقد وعد الله تعالى أيضا: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. يخطئ الإنسان أحيانا حين يظن أنه دعا إلى مدة طويلة لهدف معين ولكنه لم يتحقق فيقلق، بينما كان عليه ألا يقلق بل يجب على الطالب أن يكون صبورا محتملا. الدعاء يُقبل ولكن الإنسان لا يكون مطلعا أحيانا على العاقبة والنتائج. والله الذي يعلم الغيب يقدر له الأنسب. الإنسان قليل الفهم، فيظن أن دعاءه لم يُقبل مع أنه كان الأنسب في علم الله ألا يُقبل بذلك الأسلوب بل بأسلوب آخر. ومثله كمثّل طفل يطلب جذوة نار من أمه فهل ستعطيه الأم إياها؟ كلا. كذلك حال الدعاء. باختصار يجب على الإنسان ألا يملّ من الدعاء. الدعاء يهب الإنسان من الله تعالى نورا وقوة يتغلب بهما على السيئة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٢م، ص ٢)

المثابرة والصبر في الدعاء شيء والسؤال بالعناد شيء آخر. إن مطالبة الله أن أنجز لي ذلك وإلا سأنكرك حق كبير وشرك وجهل بآداب الدعاء. الناس من هذا النوع يجهلون فلسفة الدعاء. لم يقل الله في القرآن الكريم بأنه سيقبل كل دعاء بحسب مرضاتكم. لا شك أننا نقبل بأنه قد ورد في القرآن الكريم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولكننا نؤمن أيضا أنه قد ورد في القرآن الكريم نفسه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٦) فإذا كان الله يجيبكم بحسب: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهو يريد أن تنقادوا له بحسب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾. إنها لِمَنَّة الله ولطفه أنه يقبل ما يريد العبد أيضا، إلا ما يتنافى مع عظمة الإله والربّ أن يُكره العبد على الانقياد لأمره دائما. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٣)

الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تتضمن: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ و: ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾. المراد من ﴿نَعْبُدُ﴾ هو ألا تخطر السيئة بالبال، ويزول الرجاء والأمانى كلها. وفي ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تعليم للدعاء. (الحكم المجلد ٦، رقم ٣٦، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٤)

التوفيق للدعاء وطلب الدعاء من أحد بيد الله. حين يفيض القلب حرقه للدعاء ويشق جميع الحجب، فليفهم عندئذ أن الدعاء قد قُبل. هذا هو الاسم الأعظم ولا شيء مستحيل أمامه. حين تنتهي هذه الأسباب للدعاء للخبيث يتحول حتما إلى صالح، وبدون الدعاء لا يقدر على الثبات على التوبة أيضاً. لا يسع المريض والمحجوب إرشاد نفسه. ما يحدث بحسب سنة الله أن الأدعية حين تبلغ منتهاها تنزل على القلب شعلة النور التي تحرق كل نوع من خبث صاحبها وتزيل الظلام، وتخلق فيه نورا. هذا هو أسلوب إجابة الدعاء. (الحكم مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣م ص ٥ - ٦)

لقد عامل الله ﷻ الإنسان بمنتهى التنازل كالأصدقاء. ما هي طبيعة العلاقة بين الأصدقاء يا ترى؟ يقبل الصديق أحيانا ما يقول له صديقه وأحيانا أخرى يريد أن يفرض رأيه على صديقه ويريد أن يقبل هو رأيه. هكذا يفعل الله ﷻ إذ يتبين من ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ و﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ (البقرة: ١٨٧) أنه يستجيب للإنسان، ويتقبل دعاءه. ومن ناحية أخرى يتبين من الآية ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي...﴾ (البقرة: ١٨٧) ومن ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٦) أنه ﷻ يريد أن يفرض أمره ويريد من الإنسان أن يقبل قراره.

بعض الناس يتهمون الله بأنه لا يجيب دعاءهم أو يعترضون على أولياء الله أن دعاءهم الفلاني لم يُتَقَبَل. والحق أن أولئك السفهاء يجهلون سنة الله هذه تماما. فمن تلقى هذه المعاملة من الله يكون مطلعا جيدا على هذه القاعدة. فقد بين الله نموذجين للاستجابة وفرض الاستجابة على الآخرين. فالتسليم بهما هو الإيمان، فلا

تكونوا من الذين يركزون على جانب واحد فقط، وحذار أن تكونوا بمعصيتكم إياه من الذين يسعون لنقض قانون وضعه الله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٣ م ص ١٢)

ما علاج الحالة التي يعيشها الإسلام في العصر الحاضر غير الدعاء؟ يقول الناس: الجهاد، الجهاد! مع أنه حرام في الوقت الحاضر، لذا قد وهب الله لي حماسا للدعاء كهياج البحر. لقد ألقى في قلبي حماسا للدعاء من أجل التوحيد. ومن هنا يبدو أن هذه هي مشيئة الله. كما وعدني: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ١١، عدد ٣/٤/١٩٠٣ م، ص ٨١)

لكل شيء أم، ففكرت يوما ما هي أمٌ إنعامات الله؟ فألقي في قلبي أن أمها هي آية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فلا أحد يستطيع اتقاء الذنب ما لم يحالفه فضل الله فقد وضَّح بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أنه هو العاصم فتوبوا إليه وحده. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٢، عدد ٦/١٩/١٩٠٣ م، ص ١٦٩)

على الإنسان أن ينظر إلى عيوبه ويدعو، ولا يمكن أن يجتنبها ما لم ينقذه الله. يقول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (بدر مجلد ٢، رقم ٢٨، عدد ٣١/٧/١٩٠٣ م، ص ٢١٧)

ليس للإنسان مفخرة أكبر من أن يكون لله، فالذين ينشئون العلاقات به ﷺ فهو يعاملهم بالمساواة؛ فيستجيب لهم حيناً ويفرض عليهم مشيئته أحيانا أخرى. فمن ناحية يقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ومن ناحية يقول ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ (البقرة ١٥٦). ومن هنا يتبين أنه لا يصح الدعاء في كل مكان، إذ يضطر المرء عند "لنبلونكم" للقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فهذه مواضع الصبر والرضا. ينخدع الناس في هذا الموضع ويقولون لماذا لا يجاب الدعاء، فهم يزعمون أن الله في يدهم، يتقبل متى أرادوا. فهل كان الإمام الحسين لم يدع الله عند مواجهته الابتلاء، كما أن النبي ﷺ قد مات له أولاد كثر فهل يُظن أنه لم يدع الله؟ فالحقيقة

أن هذه المواضع تتطلب الصبر والرضا. (بدر مجلد ٢، رقم ٤١ - ٤٢، عدد ٢٩/ ١٠-٨/ ١١/ ١٩٠٣م، ص ٣٢١ - ٣٢٢)

إن مرحلة التقوى صعبة جدا، فلا يقدر على عبورها إلا الذي يسلك سبل مرضاة الله تعالى فقط، وينجز ما يريده ﷻ ولا يتبع مشيئته الشخصية، فإذا أراد أحد أن ينال شيئا بالتكلف فلن يتأتى له ذلك، لذا ثمة حاجة ماسة لفضل الله، ولا يتأتى ذلك إلا بالدعاء من ناحية والدوام على بذل المساعي من ناحية أخرى. فقد أكد الله ﷻ على الدعاء وبذل السعي كليهما معا، إذ قد أمر بالدعاء في ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وأوصى بالسعي في ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠). (بدر، مجلد ٣، رقم ٢، عدد ٨/ ١/ ١٩٠٤م، ص ٣)

إن مبدأ الصداقة يفرض أن يقبل الصديق رأي صديقه طورا ويجعله يقبل رأيه طورا آخر، وهذا ما ذكره الله أيضا حيث قال ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي اسألوني أرزقكم أي أقبل رأيكم، وفي الآية الأخرى يفرض مشيئته ويقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾. (بدر مجلد ٣، رقم ٢، عدد ٨/ ١/ ١٩٠٤م، ص ٥)

صحيح أن الإنسان أحيانا يستفيد من التدبير لكن الاتكال الكلي على التدبير لُسفةٌ شديدة وجهل، فالتدبير لا يفيد أبدا ما لم يقترن به الدعاء أيضا كما لا ينفع الدعاء وحده ما لم يصحبه التدبير. فمن الضروري أن تُسد أولا النافذة التي تأتي منها المعصية، ثم يجب أن يداوم على الدعاء للنجاح في الصراع مع النفس، ولذلك قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠) (٢). فكم تتضمن هذه الآية التأكيد على اتخاذ التدابير. يجب أن لا ينسى الله حتى في التدابير. وفي آية أخرى قال ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فإذا كان الإنسان يريد التقوى الكاملة فليتخذ التدبير والدعاء معا، فليؤد حق كليهما. ففي هذه الحالة سيرحمه الله، أما إذا أنجز أحدهما وترك الآخر فسيبقى محروما. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/ ٣/ ١٩٠٤م، ص ٧)

قوله تعالى ﴿جَاهِدُوا فِيْنَا﴾ يعني حصرا أن يتخذ التدبير للتخلي بالتقوى جهد المستطيع. ثم بين في قوله في موضع آخر ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أن ادعوا الله بعد اتخاذ التدابير فسوف يجاب. (بدر، مجلد ٣، رقم ٩، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٤م، ص ٣) إذا كان الإيمان كاملا أُجيبَت الأدعية أيضا. وقد وعد الله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ولا يُخْلَف. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

إنما يُحرم الإنسان بسبب استعجاله وتسرعه. وإن وعد الله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) حق حتما، فاسألوه ثم اسألوه ثم اسألوه، فالذين يسألون يعطون. غير أنه من الضروري أن يكون دعاء، لا مجرد هراء وادعاءات وسلطة لسان. فالذين لم يصبروا على الدعاء ولم يستمروا فيه، ولم يراعوا آداب الدعاء، أنكروا الدعاء وتأثيره حين لم يجدوا شيئا. ثم تدريجيا أنكروا الله قائلين إنه إذا كان هناك إله فلماذا لا يسمع دعاءنا؟ هؤلاء الحمقى لا يعرفون أن الله موجود حتما، لكنه في الوقت نفسه يجب أن تكون أدعيتكم أيضا أدعية في الحقيقة. هناك مثل بنجابي يبين مدلول الدعاء جيدا وتعريبه: إن الذي يتسول يموت، فاذهب للتسول لتموت.

أي أن الذي يسأل يجب عليه أن يورد على نفسه الموت، ولا يحق لأحد السؤال إلا من يحقق هذا الموت، وحقيقة الدعاء في الحقيقة تكمن وراء هذا الموت.

الحق أن تأثير القبول لا ينشأ في الدعاء إلا عند بلوغه أقصى درجة الاضطراب، وحين يتحقق الاضطراب المتناهي عندها تخلق من الله آثار قبوله وأسبابه. فالأسباب تُخلق أولا في السماء وبعدها يظهر تأثيرها في الأرض، هذا الأمر ليس هينا بل هو حقيقة عظيمة. بل الحق أن الذي يريد رؤية تجلٍ إلهي، عليه أن يدعو. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٣، عدد ١٧/٤/١٩٠٤م، ص ٦)

إنه ﷻ لا يرى بهذه العيون بل يرى بعيون الدعاء، لأنه إذا لم يُعثر على مجيب الدعاء فكما أن الخشب يصير رديئا بعد أن تصيبه الأرضة (النمل الأبيض) كذلك يسأم الإنسان بالدعاء المتكرر، وأخيرا يصبح ملحدا. يجب أن يرفع المرء دعاءً يثبت

به أن وجود الله حق، وعندما يطلع الإنسان على ذلك يتطهر في الحقيقة، هذا الأمر وإن كان يبدو صعبا جدا، لكنه ليس صعبا في الحقيقة، بشرط أن يوظف الدعاء والتدبير كليهم. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد: ١٦/٣/١٩٠٤م، ص ٨)

اسألوا الله تعالى حاجاتكم- الكبيرة منها والصغيرة- دون أدنى استحياء، لأنه هو المعطي الحقيقي. الذي يدعو الله أكثر هو الأكثر تقاةً، لأنه إذا ذهب أحد إلى باب بخيل أيضا كل يوم متسولا فيستحيي يوما ويعطيه شيئا. فكيف لا ينال شيئا من يسأل الله الذي هو كريم كرما لا نظير له. السائل ينال في وقت من الأوقات حتما. الدعاء اسم آخر للصلاة، كما يقول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

(الحكم، المجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد: ١٠/١١/١٩٠٤م، ص ٦)

الوسيلة الثانية التي علّمها الله ﷻ للحصول على الطهارة الحقيقية والعاقبة الحسنة، هي الدعاء. فأكثرُوا من الدعاء قدر الإمكان، لأن هذا الطريق مجرب والأكثر نفعا، لأن الله تعالى قد وعد بنفسه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. الدعاء شيء يجب على المسلمين أن يعتزوا به على غيرهم. الأقوام الأخرى لا تقدّر الدعاء أبدا ولا يستطيع أهلها أن يفتخروا على هذا الطريق الطيب، بل هذا الشرف والاعتزاز خاص بالإسلام فقط، والأديان الأخرى كلها محرومة منه كلياً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٥م، ص ٣)

أقول بكل يقين وبناء على تجربتي الشخصية بأنه كلما حظي الأنبياء عليهم السلام بالطمأنينة كان السبب: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. المجاهداتُ إكسيزُ عجيبٌ. (الحكم مجلد ٩، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٥م، ص ٩)

مما لا شك فيه أن الإنسان عندما يدعو الله تعالى يجيب الله دعاء عبده في معظم الأحيان. ولكن في بعض الأحيان يريد الله أن يفرض مشيئته. إن علامة الصداقة بين الصديقين هي أن أحدهما يقبل مرة ما يقول الآخر والعكس صحيح. ولا يمكن أن يقبل أحدهما ما يقوله الآخر دائما دون أن يطلب من الآخر أن يقبل ما يقوله

هو. والذي يفكر أن دعاءه يجب أن يجاب دائما وتحقق بُغيته في كل الأحوال هو مخطئ جدا. لقد أنزل الله تعالى بحكمته الكاملة آيتين في القرآن الكريم قال في إحداهما: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال في الأخرى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٦)، أي لا بد أن تحل بكم أنواع الابتلاءات والامتحانات لتستحقوا الإنعامات. إن الله تعالى يتلي عباده، والذين يصمدون منهم لا يرضى الله بأن يضيعوا. إن الله تعالى يجيب دعاء المرء على أي حال سواء أكان بصورة النجاح بحسب مبتغاه أو تقدّر حكمة الله أمرا آخر. لم أر قط من تضرع في الدعاء بقدر الضرورة ولم يجد جوابا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٢، عدد ١٩٠٦/٨/٩ م، ص ٣) يجب على أفراد جماعتنا أن يدعوا الله في جوف الليالي باكين متضرعين. لقد وعد الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، يحسب الناس عادة أن المراد من الدعاء هو الدعاء من أجل الدنيا. إنهم ديدان الأرض فلا يمكن أن يبتعدوا عنها. الدعاء الحقيقي هو للدين. لا تظنوا أننا مذبذبون فلا أهمية لدعائنا وكيف يحدث فينا تغيير؟ (٣) هذا ظن خاطئ. الحق أن الإنسان يتغلب على الأخطاء لأن الأصل في طبيعته هو الطهارة. خذوا الماء مثلا، فمهما كان الماء ساخنا ولكنه إذا صُبَّ على النار أطفأها لأن في طبيعته التبريد. كذلك تماما الطهارة في طبيعة الإنسان وهي موجودة في طبيعة كل إنسان. لم تتلاش تلك الطهارة. كذلك أيّا كانت النزعات في طبائعكم فإذا دعوتم الله باكين لأزالها الله تعالى. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤ م، ص ١٥)

الإنسان يتقدم سريعا نتيجة امتحان من الله وينال مدارج لا ينالها بجهد ومشتقة مطلقا، لذلك لم يبيّر الله بشيء حين قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ولكن حين قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ...﴾ أعطى فيه بشارات عظيمة وقال: ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾. باختصار، هذا هو الطريق الذي به يستطيع الإنسان أن يرضي الله. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٧/٩/٢٤ م، ص ٥)

الآية ٦٧: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ
الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أي قل لهم بأني أمرت بأن أسلم وجودي كله لله تعالى وأفوض نفسي له؛ أي
أفني نفسي في سبيل الله وأكون خادماً للعالمين كما هو رب العالمين، وأكون كلياً
له وَعَلَىٰ ولسبيله. لذا فقد سلّمتُ لله كل ما كان لي، فلم يعد لي شيء، بل كل
ما كان لي فقد صار لله رب العالمين. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية،
المجلد ٥، ص ١٦٥)

الآية ٧٨: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

يجب أن ننظر بعين العدل والإنصاف أنه كما قال الله جلّ شأنه في القرآن الكريم
في حق المسيح عليه السلام ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ كذلك قال في حق سيدنا ومولانا النبي ﷺ
أيضاً: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي قد ورد فعل "التوفي" في
كلا الموضعين، في حق المسيح عليه السلام وفي حق سيدنا ومولانا ﷺ، فكم هو بعيد عن
العدل والإنصاف أن نستنتج من "التوفي" الوارد في حق سيدنا ومولانا ﷺ معنى
الموت، ونصرفه عن معناه الحقيقي والمعروف إذا وردت الكلمة نفسها في حق عيسى
عليه السلام، وبذلك نجنف عن المعنى المتفق عليه الذي يتبين من القرآن الكريم من بدايته
إلى نهايته، ونختلق من عند أنفسنا معنى آخر. إذا لم يكن هذا هو الإلحاد والتحريف
فما الانحراف والتحريف إذن؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٧٤)
أنه ما من دين نال ازدهارا كاملا في حياة نبي من الأنبياء. أما مهمة الأنبياء
فكانت أنهم أبدوا نموذجا من التقدم نوعا ما ثم تحقق الازدهار والتقدم بعدهم، كما
بُعث نبينا ﷺ للعالم كله ولكل أسود وأحمر ولكن الحمر، أي قوم أوروبا، لم ينالوا في
حياته حظا من الإسلام قط إذ لم يُسلم منهم أحد. أما السُود فقد انتشر الإسلام

فيهم في الجزيرة العربية فقط إلى أن توفي النبي ﷺ بعد فتح مكة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٦٥)

إنهم يُدَعَوْنَ مسلمين ويسمون أنفسهم موحدّين ويؤمنون بأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء وخير البشر؟ ولكن عندما يُستخدم لفظ "التوفي" بحقه يستنتجون منه معنى الموت، وعندما يُستخدم اللفظ نفسه بحق المسيح يرفعونه بجسده إلى السماء حيًّا. ما الذي أصاب غيرهم؟ لماذا يسيئون إلى النبي ﷺ هكذا؟ لم يرد بحقه ﷺ في القرآن الكريم: ﴿نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ﴾ (يونس: ٤٧) وجاءت بحق المسيح الكلمة نفسها أي: ﴿مُتَوَقِّعُكَ﴾ (آل عمران: ٥٦) و﴿فَلَمَّا تَوَقَّعْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨). فلماذا يُستنتج في مكان معنى وفي مكان آخر معنى آخر؟ أيحسبون رسول الله ﷺ نبيا ضعيفا فيدفنونه في الأرض ويرفعون المسيح إلى السماء؟ إذا كانوا يحبون النبي ﷺ وإذا كانت لديهم غيرة لجلاله وشوكته، فلماذا لا يقولون بأنه ﷺ أيضا رُفِعَ إلى السماء حيا؟ لو فعلوا ذلك لحسبوا على الأقل أنهم لا يجعلون للمسيح ميزة فريدة، ولكن لا يروقني والحالة هذه أن أستنتج من القرآن الكريم معنى يخالف القرآن نفسه ويخالف اللغة وتفسير النبي ﷺ ويحط من شأنه ﷺ.

أقول صدقا وحقا بأنه صدق من كتب أن مَنْ قال بأن النبي ﷺ ليس حيا فقد كفر. لقد ارتد نحو ثلاثة ملايين شخص بسبب اختراع هذه الخصوصية للمسيح. بالله عليكم، لا تظلموا إلى هذا الحد ولا تحطوا من شأن النبي ﷺ ومرتبته، فإن الاعتقاد بأنه دُفِنَ في الأرض والمسيح رُفِعَ إلى السماء يحط من شأنه. المسيح ليس حيا قط، بل مات كما حكم الله ﷻ بقوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ وَتُفَتِّتِي﴾ (آل عمران: ٥٦)، وأقر المسيح بنفسه قائلا: ﴿فَلَمَّا تَوَقَّعْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨). (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٣، عدد ٩/٣٠/١٩٠٤م، ص ٣)

يتبين من القرآن نفسه أن معنى "التوفي" هو الموت؛ لأن الكلمة نفسها استُخدمت بحق النبي ﷺ أيضا حيث ورد فيه: ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ

نَتَوَفِّيَنَّكَ. وقال النبي ﷺ: "فلما توفيتني" تعني الموت. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٣، عدد ٢٤٩/٩/١٩٠٦م، ص ٤)

إن كلمة "التوفي" لم تكن غريبة أو جديدة بل تقول جميع القواميس العربية أيا كان مؤلفها بأن معناها هو الموت. فلماذا إذن اخترعوا من عند أنفسهم معنى الرفع إلى السماء بالجسد؟ لو استنتجوا منها المعنى نفسه بحق النبي ﷺ لما تأسفنا لأن الكلمة نفسها قد وردت في القرآن الكريم بحقه أيضاً، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ﴾.

قولوا الآن، إذا كانت هذه الكلمة تعني الرفع إلى السماء مع الجسد أليس من حقنا أن نستنبط المعنى نفسه بحق النبي ﷺ أيضاً؟ ما السبب في أنه إذا استخدمت هذه الكلمة بحق نبي هو أدنى درجة من النبي ﷺ بآلاف المرات يخترعون لها معنى من عند أنفسهم ويرفعونه إلى السماء وعندما تُستخدم الكلمة نفسها بحق سيد الأولين والآخرين لا يستنبطون منها معنى سوى الموت؟ مع أن النبي ﷺ نبي حيّ وحياته ثابتة بأسلوب لا تثبت به حياة غيره قط. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٦م، ص ٣)

إن شهادة الله ﷻ قبل كل شيء أجدر بالثقة، إن عندنا كلام الله المقدس أي القرآن الكريم، فلبت في شتى المسائل والعثور على الحق يجب على المسلمين أن يراجعوا القرآن الكريم حصراً. إذا كان عندهم أي دليل على حياة عيسى عليه السلام الأبدية فعليهم أن يقدموا عليها آية من القرآن الكريم. لكننا حين نتدبر القرآن الكريم بهذا الهدف نجد فيه كلام الله في حقه ينحصر بقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ (آل عمران: ٥٦) و﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨). فمما يجدر به التأمل هل وردت هذه الكلمة في حق أي نبي آخر أم لا؟ فنجد بوضوح أن كلمة التوفي هذه قد وردت بحق الأنبياء الآخرين، وسيدنا ومولانا محمد المجتبي وأحمد المصطفى عليه السلام أيضاً، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ﴾ ثم نجد الكلمة

نفسها بحق يوسف عليه السلام حيث ورد: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠٢). الآن نسأل المعارضين أن يخبرونا عن سبب التمييز والتخصيص؛ فالأي سبب تعني هذه الكلمة الموت إذا وردت بحق الأنبياء الآخرين، ولماذا يتغير مدلولها إذا وردت بحق عيسى عليه السلام ولا تعني الموت؟ عليهم أن ينبذوا التعصب، ويتدبروا في ذلك لحظة بحثًا عن الحق. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٦، عدد ٦٨/٨/١٩٠٨م، ص ٤) لن يقدر أحد أبدًا على أن يثبت من القرآن الكريم أن كلمة التوفي تعني الصعود إلى السماء بالجسم المادي. فاعلموا أن القرآن الكريم قد استخدم كلمة التوفي نفسها بحق النبي ﷺ أيضًا في: ﴿وَأَمَّا نُزُيِّنُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ كما وردت كلمة التوفي نفسها بحق يوسف عليه السلام أيضًا، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠٢).

فمما يجدر بالتدبر كيف تدل هذه الكلمة نفسها على الموت إذا وردت بحق الآخرين؟ بينما إذا وردت بحق عيسى عليه السلام فينشأ فيها تأثير يجعل معناها الصعود إلى السماء بالجسم المادي بدلا من الموت! (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨م، ص ٦)

انظروا أنه قد وردت بحق النبي ﷺ كلمات صريحة: ﴿وَأَمَّا نُزُيِّنُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ ثم وردت كلمة "التوفي" نفسها في القرآن الكريم بحق سيدنا يوسف عليه السلام ولا تعني غير الموت، وذلك في الآية ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾. فهذا دعاء يوسف عليه السلام فهل كان يدعو الله ﷻ أن يرفعه إلى السماء بجسمه المادي؟ ويُلحقه بالصلحين السابقين الموجودين أحياء في السماء؟ تعالى الله عما يصفون. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٧، عدد ١٤/٨/١٩٠٨م، ص ٣)

خذوا كلمة التوفي الواردة في القرآن الكريم وحدها لتروا هل لها معنى آخر غير الموت في موضع، أم تعني الرفع إلى السماء بالجسد المادي؟ لقد استخدم الله ﷻ كلمة التوفي هذه نفسها بحق النبي ﷺ. تدبروا الآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا نُزُيِّنُكَ بَعْضَ

الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ ﴿٧٧﴾ ثم وردت كلمة التوفي نفسها قد بحق يوسف ﷺ أيضاً، فلا أدري لماذا تعطى ميزة لعيسى ﷺ خلافا للنص القرآني وجميع الأنبياء. لقد وردت كلمة التوفي هذه في كتب الحديث قرابة ٣٠٠ مرة، ولم يُقصد بها في أي موضع الرفع إلى السماء بالجسد. فحيثما وردت فإنما بمعنى الموت فقط. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٢، عدد ١٨/٧/١٩٠٨م، ص ٧)

الآية ٧٩: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فِإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾

المراد من ذلك أن على المسلمين أن يحسنوا الظن، وينظروا إلى جميع الأنبياء الذين خلوا في أية بقعة من بقاع الأرض بنظرة الاحترام والتعظيم، هذا وارد في القرآن الكريم مرارا وتكرارا. والهدف من ذلك هو تعليم المسلمين ألا يحطوا من شأن نبي في أية بقعة من بقاع الأرض، بُعث وآمن به عدد كبير من القوم. هذا المبدأ جميل جدا، ومهما اعتزَّ به المسلمون كان في محله لأن الأمم الأخرى تستعد لإطالة اللسان نتيجة أبسط الخلافات - لعدم التزامها بهذا المبدأ - على أنبياء آخرين في الدنيا نالوا قبولا عند عشرات ملايين الناس، ويكيلون شتائم بذئثة بوجه خاص ضد نبينا المقدس ﷺ. إنهم يردّدون "الصلح، الصلح" باللسان فقط ويطلقون اللسان نفسه كسيف مسلول على نبينا الحبيب الذي أرواحنا تحت قدميه. نحن قوم مظلومون بشكل غريب إذ نعظم كل نبي مقبول بين الأنام خلا في الدنيا ونبجله ونؤمن به بحسب تعليم القرآن الكريم، أما ما يقوله معارضونا وما يكتبونه ضد نبينا الأكرم ﷺ فيعلمه العالم كله. نحن نعلن ونرى نشر هذا الإقرار في العالم كله مدعاة لسعادتنا أن موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء كلهم كانوا أنبياء أطهارا وأتقياء وأصفياء الله.

كذلك الصلحاء الذين بواسطتهم أنزل الله تعالى تعاليمه المقدسة في الهند وكذلك الذين جاءوا فيما بعد وكانوا زعماء مقدسين عند الآريين بمن فيهم الراجا "رام شندر" و"كرشنا"؛ كلهم كانوا مقدسين ومن الذين ينزل عليهم فضل الله. ولكن إلى من نشكو؟ وبمن نستغيث إذ لا تعاملنا الأمم الأخرى بالمعاملة نفسها؟!

ما أجمل هذا التعليم الذي يضع أساس التصالح في العالم ويهدف إلى جعل الأمم كلها أمة واحدة، وهذا التعليم هو: اذكروا صلحاء الأقوام الأخرى باحترام وتبجيل. ومن لا يعرف أن أساس العداوة القاسية هو تحقير الأنبياء والرسل الذين آمن بهم عشرات ملايين الناس من كل قوم؟ فالذي يسيء إلى نبي أو يؤيد المسيء أو يصادقه ثم يريد أن يتصالح مع القوم الذين يفدون ذلك النبي بالقلب والروح، إنما هو سفيه وغبي إلى درجة لا نظير له في العالم في السفاهة والغباوة. الذي يشتم أبا أحد ثم يريد أن يرضى به ابنه أتى له ذلك؟ (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٨٢-٣٨٣)

قال ﷺ ردًا على سؤال: هل كان زرادشت نبيًا؟

لا أقول إلا آمنْتُ بالله ورسله. إننا نؤمن بأنبياء الله جميعا. ولكن الله لم يُطلعنا على أسماء جميع الأنبياء ووقائعهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾. لقد ظل ملايين الناس يولدون ويسكنون في بلاد مختلفة فلا يمكن أن يتركهم الله هكذا دون أن يتم عليهم الحجة بإرسال نبي. لقد ظل الأنبياء يأتون فيهم على أي حال، فيمكن أن يكون هو أيضا أحد من هؤلاء الرسل، ولكن تعليمه الصحيح ليس معلوما الآن لأن بعض الأشياء تغيّرت تماما نتيجة التحريف اللفظي والمعنوي بمرور الزمان. غير أن الحفظ الحقيقي وُعد به للقرآن الكريم وحده. يجب على المؤمن أن يحسن الظن أكثر من سوء الظن. لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:

(٢٥)، لذا يمكن أن يكون هو أيضا رسولا. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧ م، ص ٥)

لقد جاء الأنبياء في كل قوم، وإن لم نعرف أسماءهم جميعا فهذا أمر آخر: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾. ينسى الناس تعاليمهم بسبب مرور زمن طويل وينسبون إليهم تعليما مغايرا تماما. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٧، عدد ٦٥/٣/١٩٠٨ م، ص ٧)

ورد في سورة النور أيضا أن السلسلة المحمدية مثيلة للسلسلة الموسوية. لم يذكر القرآن الكريم الأنبياء الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام، بل قال عنهم: "لم نقصص"، كذلك لم يذكر الخلفاء الذين كانوا في وسط السلسلة المحمدية، بل كما ذكر عند الحديث عن سلسلة موسى من كان في بدايتها وفي نهايتها، كذلك ذكر هنا أن بداية السلسلة المحمدية سيكون على مثل موسى، ونهايتها على مثل عيسى. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠١ م، ص ٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة فصلت



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١٢-١٣: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

"فهذه الآيات كلها تدل على أن الله الحكيم العليم الرحيم الكريم المتفضل، خلق السماوات والأرض كذكرٍ وأنثى، واقتضت حكمته أن يجمعهما من حيث الفعل والانفعال، ويجعل بعضهما مؤثرا في بعض، وهذا معنى قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٨٩)

ورد في هذه الآيات بصراحة وهو أن الله خلق سبع سماوات في يوم الخميس والجمعة، وفهم سكان كل سماء أمرهم المتعلق بتلك السماء، وزين السماء الدنيا بقناديل النجوم، كما خلق هذه النجوم لأن أمور حفظ العالم الكثيرة كانت تتوقف عليها. هذه تقادير الله العزيز العليم. ... فقد تبين من هذه الآيات أن الأمور مثل جعل السماوات سبعة، وتدبير أمورها الداخلية قد تحققت خلال يومين متبقيين، أي في يوم الخميس والجمعة. ويثبت من الآيات الأولى التي كتبناها أنفاً أن خلق آدم كان بعد خلق سبع سماوات وبعد الفراغ من النظام الأرضي والسمائي. باختصار؛ بعد خلق ما في العالم كله خلق آدم. ولما كانت كل هذه الأعمال لم تنته في يوم الخميس فقط، بل قد استغرقت شيئاً من يوم الجمعة أيضاً، كما يتبين من: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي لم يقل الله في هذه الآية: "في يوم" بل قال: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾. فعلم منه يقينا أن الجزء الأول من يوم الجمعة استغرق في خلق السماوات والنظام الداخلي لها. لهذا قد تقرّر بنص صريح أن آدم خلق في الجزء الأخير من يوم الجمعة. ولو أثار أحد شبهة بأن من المحتمل أن يكون آدم قد خلق في اليوم السابع، فالآية الرابعة من سورة الحديد تزيل هذه الشبهة وهي: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الحديد: ٥)، أي بعد الفراغ من خلق المخلوقات كلها في ستة أيام، بدأ يظهر صفّي العدل والرحمة. إن استواء الله على عرش الألوهية يشير إلى أنه بعد أن خلق الخلق كله بدأ يتصرف معهم بمقتضى العدل والرحمة والسياسة. فهذا التعبير مستمد من أنه حين يحضر أصحاب القضية كلهم وأركان الدولة والجيش بهيبتهم وتكون أعمال المحكمة على أوجها حيث يطلب كل ذي حق حقه من العدل الملكي، وتتوفر جميع أسباب العظمة والهيبة، يأتي الملك بعد الجميع ويزين عرش المحكمة بوجوده الكريم. باختصار؛ قد ثبت من هذه الآيات أن آدم خلق في الجزء الأخير من يوم الجمعة، لأن سلسلة الخلق قد انقطعت بعد اليوم السادس. والسبب أن اليوم السابع هو يوم الاستواء

على العرش لا يوم الخلق. إن اليهود وصفوا اليوم السابع يوم الراحة، لكن ذلك سوء فهمهم، بل هو تعبير معناه أن الإنسان حين يفرغ من مهمة عظيمة فكأن ذلك الوقت وقت راحته. فالنصوص من هذا النوع في التوراة من قبيل المجاز ولا تعني أن الله تعب في الحقيقة ولم يجد بدا من الراحة نتيجة الإرهاق والمشقة.

هناك أمر آخر عن هذه الآيات؛ فما معنى قول الملائكة لله ﷻ: أَتَجْعَلُ الْمَفْسَدَ خَلِيفَةً؟ فليتضح أن الحقيقة أن الله حين خلق في اليوم السادس سبع سماوات وقضى وقَدَّرَ أمر كل سماء، وقُرْبَ اليوم السادس - الذي هو يوم نجم السعد الأكبر، أي المشتري - على الانتهاء، ولاحظ الملائكة الذين كانوا قد أوتوا علم السعد والنحس - حسب مدلول الآية ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ وكانوا قد علموا أن السعد الأكبر هو المشتري - أن آدم في الظاهر لم يجد نصيبا من هذا اليوم، إذ ما تبقى من اليوم قليلٌ جدا، فخطر ببالهم أن خلق آدم سيكون في وقت "زحل"، وأن فطرته ستودع التأثيرات الزحلية من القهر والعذاب وغيرها، ومن ثم سيتسبب في ظهور فتن كثيرة، فكان الاعتراض مبني على ظن لا يقين. فاعترضوا بناء على الظن وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؟ وحسبوا أنفسهم زهادا وعابدين ومقدسين ومنزهين من كل سيئة، بالإضافة إلى أن خلقهم كان في عصر المشتري الذي هو رمز للسعد الأكبر. فقال لهم ﷻ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣١)، أي أنكم لا تعلمون متى سوف أخلق آدم؟ سأخلقه في الساعة التي هي أكثر ساعات بركة من يوم المشتري. وصحيح أن يوم الجمعة هو يوم السعد الأكبر، إلا أن ساعة العصر فيه قد فاقت كل ساعة سعادة وبركة. فقد خلق آدم، في آخر ساعات يوم الجمعة، أي وقت العصر. ولهذا السبب هناك حث في الأحاديث على الإكثار من الدعاء بين العصر والمغرب يوم الجمعة. فإن فيه ساعة يجاب فيها الدعاء. فهذه الساعة هي نفسها التي لم يكن الملائكة أيضا على علم بها. فمن خلق في هذه الساعة يسمى آدم في السماء، ويوضع به أساس لسلسلة عظيمة. فقد خلق آدم في هذه

الساعة حصراً، ولهذا السبب أعطي آدم الثاني أيضاً- أي هذا العبد المتواضع- الساعة نفسها، وإلى ذلك أشير في الإلهام الوارد في البراهين الأحمدية: "ينقطع آباؤك ويبدأ منك"، انظروا البراهين الأحمدية، الصفحة ٤٩٠. ومن المصادفات الغريبة أن هذا العبد المتواضع لم يولد فقط في الجزء الأخير من الألف السادس- الذي له العلاقة بالمشتري نفسها التي كانت لآدم باليوم السادس أي بجزئه الأخير- بل قد وُلد هذا العبد المتواضع في يوم الجمعة، وفي الرابع عشر بحسب القمر. وهناك أمر آخر جدير بالبيان هنا أنه لو طرح سؤال أنه لماذا بوركّت الساعة الأخيرة من يوم الجمعة وهي وقت العصر، التي خُلِق فيها آدم، لهذه الدرجة؟ ولماذا خُصّت بخلق آدم؟ فجواب ذلك أن الله جعل نظام تأثير الكواكب بحيث ينال كوكب في الجزء الأخير من عمله شيئاً من تأثير الكوكب القادم اللاحق به. فلما كان الليل قريباً من وقت العصر الذي خُلِق فيه آدم، كان ذلك الوقت حائزاً على شيء من تأثير زحل أيضاً، كما كان مستفيضاً بفيض المشتري الحائز على تأثيرات صبغة الجمال. فقد خلق الله آدم يوم الجمعة وقت العصر لأنه كان يريد أن يخلق آدم جامعاً للجلال والجمال. وإلى ذلك تشير الآية ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: ٧٦)، أي خلقت آدم بيديّ. فالواضح الجلي أن يَدَي الله ليستا كيدَي الإنسان، وإنما المراد من اليدين، التجلي الجمالي والجلالي. فالمقصود من هذه الآية أن آدم خُلِق جامعاً للتجلي الجلالي والجمالي. ولما كان الله لا يريد أن يضيع سلسلة علمية، فقد استخدم عند خلقه لآدم تأثيرات هذه الكواكب التي صنعها بيديه. وليكن معلوماً أن هذه النجوم ليست للزينة فقط، كما يزعم عامة الناس، بل لها تأثيرات، كما يتبين من كلمة "حفظاً" في آية: ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا﴾. أي لهذه النجوم علاقة بحفظ نظام العالم، مثلما للدواء والغذاء علاقة بصحة الإنسان. وليس لها أي دخل في اقتدار الألوهية، بل إن كل هذه الأشياء بمنزلة الميتة أمام الجبروت الإلهي، فلا تقدر على فعل شيء دون إذن إلهي. إن تأثيراتها بيد الله. فالأمر الواقع الحق أن للنجوم تأثيرات في الأرض، فلا أحد أكثر جهلاً في

الأرض ممن يؤمن بتأثير "البنفسج" و"زنبق الماء" و"تريد" و"سقمونيا" و"خيار شنبر" ويرفض تأثيرات النجوم التي هي مظاهر لتجلي القدرة الإلهية من الدرجة الأولى. وهي مظهر العجائب، التي استخدم الله نفسه بحقها كلمة "حفظا". فهؤلاء الغارقون في الجهل حتى الرأس - الذين يعدّون هذه السلسلة العلمية من الشرك - لا يعرفون أن قانون قدرة الله في العالم أنه لم يخلق أي شيء باطلا وعقيما وعديم التأثير. فحين يقول إن كل شيء سُخر للإنسان، فأخبروا الآن أي فائدة يجلبها للإنسان ملء "سماء الدنيا" ببلايين النجوم؟

أما قول الله تعالى بأن كل هذه الأشياء قد خلقت لمنفعة البشر فيجذب انتباهنا حتما إلى أن هذه الأشياء أودعت تأثيرات خاصة تؤثر في حياة الإنسان وتحضره. كما كتب الحكماء المتقدمون أن الأرض في البداية كانت غير مستوية جدا، فسوّاها الله بتأثيرات النجوم. وإن هذه النجوم ليست محصورة في السماء الدنيا فقط كما يظن الجهلة، بل تقع على مسافات شاسعة عن بعضها. ففي السماء نفسها يتراءى المشتري الواقع في السماء السادسة كما يُرى زحل الواقع في السماء السابعة. وسُمي زحل لكونه أبعد النجوم مسافةً، لأن زحل في المعاجم تعني الأبعد أيضا. والمراد من السماء، الطبقات اللطيفة التي يتميز بعضها عن الآخر بخواصها. فمن الجهل القول أيضا إن السماء ليست بشيء، ذلك لأننا إذا صعدنا إلى العالم الأعلى لن يظهر لنا الخلاء والفراغ المحض في أي مكان. فكامل الاستقراء الذي هو على الدرجة الأولى لاستكناه المجهولات، يفهمنا بجلاء وصراحة أنه ليس هناك خلاء محض أو فراغ. فكما خلق آدم الأول متمتعاً بتأثيرات المشتري وزحل، أي بصبغة الجلال والجمال، يتمتع مثل ذلك الآدم الذي وُلد في نهاية الألف السادس بكلا نوعي التأثيرات. فعلى قدمه الأولى إحياء الموتى، وعلى الثانية موت الأحياء، أي في القيامة. وقد جعل الله في زمنه علامات الرحمة والغضب أيضا، لتثبت صفتا الجمال والجلال. أما ما قال الله ﷻ عن الزمن الأخير بأن الشمس والقمر كلاهما

سيظلم في وقت واحد، ويحدث الخسف في عدة أماكن في الأرض، وتنسف الجبال، فكل هذه علامات القهر والجلال. فعن زمن غلبة المسيحية أيضا توجد مثل هذه الإشارات في القرآن الكريم، لأنه قد ورد قوله ﷻ ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ عند غلبة هذا الدين، ويحدث الموت نتيجة الخسف وغيره. باختصار؛ إن وجود آدم الثاني أيضا جامع الجلال والجمال، ولذلك خلق في نهاية الألف السادس. وهو يوم الجمعة من أيام الدنيا بحساب الألف السادس، ووقت العصر من يوم الجمعة حيث ولد آدم. وفي سورة الفاتحة هناك إشارة لطيفة بخصوص هذا المقام؛ وهي أنه لما كانت سورة الفاتحة تذكر المبدأ والمعاد، أي ذكرت صفات الله من الربوبية إلى مالِك يوم الدين، فنظرا لهذه العلاقة قد قسمها الحكيم الأزلي على سبع آيات ليشير إلى أن عمر الدنيا سبعة آلاف عام. والآية السادسة لهذه السورة هي: ﴿هُدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فكأنها تشير إلى أن ظلام الألف السادس سيتطلب الهدى السماوي، وأن الطبائع الإنسانية السليمة ستطلب من الله هاديا أي مسيحا موعودا. وأنتهى هذه السورة على "الضالين"، أي على الآية السابعة التي تنتهي على كلمة الضالين. ففيها إشارة إلى أن القيامة ستقوم على الضالين. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٧٨-٢٨٤ الحاشية)

الآية ٢٤: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ

الْحَاسِرِينَ﴾

على الإنسان أن يجتنب إساءة الظن بالله لأن عاقبته الهلاك في نهاية المطاف كما قال ﷻ ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْحَاسِرِينَ﴾، لذا فاعلموا أن سوء الظن بالله تعالى هو في الحقيقة بذر الإلحاد، ويؤدي في النهاية إلى الهلاك، فكلما بعث الله أحدا رسولا منه هلك كل من عارضه. (الحكم،

الآية ٢٧: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

... أي عندما يُقرأ عليكم القرآن ألغو فيه بكلام هاذئ. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٧، الحاشية رقم ١١)

الآية ٣١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

ثابت من الأحاديث الكثيرة والقرآن الكريم أن الذي يحرز مرتبة الانقطاع الكامل والتوكل الكامل، تُسَخَّرُ الملائكة لخدمته؛ فيخدمه كلُّ ملاك بما يتلاءم مع منصبه، إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٧٦)

... الذين لا ينقص إخلاصهم قط عند حلول أية مصيبة أو آفة أو زلزال أو امتحان تنزل عليهم الملائكة وتقول لهم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٩٨)

... لاحظوا الآن، لقد عُدَّتْ المكاملة الإلهية والقبول في حضرة الله وكونه تعالى وليًا وكفيلًا وتأسيس حياة الجنة في هذه الدنيا وكون الله حاميا ونصيرا لهم، آية. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٤٥-١٤٦)

أي أن الذين قالوا ربنا الله وتخلوا عن الآلهة الباطلة، ثم استقاموا، أي ثبتوا في أنواع الاختبارات وصنوف البلايا تنزل عليهم الملائكة قائلين: لا تخافوا ولا تحزنوا، بل ابتهجوا وافرحوا لأنكم أصبحتم ورثة تلك السعادة التي وُعدتم بها. إننا أولياؤكم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة أيضا. ولقد نبه بهذه الكلمات إلى أن الاستقامة تُكسب رضى الله تعالى.

الحق أن الاستقامة فوق الكرامة. وكمال الاستقامة أن نرى البلايا قد حاصرتنا من الجهات الأربع، وأن نجد أنفسنا وعرضنا وشرفنا عرضةً للخطر في سبيل الله، ولا نجد سبيلاً للسلوان، حتى أن الله أيضاً يُمسك عنا كشوفه ورؤاه وإلهامه على سبيل الاختبار، ويتركنا في أخطار مهولة؛ فلا نبدي مع كل ذلك فشلاً، ولا نتقهقر كالجبناء، ولا نخلّ في وفائنا، ولا نقصر في صدقنا وثباتنا، بل نفرح على الذلة، ونرضى بالموت، ولا ننتظر صديقاً يكون لنا عوناً على الثبات، ولا نطلب من الله بشارات بحجة أن الموقف خطير، وإنما نتصب قائمين رغم الضعف والخذلان وفقدان سبيل السلوان، ونضع أمامه رقابنا دون تفكير في العواقب، ولا نتحرك أمام القضاء والقدر، ولا نبدي أبداً أي قلق أو جزع أو فزع، إلى أن يستوفي الاختبار أجله.

هذه هي الاستقامة التي يلاقي بها الإنسان ربه، وهي العطر نفسه الذي لا يزال عبيره يفوح حتى اليوم من تربة الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٩-٤٢٠)

أي أن أولياء الله يتلقون البشارة بالوحي والمكالمة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وليكن معلوماً أن الوحي هنا لا يعني ما يقع في النفس نتيجة تفكير كما قد يحصل للشاعر إذا حاول نظم الشعر، أو قال جزءاً من البيت وأجال الفكر للثاني فوقع الجزء الثاني في قلبه. فما يقع في القلب هكذا ليس من قبيل الوحي، وإنما هو ثمرة لتفكيره وتأمله تبعاً لقوانين الطبيعة. فمن يفكر في الحسنات أو في السيئات لا بد وأن يقع في قلبه شيء بحسب سعيه. فمثلاً هناك رجل صالح صادق يقرض أحياناً ذوداً عن الحق، وهناك شخص آخر خبيث فاجر يدافع في آيياته عن الباطل، ويسب أهل الحق، فكلاهما ينجح بعض النجاح في نظم القوافي، بل لا غرابة لو جاء شعر هذا العدو لأهل الحق والمدافع عن الباطل أحسنَ نظماً منه لدوام ممارسته نظم الشعر. فلو كان وقوع أفكار في القلب يسمى وحياً، فلا بد أن يُسمى الشاعر الشرير -الذي يعادي الحق وأهله ويحمل قلمه دائماً ضد الحق ويلجأ إلى الافتراء-

مُلْهِمًا من الله! وإنكم تجدون البيان الساحر في الروايات وغيرها، وترون كيف أن المواضيع الباطلة تُلقى في قلوب مؤلفيها محبوكة سلسلة فهل يجوز أن نسميها وحيا؟ بل لو كان الوحي اسما مجرد ما يقع في القلب من أمور لَعُدَّ السارق أيضا من الملهمين، فإنه كثيرا ما يُعمل فكره فيأتي بحيل رائعة للنُقب والسرقة، وتمر بخاطره أساليب مدهشة للنهب وسفك الدماء، فهل يجوز إذن أن نسمي هذه الطرق الخبيثة جميعها وحيا؟ كلا، بل إنما هو ظن أولئك الذين لم يعرفوا ذلك الإله الحق الذي بنفسه يُطَمِّئُ القلوب بكلامه الخاص، ويهب المعارف.

ما هو الوحي؟ إنه مكاملة القادر القدوس مع عبدٍ من عباده الأخيار، أو مع من يريد أن يصطفيه بكلام حي ذي قدرة، فإذا ابتدأ هذا الحوار بقدر كافٍ وعلى نحو مُرضٍ شافٍ، بحيث لا تشوبه ظلمة الأفكار الفاسدة، ولا يكون غير كافٍ أو مشتملاً على كلمات قليلة غامضة، بل كان على العكس كلاما لذيذا ذا حكمة وجلال؛ فذلك كلام الله يريد به أن يُطَمِّئَ عبده ويُظهر عليه نفسه. غير أن كلام الله مع العبد قد يكون على سبيل الاختبار فقط، ويفتقد إلى البركة والكفاية، ويراد به اختبار العبد في حالته البدائية ليدوق لذة قليل من الوحي، فإما أن يجعل به حاله وقاله كمثل الملهمين الصادقين، وإما أن يتعثر. فإن لم يسلك كالصادقين طريق السداد الحقيقي أصبح محروما من استيفاء تلك النعمة، فلا يبقى في يده إلا هتافات زائفة.

لقد تلقى الوحي الملائيين من عباد الله الصالحين، لكن منزلتهم لم تكن واحدة عند الله. بل حتى أنبياء الله الأطهار الذين يتلقون وحيا من الطراز الأول بكل صفاء وجلاء ليسوا سواء في المرتبة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٧-٤٣٩)

... أي أن الذين يؤمنون بالله تعالى ثم يبدون الثبات والاستقامة تنزل عليهم الملائكة بإلهامات مبشرة وتُطَمِّئُ قلوبهم، كما طمأنّت أمّ موسى عليه السلام عن طريق الوحي. ويوضح القرآن الكريم أن مثل هذه الإلهامات أو الرؤى نعمة روحانية لعامة

المؤمنين رجالاً ونساءً، إلا أنها لا تجعلهم في غنى عن الإيمان بإمام الوقت بعد تلقيهم مثل هذه الإلهامات، لأن معظم هذه الإلهامات تتعلق بأمور تخص متلقيها، ولا يُتوخى منها إفاضة العلوم، ولا يقوم على أساسها أي تحدٍ عظيم، ولا يُعتمد عليها، بل يسبب معظمها العثار في أحيان كثيرة، ولا يكون أحدًا أبدًا في مأمن من العثار ما لم تُسعفه إفاضة العلوم من قبل الإمام. وهناك شهادة على ذلك في صدر الإسلام إذ كان أحد كُتّاب الوحي أحيانًا - بسبب قربه من نور النبوة - يتلقى وحيًا بعض الآيات القرآنية التي كان الإمام (أي النبي ﷺ) يريد منه اكتتابها، فزعم في أحد الأيام أنه ليس من فرقٍ بينه وبين النبي ﷺ إذ أصبح هو الآخر يتلقى إلهامًا مماثلاً، فأهلك بسبب هذا الظن كما أهلك بلعام باعور، وورد في بعض الروايات أن قبره قد لفظه خارجًا. (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧٣)

...إن الذين يقولون بأن ربنا جامعٌ لجميع الصفات الكاملة ولا شريك له في ذاته ولا في صفاته، ثم يثبتون ويصمدون على ذلك ولا يتزعزع إيمانهم وإخلاصهم مهما هزّتهم الزلازل ونزلت عليهم البلايا أو واجههم الموت؛ تنزل عليهم الملائكة ويكلّمهم الله قائلاً: لا تخافوا البلايا والأعداء الشرسين ولا تحزنوا على مصائب سبقت، فأني معكم وسأهب لكم في هذه الدنيا الجنة التي وعدتم بها، فافرحوا بها. فليتضح أن هذه الأمور ليست بدون شهادة عليها، وهي ليست بوعود لم تتحقق، بل قد نال هذه الجنة الروحانية ألوف من أصحاب القلوب النيرة من المسلمين. الحق أن الإسلام دينٌ قد جعل الله تعالى أتباعه المخلصين ورثةً للصادقين السابقين كلّهم، وأعطى هذه الأمة المرحومة كافة نعمهم المتفرقة. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٦١)

أي أن الذين جاءوا تحت ربوبية الله تعالى، أي حين توضع البيضة البشرية تحت الاسم الأعظم أي الاستقامة، تنشأ فيهم من الكفاءة ما يجعل الملائكة تنزل عليهم، ولا يبقى لهم خوف ولا حزن.

لقد قلت آنفاً إن الاستقامة لشيء عظيم. فما هي الاستقامة؟ اعلموا أن كل شيء إذا كان موضوعاً في محله ومقامه سُمِّيَ الحكمة والاستقامة. فمثلاً لو قمنا بتفكيك جهاز المنظار وفصل كل أجزائه التركيبية عن مكانها الأصلي، فلن ينفع أبداً. فوضع الشيء في محله هو الاستقامة، أو بتعبير آخر إن الهيئة الطبيعية للشيء هي الاستقامة. وإننا ما لم نترك البنية الإنسانية في وضعها الطبيعي تماماً، ولم نضعها في حالة مستقيمة، فمن المستحيل أن تحرز كمالاتها المنشودة. فالأسلوب السليم للدعاء إنما هو أن يجتمع فيه الاسمان الأعظمان، وأن يتوجه الداعي إلى الله تعالى ولا يتوجه إلى أحد غيره، وإن كان هذا الغير وثنَ أهوائه وأطماعه، وعندها يذوق الداعي طعمَ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ١٣-١٤)

إذا كان المرض والكسل والحزن... لأسباب روحانية فلا علاج لها أفضل مما بينه الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ... عَفْوٍ رَحِيمٍ﴾. إذاً، إن عدَّ المرءُ الله تعالى ولياً وكفيلاً له وعدم اهتزازه نتيجة الامتحانات الضرورية والابتلاءات وبقائه مستقيماً الأحوال أيضاً- علاج الخوف والحزن. (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ٢٣-٢٤)

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾... هم قوم يقولون ربُّنا الله، ثم يتحلَّون بالاستقامة، أي يوفون بوعدهم الذي قطعوه بلسانهم.

والابتلاء ضروري كما تشير هذه الآية: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٣). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾. لقد أخطأ المفسرون إذ قالوا إن نزول الملائكة هذا يكون وقت الاحتضار. وهذا قول باطل، وإنما معنى هذه الآية أن الذين يطهرون قلوبهم وينأون بنفوسهم عن النجاسة التي تُبعد عن الله تعالى، يصبح لهم الانسجام مع الوحي، فيبدأ نزوله عليهم.

ثم قال الله تعالى ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية

أي الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتَبَتُّوا ورغبوا في الله تعالى معرضين عن كل ما سواه. والمراد أن النجاح موقوف على الاستقامة التي تعني معرفة الله وعدم الخوف من أي ابتلاء وزلزال وامتحان، والنتيجة الحتمية للاستقامة أن صاحبها يصبح مهبطاً لمكالمة الله ومخاطبته كالأنبياء. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤٢)

إن علامة الدين الحق أن يوجد فيه نتيجة تأثير تعاليمه الصادقون الذين يبلغون درجة المحدثين ويحدِّثهم الله شفاهاً. وإن أولى علامات حقيقة الإسلام وصدقِه أنه يوجد فيه دائماً الصالحون الذين يكَلِّمهم الله: ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾. هذا هو المعيار للدين الحق والحيِّ والمقبول عند الله تعالى. ونعلم جيداً أن هذا النور لا يوجد إلا في الإسلام فقط، وأن الديانات الأخرى محرومة من هذا النور. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٩، عدد ٢٤٤/٥/١٩٠١م، ص ٤)

أي أن الذين يأتون إلى الله لا يكتفون بذلك فقط بل يبدون الاستقامة والثبات على الصراط المستقيم نفسه، ونتيجة لذلك يقطعون أشواط التطهير وتنوير القلوب، وبعد انشراح الصدر الذي يتحقق لهم بمجرد الفضل من الله، يتمتعهم الله بنعمه الخاصة، حيث يصبح الحب والذوق الإلهي غذاءهم، ويُسَرِّفون بنصيب من المكالمة الإلهية والوحي والإلهام والكشف، وغيرها من الإنعامات الإلهية، وتنزل عليهم السكينة والطمأنينة من الله تعالى، ولا يقترب منهم اليأس والحزن، وهم يتمتعون بعاطفة الحب والعشق الإلهي كل حين وآن وكأنهم مصداقٌ تماماً لقوله تعالى ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف: ١٤)، لله درٌّ من قال:

كليد این همه دولت محبت است و وفا خوشا کسی که چنین دولت عطا باشد

أي: مفتاح كل هذه الثروة هو الحب والوفاء، وسعيد من فاز بهذه الثروة.

باختصار؛ إن الاستقامة شيء عظيم، فببركة الاستقامة فقط ظل حزب الأنبياء كلهم ينالون مرامهم مظفرين ومنصورين. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٥، عدد

أما الإلهام أي الوحي الإلهي فلا يحظى به أحد ما لم يتصالح مع الله كلياً وما لم يضع عنقه تحت نير طاعته. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وقد أشير إلى ذلك في هذه الآية. إن نزول الوحي منوط بالذين يستقيمون في سبيل الله، وهم المسلمون فقط. (بدر، مجلد ٤، رقم ٨، عدد ١٩٠٥/٣/١٣ م، ص ٢)

الذين أثبتوا بقولهم وفعلهم أن الله ربنا ... والآن، لا يمكن أن تنزل الملائكة بغير المكاملة والمخاطبة. كلا، بل الملائكة يبشرونهم. هذه هي ميزة الإسلام وكماله الذي لم تحظ بها الأديان الأخرى. الاستقامة صعبة، أي سواء أخلت بهم الزلازل أو الفتن أو ألقوا في أنواع المصائب، لا يحدث الخلل في استقامتهم بل يزدادون إخلاصاً ووفاء. هم الذين يستحقون أن ينزل عليهم ملائكة الله ويبشروهم بالألأ يحزنوا. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤، عدد ١٩٠٦/١/٣١ م، ص ٢)

الذين آمنوا بالله ثم ظلوا يتقدمون إلى الأمام بالاستقامة والصمود في المصائب والمصاعب والعسر واليسر ونجحوا في كل الامتحانات تكون النتيجة أن الملائكة ينزلون عليهم قائلين بأننا أولياؤكم، فلن تواجهوا حزناً في الحياة الدنيا. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤٢، عدد ١٩٠٦/١٢/١٠ م، ص ٣)

... الذين لم تصرفهم مصيبة أو آفة من إقرارهم هذا تنزل عليهم الملائكة. هذه وسيلة مثلى لمعرفة الله، وبها ينشأ يقين يورث الإنسان النجاة، لأنه إذا نشأ إيمان بالله حدث في حياة الإنسان تغيرٌ معجز فيخرج المرء من حياة الذنوب ويلبس لباس الطهارة والتزكية. هذه هي النجاة التي تُنقذه من الذنب وتتولد فيه ثمراتها وبركاتها بصورة اليقين الكامل والتوكل على الله ويُرى المرء معجزات وآيات. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤ م، ص ٦)

المراد منهم أيضاً الأتقياء. ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أي حلت بهم الزلازل وتعرضوا للابتلاءات وهبت عليهم العواصف ولكنهم لم ينحرفوا عن عهد قطعه. يقول الله

تعالى بعد ذلك إنهم عندما فعلوا ذلك وأبدوا الصدق والإخلاص نالوا جزاء: ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قائلين ألا تخافوا ولا تحزنوا لأن الله وليكم. ﴿وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ المراد من الجنة هنا هي جنة دنيوية كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ثم يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥١)

إن علامة الدين الحق هي قدرته نتيجة تعاليمه على خلق الصادقين الذين سيصلون لاحقاً إلى مرتبة المحدثين فيحدهم الله وجهاً لوجه. وإن أولى علامة على صدق الإسلام وحقيقته هي أنه يوجد فيه دوماً الصالحون الذين يحظون بمكاملة الله تعالى: ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾. فهذا هو معيار الدين الصادق الحي والمقبول عند الله. حيث إننا نعلم جيداً أن هذا النور يوجد في الإسلام فقط، وأن الديانة المسيحية محرومة منه. (حجة الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٤٣)

الآية ٣٢-٣٣: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾

فقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يكذب أيضاً أولئك الجاهلين الذين أنكروا نزول الملائكة في هذه الحياة. إذا كانت الملائكة تنزل عند سكرات الموت، فكيف ثبتت ولاية الله لعباده هؤلاء في الحياة الدنيا؟ (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٧-٣٨)

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾... أي قد وجدتم الآن تلك الجنة، وبذلك بدأت حياة الجنة من الآن، ولكن كيف بدأت؟ فقال: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ... إلخ﴾. وفي كلمة "نزل" أشار إلى

ثمرة ذكرت في الآية: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ (إبراهيم: ٢٦). (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢٦)

اعلموا يقينا أن من علامات الذين يحبون الله (جل شأنه) حبا صادقا وهو يحبهم ولا يستولي عليهم الخوف ماذا سيأكلون وما يشربون، أو كيف يجتنبون بلاء كذا وكذا، أنهم يؤهبون الطمأنينة فلا يصيبهم الخوف من المستقبل لأنهم يُرزقون الصبر والسلوان. والعلامة الثانية هي أنهم يكونون كاملين في الإيمان ويسلكون مسلك التقوى، أي يتعدون عن أمور تعارض الإيمان وتنافي الطاعة. وعلامتهم الثالثة أنهم ينالون في هذه الدنيا بشارات بواسطة مكاملة الله تعالى والرؤى الصالحة، ولهم في الآخرة أيضا من الله عهدٌ لن يُخلف. وهذه هي المرتبة العظيمة التي هم حائزون عليها. أي أن عباد الله الخواص الذين هم أولياؤه ينالون نصيبا من مكاملة الله والرؤى الصالحة حتما. وإن أكبر علامة على ولايتهم هي أنهم يُكرمون بمكالمات الله ومخاطباته. وهذه سنة الله جلّ شأنه أن الذين يعرضون عن الأرباب المتفرقة ويؤمنون بالله جلّ شأنه ربّا ويعلمون أن الله ربنا الوحيد-أي لا ننظر إلى ربوبية أحد سواه- ثم يستقيمون عند الابتلاءات، مهما كانت الزلازل شديدة ومهما هبت العواصف وعمّ الظلام، ولا يتطرق إليهم أدنى تزلزل أو تغيير أو اضطراب بل يقولون مستقيمين، تنزل عليهم الملائكة. أي ينالون البشارات بالإلهام والرؤى الصالحة من الله بأني وليكم وكفيلكم في الحياة الدنيا والآخرة وستنالون في الآخرة ما تشتهي أنفسكم، أي إذا واجهتم بعض المكروهات في الحياة الدنيا فلا تخافوا لأن كل الهموم والأحزان ستزول في الآخرة، وستنالون جميع مراداتكم. وإذا قال أحد كيف يمكن أن ينال المرء في الآخرة كل ما تبتغيه نفسه؟ قلت: هذا ما يجب أن يحدث بالضرورة لأن هذا ما يسمّى النجاة. وإلا فلو نال الإنسان النجاة ومع ذلك ظل يبتغي بعض الأشياء واحترق من أجلها كمداء، ولم يجدها فما معنى النجاة إذّا؟ لأنه في هذه الحالة يمر بنوع من العذاب. لذا فإن مقام النجاة أو الجنة التي هي مقام السعادة العظمى

من الضروري أن ينال فيها الإنسان سعادة نزيهة من كل الوجوه ولا يعكّر صفوه حزن ظاهري أو باطني ولا يستولي على قلبه خطرٌ فشلٍ.

صحيح أنه لن تكون في الجنة أمور لاغية وعشية بل لن تنشأ في القلوب الطاهرة حتى آية رغبة فيها. بل ستنشأ في القلوب المقدسة والمطهرة - التي نُزعت منها الأفكار الشيطانية - رغباتٌ حسنة فقط بحسب فطرة الإنسان الطاهرة ومشئئة الخالق لينال الإنسان سعادته الظاهرية والباطنية والمادية والروحانية كاملة.

ويُسمّى إنساناً كاملاً نتيجة ظهور قواه على وجه الكمال لأنه ليس المراد من دخول الجنة محو نقوش البشرية كما يزعم معارضونا من المسيحيين والآريا بل المراد من ذلك أن تلمع نقوش فطرة الإنسان كاملة ظاهراً وباطناً وتعَدّل جميع أنواع الاعوجاج وتتجلى بصورة سليمة تماماً الأمور الضرورية لخلق الإنسان الظاهري والباطني. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٧٩-٤٨١، الحاشية)

الآية ٣٥: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

أي عاملٌ من أساء إليك بالحسنى يُكُنْ لك صديقاً حميماً بعد أن كان عدوّاً.

(فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٤٩)

أي إذا أحسن إليك أحد فأحسنِ إليه أكثر مما أحسن إليك، ولو فعلت؛ لتحوّلت العداوة بينكما - إن وُجدت - إلى صداقة، وكأنه صديق وقريب أيضاً.

(محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٦)

كان الهدف من هذا التعليم أن يتحول العدو إلى صديق حميم نتيجة اللطف وحسن المعاملة، وأن يسمع الكلام بهدوء وسكينة. (محاضرة لدهيانة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٧٥)

وللتقوى عناصر عديدة، فالكفّ عن العُجب والزهو وأكل المال الحرام وسوء الخلق أيضا كلها شعب التقوى. إن صاحب الخلق الحسن يصبح أعداؤه أيضا أصدقاء له. قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾. فكبروا ماذا يعلمنا الله هنا؟ إنما يريد الله بذلك أنه إذا شتمكم أحد من المعارضين فلا تردّوا عليه بالشتيمة بل اصبروا، لأن هذا يجعل المعارض يعترف بفضلكم فيندم ويخجل، وهذه العقوبة أشدّ إيلاّمًا له من العقوبة التي قد تصبّونها عليه انتقاما. قد يدفع هذا الموقف (الشتّم) بشخص عادي لسفك دم الخصم أيضا، ولكن هذا ليس مما تقتضيه الإنسانية والتقوى. إن حسن الخلق ميزة تؤثر حتى على أشد الناس إيذاء. ونعم ما قال الشاعر:

لطف كن لطف كه يگانه شود حلقه بگوش

أي: أحسن إلى الناس، فإن الإحسان يحول الغريب صديقا حميما. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٨٣)

أي عامل بالحسنى عدوّك الذي يعاملك بالسوء. ولو فعلت لصار لك صديقا كأنه قريب لك أيضا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٥)

تكون نتيجة المعاملة بالحسنى مقابل السيئة أنه يصبح صديقا، وكأنه ولي حميم. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد: ١١/٤/١٩٠٧م، ص ٦)

الآية ٣٨: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

واسجدوا لله الذي خلقهنّ، أي خلق الأشياء كلها. إن كنتم إياه تعبدون، أي اعبدوا الخالق نفسه ولا تعبدوا أي مخلوق. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٣، الحاشية على الحاشية رقم ٣)

أي عبدوا تلك الذات الأزلية التي وهبت الوجود لجميع الأشياء العلوية والسفلية.
(شحنة الحق، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٣٦١)

أي اسجدوا فقط للذي خلق كل هذه الأشياء بما فيها الشمس والقمر والسماء والنار والماء وغيرها. السبب وراء إيراد صيغة الجمع بعد بيان الشمس والقمر هو أن الأمم الأخرى تعبد هذه الأشياء، ولكن لا تعبدوها أنتم مطلقا. (نسيم الدعوة، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤١٨)

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾. لو
وُجدت في الفيدا عبارة تعطي معنى مثل معنى هذه الآية لما هلك عشرات
ملايين الناس نتيجة عبادة المخلوق. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية،
المجلد ٢٣، ص ٧٨-٧٩)

الآية ٤١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُدْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

حين يقوي المرء علاقته بالله ﷻ ويكون له كله من كل النواحي، يقول الله له: "اعمل ما شئت، فإني غفرت لك" يقول النبي ﷺ أن الله اطلع على أهل بدر وقال لهم ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾. فاعلموا أن الله ﷻ رؤوف ورحيم، ويتعامل بمنتهى الرفق. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٩، عدد ١٩٠٣/٨/٧، ص ٢٢٥)

يقول السيد عبد القادر الجيلاني رحمته الله: حين يرد هذا الموت على الإنسان تسقط عنه جميع العبادات. ثم طرح نفسه سؤالا: هل يصبح الإنسان متحررا، إباحيا، ويجوز له كل شيء؟ ثم رد بنفسه على التساؤل وقال: كلا فأنا لا أعني أنه يصبح إباحيا ومتحررا وإنما الحق أن أوزار العبادة تُرفع عنه، فهو لا يعبد الله تكلفا وتصنعا، بل تصبح العبادة غذاء حلوا شهيا له، ويستحيل أن تصدر منه معصية الله ومخالفته. ويجد في ذكر الله لذة وراحة، ففي هذا المقام يقال: ﴿اعملوا

ما شئتم». وهذا لا يعني أنه سمح له بارتكاب ما نهى الله عنه، كلا بل لا يقدم عليها بطبعه. مثال ذلك أنه لو أذن لأي مخصي أن يفعل ما يريد، فما الذي يمكن أن يفعله؟ إذن فالاستنتاج منه أن الفسق والفجور صار مباحا له لمن الحمق المتناهي والوقاحة الشنيعة. بل هو مقام سام حيث تكشف الحقائق، يقول الصوفية أنه عند نهايته يتلقى المرء الإلهام بحيث يكون رضاه رضا الله ﷻ وعندها يتلقى هذا الإذن.

فأوزار العبادة تبتعد عنه وتصبح العبادة غذاء حلواً له، ونظرا إلى ذلك قيل: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٦). (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣ م، ص ٤)

يقول الصوفية أن الإنسان لا يكون من الكمل ما لم يحرز الحب الذاتي، بحيث لا يكون نظره إلى الجنة والنار، وقبل ذلك يكون الفوز بالجنة واتقاء النار إلهه، لكنه حين يصل إلى هذا المقام يقال له: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، لأنه يكون رضاهم رضا الله، وما لم يبلغ المرء هذا المقام يُخشى أن تضع حسنة. (الحكم، مجلد ٨، عدد ١٤-١٥، عدد ٤/٣٠-١٠/٥/١٩٠٤ م، ص ٢)

الآية ٤٢-٤٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ *

أي أن هذا الكتاب سيبقى منزها من شوائب الباطل إلى الأبد، فلم يستطع أي باطل أن يبارزه، ولن يستطيع في المستقبل أيضا؛ بمعنى أن حقائقه الكاملة المنزهة من كل نوع من الباطل سوف تدين وتُفحم جميع المبطلين الموجودين الآن وكذلك الذين سيأتون في المستقبل، ولن تقدر فكرة معادية على مقاومته. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٧،

الآية ٥٤: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

سنريهم آياتنا قريبا في أنحاء معمورة العالم، وستظهر آياتنا في أنفسهم حتى يتبين لهم الحق. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٥، الحاشية رقم ١١)

سنريهم آياتنا فيما حول بلادهم وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن هذا النبي صادق. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٤٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الشورى



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٦: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أن الملائكة كلهم يستغفرون لسكان الأرض
جميعا. فإذا كان الذنب ضروريا للاستغفار، فلا بد لنا من القبول أن المسيح عليه السلام
أيضا لم يكن بريئا من الذنوب لأنه أيضا من أهل الأرض الذين يستغفر لهم الملائكة.

(مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٢، رقم ٦، ص ٢٤٦)

الآية ٨: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾

إن الذين يتحلون بالتقوى والأدب ويعملون بقول الله تعالى ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٧) يمكن أن يدركوا أن الخطوة التي اتخذها الوجوديون قد خرجت بهم عن حد الأدب. لقد كتب هؤلاء عشرات الكتب، ولكننا نقول هل فيهم أحد يجيبنا على سؤالنا التالي: هل الوجودي إله في الواقع أم أنه مجرد تصور وخيال؟ إذا كان إلهًا، فهل صنوف الضعف والعجز التي تلازمه كل يوم هي من صفات الله تعالى؟ إذا مرض ابن أحد الوجوديين أو زوجته مرضا بسيطًا، فلا يقدر على فعل شيء تجاهه، ولا يدري ماذا يعمل؟ إن الله تعالى هو الذي يشفي إن شاء، ولكن الوجودي لا يقدر على فعل شيء. ثم إن الوجودي يعاني من الضائقة المالية والإفلاس تارة، وتارة أخرى يحول الإثم والفسق والفجور دون أن يجد المتعة والشوق في العبادة، فهل كل هذه الأمور ملازمة لله تعالى أيضا؟ إذا كان هو الإله فيجب أن ينجز شؤونه كلها بمنتهى السهولة وفق مبدأ: (كن فيكون). ولكن الواقع أنه يتعثر عند كل خطوة عاجزا ومحتاجًا. يا أسفا على حالة الوجودي؛ إذ يدّعي بأنه الإله، ومع ذلك لا يقدر على فعل شيء. والأغرب من ذلك أن ألوهيته هذه لا تنقذه من النار، لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٩). فلو ارتكب الوجودي الإثم فلا مناص له من دخول النار عقابا عليه، وهكذا بطلت ألوهيته كلها. والوجوديون يؤمنون بقول الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، فما داموا سيكونون في الآخرة أيضا بأجساد إنسانية، فما الداعي لأن يتفوهوا بمثل هذا القول السخيف الذي ليس له نتيجة ولا أثر. (الحكم،

إذا قال أحد بأن الدنيا ستدوم إلى الأبد وستكون الجنة والنار هنا فلا نقبل ذلك. إن ذلك يخالف صفته تعالى: "مالك يوم الدين"، وكذلك يعارض مبدأ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/٢٠١٩م، ص ٦)

قال حضرته عليه السلام في بيان تفسير: "سماع خبر القيامة"، في الرؤيا:

المراد منه أن الملتزمين بالدين سينتصرون وسيواجه الأعداء ذلة لأن هذا ما سيحدث يوم القيامة أيضا. لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ هذا ما سيحدث يوم القيامة. الأبوئة المختلفة المنتشرة في الدنيا أيضا تمثل القيامة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣، عدد ٦/٢/١٩٠٣م، ص ١٨)

عصر المبعوث أيضا قيامة. فكما سوف ينقسم الناس يوم القيامة إلى فريقين أي، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ كذلك ينقسم الناس إلى فريقين عند بعثة المأمور من الله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٥/٢١/١٩٠٣م، ص ١٣)

قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى: لقد أنزلنا قرآنا عربيا لتنذر بلدا هو بمنزلة أم القرى وما حولها أي العالم كله. (منن الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٨٣)

"وإن فيها مدح القرآن وعربي مبین. فتدبرها كالعاقليين، ولا تمر بها مرور الغافلين. واعلم أن هذه الآية تُعْظَم القرآن والعربية ومكة، وفيها نور مرق الأعداء وبكت، فاقراها بتمامها، وانظر إلى نظامها، وفتش كالمستبصرين. وإني تدبرتها فوجدت فيها أسراراً، ثم أمعنتُ فرأيت أنواراً، ثم عمقتُ فشاهدتُ منزلاً قهاراً رب العالمين. وكشفتُ عليّ أن الآية الموصوفة والإشارات الملفوفة، تهدي إلى فضائل العربية وتشير إلى أنها أمُّ الألسنة، وأن القرآن أمُّ الكتب السابقة، وأن مكة أمُّ الأرضين. فافتادني بروق هذه الآية إلى أنواع التنطس والدراية، وفهمتُ سرَّ نزول القرآن في هذا اللسان، وسرَّ ختم النبوة على خير البرية وختم المرسلين. ثم ظهرتُ عليّ آيات أخرى، وأيد بعضها بعضاً تترأ، حتى جرتني ربي إلى حق اليقين، وأدخلني في المستيقنين، وظهر عليّ أن القرآن هو أمُّ الكتب الأولى، والعربية أمُّ الألسنة من

الله الأعلى، وأما الباقية من اللغات فهي لها كالبنين أو البنات. " (منن الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ١٨٣-١٨٤)

"وإن الله أومى في مقامات من الفرقان، إلى أن العربية هي أمُّ الألسنة ووحى الرحمن، ولأجل ذلك سَمَّى مَكَّةَ مَكَّةً وأمَّ القرى، فإن الناس أَرْضَعُوا مِنْهَا لِبَانَ اللِّسَانِ واهلدى، فهذه إشارة إلى أنها هي منبعُ النطق والنَّهْي، ففَكَّرَ في قول رَبِّ الورى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾، وفي ذلك آية للذي يَتَّقِ اللهَ ويخشى، ويطلب الحق ولا يأبى، ولا يَتَّبِعُ سَبِيلَ الْمُعْرِضِينَ." (منن الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٠٧)

الآية ١٢: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
إن علامة الطريق الوسط في معرفة الله هي ألا يميل الإنسان في بيان صفاته ﷻ لا إلى نفي الصفات عنه تماما، ولا إلى تشبيهه -سبحانه- بالأشياء الدنيوية. وهذا هو الطريق نفسه الذي اتبعه القرآن المجيد في بيان صفات الله تعالى. فبينما يقول إن الله يرى ويسمع ويعلم ويتكلم.. فإنه من ناحية أخرى يُنْزِهُهُ عَنْ مِثَالَةِ الْمَخْلُوقِ ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾... أي لا أَحَدَ شَرِيكَ لَهِ لا في ذاته ولا في صفاته. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٦-٣٧٧)

ليس كمثل الله شيء، ولا في ذاته ولا في صفاته. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٧)

إن لله صفتين منذ الأزل والقدم، صفة تشبيهية وصفة تنزيهية. ولما كان بيان كلتا الصفتين، أي التشبيهية والتنزيهية، في كلام الله ضروريا لذا نسب الله ﷻ في القرآن الكريم إلى نفسه اليد والعين والحب والغضب وغيرها من الصفات لبيان صفاته التشبيهية. وحين نشأ احتمال التشبه قال مرة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٥). (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٧)

الآية ١٨: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾

أي هذا الكتاب ميزان للتمييز بين الحق والباطل. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٦)

الآية ٢٠: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾

أي ينظر إلى عباده بنظرة دقيقة ويعطي من يشاء. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٨)

الآية ٢٥: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

أي هل يقول المنكرون إن هذا افتراء على الله لا كلامه؟ فلو شاء الله لقطع نزوله، ولكنه لا يفعل ذلك؛ لأنه قد جرت عادته أنه يحق الحق ويُطِل الباطل بكلماته. وهذا ما يليق به وحده لأنه هو العليم بالأمراض الروحانية، وهو وحده قادر على إزالة المرض وإعادة الصحة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٦٣-٦٦٤)

الآية ٢٦: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

لا ينخدع أحد في هذا المقام أنه قد وردت في القرآن الكريم أيضا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. فليكن معلوما أنه لا يوجد في هذه الآية وآيات أخرى أي تناقض، لأن المراد من الشر هو الشر الذي يصير عليه صاحبه ولا يرتدع عن ارتكابه ولا يتوب عنه. لذلك قد استخدم هنا كلمة "شر" وليس "ذنب" ليُعلم أن المراد هنا هو فعل الشر الذي لا يريد الشرير أن يرتدع عنه. وإلا فالقرآن الكريم زاخر

بأن الذنوب تُغْفَر نتيجة الندم والتوبة والاستغفار وترك الإصرار. بل الله يحب التوابين.
(ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٤)

الآية ٢٩: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

إن الله كامل الرحمة، وقانونه القديم في الطبيعة هو أنه ينزل الغيث حتما في حالة الضيق حين يئأس الناس وينشر رحمته في الأرض... وهو الولي الحقيقي والجدير بالحمد ظاهرا وباطنا. أي حين تبلغ الشدة منتهاها ولا يرى للخلاص من سبيل، فقانونه الجاري منذ القدم في هذه الحالة هو أنه يهتم بالعباد الضعفاء حتما وينقذهم من الهلاك. وكما يرحم عند الشدة المادية، كذلك حين تتجاوز الشدة الروحانية، أي الضلال، حدودها، ولا يبقى الناس على صراط مستقيم؛ فيشرف عَجَلًا أحدا بوحيه ويهبه نورا خاصا من عنده، وبواسطته يزيل ظلمة الضلال الحالكَة. ولأن الرحمات المادية تكون بادية جليّة في أعين الناس، فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية ضرورة نزول القرآن الكريم أولا، ثم أشار إلى القانون المادي بُغية التوضيح لكي يفهم العاقل قانون الله الروحاني بالنظر إلى القانون المادي الذي هو أمر واضح وبديهي. وليكن معلوما أيضا في هذا المقام أن الذين يؤمنون بنزول بعض الكتب من الله تعالى، يضطرون للإقرار بأنفسهم أنها نزلت في أوقات الضرورة الملحة. فبإقرارهم هذا يضطرون للإقرار الثاني ضمنيا بأن إنزال الكتب في وقت الضرورة هو من سنّة الله تعالى. أما الذين ينكرون ضرورة الكتب الإلهية -مثل أتباع برهمو سماج- فمع أنني كتبت بالتفصيل إفحاماً لهم، ولكن لو ملكوا شيئا من العدل لكفاهم دليل واحد بيّنه الله تعالى في الآيات المذكورة آنفا، لأنه ما دام هؤلاء القوم يقرّون أن الله تعالى بنفسه يدير نظام الحياة المادية كله، وهو الذي يخلّص العالم من الظلمة والهلاك بواسطة نوره السماوي وماء الغيث؛ فأين المفر لهم من أن وسائل الحياة الباطنية

أيضا تنزل من السماء؟ فمن ضحالة التدبر وقلة المعرفة أن يُسَلَّم المرء بأن الاهتمام بالحياة المؤقتة إنما هو بقدرة الله الخاصة، أما الحياة الحقيقية والأبدية، أي معرفة الله تعالى والنور الباطني، فيكون نتيجة عقولهم فقط. أيمن أن يُعَدَّ الله وَجْهًا ضعيفا وعاجزا عن إظهار قدرته من حيث الروحانية، وهو الذي أظهر قدرات ألوهيته العظيمة لبقاء السلسلة المادية، وأرى قدرات عظيمة بغير واسطة أيدي البشر؟ أو هل يمكن أن يبقى ﷺ كاملا نتيجة هذه الفكرة، أو هل يمكن أن يتيسر دليل على قدراته الروحانية؟ (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٦٤-٦٦٩)

أي أن الله تعالى ينزل الغيث عندما يقنط الناس من الغيث، فينشر رحمته بعد القنوط، ويصطفي من يشاء من عباده للرسالة والنبوة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٩٦)

الآية ٣١: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

لا يسع الإنسان أبداً أن يطالب الله بالعدل بناء على قدرته الشخصية أو موهبته الذاتية قط. إن أعمال الله تعالى كلها تتصبغ بصبغة المالكية بحسب القرآن الكريم. فكما يعاقب الله على الذنب أحيانا كذلك يعفو عنه أيضا أحيانا أخرى، أي أن قدرته نافذة من كلتا الناحيتين كما هو مفروض بناء على مقتضى المالكية. فلو عاقب على الذنب دائما فأين سيكون مقام الإنسان؟ بل الحق أنه يعفو عن الذنوب في معظم الأحيان ويعاقب أيضا أحيانا بغية التنبيه لكي ينتبه الإنسان الغافل ويتوجه إليه، كما يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣-٢٤)

النوع الثاني من الأحزان الذي لا يكون فيها حزن وألم فقط بل يفقد الصبر والسكينة أيضاً، حيث لا يموت الإنسان ولا يحيا، ويعيش في مصيبة شديدة وكرثة، وهي تكون نتيجة عقوبة على الأعمال، وإلى ذلك أشير في الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾. وإن الطريق الوحيد لتفادي الأحزان من هذا النوع والعلاج أن يخاف الإنسان الله كل حي وآن. لأن حياته الدنيا أيام معدودات، وفي هذه الحياة يبقى الشيطان له بالمرصاد، ويسعى أن يبعده عن الله، كما تخدعه النفس بانتظام أنه ما زالت مدة من حياته باقية، وأنه سيعيش طويلاً. لكن الإنسان إذا انخدع منه وابتعد عن الله وتخلّى عن الحسنات، فقد ارتكب خطأ فادحاً. فالموت قريب كل حين وآن. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١١، عدد ٣١ / ٣ / ١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٤١: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

السيئة جزاؤها سيئة مثلها. فمن عفا عن ذنب أحدٍ عفواً يترتب عليه إصلاح ولا يؤدي إلى مزيد من الشر أي يكون عفواً في محله تماماً. فإنه يُثاب على ذلك. يتضح من ذلك أن القرآن المجيد لا يأمرنا بترك مقاومة الشر وعدم معاقبة الأشرار والظالمين في كل الأحوال وبدون أي داع لذلك. كلا، بل يرشدنا أن نتبين ما إذا كان الموقف يقتضي العفو أم العقوبة، وما هو الأنفع في الحقيقة للمجرم، وكذلك لعامة الخلائق. فأحياناً يدفع العفو المجرم إلى التوبة، وأحياناً أخرى يشجعه العفو على المزيد من الإجرام؛ ولذلك يأمرنا الله تعالى ألا نعتاد العفو الأعمى، بل يجب أن نتبين موضع الخير الحقيقي أهو في العفو أم في العقاب، ثم نحكم بما يوافق الحال والمقام.

إننا إذا استقرأنا أخلاق البشر تبين لنا أنه كما يكون بعضهم حقوداً بحيث أنه لا ينسى أحقاد آبائه، كذلك يكون من بينهم من يبالغ جداً في العفو والصفح، حتى إن

هذا العفو المفرط يؤدي بهم أحياناً إلى الديوثية، ويصدر عنهم باسم الحلم والعفو والتغاضي ما يُحجّل الإنسانَ وما ينافي تماماً الحميّة والغيرة والعفة، بل يكون وصمة عارٍ على سيرة الإنسان، حتى يتبرأ منه الناس ويلعنوه. ونظراً إلى مثل هذه المفاصد فإن القرآن المجيد اشترط لكل خُلُق بأن يكون في محله ويصدر بحسب المقتضى، ولم يقبل من الأخلاق ما يصدر في غير محله. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥١-٣٥٢)

ورد في القرآن الكريم مثلاً في آية ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ... وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ (المائدة: ٤٦)، فهذا تفصيل، وفي آية أخرى عبارة إجمالية ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، فحين نتدبّر يتبيّن لنا أن هذه العبارة الإجمالية جاءت توسيعاً للقانون، لأن في بعض الأوضاع لا ينطبق هذا القانون، فمثلاً إذا كسر سنّ أحدٍ من هو أدرد وقد سقطت أسنانه بسبب الشيخوخة أو بسبب آخر، فلا نستطيع أن نعاقبه بكسر سنه لأن فمه يخلو من الأسنان. وكذلك إذا فقأ أعمى عينَ أحدٍ فلا نستطيع أن نفقأ عينه إذ لا يملك عينين أصلاً، وملخص القول إن القرآن الكريم قد بيّن مثل هذه القواعد العامة لإدراج مثل هذه الأوضاع ضمن الأوامر، فلا يمكن الاعتراض على أحكامه وقوانينه، فلم يقل هذا فحسب بل قد حثّ كلّ واحد على الاجتهاد والاستخراج والاستنباط من هذه القواعد العامة. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٨٨)

"فانظرْ إلى هذه الدقيقة الروحانية، فإنه أمر بالعفو عن الجريمة بشرط أن يتحقق فيه إصلاحٌ لنفسٍ، وإلا فجزاء السيئة بالسيئة." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣١٦)

الأصل في معاقبة السيئة هو أن يعاقب المسيء بقدر ما كسبها، ومن عفا وأصلح أي إذا قام أحد بعفو لا يؤدي إلى فساد، فسيثاب عند الله. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٣٣-٤٣٤، الحاشية في الحاشية)

من مبادئ العدل أن الذي أُوذِيَ فله الحق أن يؤذي بمثل ما أُوذِيَ به؛ لكنه إذا عفا ولم يكن عفؤه في غير محله بل كان يرجو بذلك إصلاحا، فسوف ينال أجرا عند الله. (التحفة القيصرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٢٨٢)

عقوبة السيئة- بحسب قانون العدل- هي مثل السيئة نفسها، ولكن لو عفا أحد عمن أخطأ في حقه بشرط أن يؤدي العفو إلى إصلاح المخطئ بدلا من تشجيعه على الخطأ أكثر من ذي قبل لنال مَنْ يعفو أجرا عظيما من الله تعالى. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ١٦٣)

أي إذا أذاكم أحد وكسر سِنِّكم مثلاً أو فقأ عينكم فجزاؤه سيئة مثلها. ولكن إذا عفوت عن السيئة وكان العفو يؤدي إلى نتيجة طيبة وإصلاح، بمعنى أن يتوقف المجرم عن ذلك في المستقبل؛ فالعفو هو الأولى في هذه الحالة، وستنالون من الله أجرا على هذا العفو.

انظروا الآن، فقد رُوعي في هذه الآية كلا الأمرين وأُنيط العفو والانتقام بالحكمة ومقتضى الحال. هذا هو المسلك الحكيم الذي يجري عليه نظام العالم. العفو أو العقوبة بحسب مقتضى الحال هو الحكمة بعينها. فكما ترون أننا لا نستطيع أن نأكل طعاما واحدا دائما بل ننوّع الأطعمة ذات التأثير البارد وأخرى ذات التأثير الحار بحسب مقتضى الأمر، ونلبس ثيابا دافئة في الشتاء ورقيقة في الصيف كما تقتضى الضرورة. كذلك إن حالتنا الأخلاقية أيضا تقتضى التغيُّر بحسب ما يناسب. فتارة تقتضى المناسبة إظهار القوة؛ ولو أظهر المرء الضعف عندها لفسد الأمر، وتارة أخرى تقتضى الضرورة العفو والصفح، وإن إظهار الغضب عندئذ يكون سفالة محضة. فملخص الكلام أن كل وقت وكل مناسبة تقتضى عملا بحسب مقتضى الحال. ومَنْ لم يراعِ الحكمة ومقتضى الحال فهو حيوان وليس إنسانا، وهمجيّ وليس متحضرا. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٣٧-٤٣٨)

إن عقوبة السيئة يجب أن تكون بمثليها، أي السن بالسن والعين بالعين والشتيمة بالشتيمة. ولكن لو عفا أحد وكانت نتيجة عفوهِ هي الإصلاح لا الفساد، بمعنى أنه إذا مال المعفو عنه إلى الإصلاح وتوقف عن السلوك السيئ؛ لكان العفو بهذا الشرط أفضل من الانتقام، ولنال العافي أجرا وثوابا، وليس أن يُدار الخد الثاني في كل الأحوال بعد تلقي اللطمة على الخد الأول؛ لأن ذلك بعيد عن الحكمة. وفي بعض الأحيان يكون الإحسان إلى الأشرار ضارًا، ومثله كمثل الإساءة إلى الصالحين. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٦)

أي أن عقوبة السيئة يجب أن تكون مثلها. ويمكن العفو أيضا ولكن بشرط أن يكون ذلك للإصلاح. فقد علّم الإسلام العفو عن الخطأ ولكن دون أن يؤدي إلى انتشار الشر. (محاضرة لدهيانة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٨٣)

﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ ففي هذه الآية اشترط الله للعفو أن يؤدي إلى الإصلاح. أما اليهودية فقد اشترطت الأذن بالأذن والسن بالسن... إلخ، فتفاقت فيهم قوة الانتقام حتى ترسخت فيهم هذه العادة لدرجة أنه إن لم يتمكن الأب من الانتقام، كان من واجب ابنه بل حفيده أيضا أن ينتقم. فتعاظمت فيهم عادة البغض وقست قلوبهم وفقدوا عواطف الرحمة تماما. وعلمت المسيحية مقابل ذلك أنه إذا لطم أحد خدك فأدر له خدك الآخر، وإذا سخرَك ميلاً واحداً فأذهب معه اثنين، وهلم جرا. والعيب في هذا التعليم ظاهر بداهة؛ إذ إن العمل به مستحيل. وقد أثبتت الدول المسيحية عمليا أن هذا التعليم ناقص. هل يجترئ مسيحي أن يُدير خده الآخر لشربير لطمه، واقتلع سنّه فيقول له أن يقطع سنّه الأخرى أيضا؟! ولو فعل؛ لتشجع هذا الخبيث أكثر، ولأدّى ذلك إلى اختلال أمن المجتمع. فكيف يمكننا إذاً أن نقبل أن هذا التعليم جميلٌ ويطابق مشيئة الله تعالى. فلو عمل به لما استتب الأمن في أي بلد، ولو غصب عدوٌ بلدا للزم أن يُسلم له بلد آخر أيضا. ولو اعتقل على يد العدو ضابطٌ واحد لوجب أن يحوّل إليه عشرة آخرون. فهذه هي عيوب تلك التعاليم، وهي ليست صالحة.

غير أنه يمكن القول إن تلك الأحكام كانت خاصة كقانون بزمان معين. فلما مضت تلك الفترة لم يعد ذلك التعليم صالحاً لأناس آخرين نظراً إلى مقتضى الحال. لقد عاش اليهود في الأسر إلى أربع مائة عام، فبسبب حياة العبودية تعاطمت قسوة قلوبهم وصاروا ذوي ضغائن. والقاعدة العامة هي أن الذي يعيش في ظل حاكم، تصير أخلاقه مثله؛ ففي عهد السيخ تحوّل كثير من الناس إلى مُهاب، أما في عهد الإنجليز الذي انتشر فيه التحضّر والثقافة، فقد بدأ كل شخص يتّجه إلى هذه الجهة.

فمجمّل الكلام أن بني إسرائيل عاشوا تحت فرعون؛ فتفاقت فيهم عادة الظلم. لذا كان لتعليم العدل أولويّة في زمن التوراة؛ لأنهم كانوا يجهلون، وكانوا معتادين على الجبر والقهر، وكانوا متمسكين وموقنين بمبدأ أنه لا بد من كسر السن بالسن في كل الأحوال، وهو واجب عليهم، لذا فقد علّمهم الله تعالى أنه يجب ألا يقتصر الأمر على العدل فقط، بل لا بد من الإحسان أيضاً، لذا أعطاهم تعليماً بواسطة المسيح عليه السلام أنه إذا لطمكم أحد على خدّ فأديرُوا له الخدّ الآخر. فلما صُبّ الاهتمام والتركيز كله على هذه النقطة فقط؛ أوصل الله تعالى التعليم إلى ذروته بواسطة النبي صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. إذاً، فقد علّم العفو هنا ولكن بشرط أن يكون مدعاة للإصلاح؛ لأن العفو في غير محله يضرّ. لا بد من التدبر هنا أنه يجب العفو إذا كان هناك أمل في الإصلاح فقط. فمثلاً إذا كان هناك خادمان أحدهما شريف الأصل ومطيع، وناصح أمين، وصدر منه خطأ صدفة؛ فيكون العفو عنه هو الأنسب والأولى، ولا خير في معاقبته. أما الخادم الثاني الذي هو سيئ الخلق وشريرٌ ويتسبب في أنواع الخسارة كل يوم، ولا يكاد يمتنع عن شره لو تُرك أمره على عواهنه؛ لتجاسر أكثر من ذي قبل، فلا بد من معاقبته.

مجمّل القول؛ يجب أن تتصرفوا بحسب مقتضى الحال. هذا هو التعليم الذي جاء به الإسلام، وهو التعليم الكامل، ولن يأتي بعده تعليم جديد أو شريعة جديدة.

(محاظرة لدهيانة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٨٤-٢٨٥)

﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. إذًا، هذا هو تعليم الإسلام، وأما الإنجيل فيحضّ على العفو في كل الأحوال دون أيّ شرط، ويدوس تحت الأقدام مصالح الإنسان الأخرى التي تجري عليها سلسلة التمدّن كلها، ويؤكد على نمو فرع واحد فقط من فروع القوى الإنسانية كلها ويهمل رعاية الفروع الأخرى كلها.

والالفت في الموضوع أن عيسى ﷺ لم يعمل بنفسه بهذا التعليم الأخلاقي؛ إذ وجد شجرة تين دون ثمر فدعا عليها، بينما علّم الآخرين الدعاء بالخير، وأمر الآخرين ألا يُطلقوا كلمة "أحمق" على أحد، بينما أكثر من سوء الكلام لدرجة أنه أطلق على كبار اليهود عبارة "أولاد الزنا" أيضا، وكال لعلماء اليهود شتائم قاسية في كل وعظ ونازهم بالألقاب، بينما يجب على معلّم الأخلاق أن يُبدي أخلاقه الفاضلة قبل غيره. فهل يمكن أن يكون من الله تعالى هذا التعليم الناقص الذي لم يعمل به عيسى ﷺ بنفسه؟ التعليم الطاهر والكامل هو تعليم القرآن الكريم الذي يربّي كل فرع من فروع شجرة البشرية. فالقرآن لا يركّز على جانب واحد فقط بل يعلم العفو والصفح تارة ولكن بشرط أن يكون العفو أقرب إلى الحكمة، ويأمر تارة أخرى بمعاقة المجرم في المكان والزمان المناسبين. فالحق أن القرآن الكريم صورة لقانون الله تعالى السائد في الطبيعة الذي نراه أمام أعيننا دائما. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٤٥-٣٤٦)

القرآن الكريم لا يميز الصفح والعفو للذين لا يجديان نفعًا، لأن ذلك يؤدي إلى فساد أخلاق الإنسان والإخلال بالنظام، بل سمح بالعفو الذي يسفر عن الإصلاح. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٤٦، الحاشية)

الأصل في الموضوع أن جزاء السيئة سيئة مثلها ولكن الذي يعفو - وكانت نتيجته الإصلاح وليس الفساد، أي يكون العفو في محله المناسب وليس في غير محله - فأجره على الله، أي هذا هو الطريق الأحسن. لاحظوا الآن، أيّ تعليم يمكن أن

يكون أفضل منه إذ وضع العفو في محله والانتقام في محله. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢٧)

جَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴿٤٧﴾ كما هو تعليم التوراة، ولكن ﴿مَنْ عَفَا﴾ كما هو تعليم الإنجيل، سيكون العفو مستحسنًا ومسموحًا به إذا كانت نتيجته حسنةً ويتوقع به إصلاح المعفو عنه، وإلا فالقانون هو الذي ذُكر في التوراة. (رسالة الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٧١)

... أي يجب ألا يكون العفو في غير محله ولا يسفر عن نتيجة سيئة أو فساد بل يجب أن يكون في محل يُتوقع منه الإصلاح. وفي ذلك إشارة إلى أن طبائع بني آدم ليست سواسية. كذلك إن عادات المذنبين وقدراتهم أيضًا ليست سواسية بل بعضهم يستحقون العقوبة ولا يكادون ينصلحون دونها وبعضهم يستفيدون من العفو ويستأثرون من العقوبة ويثبتون على السيئة أكثر من ذي قبل. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٥٦٦)

سُيْعَاقِبَ الظَّالِمُ بَقَدْرِ السَّيِّئَةِ الَّتِي أَصَابَ بِهَا الْمَظْلُومَ بِفَعْلِهِ. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٢٥٦)

إن عقوبة السيئة هي الخزي ولكن بقدر ما أصاب الظالم المظلوم. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٢٦٦)

... لو أُطلق سراح السارق لتجاسر وقطع الطريق على الناس، لذا يجب معاقبته، ولكن لو كان هناك خادمان، وكان أحدهما يندم على خطأه ويسارع إلى إصلاحه حين يبيدي له سيده شيئًا من الاستياء، فلا يليق عقابه بعقوبة قاسية، أما الخادم الثاني فيتعمد الشر، وإذا عُفي عنه تشجّع على الشر أكثر، فهو حري بأن يُعاقب. فأخبرونا الآن أي الحكّمين أفضل؟ أحكم القرآن أم حُكم الإنجيل؟ ثم علينا أن نرى ماذا يقتضيه قانون الطبيعة؟ إنه يأمر بمراعاة المحل والوضع. وتعليم العفو الذي أريد به الإصلاح تعليم لا نظير له، وبه يعمل الإنسان المتحضر في نهاية المطاف،

وهو الذي يزيد الإنسان اجتهادا وتدبرا وفراصة إذا عمل به. فكأنما قيل هنا: عليكم أن تتحرّوا الأمر جيدا من كل النواحي، وتتدبروه بفراسدكم، فإذا كان العفو عن الجاني نافعاً فاعفوا عنه، أما إذا كان الجاني خبيثا وشريرا فاعملوا بمبدأ ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

وهذا هو حال تعاليم الإسلام المقدسة الأخرى كلها، وهي جلية وواضحة في كل زمان كوضح النهار. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٤، عدد ١٧٤/٤/١٩٠٠م، ص ٥-٦)

لقد ركزت التوراة على الشدة في غير محلها وزادت من قوة الانتقام، ومقابل ذلك ركّز الإنجيل على العفو دون مبرر، ولكن القرآن الكريم أعرض عن كلا المبدئين وأعطى تعليما حقيقيا فقال: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣م، ص ٢)

لقد قال الإسلام أولا وقبل كل شيء بأن القوى والقدرات التي أُعطِيها الإنسان ليست سيئة في حد ذاتها بل إن الإفراط والتفريط فيها واستخدامها السيء هو ما يجعلها أخلاقا ذميمة، وإن استخدامها في محلها وباعتدال هو الأخلاق الحسنة. لم تُدرك الأمم الأخرى هذا المبدأ ولكن القرآن الكريم بيّنه، وقال واضعا هذا الأصل في الاعتبار: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ...﴾. لقد علّم العفو ولكن لا ليزداد بسببه الشرير شرا، أو ليقع الخلل في مبادئ التمدن والسياسة والنظام، فإذا حدث ذلك فلا بد من العقوبة. لقد أُجيز العفو في حال الإصلاح فقط. قولوا الآن بالله عليكم، هل هذا التعليم هو مدعاة لإتمام أخلاق الإنسان وإكمالها أو تعليم تلقّي اللطمات فقط؟ إن قانون الطبيعة أيضا يؤيد هذا التعليم بكل شدة، والتعليم نفسه يحظى بالتأييد على الصعيد العملي أيضا. أما إذا أردتم العمل بتعليم الإنجيل فلا بد من أن تغلقوا أبواب المحاكم وتعطلوا الشرطة وتلغوا الحراسة لبضعة أيام لتروا كم ستجري من الدماء أثار نتيجة العمل بتعليم الإنجيل. لو لم يكن تعليم الإنجيل ناقصا لما احتاج السلاطين لسنّ قوانين جديدة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٥، عدد ٧٢/٢/١٩٠٢م، ص ٣-٤)

الإنسان يصبح إنسانا عندما يستخدم القوى كلها ولكن الإنجيل يقول أن يُعْطَلَ المرء كل القوى ويركّز على قوة واحدة فقط. ومقابل ذلك يربي القرآن الكريم جميع القوى ويعلم استخدام كل قوة في محلها، ويعلم: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بدلا من تعليم المسيح المذكور، أي عندما تعفون يجب أن يكون عفوكم للإصلاح دون أن يكون في غير محله. فمثلا إذا كان الخادم مطيعا ولا يرتكب خيانة ولا غفلة في أداء واجباته، فإذا سقط من يده يوما ما فنجان شاي ساخن صدفة، وما انكسر الفنجان فقط بل انسكب الشاي الساخن على الرأس أيضا، فليس من الضروري في هذه الحالة أن يعاقبه سيده حتما، بل العقوبة المناسبة عندئذ هي العفو عنه. وفي مثل هذه المناسبة ينجّل السيد الفطين الذي يدرك الوضع بنفسه واضعا في الحسبان أن خادمه المسكين سيخجل لما حدث. أما إذا كان الخادم شريرا ويسبب الخسارة كل يوم بحيث لو عُفي عنه لفسد أكثر فلا بد من تحذيره. فلباب القول إن الإسلام يعلم الإنسان أن يستخدم قواه في محلها المناسب دائما، أما الإنجيل فيركّز على قوة واحدة جزافا، گر حفظ مراتب نه کنی زندیق، أي: إن لم تراعى المرتبة والمقام فأنت زندیق. إذن، فقد اهتم القرآن الكريم برعاية المرتبة والمقام وهدى الإنسان إلى العدل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٢م، ص ٤-٥)

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي جزاء سيئة بمثلها، لكن إذا عفا أحدهم واضعا في البال الإصلاح، فسوف يجد أجره عند الله. فانظروا أن القرآن الكريم لم يركز على جانب واحد كالإنجيل، بل قد أمر بالعفو أو المعاقبة بحسب مقتضى المحل. حيث ينبغي أن لا يكون العفو في غير محله، أي يجب ألا يؤدي العفو إلى تمادي المجرم أكثر، فيتشجع على الذنب والجريمة أكثر. باختصار قد راعى القرآن الكريم كلا الجانبين، إذا تمكن العفو من القضاء على السيئات فالعفو أفضل، أما إذا كان الإصلاح يتطلب العقوبة فيجب أن يعاقب. وإذا أراد أحدهم أن يرى هل تعاليم القرآن الكريم الأخرى

توافق العصر الراهن فلن يجد تعليم أي كتاب آخر ينافسه في ذلك. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٣)

... أي من عفا عن المخطئ في حقه وكان ممكناً أن ينصلح المخطئ نتيجة العفو عنه، ويرتدع عن سيئته في المستقبل، فالعفو أفضل من الانتقام، وإلا فالعقوبة أفضل، لأن الناس يتفاوتون في طبائعهم. فبعضهم لن يقربوا الذنب إذا عفي عنهم مرة بل يرتدعون عنه. وهناك بعض آخرون يعودون إلى الذنب نفسه حتى بعد أن يخرجوا من السجن. ولأن طبائع الإنسان مختلفة لذا فالتعليم الذي قدمه القرآن الكريم هو الذي ينسجم مع طبائعهم. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤١٣)

لا يسع ديناً أن ينافس تعليم الإسلام الأسمى فيما يتعلق بحدود الانتقام؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. أي أن عقوبة السيئة يجب أن تكون مثلها. ويمكن العفو أيضاً ولكن بشرط أن يكون ذلك للإصلاح. فقد علم الإسلام العفو عن الخطأ ولكن دون أن يؤدي إلى انتشار الشر. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٧، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٦ م، ص ٣)

التعليم الكامل هو ما أعطاه القرآن الكريم، ووصلنا بواسطة النبي الأكرم ﷺ وهو: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ يتبين من ذلك بصراحة تامة أن القرآن الكريم لا يريد ألا يتصدى الإنسان للشر أبداً وألا ينتقم قط وفي أي حال، بل تقتضي مشيئة الله تعالى أن يراعي المرء المحل المناسب دائماً ويرى إذا ما كانت المناسبة تقتضي العفو والصفح عن الخطأ أم تتطلب العقوبة. إذا اقتضت الحكمة المعاقبة فليعاقب المخطئ بقدر ما يستحقه. وإذا كان العفو هو مقتضى الحال فلينبذ فكرة المعاقبة. هذه هي المزية التي يتحلّى بها هذا التعليم بأنه يراعي كل الجوانب والنواحي. فإذا ترك كل شرير ووقع على حاله عملاً بتعليم الإنجيل لسادت الدنيا الفوضى والظلم.

(الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد ٢١/٦/١٩٠٦ م، ص ٤)

ورد في الإنجيل: لا تقاوم السيئة. باختصار، إن تعليم الإنجيل مائل إلى التفریط، ولا يستطيع الإنسان العمل به إلا في أوضاع معينة. وفي الطرف الآخر حين ننظر إلى تعليم التوراة فهو مائل إلى الإفراط، وهو الآخر يركز على جانب واحد فقط، أي النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن. فليس فيه أي ذكر للعفو والصفح. فالأصل أن هذه الكتب كانت مختصة بقوم ويزمان محدّدين. أما الطريق الذي هدانا إليه القرآن الكريم فما أطيبه! إذ يلائم الطبع الإنساني وهو منزّه من الإفراط والتفریط، فمثلاً قد ورد في القرآن الكريم ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي من عفا بقصد الإصلاح وكان العفو في محله، فلمثل هذا العافي أجرٌ عند الله. فانظروا ما أطهره من تعليم؛ لا إفراط فيه ولا تفریط. ثمّة سماح للانتقام وفي الوقت نفسه ترغيب في العفو أيضاً بشرط أن يتحقق به الإصلاح. فهذا موقف ثالث قدمه القرآن الكريم للعالم. فمن واجب سليم الطبع أن يقارن بينها ليرى أي تعليم يلائم الطبع الإنساني، وأي منها يأنفه الطبع السليم والضمير. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤٤٠/٧/١٩٠٨م، ص ٦-٧)

الآية ٥٢: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

قَبْلَ أَنْ أَتُوْجِهَ إِلَى بَيَان مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ أَقُول: إِنَّا نَرَى عَلَى أَرْضِ الْوَقْعِ أَنَّ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى طَرَفًا ثَلَاثًا لَا رَابِعَ لَهَا: وَهِيَ الرُّؤْيَا وَالْكَشْفُ وَالْوَحْيُ... الْمُرَادُ مِنْ "مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ" هُوَ الرُّؤْيَا، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ إِنَّمَا تَبَيَّنَ فِلْسُفَةُ حَقِيقَةِ الرُّؤْيَا. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى "يُرْسِلَ رَسُولًا" فَالْمُرَادُ مِنْهُ الْكَشُوفُ، وَلَيْسَ تَمَثُّلُ الرَّسُولِ إِلَّا كَشْفًا، وَالْكَشُوفُ سِلْسِلَةٌ مِنَ التَّمَثُّلَاتِ. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٦م، ص ١٠)

إن كلام الله ثلاثة أقسام: الوحي، الرؤيا، والكشف. والوحي هو الكلام الذي ينزل بغير واسطة على قلب النبي الطاهر، وهذا النوع من الكلام أجلى ما يكون

وأوضح. ثم ضرب عليه السلام على ذلك مثلاً وقال: فإن السيد الحافظ الضرير هذا الجالس أمامنا الآن لن يخطئ في سماع كلامي أبداً، ولن يعد الصوت الذي يسمعه كلاماً غيبي، مع أنه لا يراني بعين مادية.

والقسم الثاني من كلام الله هو الرؤيا والحلم، وهذا النوع من الكلام يكون دقيق المعنى ولطيفه، ويكون من قبيل الكناية وذا أوجه عديدة، ومثاله رؤيته النبي ﷺ في المنام سوارين في يديه الطاهرتين، أو رؤيته إحدى زوجاته المطهرات أطول يداً من غيرها، أو رؤيته البقرة وما إلى ذلك من رؤى. والكلام من هذا القبيل بحاجة إلى التأويل.

والقسم الثالث من كلام الله هو الكشف، ويكون على سبيل التمثيل، سواء بصورة جبريل عليه السلام، أو بصورة ملاك آخر، أو بصورة شيء آخر. ثم قرأ المسيح الموعود عليه السلام الآية الشريفة: ﴿... أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى: ٥٢)، وقال عليه السلام: لا يكون كلام الله إلا بهذه الطرق الثلاث المذكورة آنفاً. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ١٩٠١/٣/٢٤، ص ٦)

هناك آلاف الأمثلة في كلام الله على الوحي من وراء حجاب، ولا يليق بالمنصف أن ينكر ذلك. إن رؤية نبينا ﷺ أدعاء النبوة الكاذبين على صورة سوارين هو من هذا القسم من الوحي. كما كانت رؤيته ذبح البقرات أيضاً من هذا النوع من الوحي، وإن وفاة أطول الأزواج يداً قبل غيرها أيضاً من هذا النوع من الوحي، وإن ذكر بعثة النبي إيليا ثانية في وحي النبي ملاخي، ونزوله في قرية معينة من قرى اليهود، كان أيضاً من هذا النوع من الوحي. كذلك ظهور وباء المدينة على صورة امرأة شعثاء أيضاً كان من هذا النوع من الوحي. وكذلك الدجال الذي هو فريق مخادع قد رئي على هيئة شخص واحد، فهو أيضاً من هذا النوع من الوحي. فهناك آلاف النماذج لذلك في وحي الأنبياء، حيث ظهرت أمور روحانية في صورة مادية أو شوهدت جماعة في صورة شخص واحد، فمن سنة الله لجميع الناس بمن فيهم الأنبياء أيضاً أن السمة الغالبة على الإلهام والوحي والرؤيا والكشف هي الاستعارات، فمثلاً لو جمعتم مئتين أو أربعمائة

شخص وسمعتهم رؤاهم لوجدتم معظمها زاخرة بالاستعارات، فبعضهم يكون قد رأى ثعبانا وغيره ذئبا وغيره فيضانات وغيره بستانا وبعضهم فواكه وبعضهم نارا، وستكون كل هذه الأشياء قابلة للتأويل؛ فقد ورد في الأحاديث أن الأعمال الصالحة وغير الصالحة تتمثل في القبر إنسانا، فهذه النقطة تزول جميع التناقضات وتنجلي الحقيقة، فطوبى لمن تدبرها. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٧٧)

لقد أطلق المفسرون على الوحي كلمة الإلهام دائما. كما ذكر المعنى نفسه في عديد من الأحاديث أيضا... إن السواد الأعظم من العلماء يتفق على عدّ الإلهام مرادفا للوحي. ثم ما دام النبي ﷺ أيضا قد استخدمه بالمعنى نفسه، فإن الانحراف عن ذلك تعنت محض... هناك مئات الكلمات من هذا القبيل ومتعارف عليها في علم الشريعة، وقصر مفهومها على المعنى اللغوي ضلال بحث. فخذوا مثلا كلمة "الوحي" نفسها، أين ورد في القواميس معنى لها، فيُعدّ بناءً عليه أن كتب الله هي وحي نبوة؟ وفي أي قاموس ذكرت كيفية نزول الوحي التي بها يكلم الله رسله وينزل عليهم أوامره. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٧٧، الحاشية في الحاشية رقم ١)

إن الإلهام إلقاء من الغيب بإحساس واضح منكشف يشعره السامع من المتكلم، والمضروب من الضارب، والملموس من اللامس، ولا يتوقف تلقّيه على أي تأمل وتردد وتفكر وتدبر، ولا يصيب به النفس أي ألم روحاني مثل الانفعالات الفكرية، بل كما يجد العاشق انشراحا وانبساطا دون أي تكلف برؤية المعشوق، كذلك للروح علاقة أزلية وقديمة بالإلهام إذ تجد اللذة به. باختصار؛ هو إعلام لذيد من الله، ويقال له "النفث في الرّوع" و"الوحي" أيضا. (المقالات القديمة، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٠)

ما هو الوحي؟ إنه مكاملة القادر القدوس مع عبدٍ من عباده الأخيار أو مع من يريد أن يصطفيه بكلام حي ذي قدرة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٨-٤٣٩)

ليس معنى الإلهام إلا ما يُلقى في القلب، سواء أكان سيئاً أم جيداً. وليس ضرورياً أيضاً أن يكون مبنياً على كلمات الله تعالى. أما ما أقصده من الإلهام هنا فهو الوحي الإلهي. والمراد من الوحي هو كلام الله الذي ينزل على أحد بالكلمات. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٧٤، الحاشية)

وإذا أردنا أن نضرب مثل الوحي بشيء من أشياء الدنيا فلعله يكون شبيهاً إلى حد ما بنظام البرقية الذي يخبر بنفسه بالتغيرات الحادثة فيه. (بركات الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦)

الفرق بين هذا الكلام والإلهام هو أن نبع الإلهام يجري دائماً في المقرّين؛ فيتكلمون حين تُنطقهم روح القدس ويرون حين تُريهم روح القدس، ويسمعون حين تُسمعهم روح القدس وتنشأ جميع إراداتهم بنفخ من روح القدس. الحق والحق أقول بأنهم يكونون مصداقاً ظلياً للآية: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥) ولكن المكاملة الإلهية أمر آخر؛ وهو أن كلام الله تعالى ينزل عليهم كالوحي المتلوّ ويتلقّون أجوبة على أسئلتهم كما يجيب صديقٌ صديقَه. ولو وصفنا هذا الكلام لأمكن لنا القول بأنه اسم لتجلّي الله جلّ شأنه الذي يتجلى بواسطة ملائكته المقربّ ويكون الهدف من وراء ذلك الإطّلاع على استجابة الدعاء أو على أمر جديد وخفيّ آخر، أو الإخبار عن أنباء مستقبلية، أو الإطّلاع على مرضاة الله أو عدم رضاه ﷻ عن أمر معين، أو الرفع إلى مرتبة اليقين والمعرفة عن أحداث أخرى.

على أية حال، إن هذا الوحي صوت إلهي يظهر في صورة المكاملة والمخاطبة الإلهية ليصبّغ صاحبه بصبغة المعرفة والطمأنينة ويستحيل بيان كيفيته أكثر من القول بأنه نداء طبيعي من الله تعالى ينشأ بتحريضه ونفخه دون أدنى تفكير من الإنسان أو تدبر أو تأمل أو تدخّل منه، ويضم في طياته تجلياً ربانياً وهيبه إلهية ويشعر به المرء بكلمات لذيذة ومباركة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان

حين يُخَبَّر عن شيء بالسمع فهو وحي، أما حين يتم الإخبار عن شيء برؤية فهو كشف، وكذلك أرى أن أمراً يظهر بعض الأحيان تكون له علاقة بقوة الشَّم، ولا نستطيع أن نسميها باسم، كما شَمَّ يعقوب عليه السلام يوسف عليه السلام فقد ورد: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنَّ تُفَنِّدُون﴾ (يوسف: ٩٥)، وأحياناً يظهر أمر يشعر به الإنسان، أي أن الله أحياناً يُظهر أموره بالحواس الخمس. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١٩٠٣/٥/١١٤ ص ١١٤)

ما هو الكشف؟ إنه أعلى مراتب الرؤيا، وإن حالته الابتدائية التي يرافقها الغياب عن الوعي هي التي تسمى بالرؤيا، وذلك حين يكون الجسم عاطلاً وتتعطل الحواس المادية تماماً. أما الكشف فلا تغيب فيه الحواس الأخرى، فيرى الإنسان في اليقظة ما كان يراه في النوم أي في حالة تعطل حواسه. المراد من الكشف أن يكون الإنسان في حالة شبه غيبوبة عن الوعي في عالم اليقظة وهو يدرك كل شيء، وتعمل حواسه الخمسة أيضاً عملها. ثم ينال حواسَّ جديدة يرى بسببها مشاهد عالم الغيب. تُنال تلك الحواس بأساليب مختلفة، أحياناً في حاسة البصر وأحياناً في الشم وأخرى في السمع. أما في الشم فكما قال والد يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنَّ تُفَنِّدُون﴾ (يوسف: ٩٥). كان المراد من ذلك الحواسَّ الجديدة نفسها التي أُعطيها يعقوب عليه السلام وعلم بسببها أن يوسف حي وسيلقاه قريباً. ولم يستطع الآخرون القريبون منه أن يشموا تلك الرائحة لأنهم لم يُعطوا الحواس التي أُعطيها يعقوب عليه السلام. كما يُصنع من السكر الخام السكر الأصفر ثم السكر الأبيض ثم تصنع منه أنواع الحلويات الطيبة، كذلك تتطور حالة الرؤيا فتأخذ صبغة الكشف، وعندما تبلغ ذروة النقاء تسمى كشفاً.

ولكن الوحي أجلى وأصفى منه بكثير، ولا بد لملتقيه أن يكون مسلماً. الكشف يمكن أن يراه الهندوسي بل الملحد أيضاً الذي لا يؤمن بالله تعالى، ويستطيع أن ينال بعض الكمال فيه. ولكن الوحي لا يمكن أن يحظى به إلا المسلم، فهو في

نصيب هذه الأمة فقط، لأن الكشف جزء من طبيعة الإنسان ويمكن أن يناله كل من يقوم بالمجاهدة، لأنه من الطبيعي أنه كلما تمرّن أحد واجتهد طرأت عليه الحالات بحسبه، وإنّ تلقي كل صالح وطالح الرؤيا دليل على ذلك. لعلكم لاحظتم أن الفساق والفجار أيضا يرون رؤى صالحة أحيانا، كذلك يمكن أن يحظوا بالكشوف أيضا بكثرة الممارسة بل يمكن أن يحظى به الحيوان أيضا. أما الإلهام أي الوحي الإلهي فلا يحظى به أحد ما لم يتصالح مع الله كلياً وما لم يضع عنقه تحت نير طاعته. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (حم السجدة: ٣١) وقد أشير إلى ذلك في هذه الآية. إن نزول الوحي منوط بالذين يستقيمون في سبيل الله، وهم المسلمون فقط. الوحي هو الشيء الوحيد الذي يتناهى بسببه صوت "أنا الموجود" إلى الآذان ويخلص الإيمان من كل شبهة، وبدونه لا يمكن أن ينال الإنسان مرتبة اليقين الكامل. ولكن لا يُسمع هذا الصوت في الكشف مطلقاً، لذلك يمكن أن يكون صاحب الكشف ملحداً أيضاً، ولكن لا يمكن للملحد أن يتلقى الوحي. (بدر، مجلد ٤، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٥ م، ص ٢)

حيثما يوجد الصفاء والعصمة والتبذل والحب الكامل والتام والحزن والألم والشوق والخوف، تنزل عليه التجليات الكاملة لأنوار الوحي بانتظام دون أن يشوبها أي نوع من الظلمة، وتترأى مشرقة كالشمس. أما المكان الذي لا يتمتع بمرتبة الكمال التام هذه فيكون الوحي فيه أيضاً ساقطاً عن هذه المرتبة العليا. باختصار؛ إن الوحي الإلهي مرآة يتجلى فيها وجه صفات الله الكمالية بحسب النقاء الباطني للنبي المنزل عليه. ولما كان النبي ﷺ يفوق جميع الأنبياء في سيرته الطيبة وانشراح الصدر والعصمة والحياء والصدق والصفاء والتوكل والوفاء والعشق الإلهي بجميع لوازمه، وكان أفضلهم وأعلاهم وأكملهم وأرفعهم وأجلاهم وأصفاهم، لذا فإن الله جل شأنه قد عطّره بعطر الكمال الخاصة أكثر من

الجميع. والصدر والقلب الذي كان أكثر رحابةً من صدور جميع الأولين والآخرين وقلوبهم وأكثرها طهارة وبراءة ونورا وعشقا، فقد عُذَّ وحده جديرا بأن ينزل عليه وحيُّ هو أقوى من كل وحي أنزل على جميع الأولين والآخرين وأكمله وأرفعه وأتمه، وبذلك تمثلَ مرآةً نقيةً جدًّا وواسعة وعريضة لانعكاس الصفات الإلهية. (الكحل لعيون الآريا، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٧١، الحاشية)

إذا رأى العقل البشري حقيقة ثابتة ومتحققة فوق فهمه وإدراكه فلا يمكن ردُّ تلك الحقيقة فقط بحجة عدم إدراك العقل لكنهها؛ فهناك كثير من خواص النباتات والجمادات والحيوانات تم إثباتها بتجارب صحيحة وهي تفوق عقل الإنسان، أي لا يمكن للعقل أن يدرك حقيقتها أو يباها. كذلك الحال فيما يتعلق بالوحي الذي ينزل من الله تعالى ويوصل إلى القلوب الطاهرة علوما تفوق قدرات البشر. فما دام الحال أن العقل ليس بشيء يُذكر بحد ذاته بل ينال التقدير والعزة بواسطة الحقائق الثابتة، فنقول بأن الوحي السماوي حقيقة ثابتة تملك قوةً إعجازية وتشمل علوما غيبية، وأنا مسؤول عن إثبات هذا الادعاء. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٣٨-٢٣٩، الحاشية)

كما يحدث الصديق صديقَه عند اللقاء كذلك ينبغي أن يتم الحوار بين الله وعبده، بحيث أن العبد إذا سأل الله عن شيء يسمع في الجواب من الله تعالى كلامًا لذيذاً فصيحاً خالياً تماماً من أية شائبة من حديث نفسه أو تفكيره أو تدبره، وبحيث تصبح تلك المكاملة والمخاطبة هبةً وهديةً له من الله. فإن كان الوحي على هذا المنوال فذلك كلام الله ويكون ذلك العبد مكرماً عند الله تعالى. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٩-٤٤٠)

ففي بعض الأحيان يكون وحي النبي كخبر آحاد ويكون مجملاً أيضاً. وأحيانا أخرى يكون الوحي في أمر ما بكثرة ووضوح. فلو حدث الخطأ الاجتهادي في الوحي المجمل لما أضرَّ البيّنات المحكمات شيئاً. فلا أنكر أن يكون وحي كخبر آحاد ومجملاً

أحيانا، وأن يحدث في فهمه خطأ اجتهدادي، لأن ذلك يشكّل قاسما مشتركا بين جميع الأنبياء. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٤٥)

"إن الله تعالى قد يُوحى إلى أنبيائه ورسوله في حُلل المجازات والاستعارات والتمثيلات، ونظائره كثيرة في وحي خير الرسل ﷺ، منها ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأننا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب. فأولت أن الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة، وأن ديننا قد طاب..."

فانظر كيف رأى رسول الله ﷺ الكيفيات الروحانية في الصور الجسمانية. ولا يخفى عليك أن رؤيا الأنبياء وحي، فثبت من ههنا أن وحي الأنبياء قد يكون من نوع المجاز والاستعارة، وقد أوّل رسول الله ﷺ مثل ذلك الوحي. " (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٩٠-١٩١، الحاشية)

الإلهام فعل الله. إن فضل العبد لا يكمن في تلقيه الإلهام بل في كسبه الأعمال الصالحة، وفي نيله رضا الله تعالى. فليسع المرء لكسب الأعمال الصالحة لتكون سببا للنجاة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد ١٩٠٦/٦/٧، ص ٥)

فإن كنتم تريدون أن تسمعوا كلامه ﷻ فاسعوا لنيل قربه، ولكن تذكروا ألا يكون سماع كلامه غايتكم المتوخاة لأن مذهبي هو أن هذا أيضا ضرب من الشرك (١)

لأن هدفكم الحقيقي من تحريك رضا الله تعالى وحبه في هذه الحالة يكون الكشف والإلهامات، وترافقه هوى النفس خفية أن ذلك سيُذيع صيتنا الحسن، وسنكون ممتازين بين الناس، ويُقبل الناس إلينا. هذه الأمور تمثّل عرقلة في نزاهة العلاقات. وفي معظم الحالات يستولي الشيطان على المرء في مثل هذه الحالات. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤٢، عدد ١٩٠٦/١٢/١٠، ص ٣-٤)

لا تكتفِ بهذه الرؤى والإلهامات ولا تعتمد عليها فقط، بل يجب أن تهتم بفعل الأعمال الصالحة دوما، لأن كثيرا من الإلهامات والرؤى تكون مثل ثمرة

"سنيرو" التي تسقط بعد عدد من الأيام، ولا يبقى منها شيء. الغاية والهدف الحقيقي هو إنشاء العلاقة الحقة بالله والخالية من الرياء، وهو لا يتحقق بمجرد الرؤى، وينبغي أن لا يكون الإنسان عديم الخوف من الله. يجب أن يتقدم الإنسان في الصدق والإخلاص وترك الرياء والامتناع عن المنهيات قدر المستطاع، وافحص نفسك بانتظام لأي مدى تعمل بهذه الأمور، لأنه إن لم تحقق هذه الأمور فلن تفيدك الرؤى والإلهامات مطلقا. بل قد كتب الصوفية أن السالك يجب أن لا يهتم بالرؤيا والوحي الذي يتلقاه في أوائل السلوك، لأنه عادة يعترض عائقا في هذا الطريق، فليس فيه أي ميزة شخصية للإنسان، بل هو فعل الله أن يُري أحدا رؤيا جيدة أو يوحي إليه، أما الإنسان فلم ينجز شيئا. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨ - ١٩، عدد ٨ - ١٦/٥/١٩٠٤م، ص ١٠)

أن الله ﷻ لم يرزق الإنسان العقل فقط للوصول إلى كمالاته المتوخاة، بل قد أودع فطرته القدرة على تلقي الكشف والإلهام أيضاً. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٨٩)

لقد أودع الله تعالى كل شخص موهبة الوحي والإلهام، لأنه لولاها لما تمت الحجة. لذا فقد زود الله تعالى طبيعة كل إنسان موهبة لفهم نبوة الأنبياء والوحي والإلهامات التي تنزل عليهم. وتلك الموهبة هي الرؤيا. إن لم ير أحد رؤيا صادقة قط فأنت له أن يؤمن أن الوحي والإلهام أيضا شيء؟ ولما كان من صفات الله أنه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٧)، لذا زود الجميع بهذه القدرة. إن مذهبي هو أن شخصا طالحا وفاسقا وفاجرا أيضا يمكن أن يرى رؤيا صالحة ويتلقى إلهاما أيضا أحيانا، سواء استفاد من هذه الحالة أم لا. ما دام الكافر والمؤمن كلاهما يتلقيان رؤيا صادقة فالسؤال هو ما الفرق بينهما؟ إن أعظم فرق هو أن رؤى الكفار قلما تكون صادقة أما رؤى المؤمن فمعظمها تكون صادقة. إذن، الفرق الأول هو في الكثرة والقلة. ثانيا: إن رؤى المؤمن تحمل جزءا أكبر من البشارات له، أما رؤى الكافر فلا. ثالثا: رؤيا المؤمن تكون

نقية ومنيرة بينما لا تكون رؤى الكافر كذلك. رابعا: رؤيا المؤمن تحتل درجة سامية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٢م، ص ٦)

الوحي عدة أنواع. جرت عادة الله أنه ما كان منه قائمًا على السماع يسمّى وحيًا، وما كان متعلقًا بالرؤية يسمّى كشفًا. ومنه ما يتعلق بقوة الشم مثله: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾، وتارة يتعلق بقوة الحس. باختصار، يكون الوحي بواسطة الحواس الخمس. ويُطلع الملهَم على هذه الأمور قبل الأوان. وردت في المثنوي للرومي رواية: قد جيء ببعض الأسرى إلى النبي ﷺ وهم مصفدون بالسلاسل، فخطر ببالهم أن النبي ﷺ سوف يفرح كثيرا برؤيتهم في هذا الحال، لكنه ﷺ قال لهم: كلا إن زعمكم باطل إذ يوم كنتم تركبون الخيول بتبجح وخيلاء كنت أرى السلاسل في أقدامكم حتى في ذلك اليوم، كيف أفرح الآن برؤيتكم؟ فالمراد أن مع الإلهام تحدث الكشف أيضًا عادة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٢/١٩٠٣م، ص ١٢)

اعلموا أن العقل يتولد نتيجة طهارة الروح، فبقدر ما يطهّر الإنسان روحه يحتدّ عقله وينصره الملاك واقفا أمامه، أما الذي يعيش عيش الفسق فلا يستنير دماغه. اتقوا الله، كان الله معكم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣م، ص ٣) يجب ألا تستعجلوا لفتح أبواب الكشف والإلهامات. على الإنسان ألا يقلق وإن لم يتلقَ أي إلهام أو كشف في حياته كلها. إذا عرفتم أنكم تتحلون بحب العاشق الصادق الذي يتحمل الجوع والعطش في فراق حبيبه؛ ولا يهتم الشرب ولا الأكل، ولا يهتم بجسده مطلقًا. كذلك عليكم أن تتفانوا في حبّ الله بحيث يخفّي وجودكم من الوسط. لو مات الإنسان في هذه الحالة لكان سعيدا جدا. يُهمني الحبّ الذاتي لله ﷻ لا الكشف ولا الإلهام. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣م، ص ٣)

أن كل وحي إنما ينزل مطابقا لفطرة النبي المنزّل عليه؛ فكما كان في طبيعة موسى ﷺ الجلال والغضب، فنزلت شريعة التوراة جلالية مطابقة لفطرته. وكانت طبيعة المسيح ﷺ تتسم بالحلم والرفق، فجاء تعليم الإنجيل مشتملا

على الحلم والرفق. أما طبيعة النبي ﷺ فكانت مستقيمة ومعتدلة للغاية، فما كان يحب الحلم في كل مكان، وما كان يرغب في الغضب بكل مناسبة، بل كان طبعه المبارك يراعي الحكمة بحسب مقتضى الحال دائما. لذا فقد نزل القرآن الكريم متوازنا ومعتدلا تماما، فقد جمع في طياته الشدة والرحمة والهيبة والشفقة والرفق والغضب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٩٣، الحاشية رقم ١١)

فلما أعطى الله حواسَّ مادية للاطلاع على الأشياء المادية وأعطى الحواس الخمس الباطنية لاكتشاف العلوم العقلية التي هي أمور باطنية. ففي هذه الحالة يُفهم بكل سهولة أنه لا بد أن يكون الله قد هيا وسيلة لاكتشاف الأمور التي تفوق العقل. فتلك الوسيلة هي الوحي والكشف. وكما أنها عطية دائمة لفطرة الإنسان أن جميع الناس إلا الصم والعميان والمجانين يُعْطَوْنَ الآن أيضا الحواس الخمس الظاهرية والباطنية بحسب التفاوت في مراتبهم وليس أنهم كانوا يُعْطَوْنَ في السابق ولا يُعْطَوْنَ الآن.. كذلك إن قانون الله السائد في الطبيعة عن الحواس الروحانية أيضا يوافق ذلك؛ بمعنى أن حواس الوحي والكشف تُعطى الآن أيضا بحسب المراتب. والذين يملكون مواهب أعلى يسبقون الجميع في هذه الحواس الروحانية. والكتاب الذي يعلم الناس أن هذه الحواس الروحانية لا تُعطى الآن بل أُعطيت في الزمن السابق فقط لا يمكن أن يكون من الله لأنه لا يخالف قانون الطبيعة فحسب بل يعارض المشاهدة والتجربة أيضا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣١٧)

وليكن معلوما أيضا أن كلام كل شخص يكون بقدر همته وعزمته، كلما كانت عزيمة المرء وأهدافه سامية كان كلامه عالي المرتبة. وتلاحظ الصفة نفسها في الوحي الإلهي أيضا، أي كلما كان الموحى إليه ذا عزيمة عالية نزل عليه الكلام الإلهي بالدرجة نفسها. ولما كان نطاق قوة النبي ﷺ وعزمته وكفاءته واسعة جدا، فإن كلام الله الذي تلقاه كان عالي المرتبة جدا، ولن يولد شخص بمثل قوته ﷺ وعزمته

وكفاءته، لأن دعوته ما كانت لزمن محدد أو قوم معينين مثل الأنبياء الذين سبقوه.
(الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١ / ٥ / ١٩٠٣م، ص ٢)

ولو خطرت ببال أحدٍ شبهة أنه لماذا لا يُطَّلَع في العصر الراهن سكان الغابات - الذين يعيشون من دون لغة ويدبرون أمورهم بالإشارات فقط - على لغةٍ بالإلهام؟ ولماذا لا يتلقى طفلٌ حديثُ الولادة إلهاما من الله وهو يعيش في الفلاة؟ إن هذه الفكرة ناتجة عن سوء فهم صفات الله تعالى. فلا ينزل الإلهام والإلقاء في كل مكان وعلى فلان وفلان دون مراعاة مواهب المتلقي. بل إن وجود الموهبة في المتلقي شرط ضروري للإلقاء والإلهام. والشرط الثاني هو أن تكون هناك ضرورة حقة تقتضي الإلهام.
(البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٢٧-٤٣١)

الفطرة المستقبلية التي يمكن أن تنعكس فيها الأنوار التي ينزلها الله تعالى بمشيئته الخاصة ضرورية لقبول أنوار الوحي الإلهي. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٣٧، الحاشية)

واللافت في الأمر أن الوحي الإلهي أحيانا لا يتّبع ظاهريا في بعض الفقرات قواعدَ الصرف والنحو التي وضعها الناس، غير أنه بشيء من التدبر والإمعان يثبت أنها توافق هذه القواعد. لذلك طعن بعض الجهال حتى في القرآن الكريم بالنظر إلى قواعد نحوهم الزائف. والحق أن كل هذه المطاعن جدُّ تافهة وسخيفة. والواقع أنه لا أحد سوى الله تعالى يملك علمَ اللغة الواسع. وإن اللغة كما تتغير إلى حد ما باختلاف المكان فإنها تتغير كذلك بتغير الزمان. فلو نظرنا إلى اللهجات العربية السائدة اليوم في مصر ومكة والمدينة وبلاد الشام وغيرها لوجدنا أنها تستأصل قواعد الصرف والنحو من جذورها، ومن الممكن أن تكون هذه اللهجات موجودة من قبل أيضاً في زمن من الأزمان. فالوحي الإلهي لا يمانع استخدام بعض الفقرات من اللهجات المستخدمة في الزمن الماضي أو الحاضر. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٣٦)

ولكن ليس المراد من المكالمات والمخاطبات الإلهية الكلمات التي يتردد فيها الملهم نفسه فيما إذا كانت من الشيطان أو من الرحمن. فالكلمات العديمة البركة التي يمكن أن يشارك بها الشيطان أيضا جديرة بأن تُعدّ من الشيطان أصلا، لأن كلمات الله المنيرة والمباركة والحلوة لا يمكن أن تشبه كلمات الشيطان. والقلوب التي لا نصيب فيها للشيطان بسبب طهارتها الكاملة، لا حظّ له في الوحي النازل عليها أيضا. إن الشيطان يَحِلُّ في قلوب نجسة تحتوي على النجاسة مثل الشيطان. إن النفوس الطيبة والطاهرة ينزل عليها كلام الله القدوس، وأما النفوس النجسة فينزل عليها كلام الشيطان النجس.

فإذا احتار المرء في إلهامه ولم يدرِ أَمِن الشيطان هو أم من الله، فإلهام شخص مثله يكون وبالا عليه لأنه قد يُعدّ الصالح طالحا بناء على إلهامه الذي قد يكون من الشيطان، أو يمكن أن يعدّ به الطالح صالحا ويكون ذلك التعليم من الشيطان كليّا. ومن الممكن أيضا أن يعمل بأمر تلقّاه بواسطة إلهام حاسبا إياه من الله، ولكن الشيطان هو الذي يكون قد أمره بذلك. ويمكن كذلك أن ينبذ أمرا معتبرا إياه حكم الشيطان، ولكنه من عند الله في الحقيقة.

من الواضح تماما أنه لا تتسنى للمرء استقامة كاملة للقيام بعمل دون القرار الجازم، أي دون أن يكون قلبه مليئا باليقين أنه أمرٌ من الله في الحقيقة. ولا سيما أن تكون هناك بعض الأمور التي يعترض عليها الشرع في الظاهر كما كان للشرع اعتراض ظاهريا على أعمال "الخضر"، إذ لا تأمر شريعة من شرائع الأنبياء أن يُقتل طفلاً بريءً. فلو لم يكن "الخضر" موقنا بأنه وحي من الله تعالى لما قتله على الإطلاق. ولو لم تكن أم موسى موقنة بأن وحيها من الله تعالى حتما لما أَلْقَتْ ولدها في اليمّ قط.

فأيّ مفخرة في هذا النوع من الإلهام؟! وأيّ للإنسان أن يأمن ضرّه، إذا حسبه تارة أنه من الله وظن تارة أخرى أنه من الشيطان؟! إن هذا النوع من الإلهام مصيبة على المرء وعلى إيمانه، بل هو بلاء يمكن أن يهلك بسببه في وقت من الأوقات. إن الله

تعالى لا يُلقِي في برائن الشيطان عباده الذين يبنذون علاقات النفس الأمارة ويكونون له رَجُلًا وحده، ويحرقون كلَّ ما سواه في نار حبه. والحق أنه كما أن هناك فرقا واضحا بين النور والظلام، كذلك هناك فرق بين وساوس الشيطان ووحى الله المقدس. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٠٩-٣١٠)

الإلهام ليس بشيء ما لم ينزّه الإنسان نفسه عن تدخّل الشيطان، وما لم يتطهّر من التعصبات والضغائن والحسد ومن كل ما يُسخط الله تعالى. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٨، عدد ١٧/٥/١٩٠١م، ص ١٣)

لا يغيبن عن البال مطلقا أن الصلاح لا يتوقف على الرؤيا والإلهام، فمن الملاحظ أن الكثيرين ظلوا يتلقون الرؤى والإلهامات ومع ذلك كان مصيرهم غير جيد، لأنه يتوقف على الأعمال الصالحة. إن المرور من باب الصدق والوفاء الضيق هذا ليس سهلا. لا نفتخر أبدا بتلقي الرؤى والإلهامات، ونجلس عاطلين، ونتخلى عن المجاهدات، فالله تعالى لا يرضى بذلك. (الحكم، بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد: ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ١٠)

تذكروا جيدا أن الإلهام وحده لا يجدي نفعاً قط ما لم ترافقه الشهادة الفعلية. عندما اعترض الكفار قائلين: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (الرعد: ٤٤) رَدَّ عليهم: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الرعد: ٤٤)، أي سَتُبِتْ شهادة الله الفعلية صدقي. إذن، يجب أن ترافق الإلهام شهادة فعلية. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥/٤/١٩٠٧م، ص ٩)

الإلهام والوحي من فعل الله الخاص وليس عملا إنسانيا. وأن يفتخر الإنسان بفعل الله ويفرح به لَمَن عمل الجاهل. فانظروا إلى سيدنا رسول الله ﷺ كيف كان أحيانا يطيل قيام الليل حتى تتورم قدماه، فحين قالت له زوجته: لماذا كل هذا الجهد وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ (بدر، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨م، ص ٧)

اعلموا أن الإنسان ما لم يتفان ولم يقتل أهواءه فمهما تلقى من الإلهامات والكشوف فلن تفيد، فهذه الأمور مؤقتة غير دائمة ولا يكون لها أي قيمة، إلا أن يتفانى الإنسان في الله تعالى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٢، عدد ٢٦٤/٣/١٩٠٨ م، ص ٤)

إن دعوانا بأنه يمكن أن يتلقى الطالب الصادق الإلهام من الله بالسير على الصراط المستقيم هي صحيحة وثابتة بمنتهى الجلاء؛ لأن تجربتنا الذاتية تؤكد ذلك أولاً. كما يفهم كل عاقل بالإضافة إلى ذلك أنه ليس في هذا العالم أعلى مرتبة للمعرفة الإلهية من أن ينال المرء شرف مكاملة ربه الكريم جل شأنه. فهذه الدرجة تطمئن الأرواح وترتفع جميع الشكوك والشبهات، وعند بلوغ هذه الدرجة الصافية يحظى الإنسان بنقطة المعرفة التي قد خلُق من أجل الفوز بها. هذه الدرجة مفتاح النجاة في الحقيقة وحلٌ عقدة الذات الموهومة، وبها يثبت وينكشف كم يقترب الخالق الحقيقي من مخلوقه الضعيف. فللوصول إلى هذه الدرجة أخبرنا ذلك النور الذي يسمّى القرآن الكريم، وهذا النور يبشر بجلاء ووضوح أن من المستحيل أن ينقطع نبع الإلهام أبداً. وعندما سيبحث عن الله بنقاء القلب أيُّ من سكان الشرق أو الغرب ويعقد معه صلحاً تاماً، ويرفع الحُجُب من الوسط فسيُفوز به. وعندما يجده على وجه الحق والكمال والصدق فمن المحتم أن الله سيكلّمه. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٣٧-٢٣٨)

لا شك أن الجميع يستطيعون أن يفهموا أن الإنسان بسبب حياته الغافلة التي تجذبه إلى ما تحت الثرى كل حين وآن، وكذلك بسبب علاقاته مع الأهل والأولاد والعرض والشرف التي تجذبه إلى الأسفل باستمرار كجذب الحمل الثقيل، لذا فإنه بحاجة حتماً إلى قوة عليا لتهبه بصيرة حقيقية وكشوفاً صادقة ولتجعله مشغولاً في جمال الله الكامل.

فليكن معلوماً أن تلك القوة العليا هي الإلهام الإلهي الذي يهب صاحبه المتعة عند المعاناة، ويجعله يقف تحت تلال المصائب وجبالها بكل سرور ومتعة. إن ذلك

الأمر الدقيق الذي بهر القوى العقلية وترك عقول العقلاء والحكماء في حيرة من أمرهم، إنما هو الإلهام الذي بواسطته يخبر الله تعالى عن وجوده ويطمئن قلوب السالكين وينزل عليهم السكينة قائلا: "أنا الموجود" وينصّر الحياة الذابلة بالنسيم العليل لوصاله البالغ غايته. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢٧)

لقد قدّم الله أفعاله المشهودة شهادةً لتبيان أفعاله النظرية. وكأنه تعالى يقول: إن كنتم في ريب من وجود الخواص المذكورة في النفوس البشرية، فتدبروا في الشمس والقمر وغيرهما وسوف تجدونها فيها بداهة.

ثم إنكم تعلمون أن الإنسان عالم صغير رُسمت في نفسه خارطة العالم الكبير كله بالإجمال. فما دام من الثابت المتحقق أن هذه الأجرام الضخمة في العالم الكبير مزودةً بتلك الخواص، وتنفع المخلوقات كما ذكر، فكيف يمكن للإنسان أن يكون خاليًا ومحرومًا منها.. مع أنه يسمّى أعظم المخلوقات درجة؟ كلا، بل إن فيه أيضًا، كضياء الشمس، نورًا من العلم والعقل يستطيع أن يضيء به العالم كله. وأنه -مثل القمر- يتلقى من الحضرة العليا نور الكشف والإلهام والوحي.. ويوصله إلى الذين لم يستوفوا بعد الكمال الإنساني. فكيف إذن يسوغ القول بأن النبوة باطلة، وأن جميع الرسالات والشرائع والكتب إنما هي حصيلة مكر الإنسان وأنانيته؟ تشاهدون كيف تستبين كل سبيل بطلوع النهار، ويظهر كل ارتفاع وانخفاض جليًا.. كذلك فالإنسان الكامل هو نهار من الضوء الروحاني، وعند إشراقه تستبين كل سبيل، ويبين هو للناس أين الصراط المستقيم لأنه هو النهار المنير للحق والصدق.

وكذلك تشاهدون كيف يؤوي الليل المتعبين المرهقين، وكيف يجد العمال المنهكون في أحضانه راحة النوم بكل سرور، ويستريحون من المشاق، ثم إن الليل يهبي الستر للجميع، كذلك فإن عباد الله الكُمَّل يأتون لراحة أهل الدنيا. إن الذين يتلقون وحيًا وإلهامًا من الله يخلّصون كل العاقلين من إرهاق النفس، وبفضلهم تنحل المسائل الصعبة بكل يسر. كما أن وحي الله تعالى يهبي -مثل الليل- سترًا للعقل

الإنساني.. فلا يدع أخطاءه الخبيثة تنكشف للعالم لأن أرباب العقل متى تلقوا نور الوحي أصلحوا أخطاءهم بأنفسهم، واتقوا الفضيحة بفضل بركة الوحي الإلهي القدسي. لذلك لن تجدوا أحداً من فلاسفة الإسلام قرب للأصنام دجاً كما فعل "أفلاطون" الفيلسوف. كان أفلاطون محروماً من نور الوحي لذلك انخدع، وبدرت منه تلك الحماقة البشعة.. رغم كونه فيلسوفاً كبيراً. ولكن حكماء الإسلام عَصِمُوا من مثل هذه الأعمال النجسة الحمقاء بفضل اقتدائهم بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. فانظروا كيف ثبت أن الوحي يزود العقلاء بستر كمثل الليل. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٢٦-٤٢٨)

النور الذي تنفتح به عين الإنسان ويتحقق له اليقين التام، يتوقف الحصول عليه على الإلهام فقط. فبالإلهام يفوز الإنسان بالنور الذي يُبرئه من كل ظلام، ويحصل له نوعٌ من الطمأنينة والسلوان، ومنذ ذلك اليوم تجد نفسه الراحة في الله، ويفتر في قلبه حبُّ كل ذنب وفسق وفجور، ويمتلئ قلبه أملاً ورجاءً، وبسبب المعرفة الإلهية الحقيقية، يبقى كل حين وأن يخشى الله ويرتجف، وبعد الحياة فانية، وينصرف إلى الفوز برضوان الله تاركاً الرغبة في اللذات السفلية والأُماني، وهو في الحقيقة يفارق شوائب الذنب عندئذ فقط.

فما دام الإنسان لا يجد النور المتجدد من السماء ولا يرى الله؛ فلا يكتمل إيمانه. وما دام الإيمان لا يبلغ الكمال، فمن المستحيل أن يتخلص الإنسان من ربة الذنوب. الناس بدون الإلهام يملكون الإيمان الشكلي فقط، ويكونون غافلين عن كنهه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م، ص ٥)

مَنْ أَكْثَرُ شَقَاءً مِنْ مُسْلِمٍ يَعِدُهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ سَيُكْرِمُهُ بِكَلَامِهِ وَلَكِنَّهُ لَا يَهْتَمُّ بِهَذَا الْأَمْرِ. إِنَّهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ وَخَاصٌّ بِالْإِسْلَامِ وَحْدَهُ. اسْأَلُوا هِنْدُوسِيَا أَنْ يُخْبِرَكُمْ بِوَعْدٍ فَقَطْ وَعُدَّ بِهِ، لَنْ يَقْدَرَ عَلَى ذَلِكَ. إِنَّهُ لَدَيْنَ مَيِّتٍ يَؤَاجِهِ مَأْتَمٌ خُتِمَ فِيهِ عَلَى الْإِلَهَامِ، وَإِنَّهُ لِبَسْتَانٍ خَرِبٌ بَلَغَ مِنْهُ الْخَرِيفُ كُلُّ مَبْلَغٍ وَلَا يُوَثِّرُ فِيهِ الرِّبْعُ.

كم من المؤسف والغريب؛ إذ لم يُحْتَمَ على فطرة البشر، فهي لا تزال جائعة وظامئة لمعرفة الله الحقيقية كما كانت من قبل، ولكن حُتِمَ على الإلهام الذي هو مصدر معرفة الله! من المؤسف حقاً أنه قد رُمِيَ بالغذاء بعيداً في وقت الجوع وسُلب الماء في حالة العطش. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤٤/١/١٩٠٧م، ص ٧)

ليس عندنا أي قانون عاصم نجتنب به الخطأ حتماً، ولهذا السبب إن الفلاسفة الذين وضعوا القواعد للمنطق واخترعوا مسائل المناظرة ونحتوا دلائل الفلسفة، ظلوا هم أيضاً يغرقون في الأخطاء، وتركوا مئات أنواع الأفكار الباطلة والفلسفة المزورة والأقوال السخيفة، ذكرى لغبائهم. فمن هنا نستنبط البرهان على أن وصول الإنسان بواسطة بحوثه إلى جميع الأمور الحقّة والعقائد الصحيحة والصيانة من ارتكاب أي خطأ في أي مناسبة، مستحيل ببساطة. لأننا لم نرَ إلى اليوم ولم نسمع قط ولم نقرأ في التاريخ عن فرد كان بريئاً ومعصوماً من السهو والخطأ في فكره ونظره كلّ. ففي ضوء القياس الاستقرائي نتوصل إلى النتيجة الصحيحة الصادقة بأن وجود الأشخاص الذين أوصلوا بحوثهم - بالتفكير في قانون الطبيعة فقط وتدبره وتطبيق ذخيرة ضميرهم بأحداث العالم- إلى قمة الصدق بحيث يكون العثور على الخطأ مستحيلاً، هو نفسه مستحيل عادة.

الآن بعد هذا؛ الأمر الذي يمكن أن تناقشه ولك حق أن تناقشه هو أن تنقض استقراءنا هذا بتقديم أي نظير ضده. أي سينحصر جوابك، بحسب الوضع المستقيم للمناظرة، في أن تقدّم -إبطالاً لاستقراءنا هذا إذا كان في نظرك غير صحيح- فرداً كاملاً من أرباب النظر والفكر والحدس معصوم القلم واللسان من السهو والخطأ، يستحيل العثور فيه على أي نقص في جميع آرائه وأحكامه وقراراته... وإلا فمن الواضح الجلي أنه إذا كان الإنسان شخصياً غير قادر، بعلمه ومعرفته، على اجتناب الخطأ ولم ينصر الله (الرحيم الكريم والمنزه عن كل سهو وخطأ، والمطلع على حقيقة كل أمر) عباده بإلهامه الصادق، فأني لنا نحن العباد الضعفاء التخلص من ظلمات

الجهل والخطأ؟ وكيف نتخلص من آفات الشكوك والشبهات؟ لذا أكشف هنا برأيي محكم، أن من مقتضى حكمة ذلك القدير ورحمته وربوبيته حتماً أن يخلق بين حين وآخر بحسب الحكمة أناسا يتلقون من الله إلهاما لمعرفة العقائد الحقّة واكتشاف الأخلاق الصحيحة، وأن يَهَبَ لهم ملكة تفهيم التعليم لكي لا تبقى النفوس البشرية -التي قد خُلقت من أجل الهداية الحقّة- محرومة من نيل سعادتها المنشودة. (المقالات القديمة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٠-٢١)

الإنسان بحاجة إلى المشاهدة والبصيرة الذاتية على الدوام. يظل الدين مصدر العلوم الحقّة ما بقيت تظهر فيه صفات الله تعالى بتجليات جديدة؛ وإلا فسيتحول إلى قصص وأساطير ويؤول إلى الموت والزوال. هل يمكن لعقل إنسان أن يقبل مثل هذا الفشل الذريع؛ إذ نجد في أنفسنا رغبة عارمة وشعوراً قوياً بالحاجة إلى تلك المعرفة التامة التي لا تكتمل بدون المكاملة والمخاطبة الإلهية والآيات العظيمة، فكيف يُتوقع من رحمة الله تعالى في هذه الحالة أن تغلق علينا باب الوحي. هل تغيرت قلوبنا في هذا العصر؟ أم تغير الإله نفسه؟! يمكن أن نقبل بأن وحي شخص واحد في بعض العصور كان يكفل تنمية المعرفة لدى مئات الألوف من الناس بحيث لم تكن ثمة ضرورة أن يتلقى كل فرد منهم وحيًا، ولكن ما لا نستطيع أن نقبله هو أن تُطوى صحيفة الوحي بشكل نهائي؛ فلا يبقى في أيدينا سوى قصص وأساطير لم نشهدها ولم نجرها بأنفسنا. والواضح أنه لو ظل أمر من الأمور يُنقل عبر الأجيال لمئات السنين كانتقال القصص الخرافية دون أن يظهر ما يصدّقه من الأدلة القوية والنماذج الجديدة فلا يمكن لبعض الطبائع الفلسفية أن تقبله، ولا سيما إذا كانت هذه القصص تتكلم عن أمور تبدو لنا في عصرنا الحاضر مخالفة للقياس. ولهذا السبب نفسه أخذ أصحاب الطبائع الفلسفية يستهزئون بمثل هذه الكرامات كلما تقادم عليها الزمن، بل أصبحوا يشككون في صدقها، وهذا حقهم، لأنهم فكّروا أنه إذا كان الله هُوَ هُوَ ، وصفاته هي هي، وحاجات الإنسان هي هي، فلماذا انقطعت

سلسلة الإلهام، في حين أن الأرواح كلها تنادي بأعلى صوتها بأنها بحاجة إلى المعرفة المتجددة. وهذا هو الأمر نفسه الذي أدى بالهندوس إلى الإلحاد، لأن البانديتات علموهم مرة بعد أخرى أن سلسلة الإلهام والوحي وكلام الله تعالى قد انقطعت منذ ملايين السنين، إلا أنهم رأوا أن زمنهم هذا أحوج ما يكون إلى إلهامات الله تعالى من زمن الفيدا، فإذا كان الإلهام حقيقةً ثابتةً فلماذا لم تستمر هذه السلسلة بعد الفيدا؟ وهو السبب نفسه في انتشار الإلحاد في الهند أيضا. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٩١-٤٩٢)

هناك حاجة ماسة إلى الإلهامات الجديدة من أجل تجديد إيمان نوع بني الإنسان. يُعرف الوحي الحق من خلال قوته الاقتدارية، لأن الله وحده يملك القوة الاقتدارية، ولا يتمتع بها الشيطان والجن وغيرهما. وبواسطة وحي إمام الزمان تثبت صحة إلهامات الآخرين. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٩٣)

من سنة الله القديمة الذي خلق هذه الدنيا وأعطى آمالا وبشارات أبدية عن الحياة الأخروية أنه يلهم من عنده بعضا من عباده لينبئه الغافلين، ويزيدهم معرفة، ويكلمهم ويظهر عليهم آياته من السماء. فيرون الله تعالى بعيون روحانية ومُملؤون يقينا وحبا فيقدرون على أن يجذبوا الآخرين أيضا إلى العين نفسها التي يشربون منها بأنفسهم ليحب الغافلون الله تعالى وينالوا نجاة أبدية. كلما يفترب حبُّ الله في العالم وتقل الطهارة الباطنية الحقيقية بسبب الغفلة يُلهم الله تعالى أحد عباده ويُقيمه لتطهير القلوب. والذي أقامه الله تعالى في هذا الزمان بتزكيته بيده، لإنجاز هذه المهمة، هو أنا العبد الضعيف. (كشف الغطاء، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ١٩١)

بما أنه ليس بوسع كل إنسان أن يبلغ مدارج اليقين فمست الحاجة إلى الوحي الذي يعين العقل في الظلام كسراج منير، ومن أجل ذلك نجد أن كبار الفلاسفة قد فشلوا في الوصول إلى الإله الحق متكلين على العقل وحده، حتى قال الفيلسوف

الكبير أفلاطون عند موته: إني خائف، فاذبحوا لي ديكًا على صنم. فأني دليل أكبر من هذا، ففلسفة هذا الفيلسوف العظيم وحكمته وفطنته أيضا فشلت في أن تجلب له تلك السكينة والطمأنينة التي تيسر للمؤمنين. اعلّموا جيدا أن الإلهام جد ضروري من أجل تلج القلب واستقامته. أقصد من قولي هذا أن أَعْمِلُوا عقولكم أولاً، ومَنْ يُعْمَل عقله سيرى إله الإسلام حتمًا ويقينًا، لأن اسمه مكتوب بحروف كبيرة جليلة على كل ورقة من أوراق الشجر وكل جرم من أجرام السماء، ولكن لا نكونوا تابعين للعقل وحده فتقلّلوا من أهمية الإلهام الإلهي الذي لا يتيسر بدونه الاطمئنان الحقيقي ولا الأخلاق الفاضلة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٧٢)

يبقى الإنسان بعد وصوله إلى المدينة أيضا محتاجا إلى دليل ليدلّه على مكان معين، فهل تكفي التقديرات الإنسانية للعثور على سبيل الدين ونيل رضوان الله، أو هل يكفي العقل السفلي وحده؟ كلا! لا يمكن ذلك ما لم يهّد الله إلى سبيله بنفسه. وإن لم يُطْلَع الإنسان على سبيل رضوانه لا يستطيع فعل شيء. اعلّموا أنه ما لم ينزل الماء من السماء لا تُظْهِر الأرض خضرتها وإن كانت البذور مزروعة فيها، بل يغور ماء الأرض أيضًا. فهل يمكن أن تخضّر الأرض الروحانية وتثمر دون المطر الروحاني؟ كلا! هذا لا يمكن، ولا يتحقق شيء دون الإلهام الإلهي. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠٣/٣/١٩٠٣م، ص ١٣)

لقد قال الله للإنسان في العصر البدائي إني إلهك، فكَذَلِكَ قال في الزمن الأخير أيضًا "أنا الموجود". فاعلموا أنه هادٍ، إذا ترك الناس أَلْهُدَا كلهم، لذا يقدم إثبات ألوهيته بانتظام. أما هذا العصر فيحتاج إلى هذا الأمر بصفة خاصة. (بدر، مجلد ٧، رقم ٦، عدد ١٣/٢/١٩٠٨م، ص ٤-٥)

من فطرة الإنسان أنه إذا بحث عن شيء بكل قوة وبذل كل سعي ولم يدخر جهدا في البحث والطلب، ومع ذلك لم يتيسر له ذلك الشيء، فلا يبقى إيمانه بوجود ذلك الشيء قائمًا، ولا سيما إذا كان يبحث عن ذات ذلك المَطَّلَع على

اضطرابه ومساعيه والعالم بقلقه هذا. فإذا لم يأت أي رد منه فسوف يؤدي بالتأكيد إلى الرفض واليأس. فالثابت بموجب هذا البحث أن اليقين الصادق بالله تعالى مستحيل دون وحيه وإلهامه. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٧٦) يعدّ العقلاء - بإيمانهم بكون الله جوادا وكرهما - أبواب الإلهام مفتوحة على الدوام. ولا يخصصونه بأي ولاية أو بلد، وإنما يخصصونه بالصراط المستقيم الذي بالسير عليه بدقة تُنال هذه البركات؛ لأنه للحصول على شيء يجب العمل بالقواعد والطرق التي يُمكن الحصول على ذلك الشيء بالتمسك بها. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٧٦-١٧٧، الحاشية)

أيها الغافلون، إن قنوات الوحي جارية في هذه الأمة المرحومة إلى يوم القيامة، ولكن على قدر المراتب. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢١) لا يمكن الإثبات أن الإسلام دين حيٍّ، كما لا إثبات حقيقة النبوة اليقينية التي يمكن أن تُفحم منكري الوحي في كل زمان إلا إذا استمر الوحي دائما بصيغة المحدثية، ففعل الله ﷻ ذلك تماما. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣) اعلموا يقينا أن أعظم منة لله على عباده هي أنه لا يريد أن يُبقي الإسلام دينا ميتا بل يريد أن يجعل طرق اليقين والمعرفة وإدانة الخصم مفتوحة دائما. فكروا بأنفسكم أنه إذا أنكر أحد وحي الأنبياء وقال: إن فكرتكم هذه وهمٌ بحثٌ فأني دليل يمكن أن يُفحمه إلا إراءة نموذجهِ؟ هل هذه بشارة سارة أم محزنة أن البركات السماوية بقيت في الإسلام لبضع سنوات فقط ثم صار دينا يابسا بل ميتا؟ هل هذه هي علامات الدين الحق؟ (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥)

"فتدبّر أيها المنصف العاقل.. كيف لا يجوز مكالماتُ الله ببعض رجال هذه الأمة التي هي خير الأمم وقد كلّم الله نساء قوم خلوا من قبلكم، وقد أتاكم مثل الأولين؟" (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٩٧)

ليس صحيحاً أبداً القول بأن الله كان يتكلم فيما مضى ولا يتكلم الآن. كلا! إنما لا نحدد كلامه ومخاطباته في زمن دون زمن. لا جرم أنه سبحانه لا يزال - كما كان - مستعداً ليعطي السائلين عطاء جزيلاً من ينبوع وحيه، وأن أبواب رحمته مفتوحة الآن كما كانت سابقاً. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٦-٣٦٧)

أقول له حقاً إنه يكثر في جماعتي عدد مثل هؤلاء الملهمين، وإلهامات بعضهم كثيرة بحيث يمكن أن تغدو كتاباً إن جُمعت. فإن سيد أمير علي شاه مثلاً؛ يرسل إليَّ أسبوعياً ورقة كاملة محتوية على وحيه - كما أن هناك بعض السيدات اللواتي صدّقني يتلقين الوحي باللغة العربية مع أنهن لم يدرسن حرفاً منها. (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٥٠١)

فإذا كان أحد ينكر بسبب عمه الوحي النازل عليّ - وكان مُسلماً وليس ملحداً خفيةً - فيجب أن يكون جزءاً من إيمانه أن المكاملة والمخاطبة الإلهية ممكنة على وجه القطع واليقين. فكما نزل الوحي الإلهي على كثير من الرجال والنساء في الأمم السابقة دون أن يكونوا أنبياء، فلا بد من نزول الوحي القطعي واليقيني في هذه الأمة أيضاً، حتى لا تصبح هذه الأمة أحقر الأمم بدلاً من كونها أفضلها. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٧)

معلوم أنه لا شيء يمكن أن ينفصل عن صفاته الذاتية، فكيف إذن يمكن ذلك في كلام الله الذي هو كلام حي؟ هل يمكنكم القول بأن شمس كلام الله تعالى كانت تطلع في الأزمنة الماضية على وجه اليقين ولكن لم يعد فيها الجلاء نفسه الآن؟ وكأنه لم تبق وسيلة للوصول إلى المعرفة اليقينية في المستقبل، بل اقتصرت على الأزمنة الحالية فقط؛ وكأن سلطنة الله وحكمه وإفاضته قد انقطعت بعد فترة وجيزة. ولكن كلام الله تعالى يشهد على عكس ذلك لأنه يعلم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٦-٧) (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٨٧)

لقد حُتِمت الشريعة بالقرآن الشريف، أما الوحي فلم ينتهِ، لأنه روح الدين الحق، والديُّ الذي انقطعت منه سلسلة الوحي الرباني هو دين ميت، والله ليس معه. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٤، الحاشية)

لا تحسبوا أنَّ زمان الوحي الرباني قد ولى وانقضى، ولا يمكن أن ينزل الآن منه شيء، وأنَّ روح القدس لا يسعه النزول الآن، وإنما كان نزوله في القرون الأولى فقط. أقول لكم صدقًا وحقًا إنَّ كلَّ باب يمكن أن يُغلق، ولكن باب نزول روح القدس لن يُغلق أبدًا، فافتحوا أبواب قلوبكم ليدخلها. إنكم تُبْعِدُون أنفسكم عن تلك الشمس إذ تسدُّون النافذة التي يدخل شعاعها منها. أيها الجاهل، قُمْ وافتح تلك النافذة تنفذ الشمس إلى داخلك من تلقائها. أظنون أنَّ الله تعالى قد سدَّ عليكم سبل الفيوض السماوية التي كنتم اليوم بأمرٍ حاجة إليها، وهو الذي لم يسدَّ عليكم سبل خيرات الدنيا في هذا الزمن، بل زاد فيها؟ كلاً! بل قد فُتِحَ ذلك الباب بجلاء تام. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٤-٢٥)

عليكم أن تردادوا صدقًا وسدادًا وتقوى وحبًّا لله حبًّا ذاتيًا، واجعلوا هذا الأمر نصب أعينكم ما دمتم أحياء، ثم يشرف الله بمخاطبته وكلامه أيضًا من يشاء له ذلك منكم. ولكن إياكم أن تتمنَّوا هذا أبدًا، لئلا تبدأ، بسبب أمنيَّتكم النفسانية هذه، سلسلة المكاملة الشيطانية التي تُهلك الكثيرين. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٨)

إن أبواب تلقي الوحي نتيجة اتِّباع النبي ﷺ مفتوحة إلى يوم القيامة. لن ينقطع أبداً الوحي الذي هو نتيجة اتِّباع النبي ﷺ. أما النبوة التشريعية أو النبوة المستقلة فقد انقطعت. (التعليق على المناظرة بين البطالوي الجكرالوي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢١٣)

ما دام قانون الله المادي السائد في الطبيعة لا يزال موجوداً لنا أيضاً كما كان من قبل فكيف إذن تغيَّر قانونه الروحاني في هذا العصر؟ كلا، لم يتغير قط. والذين

يقولون بأنه قد حُتم على وحي الله مستقبلاً مخطئون جداً. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٠)

اعلموا أن الله تعالى لا يضيع الباحث عنه أبداً. إنه وَعَلَى موجود فعلاً، وكما ظلّ يقول منذ الأزل: "أنا الموجود"، كذلك يقوله الآن أيضاً. وكما نزل الوحي على المسيح عليه السلام كذلك ينزل عليّ أيضاً. الحق والحق أقول إنه ليس ادعاء فارغاً، بل إنه مصحوب بأدلة ساطعة. إن الإله الذي ظلّ يتكلم منذ الأزل لموجود الآن أيضاً، وقد نور العالم بكلامه الآن أيضاً. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤، عدد ٣١/١/٢٠١٩م، ص ٣)

المعرفة الصادقة لا تتأتى بغير المخاطبات الإلهية. إذا لم تحصل عليها هذه الأمة كيف صارت خير أمة؟ لم يغلق الله باب المخاطبات وإلا لما بقيت وسيلة للنجاة. (بدر، مجلد ١، عدد ٣٣، عدد ١١/١١/٢٠١٥م، ص ٣)

اعلموا أن الله تعالى لم يغلق باب الوحي والإلهام. والذين يعدّون هذه الأمة محرومة من نعمة الوحي والإلهام مخطئون جداً ولم يفهموا الغرض الحقيقي للقرآن الكريم. إنهم يرون أن أفراد هذه الأمة كالوحوش وأن بركات النبي ﷺ وتأثيراته انقطعت والعياذ بالله، وأن الإله الذي كان يتكلم من الأزل سكت في هذا العصر. إنهم لا يدرون أنه لا معنى للقول: "هدى للمتقين" إن لم تكن هناك إمكانية مكاملة الله ومخاطبته، ولا دليل على وجود الله بدون المكاملة والمخاطبة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤، عدد ٣١/١/٢٠١٦م، ص ٢)

يعتقد الصوفية كلهم أن سلسلة الوحي لا تنقطع بل يمكن للإنسان أن يصبح نبيا على سبيل الظلية، ولكن بسبب ضعفه يعبرون عنه بوحي القلب. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/٢٠١٧م، ص ٦)

وحي النبي - الذي يمكن أن نسميه الاجتهاد أيضاً بتعبير آخر - يختلط بمس الشيطان وذلك حين يتمنى النبي أن يحدث كذا وكذا، ففي ذلك الحين تخطر بباله فكرة بحسب ذلك، فيعقد العزم على الثبات عليها عندها ينبّه الوحي الأكبر الذي

هو كلام الله والوحي المتلو والمهيمنُ النبيُّ على هذا الخطأ فوراً.. إن الوحي المتلو يكون نزيهاً تماماً عن تدخّل الشيطان لأن فيه هبة وشوكة عظيمة ونورا عظيماً، وهو قول ثقيل وشديد النزول أيضاً، وإن أشعته القوية تحرق الشيطان؛ لذا يفر منه الشيطان فراراً ولا يسعه أن يقربه، ويحظى هذا الوحي بحماية كاملة من الملائكة. أما الوحي غير المتلو، الذي يدخل فيه اجتهد النبي أيضاً، فليست فيه تلك القوة. لذا فإن الشيطان يتدخل أحياناً في اجتهد نبي أو رسول عند التميّ الذي ينشأ على سبيل الندرة في الاجتهاد، ولكن الوحي المتلو ينسخ هذا التدخل. فلهذا السبب قد حدث في اجتهادات الأنبياء أيضاً خطأ أحياناً، ولكنه أزيل فيما بعد. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٥٣)

القرآن وحيٌّ متلّو، وقد عُني بجمعه وحفظه عناية بالغة بحيث لا مجال للمقارنة بينه وبين العناية بحفظ الأحاديث. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٢-١٣)

كل ملهم من الله تعالى يتلقى الإلهامات من ثلاثة أنواع؛ منها واجبة التبليغ، والأخرى التي يُخيّر فيها الملهمون لإظهارها أو عدم إظهارها، ولو رأوا الحكمة في بيانها بيّنها وإلا أخفوها. والنوع الثالث للإلهامات هو ذلك الذي يُمنع الملهمون من إظهاره. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٣١٦، الحاشية)

الإلهام إما أن يكون من الرحمن أو من الشيطان. فلو توجّه المرء إلى استكشاف أمر ما، أو إلى الاستخارة أو الاستخبار، واضعاً في الحسبان أفكاره وأهواء نفسه، ولا سيما إذا كانت في قلبه أمنية كامنة أن يتلقى كلمة خير أو شر بحق أحد بحسب رغبته هو؛ لتدخل الشيطان عندئذ في أمنيته حتماً، ولجرت على لسانه كلمة تكون من الشيطان. وفي بعض الأحيان يحدث هذا التدخل في وحي الأنبياء والرسل أيضاً، ولكنه يُنسخ فوراً. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٩)

"إن الوحي كما ينزل على الأنبياء كذلك ينزل على الأولياء، ولا فرق في نزول الوحي بين أن يكون إلى نبيٍّ أو وليٍّ، ولكلِّ حظٍّ من مكالمات الله تعالى ومخاطباته على حسب المداخل. نعم.. لوعي الأنبياء شأنٌ أتمُّ وأكمل. وأقوى أقسام الوحي وحي رسولنا خاتم النبيين." (تحفة بغداد، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٧-٢٨، الحاشية)

أنه لو وردت أخطاء نحوية أو صرفية في إلهامات شخص غير مثقف وغير متعلم فلا اعتراض على الإلهام..... ولكن يعدّ مثل هذا الإلهام المذكور من الدرجة الدنيا، ولا يصطبغ بتجلٍّ كامل لنور الله تعالى؛ لأن الإلهام على ثلاث درجات: الأدنى، والأوسط، والأعلى. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٩٩)

فلو سمع المرء كلاماً، أي تنهّى إلى قلبه صوت وجرى على لسانه، ثم انتابه الريب إذا كان ذلك صوت الشيطان أو حديث النفس فسيكون صوت الشيطان أو حديث النفس فعلاً، لأن العظمة والبركة والنور والتأثير والمتعة والقوة الإلهية والوجه المنير الذي ينزل به كلام الله تعالى على القلب يهب صاحبه اليقين أنه من الله. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٤)

الوسيلة الوحيدة لنوال البركات كلها والحصول على اليقين إنما هي مكالمة الله ومخاطبته. ولا يمكن حياة الإنسان الدنيوية المليئة بالشكوك والشبهات أن تصل بحال من الأحوال إلى ينبوع اليقين الصافي للمكالمة والمخاطبة التي يستطيع الملهم القول عنها حالفاً بالله إنها المكالمة نفسها التي جرت مع آدم ثم مع شيث ثم مع نوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف، ثم بعد أربع مئة سنة مع موسى ويوشع بن نون، ثم مع داود وسليمان والنبي اليسع ودانيال، وفي نهاية السلسلة الإسرائيلية مع عيسى بن مريم، ثم كانت مع سيدنا محمد ﷺ بوجه أتم وأكمل من جميع الأنبياء. ولكن إذا كان الكلام أدنى من مرتبة اليقين فإنه كلام الشيطان لا كلام الرب. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٨٦)

هنا يجب الانتباه جيدا إلى أن الإلهامات الضعيفة التأثير التي تبقى مشتبهة على الملهم فيما يتعلق بكونها من الله أو الشيطان، تكون من الشيطان في الحقيقة، أو تشوبها شائبة من الشيطان. وضالٌّ مَنْ يعتمد عليها، وشقيٌّ من ابتلي بهذا الابتلاء الخطير، لأن الشيطان يعبث به ليهلكه. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٩٢)

الوحي قسمان، وحي الابتلاء ووحي الاصطفاء. إن وحي الابتلاء في بعض الأحيان يكون مدعاة للهلاك كما هلك بسببه "بلعام باعور". أما صاحب وحي الاصطفاء فلا يهلك أبدا. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١)

الوحي الأكمل والأتم من أنواعه الثلاثة هو ذلك الذي يدخل في النوع الثالث من العلم، ويكون متلقيه مستغرقا تماما في الأنوار السبحانية. ويسمى هذا النوع من الوحي "حق اليقين". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٠)

الشرط الأول لتلقي الوحي والإلهام من الله هو أن يصير الإنسان لله وحده، وألا يبقى فيه نصيب للشيطان أبدا لأنه حينما وُجدت الجيفة اجتمعت الكلاب حتما.

(حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٢)

للإلهام أو الكشف أو الرؤيا ثلاثة أنواع:

١ - أولا: الذي يكون من الله، وينزل على أشخاص قد تمت تزكية نفوسهم كاملة، وهي تتحقق بعد مواجهة أنواع الموت الكثيرة وإفناء النفس. ومثل هذا الإنسان يتخلى نهائيا عن الثوائر النفسانية، إذ يحل عليه موت يحرق جميع الشوائب الداخلية، وبذلك يتقرب إلى الله ﷻ ويتعد عن الشيطان، فالإنسان يسمع صوت من يدنو منه.

٢ - ثانيا: حديث النفس الذي هو نتيجة الأماني النفسانية، ويكون فيه دخلٌ كبير لأفكار المرء وطموحاته. ويرى الإنسان في الرؤى الأمور التي يفكر فيها سلفاً مثلما تحلم القطة باللحم بحسب المثل المشهور. ومثلهم كمثل الكلمات التي تجري على ألسنة الأطفال التي يقرؤونها نهارا في كتب القصص، فهو حال حديث النفس.

٣ - ثالثاً: الإلهامات الشيطانية، فيها يخدع الشيطان بشكل عجيب وغريب جداً، فأحياناً يُري الإنسان العرش الذهبي، وأحياناً يري المشاهد السارة ويعطى وعوداً كثيرة. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٢)

كل من ينزل عليه كلام لا توجد فيه العلامات الثلاثة التالية، فإن اعتبره هذا الكلام كلام الله إنما هو بمنزلة إلقاء نفسه إلى التهلكة.

أولاً: يجب ألا يتنافى هذا الكلام مع القرآن الكريم. ولكن ذكر هذه العلامة سيبقى ناقصاً دون اقتراحها مع العلامة الثالثة التي سنتناولها لاحقاً. بل الحق أنه لو لم توجد العلامة الثالثة لما ثبت شيء بالعلامة قيد البحث.

ثانياً: يجب أن يكون الذي ينزل عليه الكلام حائزاً على تركية النفس تماماً ويكون من الفانين الذين تخلوا عن أهواء النفس كلياً، واستولى على نفوسهم موت صاروا بسببه قريين من الله وبعيدين عن الشيطان؛ لأن الإنسان يسمع صوت الأقرب إليه؛ فالذي يكون قريباً من الشيطان يسمع صوت الشيطان، ومن كان قريباً من الله يسمع صوت الله. إن كافة مساعي الإنسان هي من أجل تركية النفس، وعليها ينتهي السلوك كله، أو بتعبير آخر إنها موت يحرق الشوائب الباطنية كلها. وحين يكمل الإنسان دربه يأتي دور التصرفات الإلهية. عندها يُحيي الله تعالى عبده -الذي يكون قد بلغ درجة الفناء بعد القضاء على الأهواء النفسانية- من جديد بحياة المعرفة والحب، ويُظهر عليه العجائب الروحانية من خلال آياته الخارقة للعادة وبملاً قلبه بجذب قوي لحبه الخاص الذي لا تدركه الدنيا. ففي هذه الحالة يقال إنه نال حياة جديدة لا موت بعدها.

فهذه الحياة الجديدة إنما تُنال بعد المعرفة الكاملة والحب الكامل. ومعرفة الله الكاملة تُنال بواسطة الآيات الخارقة. وحين يبلغ الإنسان هذا الحد يحظى بالمكاملة والمخاطبة الإلهية الصادقة. ولكن هذه العلامة أيضاً ليست مما يمكن الاطمئنان إليه دون تحقق علامة الدرجة الثالثة لأن التزكية الكاملة أمر خفي قد يدّعيه كل من يأتي بكلام هراء أيضاً.

العلامة الثالثة للملهم الصادق هي أن تشهد أفعال الله المتتالية على الكلام الذي ينسب إليه ﷺ، أي يجب أن تظهر في تأييده آيات حتى يرى العقل السليم استحالة عدم كونه كلام الله لكثرة ما يؤيده الله تعالى بآياته. والحق أن هذه العلامة أقوى العلامات كلها لأنه من الممكن أن يجري على لسان الإنسان كلام أو أن يقدم أحد كلاما كإلهام ولا يتنافى مع بيان القرآن الكريم من حيث معناه بل يتوافق معه تماما ولكنه مع ذلك يمكن أن يكون كلام مفتري؛ لأن المسلم العاقل - وإن كان مفتريا - سوف يتنبه حتما ألا يقدم كلاما يعارض القرآن الكريم مدّعيًا كونه إلهاما وإلا سيكون عرضة لاعتراضات الناس تلقائيا. ومن الممكن أيضا أن يكون هذا الكلام حديث النفس بمعنى أن تجري كلمة على اللسان تلقائيا كما يجري ليلا على لسان الصغار ما قرأوه في الكتب نهارا.

باختصار، إن كون الكلام - الذي يقدم إلهامًا - مطابقا للقرآن ليس دليلا قطعيا على كونه كلام الله. أليس واردا ألا يكون الكلام من هذا القبيل متعارضا مع كلام الله من حيث معناه ويكون مع ذلك افتراء مفتري؟ فلفتري يستطيع بكل سهولة أن يقدم كلاما منسجما مع تعليم القرآن الكريم ثم يقول إنه كلام الله النازل عليه، بينما يمكن أن يكون هذا الكلام حديث النفس أو كلام الشيطان. كذلك لا يمكن الاطمئنان للشرط الثاني، وهو أن مدّعي الإلهام يجب أن يكون حائزا على تركية النفس، بل هذا أمر خفي ويمكن أن يدّعي به كثير من ذوي الطبائع الخبيثة ويقولوا إننا حائزون على تركية النفس ونحب الله حبا صادقا. إذن، فليس سهلا الحكم بين الصادق والكاذب في هذا المجال. ولهذا السبب قد ألصق كثير من أصحاب النفوس الخبيثة تهما قدرة بالأصفياء الذين كانوا حائزين على تركية النفس كما يتهم القساوسة في العصر الراهن سيدنا ومولانا النبي ﷺ ويقولون إنه كان يتبع أهواء نفسه، والعياذ بالله. فتجدون مثل هذه التهم القدرة في ألوف من مجلاتهم وجرائدهم وكتبهم. كذلك يوجّه اليهود إلى عيسى ﷺ

أنواع التهم. فقد قرأت قبل فترة وجيزة كتاب يهوديٍّ لم يكتف فيه بتوجيه الاعتراض القدر فقط أن ولادته ﷺ كانت غير شرعية -والعياذ بالله- بل وجه اعتراضات قدرة على سلوكه ﷺ أيضا، وذكر بأسلوب خبيث للغاية النساء اللواتي كنَّ يخدمنه. فما دام الأعداء ذوو الطبيعة الخبيثة قد اعتبروا المقدسين أناسا شهوانيين وعدَّوهم خُلُوعًا تماما من تزكية النفس فبإمكان كل شخص أن يدرك مدى صعوبة إثبات تزكية النفس أمام الأعداء. فإن الآريا الهندوس يُعَدُّون أنبياء الله تعالى جميعا مخادعين وشهوانيين ويعتبرون عصورهم عصور الخديعة والمكر السيئ.

أما العلامة الثالثة -أن يكون الإلهام والوحي الذي هو كلام الله مصحوبا بفعل الله تعالى أيضا- فهي علامة كاملة لا يسع أحدا دحضها. وبهذه العلامة ظل أنبياء الله الصادقون يغلبون الكاذبين دائما لأن الذي يدَّعي نزول كلام الله عليه ثم تظهر معه مئات الآيات وتحالفه آلاف أنواع النصرة والتأييدات، ويتعرض أعداؤه لصولات قوية من الله فأئى لأحد أن يُعَدَّ مثل هذا الشخص كاذبًا. ولكن من المؤسف أن كثيرا من الناس في الدنيا ينخدعون بهذا البلاء، بمعنى أنهم يتعرضون لحديث النفس أو وسوسة شيطانية فيعتبرونها كلام الله ولا يعاؤون بالشهادة الفعلية بشيء.

نعم، يمكن أن يرى أحد رؤيا صالحة أو يتلقى إلهاما صادقا على سبيل الندرة ولكن لا يمكن أن يعدَّ هذا الشخص مأمورا من الله بناء على هذا القدر اليسير. كما لا يمكن القول إنه خلُوع من ظلمات النفس. بل الدنيا كلها تقريبا تشترك في هذا القدر من الرؤى والإلهامات مع أنها ليست شيئا مذكورا. ولقد أُودع الإنسان قدرة على تلقي الرؤيا والإلهام على سبيل الندرة لئلا يسيء العاقل الظن بأنبياء الله المصطفين، بل ليدرك أن بذرة الوحي والإلهام مودعة في فطرة كل إنسان، وأن إنكار تطورها الكامل غباوة.

أما الذين يُعَدُّون ملهَمِينَ ومكَلَّمِينَ عند الله ويحظون بالمكاملة والمخاطبة ويُبْعَثُونَ لدعوة الخلق فإن الآيات الإلهية تنزل كالمنزل لتأييدهم، ولا يسع الدنيا مبارزتهم. وإن فعل الله تعالى بكثرة يشهد أن الكلام الذي يقدمونه إنما هو كلام الله. فلو تنبه مدعو الإلهام إلى هذه العلامة لتجنبوا الفتنة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٣٥-٥٣٨)

إن علامة الوحي الصادق التي بينها الله تعالى هي أن الملائكة ينزلون حتما مع نزوله، فتقلب الدنيا إلى الصدق والحق يوما بعد يوم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣٩)

"وَمَنْ تَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ صَحِيحٌ فِي الشَّرْعِ، فَلَهُمَا كَانَ أَوْ مَجْتَهِدًا، فِيهِ الشَّيَاطِينُ مُتَلَاعِبَةٌ." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٢١)

الوحي الحق الخالص من الله تعالى، يجب أن يتحلى بالعلامات التالية:

١- في حالة الوحي الحق يذوب القلب من نار الحرق وينساب على العتبة الإلهية كالماء الصافي، وإليه أشار الحديث أن القرآن قد نزل في حالة الحزن، فقرأوه في حالة من الحزن.^١

٢- الوحي الحق يكون مصحوبا بلذة وسرور، ويهب صاحبه اليقين، ويدخل في القلب كالوتد الحديدي، وتكون عباراته فصيحة ومنزهة من الخطأ.

٣- يتميز الوحي الحق بشوكة وقوة ورفعة، ويصيب القلب بصدمة قوية. إنه ينزل على القلب بقوة وبصوت مهيب. أما وحي الكاذبين فيكون بصوت خافت مثل صوت اللصوص والمخنتين والنسوان، لأن الشيطان سارق ومخنت وأثني.

٤- الوحي الصادق يصحبه تأثير قدرات الله تعالى وقواه، ولا بد أن يحتوي على أنباء إلهية، ثم لا بد لهذه الأنباء أن تتحقق.

^١ نص الحديث المشار إليه هو: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَأَبْجُوا." (سنن ابن ماجة، باب إقامة الصلاة والسنة فيها) - (المترجم)

٥- الوحي الحق يزيد صاحبه صلاحًا وبرًا يومًا بعد يوم، ويطهره من الكدر الباطني والقاذورات الداخلية، ويسمو بأحواله الأخلاقية.

٦- الوحي الحق تشهد عليه كل القوى الداخلية لصاحبه، فتحظى كل قوة من قواه بنور جديد ويشعر صاحبه بتغيير طيب؛ فتموت حياته الأولى وتبدأ حياته الجديدة. ويكون سببًا للشفقة على البشرية عامة.

٧- الوحي الحق لا ينتهي بصوت واحد، بل إن الصوت الإلهي يستمر. إنه تعالى حلیم، ومن توجه إليه - ﷺ - شرفه بمكالمته، وردّ على أسئلته، وبإمكان صاحب الوحي أن ينال أجوبة على أسئلته في مكان واحد ووقت واحد، وقد تطرأ على هذه المكاملة أحيانًا فترة انقطاع أيضًا.

٨- صاحب الوحي الحق لا يكون جبانًا، ولا يخاف من أي مدّعي إلهام مهما كان عدوًّا لدودًا له، لأنه يعلم أن الله تعالى معه وأنه سيهزم عدوه هزيمة نكراء.

٩- الوحي الحق يكون سببًا لمعرفة العلوم والمعارف الحقّة، لأن الله تعالى لا يريد أن يترك صاحبه الملهم جاهلاً بلا علم.

١٠- وهناك بركات أخرى يكون الوحي الحق مصحوبًا بها، منها أن كليّم الله يؤتى من الغيب العزّة والمهابة والإجلال الخارق للعادة. (ضرورة الإمام الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٨٩-٤٩٠)

إن وحي الله هو المنزّه عن الخطأ، بينما كلام البشر يحتمل أن يكون فيه خطأ؛ وذلك لأن السهو والنسيان من لوازم البشرية. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٧٢)

إن الذين يتلقون إلهامًا من الشيطان لا يصحب إلهامهم نور قادرٌ على كشف غيبٍ ملؤه القدرة والعظمة والهيبة الإلهية. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥١٠)

العظمة والبركة والنور والتأثير والمتعة والقوة الإلهية والوجه المنير الذي ينزل به كلام الله تعالى على القلب يهب صاحبه اليقين أنه من الله. فهو لا يشبه مطلقا الأصوات الميتة، بل تصحبه الحياة وترافقه القوة ويكون مصحوبا بالجذب ويتحلى بميزة تهب اليقين، وتكون فيه متعة ونور وتجلّ خارق للعادة، وترافقه الملائكة التي تتصرف في كل ذرة من وجوده، كما تصحبه خوارق أخرى كثيرة للصفات الإلهية. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٤)

القلب الذي تتجلى عليه شمس الوحي الإلهي حقيقة لا تبقى معه ظلمة الظن والشك مطلقا. هل يمكن أن تبقى الظلمة مع النور الصّراح؟ (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٧)

يتساءل كثير من الناس: ما هي علامة إلهام الرحمن إذن؟

الجواب هو أن له علامات كثيرة، منها:

أولا: أنه يكون مصحوبا بالقوة والبركة الإلهية التي توحى بكل قوة أنما من الله تعالى وإن لم تكن الأدلة قد ظهرت بعد. وتسخر قلب الملهّم بحيث لو أُلقي في النار أو سقط عليه البرق لما اعتبر إلهامه من الشيطان أو حديث النفس أو مشوبًا بشائبة الشك أو الظن؛ بل تعلن روحه في كل آن أنه يتّسم باليقين وأنه كلام الله حتما.

ثانيا: يتسم كلام الله تعالى بشوكة وعظمة خارقة للعادة.

ثالثا: ينزل على القلب بقوة وبصوت مجلجل.

رابعا: تكون فيه متعة ولذة.

خامسا: تبدأ فيه في معظم الأحيان سلسلة السؤال والجواب، إذ إن العبد يسأل والإله يجيب، ويحدث العكس أيضا وهكذا دواليك. وعندما يتلقى العبد جوابا من الله تعالى يغلبه النعاس، ولكن مجرد جريان الكلام على اللسان في حالة النعاس ليس دليلا على كونه وحيا قطعيا من الله، لأن هذا النوع من الإلهام قد يكون من الشيطان أيضا.

سادسا: يأتي هذا الإلهام أحيانا بلغات لا يكون الملهم ملما بها قط.

سابعا: يكون في الإلهام الإلهي جذبٌ من الله، فيجذب الملهم أولا إلى عالم الانفراد والانقطاع، ويمتد تأثيره رويدا رويدا فيقع على طبائع المبايعين السليمة، عندها تنجذب الدنيا إليه وتتصبغ أرواح كثيرة بصبغته بقدر استطاعتها.

ثامنا: الإلهام الصادق يجلب صاحبه الأخطاء ويعمل عمل الحَكَم، ولا يخالف القرآن الكريم في أي شيء أو بيان.

تاسعا: النبوءة التي يتضمنها الإلهام الإلهي تكون صادقة في حد ذاتها، وإن أخطأ الناس في فهمها.

عاشرا: الإلهام الصادق يزيد من تقوى صاحبه وقواه الأخلاقية ويجعله راغبا عن الدنيا وينفّرهُ من المعاصي.

حادي عشر: لما كان الإلهام الصادق كلام الله، فيأتي معه فعل الله تأييدا له، ويحتوي في معظم الأحيان على نبوءات عظيمة وصادقة، وتجري باجتماع القول والفعل أنهار من اليقين. وينقطع الإنسان من الحياة السفلية ويتحلى بصفات ملائكية. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٩٢-٤٩٣)

"وإذا جاءني الوحي بكماله، وكشف الدجى بجماله، قلت: يا وحي ربي أهلا وسهلا، رُحّب واديك، وعزّ ناديك. أنت الذي يهب للغمي العيون، وللصم الكلام الموزون، ويحيي الأموات، ويرى الآيات. ما لك وللطباة، وإن هي إلا كالدباة. أنت الذي يصبي القلوب، ويزيل الكروب، وينزل السكينة، ويشابه السفينة." (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٦٨)

المعيار الذي يميز الوحي المنزل من عند الله تعالى والمنزه من تدخّل الشيطان... هو أنّ وحي الله تعالى يكون مقرونا بالنصرة الإلهية وعلم الغيب الاقتداري والنبوءة القاهرة، وإلا فإنها أمور سخيصة لا خير ولا نفع فيها للناس. (الحكم، مجلد ٣،

الكلام الذي يأتي من الله تعالى يكون معه الشوكة واللذة، ويهزّ القلب هزّاً، ويكون نابغاً من أصابع الله تعالى، ولا يضاهيه شيء قيمةً، ويقع على القلب كالحديد. (الحكم، مجلده، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠١م، ص ٩)

من كان تقيّاً كانت إلهاماته أيضاً صادقة، أما الذي لا يكون متحلياً بالتقوى فلا عبرة بإلهاماته، بل قد يكون فيها نصيب من الشيطان. فلا تقيسوا تقوى أحد على إلهاماته، بل قيسوا إلهاماته على تقواه. (الحكم، مجلده، رقم ٢٣، عدد ٢٤/٦/١٩٠١م، ص ١٠)

لا نستطيع أن نعدّ كل صوتٍ صوتٍ الله ما لم ترافقه أنوار وبركات ترافق كلام الله المقدس. (الحكم، مجلده، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٢م، ص ٣)

الشيطان أيضاً يتدخل في الإلهام كما هو واضح من القرآن الكريم، ومن كان تحت تأثير الشيطان لا يفلح، إنما يفلح من كان تحت ظل الرحمن. (بدر، مجلد ٤، رقم ٦، عدد ١٨٥/٢/١٩٠٥م، ص ٤)

إن عبارة الإلهام من الله تكون مقفأة عادة وفيها شوكة، وتنفوح منها رائحة الكلام الإلهي. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد ٧٦/٦/١٩٠٦م، ص ٣)

إن مذهبي هو أنه ما لم ترافق الإلهام الآيات المنيرة المتكررة كان ذكره ذنباً كبيراً وحراماً. ثم يجب أن يرى المرء هل تخالف إلهاماته القرآن الكريم وإلهاماتي أم لا؟ وإذا كان الأمر كذلك فهو إلقاء من الشيطان وليس من الله دون أدنى شك. (بدر، المجلد ٦، رقم ٧، عدد: ١٤/٢/١٩٠٧، ص ٨)

ما دام أي إلهام لا يحمل ختم الله ﷻ لا يجدر بالقبول. انظروا، متى كان يمكن أن يؤمن بالقرآن الكريم العرب وهم أشدّ الكفار إن لم يكن عليه ختم الله. ومن دأبي أيضاً أني حين أتلقى أي كشف أو رؤيا أو إلهام، أعرضه على القرآن الكريم حصراً. ثم اعلّموا أنه إذا كان أي إلهام يوافق القرآن الكريم فقط دون أن يكون معه آية.

(الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٢)

ورد في القرآن الكريم أن الوحي يأتي من الشيطان ومن الله أيضًا، فالوحي الذي يوحى من الله يوضع على رأس متلقيه تاج العزة، وتنزل كبار الآيات العظيمة شاهدةً وتأيداً له. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٣)

ألا لا تتفوهوا بأمور تعارض "قال الله وقال الرسول". فالإلهامات من هذا القبيل لا قيمة لها. انظروا كيف أن ماء الغيث يُفرح الجميع، بينما ماء الميزاب يتسبب في الخصومة والنزاع، ويخلق الفساد. فالإلهامات التي لا يؤيدها الفعل الإلهي ولا تشهدها الآيات من الله، فمثلها كمثل ماء الميزاب. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٣)

إن فلسفة نزول نور الوحي هي أنه لا ينزل إلا على نور، ولا ينزل على الظلمة؛ لأن الانسجام شرط للإفاضة، ولا انسجام بين الظلمة والنور، بل النور ينسجم مع النور فقط. والحكيم القدير لا يفعل شيئاً دون مراعاة الانسجام. وهذا القانون الإلهي نفسه يعمل في إفاضة النور أيضاً؛ بمعنى أن الذي يملك شيئاً من النور سابقاً هو الذي يُعطى نوراً آخر، والذي لا يملك شيئاً لا يُعطى شيئاً. فالذي في عينه نور يجد من الشمس نوراً، أما الذي ليس في عينه نور، فيحرم من نور الشمس أيضاً. فمن أُعطي قدراً من نور الفطرة، يُعطى نوراً آخر أيضاً بقدر ضئيل، والعكس صحيح. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٩٥-١٩٦، الحاشية)

كما يهيئ الرحمن القدير غذاءً للجسم عند حاجته إليه، كذلك يهيئ بمقتضى رحمته الكاملة غذاءً روحانياً أيضاً عند الضرورة الحقّة. غير أنه صحيح تماماً أن كلام الله تعالى إنما ينزل على الأصفياء فقط الذين يرضى ﷻ عنهم، ويكلّم الله ويخاطب الذين يحبهم فقط. ولكن ليس صحيحاً قط أن مَنْ كان الله تعالى راضياً عنه ينزل عليه كتاباً دون ضرورة حقّة، أو أنه ﷻ يكلّم أحداً حتماً ودائماً بغير ضرورة حقّة نتيجة التزامه بالطهارة فقط. بل الحق أن كتاب الله تعالى إنما ينزل حين تمس الحاجة لنزوله في الحقيقة.

فملخص الكلام أن الموجب الحقيقي لنزول وحي الله هو رحمانية الله تعالى وليس عمل عامل. وإنه لصدقٌ عظيم يجهله معارضونا البرهمو وغيرهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤١٩-٤٢٠، الحاشية)

الوحي والإلهام التي أُعطيها الإنسان للغرض نفسه لكي توصله إلى تلك المعارف والحقائق التي لا يمكن أن يوصله إليها العقل وحده، وأن تكشف عليه تلك الأسرار الدقيقة التي لا يمكن اكتشافها بالعقل. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٣٠، الحاشية)

إن حقيقة الوحي هي أنه لا ينزل قط دون أن يكون هناك سبب يستدعي نزوله. بل ينزل بعد ظهور ضرورته للعيان، فكلما ظهرت الحاجة له نزل الوحي بحسبها، لأن سنة الله المستمرة في نزوله هي أنه ما لم يكن هناك سبب ومدعاة لنزول الوحي فلا ينزل. والمعلوم أيضا أنه لا جدوى من نزول الوحي أصلا دون سبب يقتضي نزوله، كما هو أمر لا يمكن عزوه إلى الله الحكيم الذي يراعي الحكمة والمصلحة ومقتضى الحال في كل عمل يقوم به. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٧٥، الحاشية رقم ٢)

في بعض الأحيان ينزل الوحي بأسلوب تُرى ورقة أو حجر مع شيء مكتوب عليه. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٣، عدد ٧/٩/١٩٠٥م، ص ٢)

لقد اتفق البخاري في صحيحه وكذلك أبو داود والترمذي وابن ماجه ومسلم على أن جبريل ينزل على الأنبياء من السماء بالوحي بين فينة وفينة، (أي التجلي الذي فصلناه قبل قليل). ولقد أورد ابن جرير وابن كثير في تأييد ذلك حديثا عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة؛ من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا. فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام، فيكلمه الله من وحيه بما

أراد. فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلها من سماء إلى سماء يسأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول ﷺ: قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض."

إن قوله ﷺ: "تكلم بالوحي" يعني أنه يتكلم بكلام لا يزال فيه إجمال وإخفاء نوعاً ما؛ فتحدث رجفة في السماء بسبب الكلام المحجوب المعنى فيعم ذلك الكلام المهيب جميع السماوات ولا يدرك أحد معانيه. وكل ملاك يرتعد بخوف الله مرتقبا ما هو حادث. ويغشى الملائكة كلهم فيخرون لله سجداً، فيرفع جبريل رأسه قبل غيره ويفهمه الله تعالى تفاصيل الوحي كله ويطلع على مشيئته ومرضاته. عندها يذهب جبريل بذلك الوحي إلى الملائكة كلهم الموجودين في سماوات مختلفة، فيسأله كل ملاك: ماذا كان هذا الصوت المهيب، وما المراد منه؟ فيجيبهم جبريل: الحق، وهو العلي الكبير، أي أن هذا الوحي من الحقائق التي رأى الله العلي الكبير أن من الحكمة إظهارها، فيقولون كلهم مثل ما قال، ويبلغ جبريل ذلك الوحي حيث أمر بتبليغه سواء في السماء أو في الأرض.

يتبين من هذا الحديث أن جبريل يكون في السماء عند نزول الوحي، ويبلغه إلى محله المناسب، حيث وهب الله تعالى صوته القوة والقدرة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٠٦-١٠٩)

عندما يريد الله تعالى إلقاء كلامه على قلب ملهم؛ ففور توجهه للكلام - من أجل الإلقاء - ينشأ تيارٌ ضوئيٌّ أو هوائيٌّ في نور جبريل الملائكي، أو تنشأ موجة حرارة لتحريك لسان الملهم. وبسبب هذا التمزج أو الحرارة؛ يترأى ذلك الكلام مكتوباً أمام عيني الملهم فوراً، أو يتناهى صوته إلى أذنيه، أو تجري الكلمات الإلهامية على لسانه. إن الحواس الروحانية والنور الروحاني المعطيين للملهم قبل الإلهام كملكه؛ إنما أعطيا لكي يُحرز قوة استقبال الإلهام قبل نزوله عليه، لأنه لو نزل الإلهام وقلب

المَلَهَمَ محرومٌ من الحواس الروحانية أو لم يصل عينَ قلبه نورٌ من روح القدس، لما كانت عنده عيون طاهرة لمعرفة الإلهام الإلهي. فلهذه الضرورة يُعطى المَلَهَمَ تلك الملكتين. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٩٣)

أقسم بالله جلّ شأنه أنه صحيح تماماً أن الوحي ينزل من السماء على القلب كما تقع أشعة الشمس على الجدار. ألاحظ كل يوم أنه كلما يحين وقت مكاملة الله تعالى تسيطر عليّ أولاً حالة غيبوبة ثم أشعر وكأنني تحولت إلى شيء مبدّل. وأجد نفسي وكأن كائناً شديد القوة أخذ كياني كله في قبضته، وإن بقي حسّي وإدراكي في الظاهر وأشعر عندئذ بأن جميع عروق وجودي في يده. وكل ما كان لي لم يعد لي بل صار كله لتلك الذات شديدة القوة. حينما تستولي علي هذه الحالة يعرض الله علي أولاً أفكار القلب التي يريد أن يلقي عليها أشعة كلامه. عندها تمثل أمام عينيّ تلك الأفكار واحدة بعد أخرى بصورة غريبة. فحين تخطر بالبال فكرة معينة عن زيدٍ مثلاً ويمر بالقلب هل سيُشفى من ذلك المرض أم لا؟ ينزل عليه دفعة واحدة جزء من كلام الله كشعاع. وفي معظم الأحيان يهتز لنزوله الجسد كله. فُيئت في تلك القضية ثم تمثل أمام عينيّ فكرة أخرى. فمن ناحية تمثل لي فكرة ومن ناحية ثانية ينزل جزء من الإلهام كما يُطلق الصياد سهاماً على التوالي كل مرة عندما يخرج صيده للعيان. وفي تلك اللحظة بالضبط يبدو أن سلسلة الأفكار هذه تتولد من ملكة فطريّ، وأن الكلام الذي ينزل عليها إنما ينزل من الأعلى. مع أن الشعراء وأمثالهم أيضاً يتلقون الإلقاء بعد التأمل والتدبر ولكن اعتبراره وحياً من الله إساءة الأدب من أقصى الحدود لأن ذلك الإلقاء يكون نتيجة التأمل والتدبر ويأتي في حالة يكون فيها الإنسان بكامل قواه العقلية وفي حدود البشرية تماماً. أما إلقاء الوحي فيحدث حين يكون وجود الإنسان كله تحت تصرف الله تعالى، ولا دخل لوعي الإنسان وتدبره في ذلك. عندها يبدو اللسان كأنه لم يعد لسانه، بل هناك قوة عظيمة أخرى تستخدمه. (بركات

الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٢-٢٣، الحاشية)

لقد لاحظت عند نزول الوحي عليّ - وهو ينزل كوحي الأولياء - أنني أشعر بتصرف خارجي وشديد التأثير. وفي بعض الأحيان يكون ذلك التأثير من القوة بحيث تغشيني أنواره فأشعر بأني قد جُذبت إليه لدرجة لا تقدر قوة من قواي على مواجهته. وفي أثناء هذا التصرف أسمع كلاماً مُبيناً وجليّاً. وفي بعض الأحيان أرى الملائكة، وألاحظ التأثير والهبة التي يمتلكها الصديق. ويكون الكلام في معظم الأحيان محتويًا على أمور غيبية. ويكون هذا التصرف والأخذ خارجيًا يثبت به وجود الله ﷻ وإنكاره بمنزلة قتل حقيقة بينة. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦)

النعاس عند نزول الوحي أمر خارق للعادة، وهو لا ينشأ نتيجة أسباب طبيعية في الجسم بل ينشأ بقدرة الله فقط عند الحاجة والدعاء، ولا دخل فيه للأسباب المادية. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٨٠، الحاشية)

إنني صاحب تجربة في هذا المجال، أي في مجال الإلهام، أن نعاساً خفيفاً يستولي بدايةً، وتارة يجري كلام الله على اللسان جزءاً جزءاً بدون النعاس أيضاً. عندما ينتهي جزء منه تزول حالة النعاس ثم يُلهَم جزءاً آخر نتيجة سؤال الملهم أو من عند الله تعالى مباشرة. وذلك أيضاً يجري على اللسان بعد استيلاء نعاس خفيف. وفي كثير من الأحيان تجري على اللسان في حالة النعاس جمل فصيحة وبليغة وممتعة جداً كحبات المسبحة في آن معاً، وبعد كل جملة يزول النعاس. وتكون تلك الجمل إما بعض آيات القرآن الكريم أو تشبهها، وفي غالب الأحيان تكون مشتملة على علوم غيبية، وفيها شوكة تؤثر في القلب وتشعر بمُتعة. عندها يكون القلب غارقاً في النور وكأن الله نزل فيه. والحق أنه يجب ألا يسمّى هذا إلهاماً، بل هو كلام الله. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣١٤، الحاشية)

لنزول الوحي قاعدة أنه ينزل عادة إجمالاً ويكون معه تفهيم. فمثلاً حين أمر النبي ﷺ بالصلاة، فقد أخبر معه في الكشف عن هيئة الصلاة، وعدد الركعات، وأوقات الصلاة وغيرها من الأمور، فقس على هذا. فالتعبير الذي يستخدمه الله يبين تفصيله

وشرحه في الكشف معا. فهذا هو الطريق منذ بدء العالم. فالذين يُريد الله تعالى أن يُطلعهم على مفهوم الوحي هم يرسخونه في قلوب الآخرين. وكان وحي جميع الأنبياء بهذا الشكل، فالوحي لم ينزل قط دون المشاهد الكشفية أو التفهيم، ولا يمكن أن يفهم أحد ذلك الإجمال دون ذلك؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ١٧٥/٥/١٩٠٣ م، ص ٢) لقد ذكر الأطباء أسبابا طبيعية للنوم، لكننا نرى أن الله تعالى إذا أراد أن يكلمنا فإنه يسلط علينا الغفوة فجأة وفي يقظة تامة ويأخذنا خارج هذا العالم المادي تماما، لكي يكون لنا انسجام تام مع ذلك العالم. ثم يحدث أنه إذا فرغ من الكلام معنا مرة أعاد لنا الوعي والحواس ثانية، وذلك لكي نحفظ كلام الله تعالى، ثم يسلط علينا الغفوة من جديد، ثم يوقظنا ثانية، لكي نحفظ الوحي. ويحدث هذا بعض الأحيان خمسين مرة أيضا. وإنه تصرف إلهي لا علاقة له بالنوم الطبيعي، وليس بوسع الأطباء والمعالجين إدراك ماهية ذلك. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣، عدد ١٩٠٠/١/٢٤ م، ص ١٠) قال عليه السلام ردًا على السؤال: كيف ينزل الوحي؟

هناك عدة طرق، في بعض الأحيان يحدث في القلب دويّ دون الصوت وتعبه نضارة، ويجري على اللسان بسرعة وشوكة كلامٌ لذيذٌ لا يكون نتاج فكر أو تدبُّرٍ أو وهم أو خيال. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٣، عدد ١١/٦/١٩٠٥ م، ص ٣) أحيانا ينزل الإلهام بسرعة كما يمرق الطير من قرب الإنسان، وإن لم يُكتب في الحال أو لم يُحفظ جيدا يُخشى نسيانه. (بدر، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢١/٢/١٩٠٧ م، ص ٤) إنني موقن، وعلى وجه البصيرة، بكلام الله الذي ينزل علي بوحيه إيقانا بحيث أستطيع أن أحلف في بيت الله كما تشاؤون. بل إنني على يقين بأنني إن أنكرت ذلك أو توهمت أنه ليس من عند الله تعالى، لصرتُ كافرا على الفور. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد: ١٠/١٢/١٩٠٠ م، ص ٦)

إنني أؤمن بوحى الله كإيماني بكتبه. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد: ٨-

١٦/٥/١٩٠٤ م، ص ٤)

إني أؤمن بالوحي النازل عليّ كما أؤمن بكون القرآن الكريم والتوراة ككلام الله.
(بدر، مجلد ٣، رقم ٢٢-٢٣، عدد ٨-١٦/٦/١٩٠٤م، ص ٤)

كل ما أناله من الله تعالى، أقبله وأؤمن به حتما سواء أقبله العقل والفلسفة أم لا. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٢٣-٢٤، العدد: ١٧/٧/١٩٠٤م، ص ١٦)

لو طُلب مني أن أحلف في مكة المعظمة لحلفت على أن إلهاماتي من الله تعالى.
أما الذي يدّعي بناء على زعمه فقط فلا يمكن أن يتشجع على ذلك أبدا. فهل يستوي من يوقن يقينا كاملا ومن كان عنده شك؟ (الحكم، المجلد ٨، رقم ١٩-٢٠، عدد: ١٠-١٧/٦/١٩٠٤م، ص ١)

إن كلام الله الذي ينزل عليّ أؤمن به كما أؤمن بالقرآن الكريم أي كما أن القرآن الكريم كلام الله كذلك هذا الوحي أيضا منه ﷻ. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٥، عدد: ١٠/٢/١٩٠٧م، ص ٢)

كم يخالف قانون الطبيعة الذي وضعه الله تعالى الاعتقادُ القائل بأن وحي الأنبياء ليس إلا ملكة فطرية، وليست بينه وبين الله وساطة الملائكة! إذ نرى بكل وضوح وصراحة أننا بحاجة إلى توسّط سماوي لتكميل قوانا الجسدية، وقد سخر الله ﻋَﻠَﻴْﻨَا لنا الشمس والقمر والنجوم والعناصر الأخرى لبقاء سلسلة أجسادنا المادية وإيصالها إلى الأهداف المطلوبة. ويصلنا فيضُه الذي هو علة العلل بوساطة عدة وسائل ولا يصل دون وساطة قط. (بركات الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥)

إن الله تعالى يكلم غير الأنبياء أيضا بواسطة الملائكة، فقد كلم السيدة هاجر مرتين. (كتيب الإنذار، ص ١٧)

صحيح أني أرى الملك عند تلقّي بعض الإلهامات، لكنه يستشف من معاني الكلمات أن ذلك الكلام نزل بواسطة ملك، مثل "قال ربك" أو "ما نتنزل إلا بأمر ربك". (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٨، عدد ١١/٢٨/١٩٠٧م، ص ٣)

الأنبياء والمُلهَمون مسؤولون عن صدق الوحي فقط، ولا يؤاخذون إذا ظهر أمر خلافَ اجتهادهم الشخصي أو ثبت بطلانه، لأن الاجتهاد يمثّل رأيهم الشخصي ولا يمثل كلام الله. (إعجاز أحمدي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١١٥)

الذي يشرفه الله تعالى بالوحي والإلهام يعرف جيدا أن الملهَمين يضطرون أحيانا إلى أن يستنبطوا من إلهاماتهم معاني باجتهادهم أيضا. ولقد تلقيت إلهامات كثيرة من هذا النوع مرارا. وفي بعض الأحيان أتلقى إلهاما وأستغرب ماذا عسى أن يكون معناه، ولا يتبين المعنى إلا بعد مدة من الزمن. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٣٠٥، الحاشية)

إن أسرار القضاء والقدر تكون عميقة جدا، لذا يخطئ الإنسان أحيانا في فهم الإلهامات والرؤى. (بدر، مجلد ٤، رقم ٦، عدد ١٨٥/٢/١٩٠٥م، ص ٣)

بالكاد تمضي ليلة لا أرى فيها مشهدا عن المستقبل، لكنني أنسى أمورًا كثيرة حتى الصباح، ولا أوفق لكتابتها فورًا حتى لا أنساها، لكن حكمة الله في ذلك أنه ﷺ، يذكر ما يشاء، ويُنسي ما يشاء. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٧، عدد ٢١١/١١/١٩٠٧م، ص ١٠)

من الواضح لكل عاقل أن كل نفس تستقبل الأنوار الإلهية بحسب كفاءتها ومقدرتها وليس أكثر من ذلك. إن مثال الشمس واضح جليّ لفهم هذا الأمر؛ فمع أن الشمس تنشر أشعتها في كل جانب، ولكن لا يستقبل كل بيت ضوءها بالمستوى نفسه. فالبيت الذي بابه مغلق لن يدخله الضوء. والبيت الذي فيه نافذة صغيرة تقابل الشمس سيدخله قليل من الضوء، ولكنه لا يزيل الظلمة كليا. أما البيت الذي أبوابه مفتوحة كلها أمام الشمس وليست جدرانه مصنوعة من مادة كثيفة بل من زجاج شفاف وجليّ تماما، فلن يستقبل الضوء بصورة كاملة فحسب، بل سينشره أيضا في كل جانب ويوصله إلى غيره. هذا المثل ينطبق على نفوس الأنبياء النقية المذكورة آنفا. أي أن النفوس المقدسة التي يصطفها الله تعالى لرسالته تكون من حيث رفع الحُجُب والصفاء الكامل كقصر من زجاج لا كثافة فيه ولا

حجاب. فمن الواضح أن الذين لا يحظون بهذا الكمال التام لا يمكن أن ينالوا مرتبة النبوة من الله تعالى. بل وُهبَت هذه المرتبة من قبل القَسَامِ الأُزلي لذوي النفوس المقدسة البريئة تماما من الحُجُب المظلمة، والمنزّهة حقًا من الأغشية المادية، والذين بلغت قداستهم ونزاهتهم درجة لا يُتصوّر أكثر منها. فإن تلك النفوس التامة والكاملة تكون وسيلة لهداية جميع المخلوقات. وكما أن فيض الحياة يصل إلى جميع الأعضاء بواسطة القلب، كذلك قد قدّر الله تعالى الحكيم أن يصل فيض الهداية بواسطة هؤلاء الكُمل، لأنهم وحدهم قد زوّدوا دون غيرهم بالعلاقة الكاملة التي يجب أن تتحقق في المفيض والمستفيض. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٨-١٨٩، الحاشية رقم ١١)

إن قضية الإلهام حساسة جدا، يجب على الإنسان أن ينزّه أعماله، يجب أن يكون مهبط الإلهام نقيًا. الريح التي جعلها الله تهب الآن ستكون مفيدة لأجسام بعض الناس ومضرة لبعضهم الآخرين. إذا كان باطن المرء ومعدته قدرةً فيضّر الطعام الجيد أيضا، كذلك هو حال كلام الله. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤، عدد ١٩٠٧/١/٣، ص ٩)

إن إنكار كون أولياء الله ملهّمين من الله، هو أمر مستبعد من مسلم عموما ومن المشايخ أكثر استبعادا. ألا يعلم الشيخ أن كلام الله مع أم موسى كان بالإلهام، وبالمثل كلامه مع مريم إلهاما ومع الحواريين أيضا إلهاما، مذكور في القرآن الكريم نفسه؟ مع أنه لم يكن أحد منهم نبيا ولا رسولا. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٢-٢٤٣، الحاشية في الحاشية رقم ١)

التهمة القائلة بأنه لا تثبت إلهامات الصحابة من هذا النوع، هي تهمة باطلة وفي غير محلها تماما، لأن إلهامات الصحابة الكرام ﷺ وخوارقهم ثابتة من الأحاديث الصحيحة بكثرة. بماذا يمكن تفسير اطلاع عمر ﷺ بإعلام من الله تعالى على الحالة الخطيرة لجيش "سارية" - كما رواه البيهقي عن ابن عمر - إن لم يكن ذلك إلهاما؟ ثم صدور صوت: "يا سارية الجبل الجبل" من فم عمر ﷺ وهو في المدينة،

وسماع سارية وجنوده هذا الصوت على مسافة بعيدة بقوة غيبية، لم يكن إلا أمرا خارقا للعادة. وزدّ إلى ذلك بعض الإلهامات والكشوف المشهورة والمعروفة لعلّي المرتضى كرم الله وجهه. (البراهين الأحمديّة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٣ - ٦٥٤، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

صاحب وحي المحدثيّة يكون منصّباً بصبغة نبيه المتبوع كلياً، ويُعطى كلّ ما يعطاه النبي إلا النبوة وتجديد الأحكام، ويظهر عليه التعليم الصادق على وجه اليقين. وليس ذلك فحسب بل تنزل عليه جميع تلك الأمور كالإنعامات والأفضال التي تنزل على النبي المتبوع. فلا يكون بيانه مبنيّاً على التخمينات بل يقول بعد أن يرى ويتكلم بعد أن يسمع. وهذا السبيل مفتوح لهذه الأمة. ولا يمكن أن ينعدم وجود أيّ وارث حقيقي. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٠-٢١) المحدثون هم أولئك الذين يُشرفون بشرف مكاملة الله، وجوهر نفوسهم يماثل جوهر نفوس الأنبياء أشدّ مماثلة. ويكونون كآيات باقية لخواص النبوة العجيبة لكيلا تصبح المسألة الدقيقة لنزول الوحي دون إثبات في زمن من الأزمان فتبقى كالفصّة فقط. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣-٢٤)

إلهام المحدث ينزّه عن تدخل الشيطان. (الحق، مناظرة لدهيان، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٢٤)

كما يكون وحي النبي والرسول محفوظاً كذلك يكون وحي المحدث أيضاً محفوظاً. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١١/١٠٢٠٢م، ص ٦)

هل ورد في أي حديث بكلمات واضحة أن بعض الرسل السابقين سيعودون إلى هذه الأمة، كما ورد أنه سيُبعث أشباههم وأمثالهم الذين هم أقرب إلى الأنبياء فطرة؟ فلا تُعرضوا عن الذين وُعد بمجيئهم بصراحة ودون أي تعارض، واستفيدوا من إلهامهم شهادةً، لأنّ شهادتهم تكشف ما لا تستطيعون اكتشافه بقولكم. لا تتجاسروا على ردّ شهادة سماوية، فإنّها صدرت من النبع الطاهر نفسه الذي صدر

منه وحي النبوة، وهي تشرح معنى الوحي، وتُرشد إلى الصراط المستقيم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨٠-٣٨١)

إلهام الولاية أو إلهامات عامة المؤمنين ليست حجة، إلا إذا كانت تطابق القرآن الكريم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤٠)

إن قضية الإلهامات والكشوف ما اعتُبرت في الإسلام ضعيفة حتى تنطفئ شعلتها النورانية بأفواه الناس. هذه الحقيقة وحدها تشكّل آية عظيمة للإسلام ستُظهر عظمة الإسلام المنقطعة النظير إلى يوم القيامة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٧٨)

الحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ: لو تولد في الأرواح رغبة صادقة وفي القلوب ظمأ حقيقي، لَبَحَثَ الناس عن هذا الطريق، وسعوا للعثور عليه.

ولكن كيف يُفتح ذاك الطريق، وأنى يُرْفَع ذاك الحجاب؟ إنني لأؤكد للطالبيين جميعاً أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يبشر بهذا الصراط.. وأما الأمم الأخرى فقد ختمت على وحي الله من زمان بعيد. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٢)

اعلموا يقيناً أن الله تعالى قد وعد في القرآن الكريم في عدة آيات عن سلسلة الوحي والإلهام، وهذا خاص بالإسلام فقط. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠٦م، ص ٢)

إن رؤى الخواص والعوام ومكاشفاتهم ليست سواسية مطلقاً كيفاً وكمّاً واتصالاً وانفصالاً. إن عباد الله الخواص يحظون بهذه النعمة الغيبية على وجه خارق للعادة. أما الآخرون فمَثَل مشاركتهم في نِعَم يُعطاهم الخواص كمَثَل مشاركة المتسوّل الذي يملك درهما واحداً في كنوز الملك. ومن الواضح أن هذه المشاركة البسيطة التي لا تكاد تُذكر لا تحط من شأن الملك ولا ترفع من شأن المتسول شيئاً. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٩٦)

"وكافيكُم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وطنًا ومأوى ومولدا." (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٢٠)

إذا قيل بأنه قد ورد في كتب الحديث ذكر خطأ النبي ﷺ في الاجتهاد أيضا في بعض الأمور، فإذا كان منشأ كل أقواله ﷺ وأفعاله هو الوحي فلماذا صدر الخطأ حتى وإن لم يُترك ﷺ قائما عليه؟

فجوابه: إن ذلك الخطأ الاجتهادي أيضا لم يكن بعيدا عن نور الوحي، ولم يتعد النبي ﷺ عن سيطرة الله عليه ولا لحظة واحدة؛ فإن مثل ذلك الخطأ الاجتهادي كمثله سهوه ﷺ في الصلاة بضع مرات وذلك لتنشأ بسببه المسائل الدينية. فلهذا السبب صدر منه ﷺ خطأ اجتهادي في بعض الأحيان ليكون سببا لإكمال الدين، وتنشأ بسببه بعض المسائل الدقيقة. والمعلوم أن ذلك السهو البشري أيضا لم يكن مثل سهو عامة الناس بل كان متصبغا بصبغة الوحي، لأن ذلك كان تصرفا خاصا من الله تعالى مسيطرا على النبي، وكان يُميله إلى ما فيه حكم كثيرة من الله تعالى. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١١٣-١١٥)

القرآن الكريم هو خاتم الكتب والعلوم كلها لذا وحيه أقوى وكان ينزل بشدة. (الحكم، مجلد ٦، عدد ٤٠، عدد ١١/١٠٠٣/١٩٠٣م، ص ٦)

الجدير بالانتباه أن السنة الإلهية المذكورة في القرآن الكريم هي إمام ومهيمن وقائد بخصوص كل إلهام، ومن المستحيل أن يتحقق أي إلهام خلافا لهذه السنة، لأن ذلك يستلزم إبطال الصحف المقدسة. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٩١)

"إنه معجزة لا يأتي بمثله أحد من الإنس والجان. وإنه جمع معارف ومحاسن لا يجمعها علم الإنسان. بل إنه وحيّ ليس كمثله غيره وإن كان بعده وحي آخر من الرحمان، فإن الله تجليات في إيحائه، وإنه ما تجلّى من قبل ولا يتجلّى من بعد كمثله

تجليّه لخاتم أنبيائه. وليس شأن وحي الأولياء كمثّل شأن وحي الفرقان، وإن أُوحِيَ إليهم كلمة كمثّل كلمات القرآن، فإن دائرة معارف القرآن أكبر الدوائر، وإنها أحاطت العلوم كلها وجمعت في نفسها أنواع السرائر، وبلغت دقائقها إلى المقام العميق الغائر، وسبق الكلّ بياناً وبرهاناً، وزاد عرفانا. وإنه كلام الله المعجز ما قرع مثله آذاناً، ولا يبلغه قول الجنّ والإنس شأنًا. (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٧٥-٢٧٦)

إن الله تعالى يريد أن يفسّر القرآن الكريم، لذا معظم الإلهامات التي أتلقاها بكلمات القرآن الكريم تُفسّر عملياً. هكذا يريد الله أن يُري أن هذه اللغة هي اللغة الحية والمباركة ليثبت أن هذا الكلام الإلهي نزل هكذا تماماً قبل ١٣٠٠ عام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢ م، ص ٨)

لو سلكنا طريقاً آخر غير اتباع النبي ﷺ لنزلت علينا الإلهامات بكثرة في لغة أخرى، لكن ما دمنّا نريد تسيير الناس على سبيل الله نفسه والكتاب نفسه والنبي ﷺ نفسه فلماذا لا نتحدّى بالإتيان بالمثل باللغة العربية؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣ م، ص ٥)

"ومع ذلك كنتُ حرّجت على نفسي أن لا أتبع إلهاماً أو كُرّر من الله إعلاما، ويوافق القرآن والحديث مراماً، وينطبق انطباقاً تاماً. ثم كان شرطٌ مني لهذا الإيعاز أن لا أقبله من غير أن أنظر إلى الأحياز، ومن غير أن أشاهد بدائع الإعجاز. فوالله رأيت في إلهامي جميع هذه الأشراف، ووجدته حديقة الحق لا كالحماط." (نجم الهدى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٦٠)

"وقد ذكرتُ أن إلهاماتي مملوءة من أنباء الغيب، والغيبُ البحت قد حُصّ بذات الله من غير الشك والريب، ولا يمكن أن يُظهر الله على غيبه رجلاً فاسد الرويّة، وخاطب الدنيا الدنيّة. أوجب الله امرأً بسط مكيدةً شباك الردى، وأضلّ الناس وما هدى، وأضرّ الملة كالعداء، وما جلّى مطلعها بنور صدقه وما راح يمهّها وما غدا،

بل زاد بكذبه صدأً الأذهان، ونشر بمفترياته هباءً الافتنان؟ كلا.. بل إنه يخزي المفترين، ويقطع دابر الدجالين، ويلحقهم بالمعونين السابقين. " (نجم الهدى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٦١-٦٢)

الآية ٥٣: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

لقد جاء قبل النبي ﷺ نبیان عظیمان موسی وعیسی علیهما السلام، وأُتیحت لكل واحد منهما فرصة التعلم، ولم يرد عن أي واحد منهما أي دعوى بأنه نبي أمي، إنما ورد هذا التحدي والدعوى بحق نبينا الأكرم ﷺ فحسب، حيث قال الله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٠م، ص ٣)

تذكروا أن كل نبي لا يستطيع أن يقول شيئاً ما لم يوح إليه، لأن حقيقة كل شيء تنكشف بالوحي الإلهي فقط، ولهذا السبب أوحى الله ﷻ إلى النبي ﷺ وقال: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، ثم حين نزل عليه وحي الله ﷻ فلم يجد بداً من الإعلان: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (الأنعام: ١٥). وكذلك قبل نزول الوحي عليه، كان يسود في مكة عبادة الأصنام والشرك والفسق والفجور، لكن هل في وسع أحد القول إنه ﷺ كان يلقي الوعظ ضد الأوثان قبل نزول الوحي الإلهي أيضاً؟ لكنه حين تلقى الأمر الإلهي ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (الحجر: ٩٥)، فلم يتأخر ولا ثانية واحدة، ولم يبال بآلاف المصاعب والمصائب. فالواقع أنه حين ينزل الوحي الإلهي عن أمر ما، فلا يبالي المبعوثون بشيء في تبليغه، ويعتدون إخفاؤه شركاً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣م، ص ٢)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الزخرف



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢١: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

إن محكمات القرآن وبيناته علمٌ يقيني وأما ما خالف القرآن الكريم فهو ظنُّ كله. والذي يتبع الظن مع وجود العلم فإنه تحت طائلة الآية: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٩٤)

الآية ٣٢-٣٣: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٠﴾

يقول الكفار: لماذا لم ينزل القرآن على رجل عظيم من أثرياء وزعماء مكة أو الطائف ليليق بشأن زعامته، ولكي ينتشر الدين بسرعة أكثر بسبب نفوذه وسياسته وبذل ماله؟ ولماذا اختير لهذا المنصب شخص فقير لا يملك من عقارات الدنيا شيئاً؟ ثم قال ﷺ بعد ذلك: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾.. أي من مشيئة الله الحكيم القدير أن جعل كفاءات البعض وهمهم منحنطة، فعكفوا على زخارف الدنيا، وظلوا يتباهون بكونهم زعماء وأثرياء وأغنياء ونسوا الهدف الحقيقي. ومن مشيئته أن رزق بعضهم أفضالاً روحانية وكمالات قدسية، ففتنوا في حب المحبوب الحقيقي وصاروا من مقربيه والمقبولين عنده ﷺ. ثم أشار إلى الحكمة الكامنة في الاختلاف في الكفاءات والتباين في الأفكار فقال تعالى: ﴿لَنُخْرِقَنَّ مِنْهُمْ مَعَيشَتَهُمْ...﴾ أي جعلنا بعضهم أثرياء وبعضهم الآخر دراويش، وبعضهم رقيق الطبع وبعضهم غليظه، ورغبنا بعضاً في مهنة وغيرهم في مهنة أخرى لكي تسهل عليهم الأمور فيكون البعض خداماً للبعض حتى لا يُثْقَل كاهل شخص واحد، بل تسير عجلة مهمات بني آدم بسهولة تامة على هذا النحو.

ثم قال تعالى بأن وجود كتاب الله في هذا المجال أكثر نفعاً من مال الدنيا ومتاعها، وفي ذلك إشارة دقيقة إلى ضرورة الإلهام. وبيان ذلك أن الإنسان مدني الطبع، ولا يتم أمر من أموره إلا بالمساعدة المتبادلة. فخذوا مثلاً الخبز الذي عليه مدار العيش، ترون كم يحتاج إعداداه إلى التمدن والتعاون! فهناك ضرورة لتعاون عشرات من المهنيين بدءاً من مصاعب الزراعة إلى إعداد الخبز للأكل. فمن هنا يمكن أن يُفهم كم تمس الحاجة للتعاون والمساعدة المتبادلة للتعايش. فإدارة هذه الأمور خلق الحكيم القدير بني آدم على طبائع وكفاءات مختلفة لكي ينشغل كل شخص في عمله بطيب خاطره وبحسب كفاءته وميله الطبيعي، فيحرث شخص

الأرضَ ويزرعها، ويصنع غيره أدوات الزراعة، ويطحن أحدٌ ويجلب غيره ماءً، ويخبز غيرهما، ويغزل أحد وينسج آخر، ويفتح أحد محلاً ويُحضر غيره مبيعات ويتوظف آخر، وهكذا يتعاون بعضهم مع بعض ويعين بعضهم بعضاً. فما دام التعاون المتبادل ضرورياً، فإن التعامل أيضاً ضروري. فحين وصل الناس إلى التعامل والمقايضة فيما بينهم، وسادتهم أيضاً الغفلة التي هي مقتضى الاستغراق في الأمور الدنيوية؛ مست الحاجة لِيُسَنَّ لهم قانونٌ عادل ليكفهم عن الظلم والاعتداء والبغض والفساد والغفلة عن الله، وذلك كي لا يقع خللٌ في نظام العالم؛ لأن مدار المعاش والمعاد إنما هو على العدل ومعرفة الله تعالى.

وإن معرفة الله والالتزام بالعدل يعتمد على دستور ترد فيه دقائق العدالة وحقائق معرفة الله تعالى بكل دقة وصحة، وليس فيه أي نوع من الظلم والاعتداء سهواً أو عمداً. ولا يمكن أن يصدر مثل هذا القانون إلا ممن هو بريء تماماً من السهو والخطأ والظلم والاعتداء، والذي يكون الانقياد له وتعظيمه في حد ذاته فرضاً واجباً؛ لأنه إذا كان القانون في حد ذاته مثالياً، ولكن مشرعه لا يستحق الحكم والتفوق على الجميع نظراً إلى مكانته، أو ليس بريئاً في نظر الناس من كل ظلم وخبث وخطأ وسهو، لاستحال أولاً وقبل كل شيء أن يكون هذا القانون ساري المفعول، ولو تفعل لبضعة أيام، لتطرق إليه في بضعة أيام فقط أنواع المساوئ، ولكان مجلبة للشر بدلاً من الخير. فكل هذه الأسباب تؤكد على الحاجة إلى كتاب من الله تعالى، لأن كل الصفات الحسنة وكل كمال وكل ميزة، إنما توجد جميعاً في كتاب الله وحده لا في غيره. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٠٤-٢٠٦ الحاشية)

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي قد قسمنا بينكم أشياء الأكل والشرب والحاجات الأخرى بالتفاوت، ورفعنا مرتبة بعضكم. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٦)

الآية ٣٦: ﴿وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

في البداية يعارض الناس الأنبياء عليهم السلام ويُعرضون عن تعليمهم ولكن يأتي في نهاية المطاف يوم يتوجهون فيه إلى اتباع المبعوث الذي تكون الحسنة بارزة فيه وبالغة أوجها وكما لها، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠١م، ص ٢)

هذه هي سنة الله المستمرة منذ القدم مع عباده المصطفين، فإنهم يُلقون في الورطة العظيمة، ولكن ليس ليعرّقوا، بل لكي يفتنوا اللآلي الموجودة في قعر نهر الوحدة، ويُطرحون في النار، ولكن ليس ليجرقوا، بل ليُري الله بهم جلوة قدرته. خلاصة القول إنهم يتعرضون للسخرية والاستهزاء، ويظن الناس أن لعنهم أجر وثواب، لكن بعد فترة يتجلى الله بقدرته، ويُري لمعان نصرته، فتعرف الدنيا حقيقة الأمر، وتهيج غيرة الله لهؤلاء الضعفاء، ويمزق الأعداء بتجلى واحد. الجولة الأولى تكون للأعداء، والجولة الأخيرة لعباد الله هؤلاء، وإلى ذلك قد أشار الله تعالى بقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وهناك سرٌّ آخرٌ كامنٌ في نزول الكروب والخطوب على المأمورين الربانيين، وهو أن الله يريد أن يُري الدنيا نماذج أخلاقهم السامية، ويُظهر ذلك الشيء العظيم الذي يكون فيهم كمعجزة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٤، عدد ٣٠/٦/١٩٠١م، ص ٢)

الآية ٣٧: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

أي من يعرض عن القرآن الكريم ويميل إلى ما يخالفه صراحة نسلط عليه شيطانا يوسوس في قلبه دائما ويصرفه عن الحق ويزين له العمى ولا ينفصل عنه لحظة واحدة. فلو قبلنا حديثا يعارض القرآن الكريم بصراحة فكأننا نريد أن يكون الشيطان

قربنا ليل نهار، ويوسوس في قلوبنا وأن يسودنا العمى ونُحرم من الحق. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٧)

الآية ٤٤-٤٥: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

استمسكوا بالقرآن سندا في كل شيء. إن شرفكم جميعا يكمن في أن تستمسكوا بالقرآن سندا وقدموه على كل شيء. فلو لم نستمسك بالقرآن سندا في حالة الاختلاف بين القرآن والحديث فكأننا رضىنا أن نظل محرومين من الشرف الذي وُعدنا به. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية المجلد ٤، ص ٣٧)

الآية ٥١: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾

فلو كان لهم علم بسنة الله الواردة في القرآن الكريم حيث يقول ﷻ: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾، لما ألقوا بأنفسهم متسرعين في هوة الندامة، لكنه كان متحتما أن يتحقق كل ما تنبأ به رسول الله ﷺ بخصوص زمننا هذا. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٩٠)

الآية ٦٠-٦٢: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

إن معنى: ﴿إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ﴾ أن زمن بعثة المسيح كان علامة انخراط اليهود وذلتهم، وهذا ما تصدقه الآية: ﴿جَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أيضا. ومن معاني "الساعة" الآخرة أيضا. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢م، ص ١٨)

من الواضح أن الله تعالى يريد من تقديم هذه الآية أن يُدين منكري القيامة ويقول لهم: لماذا ترتابون في إحياء الموتى بعد رؤيتكم هذه الآية؟ كل عاقل يستطيع أن يفهم

بالتدبر في هذه الآية أنه ليست لها أدنى علاقة بنزول عيسى، بل تقول بأن آية إحياء الموتى تلك، ما زالت موجودة الآن أيضا، وتُدين المنكرين وتقول: كيف تشكّون فيها الآن؟ فلكل عاقل أن يفهم الآن أنه إذا كان الله يريد من هذه الآية إثبات أن عيسى عندما ينزل من السماء يكون نزوله دليلا أو علامة على إحياء الموتى، فكيف يمكن أن يُدينهم الله قبل ظهور هذا الدليل؟ هل يمكن أن تتم الحجة على المنكرين قبل أن يظهر الدليل للعيان وقبل أن يكون له أي أثر، ومع ذلك يقال لهم كيف لا تؤمنون به؟ ألا يصح عذرهم في هذه الحالة أن يقولوا: يا ربنا لم يظهر الدليل أو العلم للساعة الذي بناء عليه يوجّه إلينا التهديد المتمثل في: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾. وهل الطريق لإتمام الحجة في أن يكون الدليل لا يزال في طي الغيب ويُظَنّ أن الحجة قد تمت؟! إن عزو هذا المعنى إلى القرآن الكريم إنما هو إلصاق وصمة سوداء ببلاغته وبيانه الحكيم؟ صحيح أن البعض قد استتجوا هذا المعنى، ولكنهم أخطأوا في ذلك خطأ كبيرا. والحق أن الضمير في "إنه" يعود على القرآن الكريم نفسه، ومعنى الآية هو أن القرآن آية على إحياء الموتى، لأن القلوب الميتة تحيا بواسطته، ويخرج الأموات العفنة من القبور وتدب الحياة في العظام الرميمة. وذلك مثل قول الله جلّ شأنه عن القرآن الكريم بأنه نموذجٌ للقيامة: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُخْطِي بِهِ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا﴾ (الفرقان: ٤٩-٥٠) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ١٢) ... أي أننا أحيينا الأرض الميتة بالقرآن، كذلك سيحدث عند حشر الأجساد... والحق أنه لو ألقينا نظرة عادلة على بلاد العرب، ووجدناها في حكم المقابر من حيث حالتها الروحانية ورأينا أن روح الصدق وخشية الله كانت قد تلاشت من قلوب أهلها إلى درجة كبيرة وصاروا في حكم المتأكلين العفنين بسبب أنواع المفاسد التي أثرت في أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم؛ لصعدت من قلوبنا شهادة عفوية أن إحياءهم كان أكثر غرابةً من عودة الموتى إلى الحياة. وقد حيرت عظمته كثيرا من العاقلين الفطنين.

فملخص الكلام أن المعنى الحقيقي للآية المذكورة هو ما قد بينته، أي أن الله تعالى يقدم إحياء الموتى الروحانيين آيةً بديهية على إحياء الموتى الماديين. وكانت هذه الآية مؤثرة جدا في القلوب، فافتتح بها كثير من الكفار وما زالوا يقتنعون. وهناك جماعة من المحققين الذين يستنبطون المعنى نفسه من هذه الآية التي . فقد ورد في تفسير معالم التنزيل في شرح هذه الآية: "وقال الحسن وجماعة: وإنه يعني وأن القرآن لعلمٌ للساعة يُعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها وأهوالها، ﴿فَلَا تَمُتْرُنَّ بِهَا﴾، فلا تشكّر فيها بعد القرآن." أي أن القرآن الكريم علامة للقيامة، ويخبر بلسان الحال والقال إن القيامة وأحوالها علاماتها المهولة واقعة قريبا، فلا تشكوا في قيام القيامة بعد أن أقام القرآن بياناته المعجزة وتأثيراته على إحياء الموتى. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢١-٣٢٦)

لا علاقة لهذه الآية مع نزول المسيح ثانية ولو على سبيل الشك. الحقيقة أنه كانت في زمن المسيح عليه السلام فرقة الصدوقيين من اليهود الذين كانوا ينكرون القيامة. وقد ورد في الكتب السابقة كنبوءة أن المسيح سيولد بغير أب من أجل تنبيههم، وجعل ذلك آية لهم كما يقول الله جلّ شأنه في آية أخرى: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ (مريم: ٢٢). المراد من "الناس" هنا هم فرقة "الصدوقيين" الذين كانوا موجودين في ذلك الزمن بكثرة. ولأن ذكر القيامة ليس موجودا في التوراة في الظاهر لذا أنكرت هذه الفرقة كليا قيام الموتى أحياء. ولا يزال مذكورا في بعض صحف الكتاب المقدس أن المسيح قد جاء، من حيث ولادته، كعلم للساعة لهم.

فانظر الآن، ما علاقة هذه الآية مع نزول المسيح؟ وتعرف أيضا كيف استنبط المفسرون منها معاني شتى. فجماعة منهم قالوا إن الضمير في "إنه" عائد إلى القرآن لأن بواسطته يحيا الأموات الروحانيون. وإذا أُريدَ منها نزول المسيح على سبيل التعنت والاستبداد واعتُبر النزول نفسه علامة القيامة للذين كانوا في زمن النبي ﷺ لكان هذا الاستدلال مدعاة للضحك إلى قيام الساعة. والذين قيل لهم بأن المسيح

بنزوله قرب القيامة سيكون علامة القيامة فلماذا أنكرتم القيامة مع ظهور آية عظيمة كهذه، يمكنهم أن يقدموا عذرا أن الدليل ليس موجودا بعد فما أسخف القول أن آمنوا الآن بالقيامة ولا تشكوا فيها، إذ قد قدمنا الدليل على قيام القيامة. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٨-١٦٩)

"فاعلم أنه تعالى قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، وما قال إنه سيكون علما للساعة، فالآية تدل على أنه علم للساعة من وجه كان حاصلا له بالفعل، لا أن يكون في وقت من الأوقات فيما بعد. والوجه الحاصل هو تولده من غير أب، والتفصيل في ذلك أن فرقة من اليهود، أعني الصدوقين، كانوا كافرين بوجود القيامة، فأخبرهم الله على لسان بعض أنبيائه أن ابنا من قومهم يولد من غير أب، وهذا يكون آية لهم على وجود القيامة، فإلى هذا أشار في آية: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، وكذلك في آية: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ (مريم: ٢٢)، أي للصدوقين.

وقال بعض المفسرين إن ضمير إنه لعلم للساعة يرجع إلى القرآن، فإن القرآن أحيا خلقا كثيرا وبعثهم من القبور، فهذا البعث الروحاني دليل على البعث الجسماني، يعني على الساعة، كما في معالم التنزيل وغيره.

فالْحاصل أن آية: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ لا يدل على نزول المسيح قط، بل يفهم المنكرين بدليل موجود ثابت، فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَتِّعَنَّ بِهَا﴾، ولا يُقال مثل هذا القول لآية ما ثبت وجودها بعد، وما رآها أحد من المخالفين. " (حماسة البشرى، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٣١٦)

يقولون إنه قد ورد بحق عيسى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾. لا بد أن نخاف من كانت هذه حالة معرفتهم بالقرآن، لأن العلم القليل فتنة. يا قوم أليس النبي ﷺ علم للساعة وقد قال: "بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين"؟ وقد قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ٢). أي غباوة سخيفة هذه إذ يفهمون من كلمة "الساعة" أنها تعني هنا "القيامة"! فافهموا مني أن المراد من الساعة هنا هو العذاب الذي حل باليهود

على يد طيطس الرومي بعد عيسى عليه السلام، وقد أخبر الله تعالى في سورة الإسراء في القرآن الكريم بهذه الساعة. وقد شرح ذلك في الآية: ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي أُعطي اليهود نموذج القيامة بالعذاب الشديد في زمن عيسى، فكان ساعة لهم. فالساعة في المصطلح القرآني هي العذاب؛ فقد أُخبر بذلك أن هذه الساعة ستحل باليهود لإنكارهم عيسى عليه السلام، وقد ظهرت تلك الآية وحلت الساعة باليهود. كما تفشى فيهم الطاعون أيضا في ذلك الزمن بشدة، فكان الحدث قيامة لهم؛ حيث هلك مئات الألوف، ومات آلاف منهم بالطاعون. أما الذين بقوا فنفروا شذراً مذبذباً بالذلة والهوان.

إن القيامة الكبرى ستكون قيامة للجميع، أما هذه فكانت لليهود فقط. وهناك قرينة أخرى على ذلك في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ هَآءَا﴾. أي: يا أيها اليهود ستعرفون من خلال عيسى ما هي القيامة إذ ستحل بكم مثلتها؛ ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني أن تلك القيامة ستحل بكم مثلاً فلا ترتابوا بشأها. فالواضح أنه كان من غير المناسب أن يقول الله عن القيامة الحقيقية التي لم تحل إلى اليوم: لا ترتابوا بشأها لأنكم سوف ترونها. لقد مات جميع اليهود الذين كانوا في ذلك الزمن ولم يشهدوا القيامة الحقيقية، فهل كذب الله؟ بل شهدوا قيامة أقامها طيطس الرومي. فالمراد من القيامة هي تلك التي شهدها اليهود على يد طيطس الرومي في زمن المسيح عليه السلام، ثم شهدوها بواسطة الطاعون. لقد ظل هذا الوعد القديم يُذكر في كتب الله، وقد ورد ذكره في الإنجيل أيضا في عدة أماكن. أما في القرآن الكريم فقد نزلت بشأنه آية بوجه خاص. والوعد نفسه مذكور في القرآن الكريم والكتب السابقة وكان بمنزلة تنبيه لليهود، وإلا فمن يخاف قيامة بعيدة المدى؟ هل المشايخ المعاصرون يخافون تلك القيامة؟ كلا. وكما قلتُ قبل قليل إن كلمة "الساعة" ليست خاصة بالقيامة، ولم يربطها القرآن الكريم بتلك القيامة وحدها. من المؤسف أن المشايخ ذوي العلم القليل الذين ساءت عاقبتهم؛

يستنتجون بجهلهم معنى يغاير الغاية المتوخاة. أيّ خوف كان اليهود يكنونه للقيامة الأخيرة؟ غير أنه كان من شأن نبوءة العذاب القريب أن تؤثر في قلوبهم دون شك. الأسف كل الأسف أن نظرة المشايخ السذج والمنزوين في زواياهم سطحية، فلا يدرون أنه قد وُعدت - في الكتب السابقة - الساعة نفسها التي حلت باليهود في زمن طيطس. يقول القرآن الكريم بصراحة تامة بأن اليهود لعنوا على لسان عيسى. وإن التعبير عن العذاب العظيم بكلمة "الساعة" ليس أسلوب القرآن الكريم فقط، بل يوجد الأسلوب نفسه في الكتب السماوية السابقة أيضا، وبكثرة. فلا أدري من أين ومن سمع هؤلاء المشايخ السذج أن كلمة "الساعة" تُطلق على القيامة دائما. (إعجاز أحمدى، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٢٩-١٣١)

الآية ٦٩: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

ولكن الذي لم يسلك صراطا مستقيما في الدنيا لن يقدر على ذلك عندئذ أيضا ويسقط في جهنم ويصير حطب نار جهنم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٨)

الآية ٨٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

في السماء إله: أي هو بعيد، وفي الأرض إله: أي قريب. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣٢)

الآية ٨٦: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

صحيح تماما وثابت من القرآن الكريم أيضا أن المراد من "الساعة" هنا هو زمن دمار اليهود، أما الساعة التي ينتظرها هؤلاء القوم فليس لها أي أثر حاليا. فمن ناحية أصيب اليهود بشقاوة في صدر عصر المسيح، وفي المرحلة الثانية نال النصارى نصيبا منها. وقد حذا المسلمون أيضا حذو اليهود تماما. لو كانت الحكومة أو

السلطة في يدهم لعاملوني أيضا معاملة المسيح. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩٠٢م، ص ١١)

لا يعلم القيامة حقيقة إلا الله، ولا يعرفها الملائكة أيضا. وقد وردت هناك كلمة "الساعة" ومثلها كمثّل حمل النساء؛ فهن يحملن تسعة أشهر وعشرة أيام، وعندما تنقضي تسعة أشهر لا يعلم أحد في أيّ يوم من الأيام العشرة المتبقية يمكن أن تضع الحامل حملها، وكل فرد من أفراد البيت ينتظر ساعة الولادة. لذلك سُميت القيامة ساعة لأنه لا يعلمها أحد. يمكن لأحد أن يخبر عن زمنها التقريبي نظرا إلى علاماتها الواردة في كتب الله تعالى، ولكن لا يعرف عن هذه الساعة أحد كما لا يعرف أحد عن ساعة وضع الحمل، حتى لو سألتهم طبيا أيضا لقال: تسعة أشهر وعشرة أيام. ولكن عندما توشك تسعة أشهر على الانتهاء يبدأ انتظار الوضع في أية ساعة أو دقيقة. يتبين من الكتب أن القيامة ستكون قريبة بعد مرور ستة آلاف سنة. وها قد مضت ستة آلاف سنة، فقد تكون القيامة قريبة ولكن لا يعرف ساعتها أحد. (بدر، مجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١/١١/١٩٠٢م، ص ٢٧)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الدخان



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٧: ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

ليلة القدر التي قُدرت عند نزول نائب رسول الله ﷺ هي في الحقيقة فرعٌ، أو قولوا إن شئتم ظلُّ ليلة القدر التي أُعطيها النبي ﷺ. ولقد أعلی الله تعالى شأن ليلة القدر هذه كثيرا، إذ وردت بحقها الآية الكريمة: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. أي في زمن ليلة القدر هذه الذي سيمتد إلى يوم القيامة، سنُنشر في الدنيا أمور الحكمة والمعرفة كُلُّها، ونُنشر أيضا أنواع علوم غريبة ومعارف نادرة وصناعات عجيبة على

صحيفة العالم. وستُبَرِّز المؤهلات الكامنة في القوى البشرية بحسب الإمكانيات المختلفة لبسطتهم في العلم والعقل وبقدر كفاءاتهم للتقدم. ولكن كل ذلك سيظل مستمرًا نتيجة الحركات القوية في الزمن الذي يولد فيه في الدنيا نائب الرسول ﷺ. والحق أن هذه الآية قد فُصِّلَت في سورة "الزَّلْزَلَة" بمزيد من الشرح، لأنه بإنزال سورة القدر قبل سورة الزلزلة، أُشيرَ إلى أنه قد جرت سنة الله في أن كلام الله ينزل في ليلة القدر دائماً، وأن نبيّه ينزل في الدنيا في ليلة القدر، وفيها أيضاً تنزل الملائكة، والتي بسببها ينشأ في الناس حماس للحسنات، فيظلون عاكفين على جذب القلوب المتحمسة إلى الحقباء من ليلة الضلال الحالكة الظلام إلى انبلاج صبح الصدق والحق. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٥٩-١٦٠)

المراد من ذلك أنه كما ظهرت ليلة بظلمة شديدة، كذلك وُضعت مقابله في هذا الكتاب أنوار عظيمة تقضي على ظلمة كل شكٍ وشبهة وتحكم في كل أمرٍ وتعلم كل حكمة. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٧)

"وفي هذا إشارة من رب عليم إلى أن كل ما يُفَرَّق في ليلة القدر من أمرٍ ذي بال، فهو مكتوب في القرآن كتاب الله ذي كل عظمة وجلال، فإنه نزل في ليلة القدر بنزول تام، فبورك منه الليل بإذن رب علام؛ فكل ما يوجد من العجائب في هذه الليلة يوجد من بركات نزول هذه الصحف المباركة؛ فالقرآن أحق وأولى بهذه الصفات، فإنه مبدأ أوّل لهذه البركات، وما بوركت الليلة إلا به من ربّ الكائنات، ولأجل ذلك يصف القرآن نفسه بأوصاف توجد في ليلة القدر، بل الليلة كالهلال وهو كالبدر، وذلك مقام الشكر والفخر للمسلمين." (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٦٩، الحاشية)

أي أردنا أن تتم كل المعارف والدقائق الإلهية بيعثتك المباركة، وأن يكون الكلام النازل عليك جامعاً لجميع معارف الحكمة. وهذا ما ذكرناه من قبل أيضاً. وأحد المعاني المراد من ﴿لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ ما هو معروف لدى الجميع، والمعنى

الثاني هو ليلة زمن بعثة النبي ﷺ الذي يمتد إلى يوم القيامة. وفي الآية: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ إشارة إلى أن الزمن الممتد إلى يوم القيامة - الذي يندرج تحت عهد نبوة النبي ﷺ - سيستفيد من بركات القرآن الكريم كثيرا. وأن المعارف الإلهية التي كانت خافية إلى الآن، ستظل تظهر في هذا الزمن بين الفينة والأخرى. وكذلك تشير الآية: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ إلى أن من ميزات هذا الزمن المبارك أيضا أن جميع العلوم الحكيمة المتعلقة بالمعاش والمعاد ستظهر بأعلى كمالاتها ولن يُترك فيه أي أمر حكيم دون تفصيل. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٧٤-٣٧٥)

الآية ٨-١٠: ﴿رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾
إن إلهكم هو الإله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما لتؤمنوا بذلك الخالق الحقيقي كيلا يبقى مجال للشك... يلعبون، ولا يتوجهون إلى تلك الأدلة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٧٥)

الآية ١١-١٢: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

والمراد من الدخان هنا هو القحط الشديد العظيم الذي أصاب زمن النبي ﷺ المبارك إلى سبع سنين، حتى اضطر الناس لأكل الميتة والعظام، كما ورد بالتفصيل في حديث ابن مسعود. كذلك جاء الوعد عن الزمن الأخير أيضا الذي نحن فيه أن الدخان المبين سيظهر فيه بشدة متناهية قبل ظهور المسيح. فليكن معلوما الآن أن القحط في هذا الزمن الأخير قد وقع من كلا الوجهين، المادي والروحاني: فلما دُيُّ أنه لو ألقينا نظرة على الخمسين سنة الماضية لما وجدنا نظيرا لانخفاض أسعار الغلال والأشياء الأخرى عموما مقارنة بما عليه الحال اليوم؛ فكانت ترتفع بضعة أيام بصورة خيالية ثم تنخفض

سريعا، أما الآن فإذا ارتفع فلا ينخفض، وبات القحط الشديد يدمر العالم من الداخل. أما من الناحية الروحانية فقد تفشى شح الصدق والأمانة والإخلاص، وساد المكر السيئ والخديعة والعلوم والفنون المظلمة كالدخان، وهي في ازدياد مستمر. إن مفاسد هذا الزمن تختلف تماما عن مفاسد الأزمنة الغابرة. ففي الأزمنة الخالية كان الجهل والأمية سببا للإفلاس الأخلاقي في معظم الحالات، أما في العصر الراهن فتحصيل العلوم هو السبب في ذلك. إن التنوير الحديث في عصرنا الذي يجب أن يسمى - بتعبير آخر - دخانا، يضر الإيمان والأمانة والبساطة الداخلية بشكل مذهل. ولقد غطى غبار الخطابات السفسطائية شمس الصدق، وألقت المغالطات الفلسفية في قلوب البسطاء من الناس شبهات كثيرة. عُظِّمت الأفكار الباطلة، وحُقِّرت الحقائق في نظر معظم الناس. فأراد الله تعالى أن يعيد إلى جادة الصواب - بواسطة العقل - أولئك الذين ضلوا الطريق نتيجة عقولهم، ويُرشد إلى الطريق المستقيم - بالفلسفة السماوية - أولئك المفتونين بالفلسفة، فهذا هو الدخان المبين والكامل الذي ظهر في العصر الراهن. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٧٥-٣٧٦)

الآية ١٣-١٦: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَتَى لَهُمُ الدَّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾

عندها يكون هذا البلاء منتشرا في الأرض، ولن تخلو منه مدينة أو قرية إلا ما شاء الله، بل سينتشر الطاعون في البحار والفلوات أيضا. عندها سيبحث الناس عن ملاذ ولن يجدوه. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٢٤-٤٢٥)

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، ويقول ﷺ في جوابه: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ أي سنكشف العذاب قليلا لكنكم ستعودون وتكفرون. فهذه الآية تدل صراحة على أن الله ﷻ يكشف العذاب قبولا لضراعة

المراء، مع علمه أنه سيعود إلى الكفر والفسق. وإن كشف العذاب نتيجة التضرع والاستغفار من سنة الله القديمة. ومن ذا الذي يقدر على رفضه، إلا من قد أعماه التعصب الكامل؟ وعلاوة على ذلك من المسلّم به والمشهود أنه حين تتجلى الهيبة الإلهية يتغير وضعُ الفاسق، ثم حين تنقضي الهيبة يعود بسبب شقاوته الطبيعية إلى وضعه الأصلي. وربما شاهدتم الكثيرين الذين حين ترفع عليهم أي قضية يخشون أن تؤدي إلى السجن الشاق الشديد أو الشنق أو الإعدام، وإن كانوا في الوقت نفسه يتوقعون أن يُفرج عنهم، فهم يغيّرون سلوكهم الفاسق بمشاهدة تلك الهيبة ويصلّون ويتوبون ويطيلون الدعاء لله، ثم حين ينجيهم الله من ذلك البلاء رحمة عليهم بسبب ضراعتهم، يخطر ببالهم فوراً أن هذا الخلاص لم يكن من الله بل كان وليد المصادفة، فيزدادون فسقا أكثر من ذي قبل، ويعودون إلى عاداتهم السابقة خلال بضعة أيام.

(أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٢)

قد سجل الله جل شأنه قول الكفار: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ... وقال ردّاً عليهم: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، ومن هاتين الآيتين والتي ورد فيها ذكر الفُلك الموشكة على الغرق يثبت منطوق القرآن صراحةً أن العذاب الدنيوي يُكشَف عن الكفار الذين يعودون إلى الحق والتوحيد في أيام الخوف حتى لو كفروا بعد أيام الأمن. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٨٥)

من سنة الله القديمة أنه ﷻ يبطش به بعد مهلة قصيرة، إذ يقول ﷻ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (الدخان: ١٦)، أي أننا نؤخر العذاب لمدة قصيرة بعد الرجوع ثم نبطش بكم لأنكم ستعودون إلى الإنكار، وهكذا حدث.

والجدير بالمسلمين أيضاً أن يتذكروا أن من السنة الإلهية أن الإنسان حين يتضرع ويخاف العذاب، فإنه ﷻ يؤخر عنه العذاب، وإن كان سيموت كافراً في علمه تعالى. ولهذا فمن معتقدات أهل السنة أن إخلاف الله في وعيده أي إنزال

العذاب جائز، ولكنه لا يجوز في البشارة. (عاقبة آثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٧، الحاشية)

الآية ٤٤-٥٠: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾

ثم قال إن شجرة الزقوم طعام الذين يرتكبون السيئات عمداً، وأنه كالمهل.. أي النحاس الذائب، يغلي في البطون كغليان الماء.

ثم خاطب نزيل جهنم قائلاً: ذُقْ من هذه الشجرة يا صاحب العزة والكرامة! وهذا الخطاب تعبير عن الغضب الشديد، والمراد: لو لم تتكبر ولم تُعرض عن الحق بسبب عزتك وكرامتك الدنيوية لم تذق اليوم كل هذه المرات.

وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ يشير أيضاً إلى أن كلمة "الزقوم" مركبة في الأصل من "ذُقْ" و "أَمْ" و "أَمْ" محتصر من قوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ حيث أخذ الحرف الأول من بداية الجملة والحرف الأخير من الجملة، وبُدل "ذ" إلى "ز" لكثرة الاستعمال.

وخلاصة القول إن الله تعالى مثل كلمة الكفر التي هي من هذه الدنيا بالزقوم واعتبرها شجرة الجحيم، كما مثل كلمة الإيمان التي هي من هذه الدنيا بالجنة المثمرة، وهكذا وضع أن الفردوس والجحيم إنما ينجم أصلهما في الحياة الدنيا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٢-٣٩٣)

صاحب الحياة الفردوسية يتلذذ بذكر الله ﷻ كل حين وأن. أما الشقي الذي حياته جهنمية فهو يأكل الزقوم في هذا العالم أيضاً كل حين وأن. وتكون حياته مرة فهي التي سميت ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أيضاً، وهي التي ستمثل في الزقوم يوم القيامة. باختصار؛ هناك علاقات متبادلة في كلتا الحالتين. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٠ عدد

الآية ٥٧: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ﴾

أي لا تصيب أهل الجنة مorte ثانية، بل قد أصابتهم الموتة الأولى وانتهى الأمر. والذين يقولون: أليس الله بقادر على أن يُحيي المسيح الذي مات ويرسله مرة أخرى؟ فإنهم لا يعتبرون المسيح من أهل الجنة فيُجيزون له موتتين. يا أيها السادة، لماذا تريدون أن تُمتتوا المسيح مرة بعد أخرى لمحض التعصب لقولكم؟ ما ذنبه حتى يتعرض لميتتين؟ ثم أين الدليل على هاتين الميتتين من القرآن والحديث؟ (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٤٦)

كذلك يقول ﷺ مشيراً إلى الموتة الواحدة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾. فمما يتنافى مع وعده الحق أن يرسل الأموات إلى الدنيا ثانية. ثم كيف يمكن أن يأتي بعد خاتم النبيين نبي، وذلك بمفهوم النبوة التام والكامل الذي يدخل في شروط النبوة التامة؟ أليس ضرورياً أن توجد في ذلك النبي كافة مقتضيات نبوته التامة بما فيها الوحي ونزول جبريل؟ لأن الرسول، بحسب تصريح القرآن الكريم، هو الذي يتلقى أحكام الدين وعقائده بواسطة جبريل. والمعلوم أنه قد خُتم على وحي النبوة قبل ١٣٠٠ عام، فهل سينقض هذا الختم عندئذ؟ وإذا قلتم: سيرسل المسيح ابن مريم منزوع النبوة التامة؛ قلتم: لا بد أن يكون هناك سبب لهذه العقوبة.

يقول البعض إن السبب في ذلك أنه كان قد أُخذ معبودا بغير حق، فأراد الله أن يعزله عن النبوة عقوبة على ذلك، ليقنّدي بالآخرين عند مجيئه إلى الدنيا ويصلي وراء غيره، ويقوم بالاجتهاد فقط مثل الإمام الأعظم، ويؤيد المذهب الحنفي بسلوكه مسلكا حنفيا. ولكن هذا الجواب ليس معقولا، إذ قد برّاه الله من هذه التهمة في القرآن الكريم، وبين أن نبوته دائمة. (إزالة الأوهام، الخزانة

الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨٧)

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ* لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ والسر الكامن في ذلك أن موت المؤمن المتقي لا يكون كالأنعام
والمواشي بل يحيا المؤمنون من أجل الله ومن أجله يموتون. لهذا فإن ما يخسرونه في
سبيل الله يُعاد إليهم. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الجاثية



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٧: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ
وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

أي إذا كان هناك حديث يعارض القرآن فيجب ألا يُقبل قط بل ينبغي رفضه. أما إذا أمكن موافقة حديث مع القرآن عن طريق التأويل فيجب قبوله. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٤)

إن تنكير لفظ "حديث" هنا -الذي يفيد العموم- يبين بكل جلاء أنه يجب أن تردُّوا الحديث الذي يعارض القرآن الكريم وينافيه إن لم يكن من سبيل للتوفيق

بينهما. وفي كلمة "حديث" في الآية المذكورة نبوءة أيضا تترشح منها إشارة، وهي أن الله تعالى يشير فيها إلى أنه سيأتي على هذه الأمة زمان يهجر فيه بعض أفرادها القرآن الكريم وسيعملون بالأحاديث التي بياناتها تعارض بيانات القرآن الكريم. (التعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٠٧)

ففي هذه الآية إشارة صريحة إلى أنه إذا حكم القرآن الكريم في أمر ما حكما قاطعا ويقينيا دون أن يبقى فيه أدنى شك وتبين المقصود تماما فلا يليق بالمؤمن أن يؤمن بحديث يعارضه صراحة. ثم يقول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٦)، ولهاتين الآيتين معنى واحد فلا حاجة إلى شرحه أكثر. فمن منطلق الآيتين المذكورتين يجب أن يكون مذهب كل مؤمن هو الإيمان بكتاب الله حجة شرعية بدون أي شرط، وأن يؤمن بالحديث حجة شرعية مشروطة، وهذا هو مذهبي. (الحق، محاضرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٢)

في هذه الآية ترغيب صريح في أنه يجب عرض كل قول وحديث على كتاب الله، وإذا كان كتاب الله قد أصدر حكما واضحا غير قابل للتغير والتبدل في أمر معين فكل حديث يعارضه لن يُعتبر صحيحا. ولكن إن لم يُصدر كتاب الله حكما قاطعا ومؤيَّدا لا يقبل التبدل وثبت أن ذلك الحديث صحيح بحسب قانون الرواية كان جديرا بالقبول.

باختصار، إن القرآن الكريم ليس كتابا مجملا لا يفيد كميّار بأيّ حال. ومن ظنّ ذلك فهو جاهل أشد الجاهل، بل إيمانه في خطر. (الحق، محاضرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٠٧-١٠٨)

هذه نوع نبوءة.... وتعلق بالوهابيين. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨ -

الآية ١٧-١٩: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

"فانظر كيف ذكر الله تعالى ههنا سلسلتين متقابلتين: سلسلة موسى إلى عيسى، وسلسلة نبيينا خير الورى إلى المسيح الموعود الذي جاء في زمنكم هذا، وإنه ما جاء من القريش كما أن عيسى ما جاء من بني إسرائيل، وإنه علّم لساعة كافة الناس كما كان عيسى علّمًا لساعة اليهود. هذا ما أُشير إليه في الفاتحة، وما كان حديث يُفترى، وقد شهدت السماء بآياتها، وقالت الأرض الوقتُ هذا الوقت، فاتق الله ولا تياس من روح الله، والسلام على من اتبع الهدى.

فحاصل الكلام أن القرآن مملوٌ من أن الله تعالى اختار موسى بعدما أهلك القرون الأولى، وآتاه التوراة وأرسل لتأييده النبيين تترًا، ثم قفى على آثارهم بعيسى واختار محمدًا ﷺ بعدما أهلك اليهود وأردى، ولا شك ولا ريب أن السلسلة الموسوية والمحمدية قد تقابلتا، وكذلك أراد الله وقضى. " (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٧-٨)

الآية ٢٠: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾

والذي لا يغار للنبي ﷺ هو ملحد. إن الله تعالى يراعي مؤمنًا أيضًا كما يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م،

الآية ٢٥: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

القوم الذين جاء فيهم النبي ﷺ ما كانوا يعتقدون بشيء. لم تكن عندهم شريعة وما كانوا معتقدين أو ملتزمين بكتاب بل معظمهم ما كانوا يؤمنون بالله أيضا وكانوا يقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. كانوا يحسبون هذه الدنيا كل شيء، ظنا منهم أنه لم يزر أحد عالما آخر ولم ير شيئا منه، فهذه الدنيا هي كل شيء. لقد استخدمت كلمة "دهر" في الآية للبيان أنهم كانوا "دهريين" (ملحدين). وأعلم أيضا أن سائر المذاهب السخيفة والباطلة تقريبا كانت عندئذ مجمعة في بلاد العرب، وكأنها كانت خارطة صغيرة أبرزت فيها على الصعيد العملي طرق الإفراط والتفريط السيئة كلها. كما تبرز في خارطة بلد ما الأماكن الصغيرة والكبيرة كلها، كانت الحال نفسها سائدة هنالك أيضا. ما أوضح الدليل على صدقه ﷺ أن الله تعالى بعثه في قوم وبلد كان قد خرج أهله من دائرة الإنسانية. أقول بكل قوة وشدة بأنه إذا تأمل أحد -مهما كان عدوا لدودا مسيحيا كان أو من الآريين- في الظروف التي كانت سائدة في العرب قبل بعثة النبي ﷺ، ثم نظر إلى تغير حدث بسبب تعليمه ﷺ وتأثيره، لا يضطر إلى الشهادة على صدقه عفويا. لقد صور القرآن الكريم حالتهم الأولى قائلا: ﴿يَاكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ (محمد: ١٣). هذه كانت حالتهم في الكفر، ثم عندما أحدثت فيهم تأثيرات النبي ﷺ الطيبة تغيرا صارت حالتهم: ﴿يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥). التغير الذي أحدثه النبي ﷺ في العرب الهمج، وانتشاله لهم من الهوة وإبصاهم إلى الرفعة والمكانة، يدفع التأمل فيها الإنسان إلى البكاء عفويا نظرا إلى عظمة الانقلاب الذي أحدثه ﷺ، والذي لا نظير له في أي تاريخ أو أي قوم في العالم. هذه ليست قصة بحتة بل هي أحداث واقعية اضطرت العالم إلى الاعتراف بصدقها. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٧م، ص ٥)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الأحقاف



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٥-٦: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتَّبِعْنِي يَكْتَابْ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾

...أي لا يجوز أن يدعي أحد أنه قادر على كل شيء وأنه يقدر على أن يري نموذج قدرته، أو أن يدعي أنه خالق ثم لا يري أدنى نموذج لخلقه. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٣٧)

الآية ٩: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

الإلهام وحده لا يجدي نفعا قط ما لم ترافقه الشهادة الفعلية. عندما اعترض الكفار قائلين: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (الرعد: ٤٤) رَدَّ عليهم: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الرعد: ٤٤)، أي سَتُبِتْ شهادة الله الفعلية صدقي. إذن، يجب أن ترافق الإلهام شهادة فعلية. ترون أنه عندما توظف الحكومة شخصا تهيب أسبابا لوجاهته أيضا، فالذين يتصدون له يُقبض عليهم بجرمة الإساءة إلى الحكومة. كذلك يهلك من يتصدى للمبعوث من الله. في هذه الأيام هناك قرابة خمسين شخصا مصابون بهذا المرض، أي يعتمدون على إلهامهم القولي، وكلهم مخطئون. الشيطان عدو كبير للإنسان، ولكن المفترى شيطان بحد ذاته، وهو عدو لنفسه لذا يهلك سريعا. ما أشقى الذين يقعون في شرك تزويرهم. من لم ترافق ادعاءه عظمته الله ولمعان جلاله كان الإيمان به إلقاء المرء نفسه في النار. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥ / ١٩٠٧ م، ص ٩)

الآية ١١: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

الاجتهاد بالكتب السابقة ليس حراما يقول الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. وقال أيضا: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. وقال أيضا: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾. فما دام الله تعالى يقدم هذه الآيات لإثبات نبوة رسول الله ﷺ فكيف صار اجتهادنا منها ممنوعا؟ (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠ / ١١ / ١٩٠٦ م، ص ٥)

الآية ١٦: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

.... وامنن علي بأن تكون ذرتي صالحة، ومدعاة لسعادتي، ولكني لا أعتمد على الأولاد بل أرجع إليك عند كل حاجة، وإني من المسلمين. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٠٩م، الحاشية)

لقد علّمنا الله ﷻ في القرآن الكريم دعاء: ﴿أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾، أي أصلح زوجتي وأولادي أيضًا. لذا يجب على المرء أن يستمر في الدعاء لذريته وزوجته بالإضافة إلى إحداث التغير في نفسه. لأن الإنسان في أحيان كثيرة يُبتلى بسبب أولاده، وأحيانا كثيرة بسبب الزوجة. فالفتنة الأولى التي أصيب بها آدم عليه السلام كانت بسبب المرأة، كما أن إيمان بلعام أيضًا حين حبط إثر مواجهته موسى عليه السلام فتبين من التوراة أن سببه هو أن الملك كان قد أغرى زوجة بلعام بإراءتها بعض الحلبي فحرضته على الدعاء على موسى عليه السلام. باختصار، بسببها يصاب الإنسان بابتلاء في أحيان كثيرة، لذا يجب الاهتمام الكافي بإصلاحهن، كما يجب الدعاء لهن أيضًا باستمرار. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢٠٨/٣/١٩٠٨م، ص ٦)

الآية ٣٣: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

أي من أنكره لن يقدر على أن يمنع الله من إظهار غلبته. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٧، الحاشية رقم ١١)

الآية ٣٦: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

من سنة الله أن عتابه ينزل دائما على الذين كانوا محل ألطافه وعطاياه الكثيرة والذين أراهم آياته من قبل. فلا يتوجه بالعتاب أو الخطاب أو اللوم إلى الذين قدِّر تنفيذ الحكم النهائي بشأنهم. فيقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾، ويقول أيضا: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ﴾ (القلم: ٤٩)، ويقول: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٣٦)، هذا عتاب مصحوب بالحجة على أن النبي كان يريد الحكم عاجلا بحق الكفار، ولكن الله تعالى يعمل ببطء شديد وحلم بحسب حكمه وسننه. ولكن في نهاية المطاف دمر وَجَلَّكَ أعداء النبي ﷺ وسحقهم لدرجة أنه محآ آثارهم كليا. كذلك يمكن أن يضطرب بعض أفراد جماعتنا أيضا ويستعجلوا بسماعهم أصناف الشتائم والافتراءات وسوء الكلام بحق جماعة الله الصادقة، ولكن يجب أن ينتبهوا دائما إلى سنة الله تعالى التي جرت بحق رسول الله ﷺ. لذا أقول مرة أخرى وأؤكد مرارا أن اجتنبوا مواطن الشجار والجدال. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٠، عدد: ٣١/٥/٢٠١٩م، ص ٥)

التقوى لا تجتمع مع التسرع أبداً. لقد قال الله للأنبياء: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ فكم كان عامة الناس بحاجة إلى أن يتقوا الله ويخشوه؟ (الحكم مجلد ٧، رقم ٧ عدد: ٢١/٢/٢٠١٩م، ص ٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة محمد



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾

انظروا الآن، كيف يبدي الله ﷻ رضاه بالذي يؤمن بالنبي ﷺ فيقول بأنه تعالى يغفر له ذنوبه ويتكفل تركية نفسه. فما أشقى ذلك الشخص الذي يقول لا حاجة لي للإيمان بالنبي ﷺ ويعدّ نفسه بالخلاء والكبر شيئاً مذكوراً. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٣)

الآية ٥: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَتُمْهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

يَشَاءُ اللَّهُ لَا نَتَصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

أن النبي ﷺ قال بحق المسيح الموعود قبل ثلاثة عشر قرناً بأنه سوف "يضع الحرب" .. مما يعني أن المسيح الموعود سينهي الحروب ببعثته، وإلى ذلك تشير الآية القرآنية ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ .. أي قاتلوا حتى يأتي زمنُ المسيح. وعبارة: "تضع الحربُ أوزارها" موجودةٌ في صحيح البخاري، الذي يعتبر أصحَّ الكتب بعد القرآن الكريم فاقروا به بإمعان. (الحكومة الإنجليزية والجهاد، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٨)

الآية ١٣: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾

يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ: أي أنهم متورطون وأسرى لما يتعلق بملء بطونهم وشهواتهم الأخرى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٢م، ص ٣)

يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ: إن عيشة الكفار كعيشة الأنعام تماماً التي لا همَّ لها سوى الأكل والشرب وإشباع الغرائز الشهوانية. ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ١)

إن حالة الجزيرة العربية والعالم كله عند بعثة الرسول ﷺ ليست خفية على أحد. كان القوم متوحشين تماماً، كانوا لا يعرفون إلا الأكل والشرب، وكانوا يجهلون حقوق العباد وحقوق الله تماماً. وقد رسم الله حالهم بقوله: ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. أما كيف كان تأثير تعاليم الرسول ﷺ المقدسة، فقال إنهم صاروا: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥) .. أي أنهم كانوا يقضون ليايلهم في ذكر الله ساجدين قائمين.

(الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٤-٢٥، عدد ٢٠-٢٧/٨/١٨٩٨م، ص ١٠)

﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾... لقوله هذا عدة معان:

الأول: الدواب لا تميّز كيف تأكل وكم تأكل، بل تأكل ما تجد وبقدر ما تجد، ومثاله الكلب الذي يأكل ويأكل حتى يتقيأ أخيراً.

والثاني: الدواب لا تفرّق بين الحلال والحرام، فالثور مثلاً لا يستطيع التمييز بين زرع صاحبه وزرع جاره الذي يجب ألا يرمى فيه. كما لا ينتبه لمراعاة أي شيء ذي صلة بالأكل. فالكلب لا يميز بين النجاسة وغيرها. ثم إن الدواب لا تراعي الاعتدال في الأكل.

فالذين ينقضون القيم الخلقية ولا يبالون بها كأنهم ليسوا أناساً. أما فيما يتعلق بالطيب والنجس فقد كان العرب يأكلون الكلاب الميتة أيضاً. وحتى اليوم هناك بلاد كثيرة يأكل أهلها الفئران والكلاب والقطط كأطعمة شهية لذينة جداً. وتوجد عندنا أيضاً أقوام تأكل الميتة والجيفة كالمنبوذيين مثلاً. ثم لا يتردد الناس في أكل أموال اليتيم، كالبقرة التي تأكل علف بقرة أخرى دونما تردد لو وُضع أمامها. هذا هو معنى قوله تعالى ﴿وَالنَّارُ مَتَوًى لَهُمْ﴾، أي أن النار مصيرهم. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٥، عدد ٩٠٧/١٩٠٠م، ص ٤)

لا دين يستقيم دون الروحانية والطهارة. لقد بين القرآن الكريم كيف كان حال الدنيا قبل بعثة النبي ﷺ؛ أي كانوا ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ثم حين قبلوا أنفسهم الإسلام قال ﷺ بحقهم: ﴿يَبْيِئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥)، فالقلب لا يبقى مستقيماً ما لم ينل الترياق من السماء حيث يريد الإنسان خطوة إلى الأمام لكنه يتخلف ويتقهقر، فإذا كان الإنسان صاحب صفات قدسية وفطرة قدسية فدينه يمكن أن يتقدم، وبدون ذلك لا يتقدم أي دين، وإذا تقدم لفترة فلن يستمر في ذلك. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٧، عدد ١٠١٢/١٩٠٣م، ص ٢٩٠)

أقول بكل قوة وشدة بأنه إذا تأمل أحد - مهما كان عدواً لدوداً مسيحياً كان أو من الآريين - في الظروف التي كانت سائدة في العرب قبل بعثة النبي

ﷺ، ثم نظر إلى تغير حدث بسبب تعليمه ﷺ وتأثيره، لا ضطر إلى الشهادة على صدقه عفويا. لقد صور القرآن الكريم حالتهم الأولى قائلا: ﴿يَا كُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. هذه كانت حالتهم في الكفر، ثم عندما أحدثت فيهم تأثيرات النبي ﷺ الطيبة تغيرا صارت حالتهم: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥). التغير الذي أحدثه النبي ﷺ في العرب الهمج، وانتشاله لهم من الهوة وإبصاهم إلى الرفعة والمكانة، يدفع التأمل فيها الإنسان إلى البكاء عفويا نظرا إلى عظمة الانقلاب الذي أحدثه ﷺ، والذي لا نظير له في أي تاريخ أو أي قوم في العالم. هذه ليست قصة بحتة بل هي أحداث واقعية اضطر العالم إلى الاعتراف بصدقها. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٧م، ص ٥)

إن الذي لا يدعو، لا فرق بينه وبين الأنعام. يقول الله ﷻ عن مثل هؤلاء: ﴿يَا كُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾. (الحكم مجلد ١١، رقم ٣٢، عدد: ١٠/٩/١٩٠٧، ص ٦)

الآية ١٦: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾

أي أن مثال الجنة التي ستوهب للمتقين كمثال بستان فيه أنهار من ماءٍ لا يفسد أبدا، ومن لبنٍ لا يتغير طعمه أبدا، ومن خمرٍ تجلب المتعة واللذة بدون أن تصيب شاربها بالسكر، ومن عسلٍ صافٍ للغاية لا كثافة فيه.

لقد بين الله هنا صراحة أن الجنة يمكن أن تُفهم -على سبيل التمثيل- بأن فيها أنهارا من النعم لا حد لها. ففيها أنهار ظاهرة من ماء الحياة الروحاني الذي

كان العارف يشربه في الدنيا شرباً روحانياً؛ وأنهار ظاهرة من اللبن الروحاني الذي كان يتغذى به كالطفل الرضيع في الدنيا غذاء روحانياً؛ وأنهار من خمر المحبة الإلهية التي كان بسببها في نشوة روحانية دائمة في الدنيا.. يراها يومئذ ماثلة أمامه، وأنهار ظاهرة محسوسة من غسل الحلاوة الإيمانية الذي كان يدخل في فمه بصورة روحانية في الدنيا. وسوف يعرف كل واحد من أهل الجنة مستوى حالته الروحانية من أنهاره وبساتينه. وسوف يبرز الله تعالى لأهل الجنة أيضاً من وراء الحجب.

فالخلاصة أنه لن تبقى الحالات الروحانية عندئذ على ما هي عليه اليوم من الخفاء، وسوف تظهر في أشكال مجسمة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١١-٤١٢)

الآية ٢٠: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾

كما تلاحظون أن بحلول النور لا يصمد الظلام. كذلك حين ينزل ظل "لا إله إلا الله" النوراني على القلب فإن ثوائر الظلمة النفسانية تنعدم. وليست حقيقة الذنب سوى أن الثوائر النفسانية تثور باختلاط البغي، وإذا اتبعها الإنسان يسمى مذنباً، أما معاني عبارة "لا إله إلا الله" التي نستشفها من استخدامها في محلها في اللغة العربية فهي أن "لا مطلوب لي ولا محبوب لي ولا معبود لي ولا مطاع لي إلا الله". فمن البديهي أن هذه المعاني أبعد عن حقيقة الذنب ومنبعه تماماً؛ فإن الذي سيرسخ هذه المعاني في نفسه بصدق القلب فمن المؤكد أن نقيضه سيغادر قلبه، لأن اجتماع الضدين في مكان واحد مستحيل. فإذا خرجت الثوائر النفسانية فهذه الحالة تسمى الطهارة الحقيقية والصدق والصلاح الحقيقي. وإننا بحاجة إلى الإيمان بمن أرسله الله ﷺ - وهو الجزء الثاني للشهادة - لكي يتحقق لنا الإيمان

بكلامه سبحانه. لأن الذي يُقر بأنه يريد أن يكون مطيعاً لله يلزمه الإيمان بأوامر ﷺ أيضاً، ولا يتأتى الإيمان بأوامر الله إلا بالإيمان بمن نزلت بواسطته تلك الأوامر في العالم، فهذه هي حقيقة "الشهادة". (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤١٩-٤٢٠)

التوحيد الكامل لا يتيسر للمرء إلا باعتباره الله الأحد معطي كل شيء ودواء كل داء وعماد كل أمر. هذا هو معنى "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ". وقد فسر الصوفية لفظ الإله بمعنى المحبوب والمقصود والمعبود. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٧)

إن هدف تعليم القرآن الكريم وغرضه الحقيقي هو أنه كما أن الله تعالى وحده لا شريك له؛ كذلك يجب أن يؤمن المرء بأنه تعالى وحده لا شريك له من حيث الحب أيضاً. كان هذا هو الهدف والغرض الحقيقي من تعليم الأنبياء عليهم السلام دائماً. فكما أن كلمة "لا إله إلا الله" تعلّم التوحيد من ناحية، كذلك تأمر بتكميل التوحيد في الحب أيضاً. وكما قلت آنفاً إنها كلمة جميلة وزاخرة بالمعاني، ولا نظير لها في التوراة والإنجيل، ولم يعلّم كتاب آخر في العالم تعليماً كاملاً كمثلها. إن كلمة "إله" تعني الحبيب والمعشوق الذي يُعبد، وهذا يعني أن أصل الإسلام هذا يؤدي مفهوم الحب أداء كاملاً وافياً. واعلموا أن التوحيد الذي لا حب فيه ناقص. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠٢م، ص ٥)

إن للتوحيد مراتب ولا تُعلم حقيقته بدونها. التفوه بـ "لا إله إلا الله" وحده لا يكفي. الشيطان أيضاً يقولها أحياناً، فلا فائدة ما لم تتحقق حقيقة "لا إله إلا الله" في الإنسان عملياً. أين يوجد هذا في اليهود؟ أخبرني أنت؟ إن مرحلة التوحيد الأولى هي ألا يرتكب المرء ما يخالف قول الله، وألا يكون أياً من أفعاله منافياً لحب الله تعالى. بل يجب أن يفنى في حب الله تعالى وطاعته، لذا إن معناه هو: "لا معبود لي ولا محبوب لي ولا مطاع لي إلا الله". (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٧)

ما معنى الشهادتين اللتين نقرأهما كل يوم؟ معناهما أن الإنسان يقر بلسانه ويصدق بالقلب بأنه لا معبود لي ولا محبوب ولا مقصود إلا الله. إن كلمة "إله" تعني المحبوب والمقصود والمعبود الحقيقي. هذه الكلمة التي عُلِّمها المسلمون ملخص تعليم الإسلام كله، إذ إن حفظ كتاب كبير ليس سهلاً، لذا عُلِّمت هذه الكلمة ليجعل الإنسان لبّ التعليم الإسلامي نصب عينيه دائماً. والحق أنه ما لم تنشأ هذه الحقيقة في الإنسان فلا نجاة له، لذلك قال النبي ﷺ: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة". أي من قالها بصدق القلب دخل الجنة. يخطئ الناس حين يظنون أن الإنسان يدخل الجنة بترديده كلمة كالبيغاء. لو كانت حقيقتها مقتصرة على ذلك فقط لبطلت الأعمال كلها، ولصارت الشريعة لغواً، والعياذ بالله. كلا، بل حقيقتها أن يدخل قلب الإنسان عملياً المفهوم الذي وُضع فيها. عندما يتحقق ذلك يدخل هذا الإنسان في الجنة الحقيقية، ليس بعد الممات بل يدخلها في هذه الحياة.

صحيح تماماً ومفهوم بسهولة أنه إن لم يكن للإنسان محبوب ومقصود سوى الله فلا يؤذيه ألم ولا مصيبة. هذا هو المقام الذي يناله الأبدال والأقطاب.

لا تظنوا أننا أيضاً لا نعبد الأصنام بل نعبد الله؛ اعلموا أن عدم عبادة الإنسان الأصنام هي الدرجة الدنيا، فالهندوس الذين لا يعلمون الحقائق أيضاً يتركون الآن عبادة الأوثان رويداً رويداً. لا يقتصر مفهوم الإله على عبادة البشر أو عبادة الأوثان وأنه لا توجد آلهة غيرها. وهذا ما قال الله تعالى في القرآن الكريم أن أهواء النفس ومغرياتها أيضاً آلهة. فالذي يعبد نفسه أو يتبع أهواءه وأطماعه ويكاد يموت من أجلها أيضاً مشركٌ ويعبد الأوثان. إن حرف "لا" هنا (أي في أولى الشهادتين) لا يفيد نفي الجنس فحسب بل ينفي الآلهة من كل نوع سواء أكانت في النفس أو في الآفاق، وسواء أكانت كامنة في القلب أو كانت أوثاناً ظاهرة. فمثلاً إذا اعتمد أحد على الأسباب فقط فهي أيضاً نوع من الوثن. إن مثل الوثنية كمثال السل الذي يقتل ضحيته داخلياً. الأوثان العادية تُعرف بسهولة والتخلص منها أيضاً

سهل، وأرى أن آلاف بل مئات الآلاف من الناس قد تخلوا عنها ولا يزالون يتخلون. هذا البلد كان مليئا بالهندوس، ولكن ألم يأت المسلمون كلهم منهم، وهل تركوا الوثنية أم لا؟ وهناك بعض الفرق من الهندوس أيضا الذين لا يعبدون الأوثان الآن، ولكن مفهوم الوثنية لا يقتصر على ذلك فحسب. صحيح أن الناس تركوا عبادة الأوثان ظاهريا ولكنهم ما زالوا يتأبطون آلاف الأوثان. والذين يُدعون الفلاسفة وعلماء المنطق أيضا لا يستطيعون أن يُخرجوا الأوثان من بواطنهم.

الحق أن هذه الجرائم لا يمكن أن تخرج إلا بفضل الله تعالى. إنها جرائم دقيقة جدا وهي الأكثر ضررا من غيرها. الذين يتعدون حقوق الله وحدوده متأثرين بأهواء النفس ويُتلفون حقوق العباد ليسوا جاهلين بل ألوف منهم علماء ومشايخ، وكثير منهم يُدعون فقهاء وصوفية، ومع ذلك تراهم مصابين بكل هذه الأمراض. إن اجتناب هذه الأوثان هي الشجاعة بعينها، ومعرفتها هي الفطنة والعقل. هذه الأوثان هي التي تسبب النفاق بين الناس وسفك دماء الآلاف. يغضب الأخ حق أخيه، كذلك تصدر آلاف السيئات بسبب ذلك كل يوم وفي كل حين وأن. وقد تم الاعتماد على الأسباب لدرجة أن اعتبر الله تعالى كعضو معطل. هناك قلة قليلة جدا من الذين فهموا مفهوم التوحيد الحقيقي، وإذا سئلوا لقالوا فوراً: ألسنا مسلمين؟ ألا ننطق بالشهادتين؟ ولكن من المؤسف أنهم يظنون أن النطق بالشهادتين باللسان يكفي.

أقول باليقين بأنه لو علم الإنسان حقيقة الشهادتين والتزم بهما عمليا لاستطاع أن يحرز تقدما عظيما، ولا استطاع أن يشاهد قدرات الله العجيبة. اعلّموا جيدا أن المقام الذي أحتله ليس مقام ناصح عادي ولم أقم لأحكي قصصا وحكايات فقط بل قمت لأداء الشهادة. عليّ أن أبلغ الرسالة التي كلّفني الله بها ولا يهمني هل يسمعها ويقبلها أحد أم يأبى. أنتم الذين سئألون عنها، وما عليّ إلا أن أؤدّي واجبي. أعلم أن هناك كثيرا من الناس في جماعتي ويقرون بالتوحيد أيضا، ولكن أقول بكل أسف بأنهم لا يؤمنون به كما يجب. الذي يغضب حق أخيه أو يخون أو لا

يَمْتَنِعُ عَنْ سَيِّئَاتٍ أُخْرَى لَا أَرَى أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالتَّوْحِيدِ، لِأَنَّهُ نِعْمَةٌ تَحْدُثُ فِي الْإِنْسَانِ تَغْيِيرُ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ بَعْدَ أَنْ يَحْظَى بِهَا الْمَرْءُ. لَا تَبْقَى فِي صَاحِبِهَا أُوثَانٌ الْبُغْضِ وَالشُّحْنَاءِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِهَا وَيُنَالُ قَرَبَ اللَّهِ تَعَالَى. هَذَا التَّغْيِيرُ يَحْدُثُ فِيهِ وَيَصْبَحُ مُوَحِّدًا صَادِقًا حِينَ تَنْزُولٍ مِنْ بَاطِنِهِ الْأُوثَانُ مِثْلُ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْعِدَاوَةِ وَالْحَسَدِ وَالْبُخْلِ وَالنِّفَاقِ وَنَقْضُ الْعَهْدِ وَغَيْرِهَا. مَا دَامَتْ هَذِهِ الْأُوثَانُ مَوْجُودَةً بِدَاخِلِهِ أُنِيَ لَهُ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي نَفْيَ الْكُلِّ. فَمَنْ الْمُؤَكَّدُ تَمَامًا أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ بِأَنِّي أَوْمِنُ بِاللَّهِ وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ. لِأَنَّهُ مِنْ نَاحِيَةٍ يَنْطِقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ بِاللِّسَانِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ إِذَا حَدَثَ أَمْرٌ يَنَافِي طَبِيعَتَهُ يَتَّخِذُ الْغَيْظَ وَالْغَضَبَ إِلَهَا لَهُ.

أَقُولُ مُرَارًا وَتَكَرَّرًا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ التَّذَكُّرِ دَائِمًا أَنَّهُ مَا دَامَتْ هَذِهِ الْأَلْهَةُ الْخَفِيَّةُ مَوْجُودَةً فَلَا تَتَوَقَّعُوا أَبَدًا أَنْكُمْ سَتَنَالُونَ مَقَامًا يَنَالُهُ مُوَحِّدٌ حَقِيقِي. مَا دَامَتْ الْفُتْرَانُ مَوْجُودَةً فِي الْأَرْضِ لَا تَظُنُّوا أَنْكُمْ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الطَّاعُونَ. وَمَا دَامَتْ هَذِهِ الْفُتْرَانُ مَوْجُودَةً فَإِنَّ الْإِيمَانَ فِي خَطَرٍ. اسْمَعُوا جِدًّا وَعُوا مَا أَقُولُهُ لَكُمْ وَاسْعُوا لِلْعَمَلِ بِهِ. لَا أَدْرِي مَنْ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِي هَذِهِ الْجُلُوسَةِ سَيَكُونُ مَوْجُودًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَمَنْ لَا يَكُونُ، لِذَلِكَ رَأَيْتُ مَنَاسِبًا أَنْ أَقُولَ شَيْئًا بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ لِأُؤَدِّي وَاجِبِي وَلَوْ بِتَحْمِلِ الْمَعَانَاةِ.

فَمُلَخَّصُ كَلَامِي عَنِ الشَّهَادَتَيْنِ هُوَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَعْبُودُكُمْ وَمُحِبُّوكُمْ وَمَقْصُودُكُمْ. وَهَذَا الْمَقَامُ سَيُنَالُ حِينَ تَتَطَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ السَّيِّئَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَتُخْرِجُونَ الْأُوثَانَ الَّتِي فِي قُلُوبِكُمْ. (الْحَكَمُ، مَجْلَد ١١، رَقْم ٢، عَدَد ١٧/١/١٩٠٧م، ص ٣-٥)

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكِيمٌ وَقَدْ بَيَّنَّ كَلِمَةً وَجِيزَةً مَعْنَاهَا أَنَّهُ مَا لَمْ تَوْثُرُوا اللَّهَ تَعَالَى وَمَا لَمْ تَتَّخِذُوهُ مَعْبُودًا وَلَمْ تَجْعَلُوهُ مَقْصُودًا لَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ النِّجَاةَ. (بَدْر، مَجْلَد ٦، رَقْم ١-٢، عَدَد ١٠٧/١/١٩٠٧م، ص ١١)

لا علاقة لله بالكلمات بل يرى ما في القلوب. المراد من ذلك أن الذين يُدخلون مفهوم الكلمة في قلوبهم في الحقيقة وتترسخ عظمة الله في قلوبهم كليا يدخلون الجنة. عندما يعتقد أحد بكلمة الشهادة بصدق لا يبقى أحد حبيبا عنده إلا الله ولا معبودا سوى الله ولا أحد مطلوباً إلا هو وَعَلَىٰ. إن مقام الأبدال والأقطاب والأغواث هو أن يؤمن المرء من الأعماق بشهادة "لا إله إلا الله" ويعمل بمفهومها الحقيقي. (بدر، مجلد ٦، رقم ١-٢، عدد ١٠/١/١٩٠٧م، ص ١١)

الإيمان بوحداية الله تعالى يستلزم عدم إتلاف حقوق خلقه، والذي يغضب حقوق أخيه أو يخونه فهو لا يؤمن بـ "لا إله إلا الله". (بدر، مجلد ٦، رقم ١-٢، عدد ١٠/١/١٩٠٧م، ص ١٢)

المراد من استغفار الأنبياء هو أن تبقى يد فضل الله عليهم دوماً، وإلا لو وُكل الإنسان إلى نفسه فلا يسعه أن يكون أبداً محفوظاً ومعصوماً. يشرح الدعاء "اللهم باعدْ بيني وبين خطاياي" والأدعية الأخرى أيضاً هذا المعنى للاستغفار. فسرُّ العبودية حصراً أن يأوي المرء إلى الملاذ الإلهي، فالذي لا يريد ملاذ الله فهو مغتر ومتكبر. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد: ٢٦/٦/١٩٠٣م، ص ١٧٨)

يصبح الإنسان كافراً بمجرد الاعتراض على الأنبياء عليهم السلام، لكونه عديم المعرفة بعلاقات الأنبياء والرسل بالله ﷻ. لذا فإن قياس أي أمر يفوق فهمنا وعقلنا بمقياس عقلنا لحق صريح. فمثلاً قد اعترض بعضهم على آدم عليه السلام أنه أكل من الشجرة الممنوعة، أو أثاروا البحوث حول ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾. فهذا التصرف ينافي آداب الرسل، ويوصل إلى درجة الكفر، فلما كان الله حبيبهم فهو أحياناً يعاتب على أمر ما، لكن هذه الأمور بعيدة عن القانون العام للجرائم والذنوب؛ فقبل ما يقارب ٣٠ عاماً رأيت ملكاً مقرباً ضربي بغصن التوت، ثم رأيت يبيكي جالساً على كرسي. ففي ذلك أنبئ أن حال هذه العلاقة كحال أمّ تضرب ولدها أحياناً ثم تبكي نفسها بدافع الحنان، فهي استعارة لطيفة كشفت عليّ.

لا أدري كيف أشرح العلاقة بين الأنبياء والرسل وبين الله ﷻ. فهذه العلاقات قوية ووطيدة لدرجة لا يتمكن من إدراكها غير كامل الإيمان والعارف بهذا الطريق. ولذا كتب الصوفية أن أعمالهم وأفعالهم تكون بمعزل عن القانون العام للذنوب والجرائم، فذكرها ضمن الذنوب يتسبب في سلب الإيمان. لأن حسابهم مبني على علاقاتهم، فهم سيحاسبون بحسب علاقاتهم. فمن ذا الذي يمكن أن يستوعب حقيقة الذنب المحمدي، كما لا يقدر أحد على فهم علاقة العاشق بالمعشوق عادة، أما هذه العلاقات فألطف من ذلك أيضا.

يعترض الأحقق عديم المعرفة على كلمة الاستغفار، فهو لا يعرف ما أجمل هذه الكلمة وأنها تدل على الطهارة الداخلية للنبي ﷺ بشكل لا يخطر على قلوبنا ولا يمكن أن نتصوره. ومن هنا يبدو أنه كان عاشق الرضا، وفي هذا المجال يقطع أشواطاً كبيرة بسرعة هائلة. فحين كان يتصور ممن الله ويجد نفسه مقصراً في الشكر له ﷻ يستغفر ليتدارك ذلك التقصير. فأني لنا أن نشرح هذه الكيفية لِعُلميان العقول ومجذومي القلوب هؤلاء. فلا يسعهم إدراك ذلك دون أن تصيبيهم تلك الكيفية. فحين تغمر كثرة المنن الإلهية المرء تمتلئ روحه حبا، فتندفع إلى تدارك التقصير في الشكر بالاستغفار. هؤلاء لا يريدون - كأصحاب المنطق الجاف - عدم ظهور القوى التي يمكن أن يصدر منها أي ضعف أو غفلة فحسب، بل يكونون منتصرين على تلك القوى سلفا، وإنما يستغفرون تذكُّرا بالمنن الإلهية زعما منهم بأنهم لا يؤدون حق الشكر عليها، فهو مقام لطيف وسامٍ، لا يعرف الآخرون حقيقته. مثلما لا تدرك الحيوانات - ومنها الحمار مثلاً - حقيقة الإنسانية، كذلك أنى للآخرين أن يطلعوا على حقيقة مقام الأنبياء والرسل وعلاقاتهم اللطيفة جدا بالله ﷻ، التي تزداد لطفا بقدر ما يزيد حبهم الذاتي. فانظروا كيف أن يوسف عليه السلام كان قد قال فقط أن يُذكر عند الملك، مما دفعه إلى البقاء في السجن لمدة طويلة، مع أنه أمر عادي في النظر العادي،

لكنه كان منافيا لعلاقات الحب هذه. باختصار، هو سر لطيف لا يطلع عليه كل فلان وعلان، وهذا هو المقام الذي يجب أن ينشده الجميع.

باکریماں کارہادشوار نیست.

أي: لا شي عسير على الكرام. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٤-١٥، عدد ٤/٣٠ و ١٠/٥/١٩٠٤م، ص ١-٢)

عُرض على المسيح الموعود ﷺ سؤال من قسيس: أن نوحا ﷺ دعا لابنه على عكس مشيئة الله تعالى وبذلك ارتكب الذنب، فقال ﷺ:

لماذا لم يذكر المعارض أنّ المسيح الناصري ﷺ ذهب إلى شجرة التين وكان يعلم أنّها لا تحمل ثماراً، كذلك كان يعلم أنه سيعلق على الصليب ولكنه ظل يدعو لنجاته. لقد قدّم رسول الله ﷺ دليلاً على صدقه قائلاً: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ ولا توجد في الإنجيل جملة واحدة مثلها بينما أُشير إلى حياة النبي ﷺ كلها في: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾.

المعنى الحقيقي للاستغفار هو رغبة المرء ألا يصدر منه ذنب، أي أن يكون بريئاً من الذنب. والمعنى الثاني دون ذلك هو أن يكون محفوظاً من نتائج سيئة لذنوبه. (بدر، جلد ١، رقم ١، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٧)

لماذا يكون الأنبياء معصومين؟ جوابه أنهم يُعصمون بسبب استغراقهم في حب الله تعالى. (خطابه ﷺ حول مسألة وحدة الوجود، ص ١٤، تدوين شيخ يعقوب علي العرفاني)

العصمة يقتصر على أن يُعصم الإنسان من الآثام فقط. والمراد من الإثم أن ينقض المرء أمر الله عمداً ويستحق العقاب.

فمن الواضح أن... الأطفال غير المدركين والمجانين بالولادة أيضاً أبرياء بحسب الشرح المذكور آنفاً لأنهم لا يقدرّون على أن يرتكبوا إثماً عمداً ولا يستحقّون عقاباً عند الله نتيجة ارتكابهم أيّ عمل. فهم يستحقّون دون شك أن يُعَدَّوا

معصومين. (عصمة الأنبياء عليهم السلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٦١-٦٦٢)

المعنى الأصلي والحقيقي للاستغفار هو التماس المرء من الله ألا يظهر ضعفه البشري للعيان، وأن يُسند الله فطرته بقوته ويُحيطها بدائرة حمايته ونصرته. هذه الكلمة مستقاة من مصدر "غفر" وتعني الستر. فمعناها أن يغفر الله تعالى بقدرة الضعف الفطري للمستغفر. ولكن قد وُسِّع معنى هذا اللفظ أكثر بعد ذلك لعامة الناس، وأريد منه أيضا أن يستر الله تعالى الإثم الذي صدر من قبل. ولكن المعنى الحقيقي والصحيح هو أن ينقذ الله تعالى بقوة ألوهيته المستغفر من الضعف الفطري، ويقوّيه بقوته ويهبه علماً من علمه ونورا من نوره، لأن الله تعالى لم يتخلّ عن الإنسان بعد خلقه، بل كما هو خالق الإنسان وخالق كافة قواه الداخلية والخارجية كذلك هو قيّوم الإنسان أيضا، أي يقيم بسنده الخاص جُلّ ما خلقه. فلما كان اسم الله "القيوم" أيضا؛ أي قيّوم المخلوقات بسنده الخاص؛ وما دام الإنسان قد وُلد نتيجة خالقية الله، فيجب عليه أن يحمي ملامح خلقه من الفساد بواسطة قيوميته ﷻ، لأن خالقية الله قد أحسنت إلى الإنسان إذ خلقتة على صورته ﷻ. كذلك اقتضت قيومية الله أن تنقذ من الفساد والتوسُّخ تلك الملامح الإنسانية الطاهرة التي خُلقت بيديه ﷻ. لذا فقد علّم الإنسان أن يلتمس القوة من قيوميته ﷻ بالاستغفار. فكان وجود الاستغفار ضرورياً - وإن لم يوجد ذنب في العالم - لأن الهدف من الاستغفار هو ألا تنهدم بناية البشرية التي شيدتها الخالقية بل لتبقى قائمة. ولأن قيام شيء دون سند الله مستحيل تماما، فكانت هذه ضرورة طبيعية للإنسان فُوِّجَ إلى الاستغفار. هذا ما أشير إليه في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٦) ... أي أن وجود الإنسان بحاجة إلى خالق وإلى قيوم أيضا لكي يخلقه الخالق ويحميه القيوم من الفساد. فإن ذلك الإله خالق وقيوم أيضا. وعندما وُلد الإنسان انتهت

مهمة الخالقية، ولكن مهمة القيومية مستمرة إلى الأبد، لذلك كانت هناك حاجة إلى الاستغفار باستمرار.

باختصار، هناك فيض لكل صفة من صفات الله، ففي سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) إشارة إلى الاستمرار في الاستغفار للحصول على فيض القيومية. أي نعبدك يا رب ونستعين بك لتعيننا قيوميتك وربوبيتك وتنقذنا من العثار حتى لا يظهر منا ضعفٌ فنحرم من العبادة.

فالواضح من كل هذا التفصيل أنه ليس معنى الاستغفار أن هناك حقاً فات، بل منشؤه أمنية ألا يفوت حق. وأن فطرة الإنسان تطلب من الله قوة تلقائياً نظراً إلى ضعفها كما يطلب الطفل من أمه الحليب. فكما أعطى الله ﷻ الإنسان اللسان والعينين والقلب والأذنين وغيرها منذ البداية كذلك وهبه الرغبة في الاستغفار أيضاً منذ البداية، وأشعره بأنه بحاجة إلى الاستعانة بالله دائماً. هذا ما أشير إليه في الآية الكريمة: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، أي ادعُ الله أن يحمي فطرتك من الضعف البشري، بل يهب الفطرة من عنده قوة حتى لا يظهر منها ضعفٌ. كذلك ادعُ كشفاعة للذين آمنوا بك من الرجال والنساء أن يأمنوا مغبة الأخطاء التي تصدر منهم نتيجة الضعف الطبيعي وأن تكون حياتهم المستقبلية أيضاً مصونة من الذنوب. هذه الآية تشتمل على فلسفة عظيمة للعصمة والشفاعة وتشير إلى أن الإنسان لا يبلغ أعلى مقام العصمة ومرتبة الشفاعة إلا إذا استمر في الدعاء في كل حين وأن لوضع حدٍ لنقاط ضعفه والدعاء لإنقاذ الآخرين من سَم الخطايا، وإذا جذب قوة الله بالتضرعات ثم تمنى أن ينال نصيباً من هذه القوة الآخرون الذين يرتبطون به برباط الإيمان. الإنسان المعصوم بحاجة إلى طلب القوة من الله لأنه ليس في فطرة الإنسان مزية ذاتية، بل تنالها من الله دائماً، ولا تملك قوة في نفسها بل تنالها من الله كل حين وأن، وليس في ذاتها نور كامل بل ينزل عليها النور من الله. والسر في ذلك أن الفطرة الكاملة تُعطى جذباً لتجذب القوة العليا إلى نفسها.

ولكن مصدر القوة كلها هو الله وحده، والملائكة أيضا يستمدون القوة لأنفسهم من هذا المصدر، وكذلك الإنسان الكامل أيضا يستمد قوة العصمة والفضل من مصدر القوة نفسه بواسطة قناة العبودية. فالمعصوم الكامل من بين الناس هو ذلك الذي يجذب القوة الإلهية بالاستغفار. وسلسلة التضرع والخشوع تبقى جارية دائما من أجل هذا الجذب لينزل عليه النور باستمرار. ويمكن تشبيه هذا القلب بالبيت الذي أبوابه تُقابل الشمس من الشرق والغرب بل من كل جهة، فيدخله ضوء الشمس دائما. والذي لا يسأل الله القوة مثله كمثّل حجرة أبوابها مغلقة من كل الجهات فلا يدخلها الضوء قط.

فما هو الاستغفار؟ إن مثله كمثّل آلة تنزل القوة بواسطتها. إن أسرار التوحيد كلها مرتبطة بأصل ألا تُحسب العصمة حكراً على إنسان، بل يجب أن يُعَدَّ الله وحده مصدر الحصول عليها. إن البارئ تعالى يشبه - من باب الاستعارة - قلبا يكون فيه الدم النقي دائما. ومثل استغفار الإنسان الكامل كمثّل الشرايين والعروق المرتبطة بالقلب التي تجذب منه الدم النقي وتوزّعه على كافة الأعضاء التي تحتاج إليه.

من الخطأ تماما القول بأن كلمة "ذنب" المذكورة في الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ تعني الإثم، لأن هناك فرقا بين الذنب والجريمة. الجريمة تُطلق دائما على الإثم الذي يستحق العقوبة. أما "الذنب" فتُطلق على الضعف البشري أيضا. لذلك نُسب إلى الأنبياء "الذنب"، بسبب ضعفهم البشري ولم تُنسب إليهم "الجريمة". ولم يُدعَ أيّ نبي في كتاب الله باسم "المجرم". وقد جاء في كتاب الله أي القرآن الكريم وعيد بالجهنم للمجرم، إذ عهد الله أنه سيُلقي في جهنم، ولم يأت أيّ وعيد للمذنب. كما يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ (طه: ٧٥)، فهنا قال الله: ﴿مُجْرِمًا﴾ ولم يقل: "مذنباً" لأن المذنب يمكن أن يُطلق على البريء أيضا في بعض الحالات، ولكن لا يمكن أن يطلق عليه "المجرم". وهناك دليل آخر أيضا على ذلك، وهو أنه قد جاء في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ

اللَّهُ مِثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَزْنَا ﴿آل عمران: ٨٢﴾. يتبين من هذه الآية بنص صريح أن جميع الأنبياء بمن فيهم المسيح ﷺ كانوا مأمورين بالإيمان بالنبي ﷺ وأقروا بأنهم آمنوا به. وإذا قرأنا الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ مع الآية المذكورة من قبل واستبطننا من "الذنب" معنى الجريمة، والعياذ بالله، لكان عيسى ﷺ أيضا مجرما بحسب هذه الآية لأنه أيضا من المؤمنين الذين آمنوا بالنبي ﷺ بحسب الآية، لذا سيُعد مجرما لا محالة. على المسيحيين أن يفكروا في هذا المقام جيدا. تبين من هذه الآيات بجلاء تام أن "الذنب" هنا لم يأت بمعنى الجريمة، بل المراد منه هو الضعف البشري الذي لا يقع عليه اعتراض. ولا بد أن يكون هذا الضعف موجودا في فطرة المخلوقات. وقد سمي الضعف ذنبا لأن هذا النقص والضعف موجود في الإنسان بطبيعته حتى يكون محتاجا إلى الله دائما ويسأل الله القوة دائما للتغلب عليه. ولا شك أنه إن لم تسعف الإنسان قوة الله فلن يُسفر ضعفه البشري إلا عن الذنب. فالموصل إلى الذنب قد سمي ذنبا على سبيل الاستعارة. ومن الشائع والمتداول أن الأعراض التي تسبب بعض الأمراض تُطلق عليها اسم تلك الأمراض نفسها. فالضعف الطبيعي أيضا مرض وعلاجه الاستغفار.

باختصار، لقد استخدم كتاب الله الضعف البشري في محل "الذنب"، وشهد بنفسه أن الضعف الفطري موجود في الإنسان، حيث يقول: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٩)، وهذا الضعف هو الذي يكون سببا للخطايا المختلفة إن لم تحالفه القوة الإلهية. إذًا، إن حقيقة الاستغفار هي أن على الإنسان أن يستعين بالله تعالى في كل حين وآن، ويسأله ألا يظهر للعيان ضعفه البشري الذي هو ذنب البشرية ويحالفه دائما. فالدوام على الاستغفار دليل على التغلب على الذنب، حيث لم يظهر للعيان، بل نزل عليه نورٌ من الله وغطاه.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن كلمة "استغفار" مستمدة من المصدر "غفر"، ومعناها الحقيقي هو: التغطية والستر. أي الرجاء ألا يضر ضعف بشري بظهوره للعيان بل ليبقى مستورا. ولأن الإنسان ليس إلهًا وليس مستغنيا عنه ﷻ، لذا فهو كطفل صغير يحتاج إلى أمه عند كل خطوة لتنقذه من العثار والسقوط، كذلك الإنسان يحتاج إلى الله في كل خطوة ليجنبه العثار والزلة. فهذه هي فائدة الاستغفار. وفي بعض الأحيان تُطلق هذه الكلمة على سبيل التوسّع على الذين ارتكبوا إثما في زمن مضى. ففي هذه الحالة يكون معنى الاستغفار أن ينقذ الله من عقوبة إثم صدر من قبل. ولكن هذا المعنى الثاني لا ينطبق على المقربين إلى الله ولا يصح بحقهم. والسبب في ذلك أن الله تعالى يكون قد كشف لهم سلفا أنهم لن ينالوا أية عقوبة قط وسيحتلون مقامات عليا في الجنة، ويُجَلِّسون في حضن رحمة الله. ولا يُعْطَوْنَ هذه الوعود مرة واحدة بل مئات المرات، ويُزَوْنَ الجنة. ولو استغفروا من منطلق هذا المعنى لئلا يدخلوا جهنم بسبب ذنوبهم فهذا ذنب لهم بحد ذاته، لأنهم لم يوقنوا بوعود الله، وعدّوا أنفسهم بعيدين عن رحمة الله. فالذي يقول الله عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، لو ارتاب في نفسه هل تحالفه رحمة الله أم لا، فكيف يكون رحمة للآخرين؟

كل هذه القرائن تكشف الحقيقة بكل جلاء للذين يفكرون بالعدل والإنصاف أن عزو المعنى الثاني للاستغفار إلى النبي ﷺ خطأ كبير وخبث بحت. بل العلامة الأولى للمعصوم هي أنه يستغفر أكثر من غيره ويسأل الله القوة دائما لاجتناب مغبة الضعف البشري. وهذا ما يسمّى "الاستغفار" بتعبير آخر، لأنه إذا كان الطفل يمشي دائما مستندا إلى أمه ولا يتحمل الانفصال عنها لحظة واحدة فسيجتنب العثار دون شك، ولكن الطفل الذي يمشي منفصلا عن أمه ويتسلق سلما حطرا تارة وينزل أدراجا خطيرة تارة أخرى فلسوف يسقط يوما لا محالة وسيكون سقوطه حطرا. فكما يُسْتَحَبُّ للطفل السعيد ألا ينفصل عن أمه الحبيبة مطلقا ولا يتعد عن حضنها ولا

يترك ذيلها، كذلك هي سيرة هؤلاء المقدسين الأطهار إذ أنهم يَحْتَزُّونَ على عتبات الله كممثل أطفال في أحضان أمهاتهم. وكما أن الطفل ينجز كل أموره بقوة أمه، وكلما عانده طفل آخر أو واجهه كلبٌ أو تعرَّض لأي خوف أو وجد نفسه في مقام الزلة، دعا أمه فوراً لتسعى إليه بسرعة لتنقذه من تلك الآفة، كذلك الحال تماماً عند هؤلاء الأطفال الروحانيين إذ أنهم يُعَدُّونَ رَهِمَ كالأم تماماً ويعدُّون قواه كنزاً لهم ويتحرَّون قوته ﷺ في كل حين وآن. وكما أن الطفل الرضيع يضع فمه على ثدي أمه عند الجوع ويجذب الحليب بجذب طبيعي، وحين تشعر الأم أن شفَّي طفلها الرضيع الناعمين قد لمستا ثديها بالضراعة يتدفق حليبها بصورة طبيعية ويدخل فم الرضيع؛ فهذا القانون نفسه جارٍ للأطفال الذين يبحثون ويتحرَّون الحليب الروحاني. (عصمة الأنبياء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٧١-٦٧٢)

الآية ٣٧: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾

ليست الدنيا وأفراحها إلا لهوًا ولعبًا، لأنها مسرات عابرة أو فارغة، ومآلها بُعْدُ الإنسان عن الله تعالى، ولكن المتعة التي تتيسر بمعرفة الله فهي ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعته ولا حاسةٌ أحسَّته. إن هذه المتعة شيء يشقُّ طريقه شقًّا، ويمنح المرء راحةً متجددة كلَّ حين لا عهد له بها من قبل.

إن للإنسان علاقة خاصة بالله تعالى. لقد خاض أهل العرفان نقاشات لطيفة جداً حول ما يسمى زوجي البشرية والربوبية. لو وضعنا فم الرضيع على صخرة فهل يتصور عاقل أن يتدفق منها الحليب ويشبعه. كلا. وبالمثل إن من المحال أن يتغذى ويترى الإنسان بالحليب الروحاني ما لم يَحْتَزَّ على أعتاب الله تعالى وما لم تُنشئ روحه -من خلال فنائها التام- علاقتها بربوبية الله. ومن المستحيل أن تنشئ الروح هذه الصلة ما لم تصبح عدماً أو شبيهةً بالعدم، لأن هذا ما تقتضيه الربوبية.

أما اللهو فيشمل كل لذة لها صلة بالأكل والشرب، وترون أن مآلها ليس إلا الكدورة. إن التفاخر بالزينة والمطايا والدور الجميلة والحكم وبالعائلة والقبيلة كل أولئك أشياء يعافها الإنسان في نهاية المطاف، وتسبب له الهم والحزن والقلق والاضطراب.

أما اللعب فيشمل حبّ النساء أيضا. يذهب الإنسان إلى الزوجة، ولكن بعد قليل ينقلب هذا الحب واللذة كدورة. ولكن لو كان الحب الحقيقي لله تعالى لنال راحة بعد راحة ولذة بعد لذة، حتى تنفتح عليه أبواب المعرفة الحقة، ويعيش في سعادة أبدية غير فانية ليس فيها سوى الطهارة والقداسة. وتلك المتعة هي في الله تعالى، فاسعوا للفوز بها، وإياها اطلبوا، لأنها هي المتعة الحقيقية. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٢٢، عدد ٢٣/٦/١٨٩٩م، ص ١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الفتح



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣-٢: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

أي: سنرزقك فتحًا مبينًا، أما المكافاة والشدائد المتخللة فإنما هي لكي يغفر لك الله بها ما تقدم من ذنبك وما تأخر. بمعنى أن الله قادر على أن يحقق الغاية المنشودة إذا شاء دون تعرضك لأية صعوبة، وأن يكتب لك الفتح العظيم بكل سهولة، ولكن الشدائد تنزل من أجل رفع المراتب وغفران الذنوب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية المجلد ١، ص ٦١٥، الحاشية في

(الحاشية رقم ٣)

لقد قد وصف الله ﷺ حادث الحديبية بالفتح المبين وقال ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لكن ذلك الفتح أيضا كان خفيا على غالبية الصحابة ﷺ بل قد تسبب في ارتداد بعض المنافقين. لكنه كان فتحا مبينا في الحقيقة، وإن كانت مقدماته نظرية وعميقة. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٩٠)

أي وهبنا لك فتحا عظيما آية عظيمة منا لنغطي الذنوب المنسوبة إليك برداء نوراني بهذا الفتح العظيم إثباتا منا أن المعارضين كانوا خاطئين. (أربعين رقم ٤، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٥١)

هنا ينشأ سؤال... ما علاقة الفتح مع غفران الذنوب إذ لا تمت هاتان الجملتان إلى بعضهما بصلة في الظاهر؟ ولكن الحق أنهما وثيقتا الصلة. وتفصيل الوحي أن الطعن والانتقاد الذي توجهه هذه الدنيا العمياء إلى المبعوثين من الله ورسله وأنبيائه، وما وُجّه إليهم من الطعن متنوع الاعتراضات وسوء الظن بهم وبأعمالهم، لا يوجّه إلى أحد في العالم. وهذا ما قدره الله تعالى لكي يخفيهم عن أعين هؤلاء الأشرقياء، فيكونوا محلّ اعتراض عندهم، لأنهم ثروة عظمى، وإن إخفاء الثروة العظمى عن غير المستحقين هؤلاء أفضل. لذلك يلقي الله تعالى الأشرقياء الأزليين في أصناف الشبهات عن حزب الأصفياء هؤلاء ليحرّموا من ثروة القبول. هذه هي السنة الجارية في الذين يأتون أئمة ورسلا وأنبياء من الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٨٩)

الآية ١١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُورٌ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

فليكن معلوما أن الذين كانوا يبايعون النبي ﷺ كانوا يضعون أيديهم في يد النبي ﷺ، وهذا هو طريق البيعة للرجال. فهنا قد وصف الله ﷻ ذات النبي ﷺ المباركة مجازاً بأنها ذات الله المقدسة؛ حيث وصف يده ﷺ بأنها يده ﷻ. وردت هذه

الكلمة في مقام الجمع، وصدرت بحق النبي بسبب القرب المتناهي. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٧٥، الحاشية)

فقد عُدَّت يد النبي ﷺ في هذه الآية يدَ الله، وواضح أنها ليست يد الله. (حقيقة الوحي الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ٦٦-٦٧)

الآية ٢١-٢٢: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

أي قد وعدكم الله بمغانم من شتى البلاد، فالأول منها أن أعطاكم الله كافة حصون اليهود مع ما فيها من أموال وعتاد، وآمنكم من شر الأعداء لتكون آية للمؤمنين. وسيهبكم الله بلادا أخرى أيضا أي بلاد فارس والروم وغيرها، وقد عجزتم عن السيطرة عليها بقوتكم أنتم لكن قدرات الله ﷻ تحيط بها وهو على كل شيء قدير. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ٢٦٣-٢٦٤، الحاشية رقم ١١)

الآية ٢٩: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

هذه الآية تتضمن نبوءة بحق المسيح ﷺ مادياً وسياسياً. وإن الغلبة الكاملة التي وُعد بها الإسلام ستتحقق بواسطة المسيح؛ فعندما يأتي المسيح ﷺ إلى الدنيا ثانية سينتشر الإسلام على يده في جميع الأقطار والأمصار.

وقد كُشف على هذا العبد المتواضع أن حياتي تماثل حياة المسيح ﷺ في فترتها الأولى من حيث الفقر والتواضع والتوكل والإيثار والآيات والأنوار، وأن هناك تشابها كبيرا بين طبيعتي وطبيعة المسيح، وكأنهما قطعتان من جوهر واحد، أو ثمرتان لشجرة واحدة، ويوجد بينهما اتحاد شديد بحيث لا يوجد بينهما إلا فارق بسيط جدا من حيث النظرة الكشفية. ثم هناك مماثلة ظاهرية أيضا وهي أن المسيح كان

تابعًا لني كامل وعظيم، أعني موسى عليهما السلام، وكان خادماً لدينه، وإنجيله فرع للتوراة، وأنا أيضاً من أحقر خدام ذلك النبي الجليل الشأن ﷺ الذي هو سيد الرسل وتاج المرسلين أجمعين. فإذا كان هؤلاء حامدين فهو أحمدٌ، وإذا كان هؤلاء محمودين فهو محمد ﷺ. فما دامت هناك مشابهةٌ تامة بيني وبين المسيح ﷺ لذا قد أشركني الله تعالى منذ البداية في النبوة المتعلقة بالمسيح، بمعنى أن المسيح ﷺ هو المصدق الظاهري والمادي للنبوة المذكورة آنفاً، وأنا مصداقها ومحملها من حيث الروحانية والعقل، بمعنى أن غلبة الإسلام الروحانية التي تعتمد على الحجج القاطعة والبراهين الساطعة مقدرة بواسطتي أنا العبد المتواضع، سواء كانت في حياتي أو بعد مماتي. ومع أن الإسلام كان غالباً منذ البداية من حيث أدلته الصادقة وظل معاندوه يواجهون الحزبي والذلة، لكن ظهور غلبته على الفرق والأقوام المختلفة فهي مقدرًا في زمن من شأنه أن يجعل الدنيا كلها - بسبب اكتشاف الوسائل - كبلاد متحدة، ويدخلها في حكم قوم واحد، ويهيئ كافة أسباب إشاعة التعليم ووسائل إشاعة الدين بكل سهولة ويسر، ويكون الأنسب والأصلح للتعليم الصادق داخلياً وخارجياً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٩٣-٥٩٤، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٣٠: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَنَبَّغُونَ فُضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

أي: أن محمداً رسول الله ﷺ وأصحابه أشداء على الكفار، أي الكفار عاجزون أمامهم ولا يملكون الرد عليهم، وأن هيبة صدقهم مستولية على قلوب الكفار، أما

فيما بينهم فهم رحاء. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ٦١٦-٦١٧، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

إن لنبينا الكريم ﷺ اسمين: أحدهما محمد ﷺ إذ ورد في التوراة بأنه الذي في يده شريعة نارية أي شريعة جلالية كما يظهر من آية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾. (أربعين، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٤٣)

في الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إشارة إلى الفترة المدنية من حياة رسول الله ﷺ، حيث كان معه كثير من المؤمنين الذين حاربوا الكفار. (الحكم، مجلد ٥٥، رقم ٤، عدد ١٩٠١/١/٣١، ص ١١)

أمر بالشفقة والرحمة تجاه المؤمنين والمسلمين، فقد ذكرت حالة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين نفسها حيث ورد: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٧، عدد ١٩٠٨/٤/١٤، ص ٣)

"فإن موسى أخبر عن صحبٍ كانوا مظهر اسم محمدٍ نبينا المختار، وصوّر جلال الله القهار بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، وإن عيسى أخبر عن ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وعن إمام تلك الأبرار، أعني المسيح الذي هو مظهر أحمد الراحم الستار، ومنبع جمال الله الرحيم العفار، بقوله: ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ الذي هو مُعْجِبُ الْكُفَّارِ^١. وكل منهما أخبر بصفاتٍ تناسب صفاته الذاتية، واختار جماعةً تُشابه أخلاقهم أخلاقه المرضية، فأشار موسى بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى صحابة أدركوا صحبة نبينا المختار، وأروا شدةً وغلظةً في المضمار، وأظهروا جلال الله بالسيف البتار، وصاروا ظلَّ اسم محمد رسول الله القهار، عليه صلوات الله وأهل السماء وأهل الأرض من الأبرار والأخيار. وأشار عيسى بقوله: ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ إلى قوم ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾

^١ الكافر: الزارع. (المنجد). (الناشر)

وإمامهم المسيح، بل ذكر اسمه أحمد بالتصريح، وأشار بهذا المثل الذي جاء في القرآن المجيد إلى أن المسيح الموعود لا يظهر إلا كنباتٍ لَيْنٍ لا كالشيء الغليظ الشديد. " (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٢٥-١٢٧)

"ثم قال ﷺ في مدح صحابة خاتم النبيين: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. فانظر كيف سمى كل من عاداهم كافرين، وغضب عليهم، فاخش الله واتق الذي يغيب بالصحابة كافرين. " (سر الخلافة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٣٠)

إن للنبي ﷺ بعثتين: (١) البعثة المحمدية، وهي تتسم بالجلال الذي يتبع تأثير كوكب المريخ الذي ذكرته الآية انطلاقاً مما ورد في التوراة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، (٢) والبعثة الثانية الأحمدية تتسم بالجمال التابع لكوكب المشتري الذي ذكره القرآن الكريم انطلاقاً مما ورد في الإنجيل: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٧). (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٥٤)

لا يؤمن مؤمن ما لم يئأس منه الكفر. ذات مرة أرسلتُ كتاباً إلى "فتح مسيح"، فخطّ عليه خطوطاً وأعادته وكتب: لم يؤذ أحد قلبي بقدر ما آذيته أنت. انظروا، إن عدو رسول الله ﷺ اعترف بنفسه أن قلبه قد تأذى. فكونوا ثابتين على إيمانكم حتى يقنط الكفر بأن حيلته لا تنطلي، هذا أيضاً من معاني: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٩، عدد ١٠/٦/١٩٠٤ م، ص ١)

الذين يُعَدُّون في الحقيقة من المؤمنين عند الله تعالى، والذين قد اصطفاهم الله تعالى لنفسه، وطهرهم بيد قدرته، وأدخلهم في زمرة المصطفين الذين قال عنهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فلا بد أن توجد فيهم آثار السجود

وعبودية الله تعالى، لأنه لا يمكن أن تخطئ وعود الله أو تتخلف. (الحكم السماوي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٢١-٣٢٢)

في هذه الآيات إشارةً ونبأً عن التأييدات الربانية والمنن الإلهية والازدهار والعزة والعظمة التي ستبلغ الكمال رويدا رويدا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٤، الحاشية)

لقد أظهر الكفار آراءهم بكل شدة وتحدي أن هذا الدين سينعدم حتماً، وسنقضي عليه. ثم جاءت مقابل ذلك نبوءة وهي مذكورة في القرآن الكريم بأنه لن يبور أبداً بل سيصبح كدوحة عظيمة وسينتشر وسيكون فيه ملوك كما أشير إلى ذلك في آية: ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٩٠-٢٩١)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة الحجرات



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

أي اتَّبِعُوا أوامر الله ورسوله كما يجب، واخشوا الله في حالة المعصية... من الواضح أن الذي يعتمد على توحيده الجاف (وهو ليس توحيداً أصلاً) ويزعم أنه في غنى عن الرسول ويقطع علاقته معه ويفصل نفسه عنه تماماً ويخطو إلى الأمام بقصد الإساءة فهو يعصي الله تعالى ويُحَرِّم من النجاة. (حقيقة الوحي، الخزان

الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٨)

الآية ٨-٩: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

"وكيف يُنسب إلى الصحابة ما يُخالف التقوى وسُبله، ويُباين الورع وخلله، مع أن القرآن شهد بأن الله حَبَّبَ إليهم الإيمان، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وما كَفَّرَ أحدا منهم مع وقوع المقاتلة، فضلا عن المشاجرة، بل سمى كلَّ أحد من الفريقين مسلمين." (سر الخلافة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٢٩)

أي قد أنزل الله فيكم روحا طاهرة ورغبكم في كل حسنة، وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ١، رقم ٥، ص ١٩٥)

الآية ١٠-١٣: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾

"فانظر إلى ما قال الله وهو أصدق الصادقين. إنك تُكفِّر المؤمنين لبعض مشاجرات، وهو يسمي الفريقين مؤمنين مع مقاتلات ومحاربات، ويُسميهم إخوة مع

بغى البعض على البعض ولا يُسمى فريقاً منهم كافرين، بل يغضب على الذين يتنازرون بالألقاب، ويلمزون أنفسهم ولا يسترون كالأحباب، ويسخرون ويغتابون ويظنون ظن السوء ويمشون متجسسين. بل يُسمى مرتكب هذه الأمور فسوقاً بعد الإيمان، ويغضب عليه كغضبه على أهل العدوان، ولا يرضى بعباده أن يسبوا المؤمنين المسلمين، هذا مع أنه يُسمى في هذه الآيات فريقاً من المؤمنين باغين ظالمين، وفريقاً من الآخرين مظلومين، ولكن لا يسمى أحداً منهما مرتدين. وكفاك هذه الهداية إن كنتَ من المتقين، فلا تُدخل نفسك تحت هذه الآيات، ولا تبادر إلى المهلكات، ولا تقعد مع المعتدين." (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٢٩-٣٣٠)

من القلوب الخبيثة يتدفق الكلام الخبيث، ومن القلوب الطيبة يخرج الكلام الطيب. والإنسان يُعرف بكلامه، كما تُعرف الشجرة من ثمارها. لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم بصراحة تامة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تذكروا الناس بأسماء تسوءهم. (التحفة الغزوية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٤١)

فلا ينادِ بعضكم بعضاً بما يستفزه، فإن هذا دأب الفسق والفجّار. إن الذي يستفّر غيره لن يموت حتى يتعرض لمثله. فلا تحتقروا إخوانكم، فما دمتم جميعاً تنهلون من نبع واحد، فما يدريكم أيكم أكثر حظاً من هذا الشراب؟ (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٤٩-٥٠)

يجب ألا يشكو بعضكم بعضاً... وألا تسخر فئة من فئة أخرى ظانين أنفسهم من فئة عليا وغيرهم من فئة سفلى، والفوارق القومية لا تعني شيئاً عند الله... ولا تنادوا الآخرين بأسماء يستاءون منها ويحسبونها إساءة إليهم؛ وإلا سَتُعدّون عند الله من الفاسقين. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٦-١٥٧)

إن سوء الظن مرض خطير وبلاء عظيم يُعمي الإنسان ويُلقيه في هوة الهلاك المظلمة. إن سوء الظن هو ما دفع إلى عبادة إنسان ميت، وإن سوء الظن هو ما يجعل الناس متعطلين من التخلّق بأخلاق الله من رفق ورحمة ورزق وغيرها - والعياذ

بالله - وكأنهم أشياء رديئة لا تصلح لشيء. باختصار، إن سوء الظن نفسه يملأ معظم الجحيم، بل لو قلت إنه يملأ الجحيم، فلن أكون مبالغاً في قولي هذا. إن الذين يسيئون الظن بالمبعوثين الربانيين يحتقرون أفضال الله وآلاءه تعالى. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٩٧-٩٨)

تذكروا جيداً أن سوء الظن هو مصدر الفساد كله، لذا قد نهى الله عنه نهياً شديداً وقال: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾. لو أن المشايخ لم يسيئوا بي الظنون واستمعوا لقولي بصدق وثبات، وقرأوا كتي، ورأوا أحوالي بالملكوث عندي، لما رموني بالتهم التي رموني بها، ولكنهم لم يعظّموا حكم الله هذا ولم يعملوا به، فكان أن أساءوا بي الظن وبجماعتي أيضاً، واتهمونا بتهم باطلة مفتراة، حتى كتب بعضهم بكل جسارة إن هؤلاء حزب الملاحدة، وأنهم لا يصلّون ولا يصومون، وما إلى ذلك من مفتريات. ولو أنهم اجتنبوا إساءة الظن لما وقعوا تحت لعنة الكذب هذه ونجوا منها.

أقول صدقاً وحقاً إن سوء الظن أمرٌ سيئ جداً يدمر إيمان الإنسان، ويلقيه بعيداً عن الصدق والسداد، ويجعل الأصدقاء أعداءً. ولإحراز كمالات الصديقين لا بد للمرء من اجتناب سوء الظن كثيراً، ولو أساء بأحد الظن فليستغفر بكثرة ويدعو الله تعالى لكي ينجو من هذه المعصية والعواقب الوخيمة المترتبة على سوء الظن. لا تستهينوا بسوء الظن أبداً، فإنه مرض فتاك يهلك به الإنسان بسرعة فائقة.. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد: ٢٤ / ٤ / ١٩٠٥ م ص ٢)

باختصار، إن سوء الظن يهلك الإنسان، حتى ورد أن أهل الجحيم عندما يُلقون فيها فإنما يقول الله تعالى لهم إن ذنبكم أنكم أسأتم الظنّ.

وهناك أناس أيضاً يظنون أن الله تعالى سيعفو عن أصحاب الأخطاء والمعاصي وسيعذّب أهل الصلاح. إن هذا سوء الظن بالله تعالى، لأنه يتنافى تماماً مع صفة الله العدل، ولأن هذا يعني إبطال الحسنة ونتائجها التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، واعتبار الحسنة عديمة الجدوى.

اعلموا جيدا أن مآل سوء الظن جهنم، فلا تستهينوا بهذا المرض. إن سوء الظن يؤدي إلى اليأس، واليأس يؤدي إلى الجرائم، والجرائم تؤدي إلى الجحيم. وسوء الظن يقلع الصدق من جذوره، فاجتنبوه، وادعوا لإحراز كمالات الصديق. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٦، عدد ١٠/٥/١٩٠٥ م، ص ٢)

يبدأ الفساد حين تساور المرء الظنون الفاسدة والشكوك، ولكنه لو أحسن الظن لَوَقَّ لبذل شيء من المال أيضا، ولكنه لو أخطأ عند الخطوة الأولى لصعب عليه الوصول إلى غايته المنشودة.

إن سوء الظن سيئ جدا، ويحرم الإنسان من حسنات كثيرة، ثم يظل سوء الظن ينمو ويزداد حتى يسيء الظن بالله تعالى أيضا. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٠ م، ص ٢)

لا نستطيع أن نتصرف في بواطن الآخرين، والتصرف من هذا النوع ذنب. يحسب الإنسان أحدا سيئا ثم يصبح بنفسه أسوأ منه. ... التسرع في سوء الظن ليس محمودا. التصرف في العباد أمر حساس، وقد أهلك أما كثيرة لأنهم أسأؤوا الظنون بالأنبياء وأهل بيتهم. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢ م، ص ٥٤)

غيبة الأخ كأكلم ميتة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ أي يجب على المسلم ألا يغتاب أخيه المسلم، فهل يجب أي مسلم أن يأكل لحم أخيه الميت. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٠)

كان لصوفيٍّ مريدان، شرب أحدهما الخمر وسقط في قناة ماء آسن. والثاني شكاه عند الصوفي. فقال له الصوفي: أنت سيئ الأدب جدا إذ تشكوه ولا تحمله، فذهب للتو وحمله وذهب به. فشرع الناس يقولون إن أحدهما شرب الخمر كثيرا والثاني شرب أقل منه وحمل الأول. كان الصوفي يقصد أنه لماذا اغتبت أخاك؟ سئل النبي ﷺ عن الغيبة فقال: أن تذكر أخاك في غيابه بما يكره، "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ". يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا

أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا. لقد شُبِّهَت الغيبة هنا بأكل لحم الأخ الميت. ويتبين من هذه الآية أيضا أنه حين تتشكل جماعة سماوية فهي تضم أصحاب العيوب أيضا حتما وإلا لا معنى للآية. لو كان مقدرا أن يكون المؤمنون طاهرين كلهم وألا تصدر منهم سيئة فماذا كانت الحاجة إلى هذه الآية؟ (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ١٩٠٤/٧/٨، ص ٤)

هناك بعض الذنوب الواضحة مثل قول الزور، والزنا والخيانة وشهادة الزور، وإتلاف الحقوق والشرك وغيرها، ولكن هناك بعض الذنوب الدقيقة التي يرتكبها الإنسان دون أن يعرف، إذ يمكن لشاب أن يشيخ وهو لا يعرف أنه يرتكب ذنبا كذا وكذا، فمثلا هناك عادة الغيبة ويحسبها الناس أمرا هينا لينا مع أن القرآن الكريم يحسبها سيئة جدا فيقول: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾. إن الله تعالى يسخط من أن يتفوه المرء بكلمة تؤدي إلى تحقير أخيه أو أن يقوم بتصرف يُخرجه. إن كلام المرء عن أخيه في الغيب بما يُظهر أنه جاهل وأحمق أو يؤدي إلى أن يعاديه الآخرون لهو من الأمور السيئة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٢، عدد، ١٩٠٦/٦/٢٤، ص ٣)

الآية ١٤: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
كان الناس في البداية كأمة واحدة فقط ثم حين انتشروا في الأرض كلها قسمهم الله إلى أمم مختلفة لسهولة التعارف بينهم، وقرر لكل أمة مذهبا يناسبهم، حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٤٦)

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ أي بقدر ما يختار المرء سبلا دقيقة للتقوى ترتفع درجته عند الله ﷻ، فلا شك أن من أسمى مراتب التقوى أن يتخذ الإنسان التدابير سعيا لتفادي الأخطار قبل ظهورها. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٤٦)

إن أولياء الله والرسل والأنبياء الذين تنزل عليهم رحمة الله تعالى وأفضاله ويجذبهم الله تعالى إليه ينقسمون إلى قسمين:

الأول: الذين لا يؤمرون لإصلاح الآخرين، بل تكون دائرة عملهم مقصورة على أنفسهم، فتكون مهمتهم مقصورة على أن يصفقوا دائما أنفسهم بالزهد والتقوى والإخلاص، فينهجون أدق مناهج مرضاة الله تعالى قدر استطاعتهم ويلتزمون بأدق وصاياه ﷺ. فليس ضروريا لهم أن يكونوا من قوم عظيم الشأن أو من عائلة عريقة وعالية النسب أو نبيلة ونجيبة أو عائلة زعماء. بل يُنظر إلى تقواهم بحسب الآية الكريمة القائلة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. وإن كانوا منحدرين من فئات منبوذة مثل الكناسين، أو مثل أن يكون أحدهم من التائبين من ممارسة الدعارة أو كانوا من فئات تُعتبر في الإسلام خادمة للأقوام الأخرى مثل الحلاق والإسكافي والزيات والمغني والمهرج والسقاء والجزّار والنسّاج، والرقاص والتنبولي وغسّال الملابس والسّمّاك والمحّمص والخبّاز وغيرهم، أو كان ممن يُشك في ولادته إن كان قد وُلد من حلالٍ أو حرام؛ فكل هؤلاء يمكن أن يكونوا من أولياء الله نتيجة التوبة النصوح؛ لأن الله كريمٌ، وأمواج فيوضه متدفقة بكل شدة. فيمكن للمصابين بأنواع الأدران أن يتخلصوا- باستغراقهم في بحر حب الله القدوس الأزلي- من الأدران التي تُلصق بهم عُرفًا وعادةً. فمن الوقاحة المتناهية ذكر ففتهم العرقية الدنية بعد أن وصلوا إلى الله تعالى القدوس وفنوا في حبه ومرضاته، لأنهم لم يعودوا بعد ذلك كما كانوا من قبل، وتخلّوا عن هويتهم وفنوا في الله وصاروا جديرين بأن يُذكروا بالتعظيم والإجلال. والذي يحثّهم بعد هذا التغيّر أو يفكر على هذا النحو، فإنه أعمى وتحت طائلة غضب الله. إن قانون الله العام هو أن تُمحي- بعد دخول أحد في الإسلام- الفروق القومية، وتُمحي كذلك أفكار الفوقية والدونية. صحيح أنه يُستنبط من القرآن الكريم أنه ينبغي الاهتمام بالأقوام والقبائل والأشخاص والتكافؤ عند الزواج حتى لا يواجه الأولاد عارا وتحقيرا وسخرية، ولكن ينبغي ألا يتم التشديد على هذا الأمر أكثر من

المفروض لأن كلام الله تعالى لم يشدد على التفريق بين الأمم، وإنما يُستنبط من آية واحدة فقط مبدأ مراعاة التكافؤ في الحسب والنسب. وإن حقيقة الأقوام هي أن الشرفاء منهم يصبحون أراذل بعد مدة من الزمن والعكس صحيح؛ فمثلاً هناك فئات منحة اجتماعياً مثل الكناس يُعدُّ أهلها الأراذل والأدنى درجة في بلادنا، ولكن من الممكن جداً أنهم كانوا أشرافاً في زمن من الأزمان، والله تعالى وحده يعلم التغييرات الحادثة في عبادته ولا يعرفها الناس. فالآية الجديرة بالتمسك بوجه عام هي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. أي أن أكثركم جدارة بالإكرام وأعلامكم نسباً في نظر الله هو الذي يتبتل إلى الله تعالى بالتقوى الصادقة أكثر من غيره، والذي يستولي على قلبه في كل لحظة خوف انقطاع علاقته بالله في كل قول وفعل وعند كل حركة وسكون وعند إظهار كل خلقٍ وعادةٍ وعاطفةٍ. فهذا الشخص هو الأشرف من بين الأقوام كلها والأعلى نسباً والأفضل قبيلة والأجدر بأن يفتدي به الجميع. فالقانون العام في الشريعة الإسلامية هو أن مدارها على التقوى. أما الأنبياء والرسل والمحدثون الذين يبعثهم الله تعالى وتكون طاعتهم واجبة على الأقوام كلها، فلهم قانون إلهي خاص بهم منذ القدم نذكره فيما يلي:

لقد سبق أن بينت أن أولياء الله الذين لا يكونون مأمورين، أي ليسوا أنبياء أو رسلًا أو محدّثين، ولا من الذين يدعون الناس إلى الله تعالى بأمره أو بناء على إلهام منه، فليس ضرورياً للأولياء مثلهم أن يكونوا من عائلة عظيمة الشأن، لأن أمرهم يكون مقصوراً على أنفسهم فقط. ومقابلهم هناك أولياء من نوع آخر أي الأنبياء والرسل والمحدثون، ويُبعثون من الله تعالى حائزين منصب الحكم والقضاء، فيؤمر الناس بالإيمان بهم أئمةً وقادة وقُدوةً لهم، وأن يطيعوا- بعد طاعة الله- خلفاء الله هؤلاء كما يطيعونه عليه السلام. ففيما يتعلق هؤلاء الأبرار، جرت سنة الله منذ القديم أن خلق أصحاب هذه المناصب في أقوام وعائلات عريقة ونبيلة، حتى لا يستنكر أحدٌ الإيمان بهم وحمل نير طاعتهم. ولما كان الله تعالى رحيمًا وكرِيمًا، لم يُرد أن يواجه الناس عثارا وابتلاءً يحرمهم سعادة

عظمى فيمتنعوا عن الإيمان بالمبعوث بحيث يغلبهم الشعور بالعار والشنار بسبب كونه من قوم أدنى، وينفروا من صميم فؤادهم أن يكونوا تابعين لهم ويحسبوهم قدوة. والواضح تماما بالنظر إلى عواطف الناس وأفكارهم أنهم يتعرضون لهذه العثرة بطبيعة الحال. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٧٦-٢٧٩)

لا يكون أحد مكرما ولا معظما بحسب القواعد الدنيوية، إنما كبيركم عند الله التقي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. إن هذه العشائر والقبائل المختلفة ليست سبب شرف وكرامة. إنما جعلها الله للتعارف فقط. ثم فمن الصعب في هذه الأيام معرفة النسب الحقيقي بعد بضعة أجيال. لا يليق بالإنسان التقي أن يخوض في النقاش المبني على القبلية والعشائرية. فما دام الله قد حكم بأن القبيلة والعشيرة ليست ذات قيمة عندي، فليست المكرمة والعظمة الحقيقية إلا بالتقوى. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٥٠)

لا تزدري أعينكم إخوانكم في الدين أبدا، ولا تحتقروا الآخرين ولا تستخفوا بهم متفاخرين بالمال والثروة أو النسب بغير حق. إنما المكرم من هو تقي، قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٧، عدد ٢٤/٧/١٩٠١م، ص ٢)

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وسوف يُقي الله ﷻ جماعة الأتقياء فقط ويُهلك الآخرين. فهذا موقف حساس جدا ولا يمكن أن يقوم فيه الاثنان معا، بحيث يقوم المتقون والأشرار والخبثون في مقام واحد. فالضروري أن يقوم المتقي ويُهلك الخبيث. وما دام الله ﷻ يعلم من هو المتقي في نظره، فهذا مقام خوف شديد. فالسعيد من كان تقياً، والشقي من حلت عليه اللعنة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٢م، ص ٣)

إن الله لا ينظر إلى الأجسام ولا إلى الفئات العرقية، بل ينظر إلى التقوى دائما: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ من العيب أن يقول المرء بأنه من السادات أو المغول أو البتهان أو السيخ. إذا اعتر أحد بفتته العرقية فهذا عيب لأن

الأعراق تنتهي بعد الممات. إن الله لا ينظر إلى الشعوب ولا يستطيع أحد أن ينال النجاة لمجرد كونه من عائلة عريقة. لقد قال النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها ألا تعتز بكونها بنت رسول الله لأن الله تعالى لا يهتم بالأعراق، بل المدارج التي ينالها المرء هناك إنما ينالها نتيجة التقوى. إن الشعوب والقبائل هي من أجل نظام الدنيا وللتعارف فقط ولا علاقة لها بالصلة بالله تعالى. إن حب الله ينشأ بسبب تقوى الله. وبالتقوى وحدها تُنال المدارج العليا. إذا كان أحد من عائلة السادات ثم تنصّر وسبّ النبي ﷺ وأساء إلى أوامر الله تعالى؛ فهل لأحد أن يقول بأن الله سينجيه ويدخل الجنة لكونه فقط من عائلة السادات؟ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ٢٠) أي الدين الذي يضمن النجاة عند الله هو الإسلام. فإذا تنصّر أحد أو تهوّد أو كان من الآريين لا يجدر بالإكرام عند الله. لقد رفع الله تعالى تمييز الشعوب والأعراق لأنه لنظام الدنيا وللتعارف فقط. لقد تأملت جيدا أن المدارج التي تُنال عند الله سببها الحقيقي هو التقوى فحسب. المتقي سيدخل الجنة، وقد قرر الله تعالى ذلك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد ٢٤ / ٨ / ١٩٠٢م، ص ١٠)

صحيح تماما أنه ليست لله قرابة جسدية مع أحد. إن الله مقسط ويجب القسط، وهو عدل ويجب العدل، لا شأن له بعلاقات القرابة الظاهرية، والذي يعتصم بالتقوى ينقذه بفضلته ويكون معه. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧ / ١٠ / ١٩٠٢م، ص ٧)

كان النبي ﷺ أيضا يكرم الأتقياء فقط لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فمن كان مكرّما عند الله ورسوله ﷺ هو المكرّم عندنا أيضا، وهو المتقي فقط. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١، عدد ١٠ / ١ / ١٩٠٣م، ص ١٠)

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.. فلا تعتزوا ولا تفتخروا بالفئات والشعوب لأن ذلك يعرقل سبيل الحسنة، غير أنه من الضروري أن تتقدموا في التقوى والحسنة فإن

أفضل الله وبركاته تأتي من هذا السبيل فحسب. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٩/١٩٠٤م، ص ٤)

النجاة ليست مقتصرة على القوم ولا على المال بل على فضل الله تعالى، وتجذبها الأعمال الصالحة والأدعية والطاعة الكاملة لرسول الله ﷺ. إن ابتلاء القوم أيضا ليس أقل من ابتلاء المال. بعض الناس يحسبون الأقوام الأخرى حقيرة. وأفراد عائلة السادات يواجهون هذا الابتلاء أكثر من غيرهم. ذات مرة جاءت سيدة متسولة إلى بيتنا وقالت إنها من عائلة السادات. كانت ظامئة وطلبت الماء وقالت: يجب أولا أن تغسلوا الكأس جيدا، فقد يكون أحد من أفراد الأمة العاديين قد شرب بها قبلي. تنشأ فيهم أفكار مثلها. ولكن لا قيمة لهذه الأمور عند الله وقد حكم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥م، ص ٦)

يجدر بالانتباه إلى أن الإسلام لا يهتم بالفئات العرقية وإنما يهتم بالتقوى والسعادة فقط، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣١، عدد ٢٨/٨/١٩٠٦م، ص ١٢)

الآية ١٥: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ما دام الله لا يسمي المطيعين مؤمنين فكيف يمكن أن يعدّ الذين يكذبون بكلام الله تكذيبا صارخا ولا يتورعون عن تكذبي بعد رؤية آلاف الآيات التي ظهرت في الأرض والسماء مؤمنين عند الله؟ (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٨)

هناك علاقة غريبة لأبي بكر رضي الله عنه مع يشوع بن نون عليه السلام وهي أن يشوع بن نون اضطر مع جيشه - بعد وفاة موسى عليه السلام - لعبور نهر كبير يدعى نهر الأردن، وكان

في الأردن طوفان وكان العبور مستحيلا، ولو لم يعبروا الطوفان لهلك بنو إسرائيل على أيدي الأعداء حتما، وكان هذا أول أمر هائل تعرض له يشوع بن نون في خلافته بعد وفاة موسى عليه السلام. فنجّى الله يشوع بن نون مع جيشه من ذلك الطوفان بصورة إعجازية، إذ جفف نهر الأردن فعبره بسهولة، وكان الجفاف نوعا من المد والجزر، أو كان مجرد معجزة فوق العادة. على كل حال قد أنقذه الله من الطوفان والعدو على هذا النحو، فتعرض أبو بكر الخليفة الحق أيضا- بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- مع جماعة الصحابة بأسرها التي يقدر عددها بأكثر من مائة ألف، لطوفان مشابه، بل أكثر منه شدة؛ إذ انتشر التمرد العنيف في البلد. فالأعراب الذين قال الله بحقهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، كان لا بد أن يتمردوا لكي تتحقق هذه النبوءة، وهكذا حدث، إذ قد ارتدوا كلهم ورفض بعضهم أداء الزكاة، وبعض الأشرار ادعوا النبوة، فانضم إليهم مئات الآلاف من الأشقياء وكثر عدد الأعداء لدرجة أن لم يكن للصحابة أي نسبة مقارنة معهم، فظهر طوفان عنيف في البلد، وكان هذا الطوفان أشد هولا من تلك المياه المخيفة التي تعرض لها يشوع بن نون عليه السلام. (التحفة الغولروية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٨٦-١٨٧)

لقد مدح الله تعالى المؤمنين ويقول: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لأنهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في البداية نتيجة فراستهم. ولكن عندما بدأ الناس يُسلمون بكثرة وانكشف الأمر فالذين انضموا إلى الإسلام عندها سماهم الله "الناس"، وكأنه منعهم في هذه الحالة قائلا: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي قولوا فقط بأننا مسلمون ومطيعون، لأن الإيمان يتحقق عندما تحل الابتلاءات. والذين ما حلت بهم الابتلاءات بعد الإيمان يندرجون في قائمة: ﴿أَسْلَمْنَا﴾، لأنهم لم يمروا بالمعاناة بل دخلوا الإسلام في زمن الازدهار والنصرة. لذلك لم يُعطوا اسما أو

لقبا يمكن أن يعتزوا به بل سُمُّوا "الناس" لأنهم دخلوا في الزمن الذي استتبت فيه الأمور، وأرى النبي نورَ صدقه. عندها بدت الأديان الأخرى كلها محترقة، فدخل الجميع الإسلام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٦)

أي قولوا: قد تركنا المقاومة، ولكن لم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩٠٢م، ص ١٥)

يتحقق قول "أسلمنا" دوماً بالعصا، أما "آمنّا" فيتحقق عندما يلقي الله في القلب. فلوازم الإيمان تختلف عن لوازم الإسلام. لذلك قد خلق الله ﷻ في هذا العصر لوازم تخلق الإيمان. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٩، عدد ٢٩/٥/١٩٠٣م، ص ١٤٧)

أما الإيمان الكامل فلا حرازه يحتاج الإنسان للمجاهدات، ولا يجد بدا من الثبات في الابتلاءات والحن.

گویند سگ لعل شود در مقام صبر
آرے شود و لیک بنونِ جگر شود

أي: يقولون بأن الحجر يصبح ألماسا نتيجة الصبر، هذا صحيح ولكن بعد أن يصبح الكبد دماً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٧، عدد ٢٤/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

لقد ارتد آلاف الناس عند وفاة النبي ﷺ مع أن الشريعة كانت قد اكتملت في زمن النبي ﷺ. وبلغ الارتداد إلى درجة أنه لم يبق إلا مسجدان تُقام الصلاة فيهما، وما كانت تقام في غيرهما. لقد قال الله تعالى بحق هؤلاء الناس: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، ولكنه تعالى أقام الإسلام مرة ثانية بواسطة سيدنا أبي بكر ﷺ، فكان آدم ثانيا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٣، عدد ١٠/١٢/١٩٠٥م، ص ٣)

المؤمنون هم أولئك الذين تشهد أعمالهم على إيمانهم، ويكتب الإيمان في قلوبهم، ويقدمون ربهم ورضاه على كل شيء، ويختارون أدق سبل التقوى من أجل الله تعالى، ويفنون في حبه ﷻ ويتجنبون كل ما يمنع من الله تعالى كالوثن من سوء خلق أو فسق أو غفلة أو كسل. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٦٥٣-٦٥٤)

الآية ١٦: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

اعلموا أن الله تعالى قد قال في هذه الآية إن المؤمنين عنده هم فقط أولئك الذين لا يكتفون بالإيمان بالله وحده، بل يؤمنون بالله والرسول كليهما. فكيف يمكن النجاة إذن دون الإيمان بالرسول، وماذا يمكن أن ينفع التوحيد دون الإيمان بالرسول؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٢)

هذه الآيات كلها تشير إلى الذين اطلعوا على وجود الرسول وبلغتهم دعوته. أما الذين لم يطلعوا على الرسول ولم تبلغهم دعوته فلا نستطيع أن نقول فيهم شيئاً؛ فالله أعلم بظروفهم وسيعاملهم بما تقتضيه رحمته وعدله. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٢، الحاشية)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "ق"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١٢: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾

أي قد أحيينا الأرض الميتة بالقرآن، كذلك سيحدث عند حشر الأجساد. (إزالة

الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢٢-٣٢٣)

الآية ١٦: ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

إن أفعال الله كثيرة وخارجة عن حد الإحصاء، وإن قدرته لا تعجز عن شيء

أبداً، ولا يمسه من لغوب وتعب، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٨٠)، وهو القائل:

﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾. فليس بوسع البشر، مهما بلغوا من العقل والعلم، أن يحصروا قدرة الله وأفعاله، ولا مناص لهم من الاعتراف بعجزهم تجاهها. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٩٠)

الآية ١٧: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

في هذه الآية إشارة إلى أنه كما يموت الإنسان عند خروج الدم من حبل الوريد، كذلك فإن المرء يرى موته في الابتعاد عن الله ﷻ، بل أشد من ذلك. (القول الحق، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٩٥)

إن حقيقة الإسلام هي تسليم العنق إلى الله تعالى لتذبح مثل الشاة، وترك الإنسان جميع إراداته، وفناؤه في رضا الله تعالى وإراداته، وقبول نوع من الموت لنفسه بعد الفناء في الله، والانصباعُ بصبغة حب الله بصورة كاملة، ثم القيام بطاعته ﷻ نتيجة حبه الذاتي وليس لأي سبب آخر، والحصول على عينيّن لا تريان إلا بالله، وأذنين لا تسمعان إلا بالله، وقلب خاضع لله وحده، ولسان لا ينطق إلا بإنطاقه. هذا هو المقام الذي تنتهي عليه كل أنواع السلوك؛ حيث تكون القوى الإنسانية قد أنجزت كافة المهام الموكولة إليها. ويطرأ على نفسانية الإنسان موت كامل، عندها تهب رحمة الله ذلك الإنسان حياة جديدة بكلامه الحي وأنواره الساطعة، فيتشرف بكلام الله العذب. والنور الأدق الذي لا يمكن للعقول أن تكتشفه، ولا تدرك العيون كنهه، يقترب إلى قلب الإنسان تلقائياً كما يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٦٠)

إن الله تعالى حاضر وموجود في كل مكان، كما يقول.... ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢١، عدد ٢٢٢/٣/١٩٠٨م، ص ٢)

الآية ٣٦: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

ما يَجِدُّهُ الله فلا حدود له ولن ينقطع أبداً، فلا نهاية لأفعال الله، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي سيكون هناك ازدياد مستمر. (بدر، مجلد ١، رقم ١٢، عدد ١٦ / ١٩٠٣ / ١ ص ٩١)

الآية ٣٩: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾

أما القول بأن الله تعالى خلق الأرض والسماء في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، فليكن معلوماً أنه لم يرد في القرآن الكريم لفظ "استراح" بل هو وارد في التوراة، ولكن قد تكون تلك استعارة. ولدحض هذا الخطأ استخدم القرآن الكريم بهذه المناسبة تعبيراً آخر وهو: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، أي خلقنا الأرض والسماء في ستة أيام وهذا العمل لم يُرهقنا. هذا اللفظ يفند القول بأنه تعالى استراح في اليوم السابع لأنه لو استُنبط منه المعنى الظاهري لدلّ على تعب الله، إذ لا يستريح إلا من يتعب، ولكن الله بريء من التعب ولا يمكن أن تُنسب إليه نقيصة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٢-٢٢٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الذاريات



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٥: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا *
فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾

أي أقسم بالرياح التي تفصل بخار الماء من البحار والمياه الأخرى كما هو حق الفصل، ثم أقسم بالرياح التي تحمل في ثناياها البخار الثقيل مثل الحوامل، ثم أقسم بالرياح التي تجري لتوصل السحب إلى غايتها المتوخاة، ثم أقسم بالملائكة الذين هم القائمون على إنجاز كل هذه الأعمال في الخفاء. أي ما أهمية الرياح، وما حقيقتها حتى تحمل من تلقائها بخار الماء من البحار وتحوله إلى سحاب، ثم تمطره في المحل المناسب

وفي وقت الضرورة تماما، وتكون مقبّسات الأمور؟ كلا، بل هذا عمل الملائكة في الخفاء. ففي هذه الآيات قد ذكر الله تعالى أولا سبب نزول المطر من السحاب كما يبينه الفلاسفة الماديون، ثم بيّن كيف يتحول الماء إلى بخار فسحاب. ثم في الآية الأخيرة: ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ كشف الحقيقة وبيّن أنه يجب ألا يظن من ينظر بنظرة ظاهرية فقط بأن سلسلة العلل والمعلولات المادية تكفي لإدارة النظام الرباني، بل وراء السلسلة المادية هناك سلسلة أخرى للعلل الروحانية التي تعمل عملها وبسببها تجري السلسلة المادية. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٣٥-١٣٦)

الآية ١١-١٢: ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾

بين الله تعالى هنا حالة الكفار. والغمرة تعني كلّ ما يغشى الشيء ويثقل عليه ولا يدعه يرفع رأسه. وثمة غمرة تغشى سطح الحقل وتقسيه، وتسمى بلغتنا "كرند". فالله تعالى يقول في وصف الكفار: ويل لهؤلاء الخراصين الذين نفوسهم لا تزال في غمرة وغشاء. وبذكر هذا المثال قد حذر الله المؤمنين بأنهم لن يستطيعوا العمل على وجه البصيرة ولن يُعَدّوا من أولي الأبصار ما لم تُزَلَّ الغمرة عنهم.

وقد استخدم الله تعالى هنا كلمة "قَتَلَ"، لأن هذا الموطن يتطلب الرحمة والشفقة، وكأنه تعالى يقول: إنهم هم الفاعلون لهذا الفعل ويهلكون أنفسهم بأنفسهم. ذلك أن بعض الناس دأبهم التخريص والتخمين، لا يعملون ببصيرة وبعْدِ نظرٍ، بل يعملون بناء على ظنون فاسدة ومجرد تخمين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

كنت أود من هذا البيان تقديم أسوة النبي ﷺ الكاملة في الأخلاق. لقد كان الفرد الأكمل خلْقًا، ثم أخذ الناس بعده نصيبًا من أخلاقه، فهذا أخذ خلْقًا وذاك أخذ خلْقًا آخر، وصارا في غمرة بالنسبة لأخلاقه ﷺ الأخرى. على المرء أن يزيل عنه هذه الغمرة الروحانية، وإلا فهناك احتمال أن يفقد صفاته الحسنة الأخرى

أيضا. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٥٤-١٥٥)

الآية ٢٠: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

أي إذا أكلتم فأعطوا السائل والمحروم من البشر أو الحيوانات من كلب أو طير ونحو ذلك نصيبها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٧)

أي في أموالهم حق للمحروم من قوة النطق والسؤال أيضا، كالكلاب والهررة والعصافير والبقر والحمير والغنم وغيرها من الحيوانات. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٥٧)

الآية ٢٢: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

أي، ألا تفكرون في أنفسكم؟ هذه الآية تعني أنه قد وُضعت في روح البشر خصائص وتغييرات عجيبة وغريبة لا توجد في الأجسام. وبالتأمل في الأرواح يمكن للإنسان أن يعرف ربه سريعا، كما جاء في حديث: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ". (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٦-١٦٧)

الآية ٢٣-٢٤: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾

رزقكم في السماء ونقسم بذاتنا أنه لحق، فمن في الأرض يستطيع أن يقطع الرزق أو يبارك فيه سوى الله؟ (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٢، عدد ١٧/١١/١٩٠١ م، ص ١٤) لا يحب الله تعالى أبدا أن يتكل المرء على الأسباب من عقار أو صديق وغيرها لهذه الدرجة ويتعد عن الله تعالى كليا، هو شركٌ خطير ويتعارض مع تعاليم القرآن الكريم صراحة. يقول الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٢ م، ص ٦)

الشقي مَنْ يُؤْمِنُ بوعود الله تعالى ثم لا ينتظر تحقيقها بإخلاص وصبر ويحسب وعود الشيطان يقينية. فلا تقنطوا أبدا ولا تقلقوا في العسر والضيق. يقول الله تعالى

عن الرزق: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠٢م، ص ٧)

إن القبض والبسط في الرزق سر لا يفهمه الإنسان، فمن ناحية وعد الله المؤمنين في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٤)، و﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٣-٤) وقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٣)، ثم أقسم الله تعالى بذاته: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (الذاريات: ٢٤) أي أن هذا الوعد حق، كما لا تقدر أن ترفضوه بلسانكم. ومع أن الله قد أعطى وعودا مثلها نرى أناسا - وهم صالحون وأتقياء وسعداء ويكون شعارهم الإسلام أيضا صحيحا - يعانون من الضيق في الرزق، فإذا كان لديهم قُوت للصباح فلا يوجد للمساء والعكس صحيح....

باختصار، نرى مثل هذه الأحداث على صعيد الواقع ولكن التجربة تدل على أن هذه الأمور لا يمكن أن تُنسب إلى الله تعالى. إن مذهبنا عن وعود الله تعالى أنه يرزق المتقين - كما قال في هذه الآيات - صادقة كلها. وإذا تأملتم في سلسلة أولياء الله لن تجدوا أحدا من الأبرار مات جوعا. الذين شهد بهم المؤمنون والذين اعترف بكونهم أتقياء لم يُنقذوا من الفقر والجوع فقط، بل لم يتعرضوا قط لفقر مدقع يُشعرهم بالعذاب، وإن لم يحظوا ببخوة الحياة من الدرجة العليا. لقد اختار النبي ﷺ الفقر لنفسه ولكن كان واضحا من جوده وسخائه أنه كان قد اختاره برغبته القلبية ولم يكن عقوبة. لباب الكلام أن هناك مشاكل جمة يواجهها المرء في هذا السبيل. هناك أناس يبدون أتقياء وصالحين في الظاهر ويعانون من ضيق ذات اليد، فيضطر المرء أخيرا إلى القول نظرا إليهم جميعا إن وعود الله تعالى صادقة حتما ولكن يضطر المرء للإقرار بضعف البشر. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد ٢٤/٨/١٩٠٢م ص ٥)

إن الغبي ينخدع من قول الله ﷻ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فيبطل سلسلة التدابير، مع أن الله ﷻ قد قال في سورة الجمعة: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿الجمعة: ١١﴾. فأن تراعى الأسباب من ناحية وأن يكون التوكل كاملاً من ناحية أخرى؛ لأمر دقيق وصعب جداً، وفي ذلك تسنح للشيطان فرصة كبيرة. (بعض الناس يتعثرون ويصبحون عبدة الأسباب، والبعض الآخرون يحسبون القوى الموهوبة من الله عاطلة تماماً) كان النبي ﷺ يُعد العدة قبل الخروج للقتال، وكان يأخذ معه السلاح والأحصنة، بل كان أحياناً يلبس درعين، ويحمل معه السيف مع أن الله ﷻ كان قد وعده بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، بل قد اقترح الصحابة مرة، أنه إذا حصلت الهزيمة فسوف يوصلونه فوراً إلى المدينة. فالواقع أن قوتي الإيمان ينظر إلى غنى الله ﷻ وهو يخشى أن يكمن في وعود الله شروطاً خفية لا يعلمها هو. فالذين يصفون التدابير بأنها عابثة وعديمة الجدوى فيهم مادة سامة، فهم يظنون أنه ينبغي أن يرتمو عن عمد في البلية، ويقعد جميع أصحاب الحِرَف والمهن عاطلين تاركين كل شيء. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد ١٦/٣/١٩٠٤م، ص ٥)

يقول الله تعالى: ﴿فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، والمراد من ذلك أن رزقكم ليس منوطاً بجهودكم ومساعدتكم وتدابيركم بل يفوقها. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٤م، ص ٥)

أكثر الناس شركاً في رأيي هم الذين يركضون وراء الكيمياء السحرية بحثاً عن الرزق ولا يستخدمون الأسباب التي خلقها ﷻ للحصول عليه بطرق مشروعة ولا يتوكلون. مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥/٤/١٩٠٧م، ص ٨)

الله أعلم أنه كلما كان عندي شيء فإنه يُنفَق في اليوم التالي. كل شيء يكون ملكاً للجماعة ويُنفَق في دار الضيافة. في بعض الأحيان لا يكون هناك شيء وأقلق، فيرسل الله من عنده. معظم الناس لا يقدرُونَ الله حق قدره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول الله ﷻ أيضاً: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٩)

إن الله تعالى يرزق جميع الناس من عنده. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠، عدد ١٨/٣/١٩٠٨م، ص ٧)

الآية ٥٧: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

في ذلك أيضا إشارة إلى أن العبادة أمر طبيعي. إذن، فما دام توحيد الله تعالى وعبادته أمرا طبيعيا لبني آدم كافة، ولم يُخلق أحد للتمرد والإحاد، فكيف يمكن أن تُعدَّ من الفطرة أمور تعارض معرفة الله ﷻ وخشيته؟ (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٥، الحاشية رقم ١١)

...أي ليعرفوني ويعبدوني. فبناء على هذه الآية كان المقصد الحقيقي للحياة البشرية عبادة الله ومعرفته، وأن يصير الإنسان لله وحده. ومن الواضح أن الإنسان لا يملك خيارا لكي يقرر غاية حياته من تلقاء نفسه، لأنه لا يأتي إلى هذا العالم بإرادته.. ولا هو تاركها برضاه، فما هو إلا مخلوق. فالذي خلقه وخصه من بين جميع الحيوانات بأفضل الملكات.. هو الذي قد قدر لحياته غاية معينة. وسواء فهمها الإنسان أم لم يفهمها، فإنه مما لا شك فيه أن غاية خلق الإنسان إنما هي عبادة الله، ومعرفته، والفناء فيه تعالى. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٤)

الواقع أن الله خالق الإنسان، ولذا فهو ﷻ معلّم (اللسان) أيضًا. أما ما هي اللغة التي علّمها الله تعالى الإنسان، فقد قلنا آنفاً إن اللغة التي جاءت من لدنه ﷻ ليست إلا التي تكون خادمةً للمعرفة الإلهية تمامًا كما هي قوى الإنسان الأخرى، وفقًا لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (من الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ١٤٦، الحاشية)

قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.. أي أنا المقصود من وراء خلق الجن والإنس وقواهم كلها، وقد خلقتهم لكي يعرفوني ويعبدوني. فالله تعالى قد أشار في هذه الآية إلى أنه قد أودع خَلْقَ الجنّ والإنس بذرة طلبه وطاعته ومعرفته ﷻ،

ولولا هذه البذرة في الإنسان لما وُجدت في الدنيا عبادة الأهواء ولا عبادة الأصنام ولا عبادة الناس؛ لأن كل خطأ نتج بحثًا عن الصواب. (من الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٥٣-١٥٤، الحاشية)

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، غير أن هذه العبادة والوقوف أمام حضرة العزة بالخشوع والخضوع دائما لا يتأتى دون الحب الذاتي. وليس المراد من الحب هو حب من جانب واحد، بل المراد هو كلا الحبيبين، أي حب الخالق وحب المخلوق، لكي يُحرَق جميع أنواع الضعف البشري - كنار الصاعقة التي تنزل على الإنسان المصعوق وكتلك التي تخرج من داخله حينذاك - ويستولي كلا الحبين معا على الوجود الروحاني كله. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢١٧-٢١٨)

بما أن الإنسان خُلق لله تعالى بفطرته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧)، لذا فقد أودع الله فطرته شيئا لنفسه تعالى، وجعله لنفسه تعالى بأسباب جدّ خفية. فعندما يتخلى المرء عن أنواع الحب الكاذب والزائف والعاير والمؤدي إلى الأحزان، فإنه يصبح لله وحده، ولا يبعد عنه بطبعه، ويأتي إليه تعالى مسرعا. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٣٧)

ما دام الإنسان قد خُلق للعبادة فقط، فمن الضروري أن يجد في العبادة لذة متناهية وسرورا بالغا. هذا ما نستطيع أن نفهم من خلال ملاحظتنا وتجربتنا اليومية. لاحظوا مثلا: ما دامت جميع الغلال والمأكولات والمشروبات خُلقت من أجل الإنسان، أفلا يجد فيها اللذة والمتعة؟ ألم يجعل في فمه لسانا لإدراك هذه اللذة والطعم؟ ألا يتمتع برؤية الأشياء الجميلة سواء كانت نباتات أو جمادات أو حيوانات؟ ألا يشنف آذانه بالاستماع إلى الأصوات المترنمة والمفرحة للقلوب؟ فهل هناك حاجة إلى دليل آخر للإثبات أن في العبادة لذة. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد: ١٢/٤/١٨٩٩، ص ٣)

لأن الإنسان مجبول بفطرته على أن يكون لله تعالى، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فقد أودع الله تعالى شيئاً لنفسه في فطرة الإنسان، وخلق له نفسه ﷻ بأسباب خفية جداً. مما يوضح أن الله تعالى قد جعل غاية خلقكم الحقيقية أن تعبدوه، والذين يعرضون عن هذه الغاية الأساسية الفطرية ويجعلون غاية حياتهم الأكل والشرب والنوم كالأنعام فإنهم يبتعدون عن فضل الله تعالى، ولا يكون الله مسؤولاً عنهم. إن الحياة التي هي حياة المسؤولية إنما أن يؤمن بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾... فكم هو ضروري أن تدركوا أن غاية خلق الله لكم إنما هي أن تعبدوه وتكونوا له، ولا تكون الدنيا هدفكم المنشود. وأبَيَّنْ هذا الأمر لكم مرارا وتكرارا، لأني أرى أن هذه هي غاية مجيء الإنسان إلى الدنيا، وهذا هو الأمر الذي هو بعيد عنه. إني لا أقول لكم أن تتخلوا عن أمور الدنيا كلية، وتركوا أهليكم وأولادكم وتذهبوا بعيدا إلى غابة أو جبل وتقبعوا فيه. كلا، إن الإسلام لا يجيز ذلك، وليست الرهبانية هدفه. إنما يريد الإسلام أن يكون الإنسان نشيطا ومجتهدا ومجداً، لذا أقول: عليكم أن تنجزوا أمور دنياكم بجد واجتهاد. ورد في الحديث أن مَنْ كانت عنده أرض ولم يعمرها فهو مؤاخذ عند الله تعالى. فَمَنْ فَهِمَ مِنْ قولي هذا أي أدعوكم إلى التخلي عن أمور دنياكم فهو مخطئ. كلا، إنما أعني أن تبتغوا رضا الله تعالى في كل ما تقومون به من أعمال الدنيا، وألا تؤثر ما ربيكم وأهواءكم على إرادته ومشئته تعالى. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد: ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٢)

الحق أن غاية خلق الإنسان هي العبادة حصراً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وحقيقة العبادة أن يتخلص الإنسان من كل ما فيه من شدة وقسوة وعوج، ويمهد أرض قلبه وينقيها ويصفيها كما يمهد المزارع أرضه وينقيها ويصفيها ويسويها. تقول العرب: مَوْزٌ مُعَبَّدٌ، أي كما يُدَقُّ الكحلُّ دَقًّا وَيُجَعَلُ ناعما صالحا لَكُلِّ العيون، كذلك حين تُصَفَّى أرض القلب وتُنَقَّى، ولا يبقى فيها حجر

ولا حصى ولا عوج، وتصير ممهّدةً مستويةً تماماً كأنما لم يبق فيها إلا الروح فقط، فهذا ما يسمّى العبادة. إن المرأة إذا ما تم إصلاحها وتصفيتها وصقلها على هذا النحو ظهرت فيها الصورة، كذلك لو سُويت الأرض على هذا النحو أنبتت أنواع الفواكه والثمار.

فالإنسان الذي خُلق للعبادة إذا ما طهّر قلبه وصقّاه، ولم يترك فيه عوجاً أو نتوءاً أو حجارة أو حصى وما إلى ذلك، ظهر الله في قلبه.

وها إنني أقول مرة أخرى ستنبئ في قلبه أشجار حب الله تعالى وستنمو وتحمل ثماراً حلوة وطيبة، وتكون مصداقاً لقول الله تعالى ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ (الرعد: ٣٦). اعلّموا أن هذا هو المقام الذي ينتهي إليه سلوك الصوفية. عندما يصل السالك إلى هذا المقام لا يرى إلا تجلي الله تعالى، ويصبح قلبه عرش الله، وينزل الله عليه. إن منازل السلوك كلها تنتهي هنا، أي أن تستوي أرض تعبد الإنسان وتصبح صالحة لكي تنبت فيها حدائق غناء من الروحانية، ويرى الله فيها كما يرى الوجه في المرأة. عند الوصول إلى هذا المقام يرى الإنسان نموذج الجنة في هذه الدنيا، ويستمتع بلذة القول: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة: ٢٦). باختصار، إن إصلاح حالة التعبد هو ما يسمّى العبادة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ١٩٠٢/٧/٢٤م، ص ٩)

لقد خلق الله تعالى الإنسان لعبادته حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فإذا لم يكن المرء عبداً مؤمناً بالله تعالى، ولم يحقق الغاية الحقيقية من خلقه، ولم يعبد الله حق العبادة، بل عاش في الفسق والفجور وارتكاب الذنوب تلو الذنوب، فما الفائدة من أمنيته بالحصول على الأولاد سوى أنه يريد أن يخلف بعده من ينغمس في المعاصي مثله. فهل قصر هو في ارتكاب المعاصي، حتى يتمنى الأولاد؟ (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٥، عدد ١٩٠١/٩/٢٤م، ص ١٠)

ورد في القرآن الكريم الهدف من خلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. ما دامت هذه هي الغاية من خلق الإنسان فيجب عليه أن يعرف ذلك، ولا بد للعبادة من المعرفة أولاً. عندما تتحقق معرفته الصادقة يتخلى المرء عن كل ما يعارض مشيئة الله ويصبح مسلماً صادقاً، وما لم يتولد العلم الصادق لا تظهر نتيجة مفيدة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ١٩٠٣/٢/٢١، ص ٥-٦)

لقد جعل الله ﷻ الغاية من خلق الإنسان عبادته، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فقد حصر عَلَيْكَ الهدف بأن تكون الغاية هي عبادة الله. لذلك خلق هذا النظام كله، ولكن تظهر للعيان على النقيض منها إرادات وأمان أخرى. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ١٩٠٣/٣/٣١، ص ٦)

ما دامت مشيئة الله في خلق الإنسان هي العبادة فقط فلا يليق بالمؤمن أن يتخذ شيئاً آخر غايته المتوخاة. إن حقوق النفس جائزة، أما عدم اعتدال النفس فلا يجوز البتة. إن حقوق النفس تجوز لئلا يُقْعده التعب في مسيره، فاستخدموا هذه الأشياء لنيل هذا الهدف. تمتعوا بما لتجعلكم قادرين على العبادة ولا تجعلوها هدفكم المنشود. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ١٩٠٣/٣/٣١، ص ٦)

يجب التحلي بالتواضع، وتعلم التواضع ليس صعباً كثيراً، حتى إنه ليست هناك حاجة لتعلمه فالإنسان نفسه متواضع، وخلق من أجل التواضع: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. فالتكبر وما شابهه من الصفات أمورٌ مصطنعة، إذا تخلى المرء عن هذا التصنع فسرى فيه التواضع فقط. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ١٩٠٣/٤/٢٤، ص ١٠٩)

إن السيئ أيضاً يرى رؤيا صالحة لأنه لا أحد سيئ فطرةً، فقد قال الله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فما دام قد خلق الجميع للعبادة فقد جعل فطرتهم أيضاً صالحةً. والرؤيا جزء... من النبوة أيضاً، فلو لم يعط هذا النموذج لكل إنسان لكان إدراك مدلول النبوة تكليف ما لا يطاق. فلو كان

أحدٌ يخبر عن علم الغيب لما فهم شيئاً قط. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٧، عدد ١٥/٥/١٩٠٣ م، ص ١٢٩)

فقد جاء زمن صارت فيه الغاية من خلق البشر منسيةً تماماً، فقد بين الله ﷻ نفسه الهدف من خلق الإنسان قائلاً: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. أما الآن فقد تخلّى الإنسان عن العبودية ويريد أن يصبح نفسه إلهاً، والصدق والوفاء والصلاح والتقوى، الذي يريده الله ﷻ مفقود. إذا أجلتم النظر واقفين في السوق فستجدون مئات الناس يأتون من هنا ويذهبون إلى هناك ويتجولون، وغايتهم المتوخاة والهدف الدنيا فقط. (الحكم مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٤ م، ص ٩) الحلال أيضاً يصبح حراماً باستعماله في غير محله. يتبين من: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أن الإنسان خلُق للعبادة فقط. فإذا أخذ نصيباً أكبر من المفروض لإحقاق هدفه فيصبح حراماً عليه لكونه عبثاً وإن كان حلالاً في الأصل. فالذي ينغمس في الملذات النفسانية ليل نهار أتى له أن يؤدي حق العبادة؟ من الضروري للمؤمن أن يعيش عيشاً مُرّاً. ولو قضى حياته في الملذات والرفاهية لما حاز عشر معشار تلك الحياة. (بدر مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٨/٧/١٩٠٤ م، ص ٣)

الغرض الحقيقي من خلق الإنسان هو أن يعرف ربه ويطيعه إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ولكن المؤسف حقاً أن معظم الناس الذين يأتون إلى الدنيا حين يبلغون سن الرشد يميلون إليها بدلاً من أن يعرفوا واجبهم وينتبهوا إلى الهدف الحقيقي من خلقهم، تاركين الله تعالى، وتشغفهم ثروات الدنيا وعزتها لدرجة لا يبقى عندهم لله نصيب إلا قليلٌ جداً، أو لا يبقى أصلاً في قلوب أناس كثيرين، فينهمكون ويفنون في الدنيا ولا يدرون أن هناك إلهاً أيضاً، ولا يعلمون إلا حين يقبض قابض الأرواح أرواحهم. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٩/١٩٠٤ م، ص ١)

لقد خلق الله تعالى الإنسانَ لينال معرفته وقربه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. والذي لا ينتبه إلى هذه الغاية الحقيقية وهو غارق في الحصول على الدنيا ليل نهار ويفكر دائماً في أن يشتري أرضاً كذا وكذا وأن يبني بيتاً كذا وكذا وأن يستولي على عقار كذا وكذا كيف يمكن أن يعامل شخص مثله إلا أن يدعوه الله إليه بعد أن يمَهِّله بضعة أيام؟

يجب أن يكون في قلب الإنسان ألم لنيل قرب الله، وبسببه سيكون جديراً بالتقدير عنده ﷻ. وإن لم يكن في قلبه هذا الألم بل أَلَمٌ للدنيا وما فيها سيهلك في نهاية المطاف بعد نيله مهلة وجيزة. (بدر، مجلد ٤، رقم ٣، عدد ٢٠/١/١٩٠٥ م، ص ٢) لقد خلق الله تعالى البشر للعبادة كما يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. فلما خلق الإنسان للعبادة فلا يمكن أن يبقى في الظلام. ففي زمن كهذا يقتضي الحال تلقائياً أن يأتي مصلح. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٦ م، ص ٤)

الغاية المنشودة من خلق الإنسان أيضاً تنحصر في أن يتعلم حقيقة الصلاة، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣، عدد ١٠/١/١٩٠٨ م، ص ٤)

فقد خُلِقَ جميع الجن والإنس ليتقدموا في معرفة الله، ويستجيبوا لأوامر الله ورسوله. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣، عدد ١٠/١/١٩٠٨ م، ص ٥)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الطور



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣٠: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾

فأرشدتهم إلى الطريق الحق باستمرار، ولست بفضل الله تعالى بكاهن وما استحوذك الجن ولا الجنون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٣، الحاشية رقم ١١)

الآية ٣٦-٣٨: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾

أي هل هؤلاء الذين ينكرون كون الله ﷻ خالقا قد خلَقوا دون أن يخلقهم أحد، أو هم خلَقوا أنفسهم، أو هم أنفسهم علَّةُ العلل؟ وهم الذين خلَقوا السماء

والأرض؟ أم عندهم كنوزٌ لا حصر لها من العلم والعقل، والتي بواسطتها عرفوا أنهم قدامى الوجود أو هم أحرار، ولا يقهرهم أحدٌ لكي يُظن أنه ما دام لا أحد غالبٌ أو قهارٌ عليهم، فكيف يكون خالقهم؟ ففي هذه الآية الكريمة استدلالٌ لطيف بيّن - بأسلوب قائم على الإثبات - كلّ شق من الشقوق الخمسة لمسألة قِدَم الأرواح، بحيث يتم من بيان كل شق إبطاله فوراً، وتفصيل هذه الإشارات على النحو التالي: إن الشق الأول، أي أن يُخلق شيء معدوم من تلقاء نفسه دون فعل أي فاعل، هو باطل؛ لأن ذلك يلزم الترجيح بلا مرجّح، وذلك لأن ارتداء المعدوم خلعة الوجود يتطلب مرجّحاً مؤثراً يَرَجِّح جانب الوجود على جانب المعدوم، ولا يوجد أي مؤثر مرجح في الحقيقة. أما حدوث الترجيح تلقائياً دون وجود مرجّح فمستحيل.

أما الشق الثاني، أي كون أحدٍ خالق نفسه، فأيضاً باطل؛ لأن ذلك يستلزم تقدّم شيءٍ على نفسه. ذلك لأنه إذا سلّمنا بأن العلة الموجبة لكل شيء هي نفسه، فهذا الإقرار يستلزم حتماً الإقرار بأن جميع تلك الأشياء كانت موجودة قبل وجودها، وهذا مستحيل.

الشق الثالث - أي أن يكون كلّ شيء علةً للعلل، وصانع العالم مثل البارئ ﷻ - يستلزم تعدّد الآلهة، وهو مستحيل بالإجماع، كما يترتب عليه الدور أو التسلسل وهو محال.

والشق الرابع، أي استحالة إحاطة الإنسان بعلوم غير منتهية، بدليل أن النفس الإنسانية محدودة من حيث تعيّن الشخص الخارجي، والمحدود لا يسع غير المحدود، لأن ذلك يقتضي تحديد ما هو غير محدود.

الشق الخامس، أي أن التحرر وعدم الخضوع لسيطرة أحدٍ هو ممتنع الوجود؛ لأن نفس الإنسان بحاجة إلى مكمل يكملها، وإن تحرر المحتاج مستحيل، لأن ذلك يلزم اجتماع النقيضين. فلما ثبت أن وجود الموجودات دون واسطة الخالق متعذّر ومحال

في كل حال، لم يبقَ مناصٌّ من التسليم بأن لجميع الأشياء الموجودة المحدودة خالقاً هو ذات البارئ تعالى. وشكل هذا القياس المترتب على ترتيب المقدمات الصغرى والكبرى بحسب القاعدة المنطقية بحيث نقول إن القضية بأن أي شيء لا يمكن أن يكون موجوداً دون واسطة واجب الوجود، هي صادقة في نفسها؛ ذلك لأنها إذا لم تكن صادقة فلا بد أن يكون نقيضها صادقاً؛ وهو أن كل شيء يمكن أن يكون موجوداً دون واسطة واجب الوجود. وقد ثبتت آنفاً- في البحوث المذكورة- القضية الثانية؛ أي أن وجود جميع الأشياء الممكنة دون واسطة واجب الوجود يستلزم خمسة مستحيلات. فإن لم تصح القضية بأن أي شيء لا يمكن أن يكون موجوداً دون واسطة واجبة الوجود، فمن المؤكد أن تصح قضية كون وجود جميع الأشياء يستلزم خمسة مستحيلات. لكن وجود الأشياء المستلزم لخمس مستحيلات أمرٌ محال، فثبت أن كون أي شيء موجوداً دون واسطة واجب الوجود هو أمر مستحيل، وهو المراد (المقالات القديمة، الخزانة الروحانية المجلد ٢، ص ٩-١١)

الآية ٤٩: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾

أي انتظر تحقق وعوده بالصبر. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٠، الحاشية رقم ١١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة النجم



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٧: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾

.... والهدف من وراء هذا القسم هو إثبات أمر رسالة النبي ﷺ الذي هو أمر نظري عند الكفار من خلال مسلماتهم الواضحة والبديئية عندهم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٠٣، الحاشية)

يقول المفسرون بقدر ما هو معلوم أن شهابا كثيرة سقطت قبل بعثة النبي ﷺ، وقبل ادعائي بكثير سقطت بكثرة ربما في عام ١٨٨٥ م بحيث شوه عدد كبير

منها يعبر السماء من طرف لآخر. هذا هو المراد من: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾. كلما توشك آية إلهية على الظهور في الأرض تظهر بعض العلامات قبلها في السماء. هذا ما يقوله كبار المفسرين وأهل الكشف، وهذا ما ورد في القرآن الكريم أيضا. وصلتني رسالة أن شهابا سقط وعمّ بسببه الضوء وصعد صوت خطير لدرجة أن دُعر الناس وساد خوف شديد، ولا يُدرى ما هو حادث في مستقبل الأيام، إذ تحدث حوادث جديدة كل يوم، ولا يمضي عام إلا ويحدث فيه حادث ما. إن سقوط الشهب يوحى بأن بعض الآيات على وشك الظهور على الأرض. لقد كشف الله لي أنه سيُظهر آيات عجيبة كثيرة، بعضها في البداية وبعضها في الأخير. وأخبرني بالزلازل، وأنبأني بتفشي الطاعون بشدة مقارنة مع ما مضى، ولا أعلم هل سيكون الطاعون أشد هذا العام أو في العام المقبل، ولكنه سيكون خطيرا جدا. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٧/٩/٢، ص ٤)

يجب التفكير هل يسعنا القول إن نور الوحي كان ينقطع كليا لفترات طويلة عن شمس الصدق والحق الذي جاءت بحقه الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥)

فقد نُقل مثلا أن الوحي لم ينزل عليه ﷺ أحيانا لمدة أربعين يوما أو عشرين، وفي بعض الأحيان الأخرى انقطع الوحي لستين يوما أيضا، فلو أريدَ من ذلك أن الملاك جبريل هجر النبي ﷺ كليا لهذه الفترة، لكان ذلك مدعاة لاعتراض شديد فيما لو كان الكلام الذي تكلم به النبي ﷺ أثناء هذه المدة يدخل في الأحاديث النبوية أم لا؟ وهل تُسمّى وحيا غير متلو؟ ألم ير النبي ﷺ في أثناء هذه الفترة أي رؤيا أيضا؟ .. وإذا كان صحيحا أن جبريل كان يهجر النبي ﷺ تلك الفترات التي ذُكرت وكان النبي يُحرم من الوحي كليا، فلا شك أن الأحاديث التي غطّت تلك الفترة لن تكون جديرة بالثقة عندهما لأنها كانت خالية من نور الوحي، كذلك إن سلسلة الرؤى أيضا كانت منقطعة تماما بحسب رأيهما... إن شمس الحق ذلك -الذي لم يخطر

بباله شيء دون الوحي - كان يعيش في الظلام لمدة طويلة دون أن يرافقه أي نور، والعياذ بالله. إنني أعلم بناء على تجربتي الشخصية أن قدسية روح القدس تعمل في كافة قوى الملهم، وذلك في كل حين وأن دون الانفصال عنه للحظة واحدة، ولا يستطيع الملهم أن ينقذ نفسه من الرجس ولو للحظة واحدة دون تأثير قدسية روح القدس. والسبب وراء الأنوار الدائمة والاستقامة الدائمة والحب الدائم والعصمة الدائمة والبركات المستديمة هو بقاء روح القدس مع الملهمين في كل حين وأن. فكيف يمكن الظن بإمام المعصومين والمباركين وسيد المقربين أنه كان يخلو في بعض الأحيان من تلك البركات والطهارة والأنوار كلها؟ من المؤسف حقا أن هؤلاء الناس يعتقدون أن عيسى عليه السلام لم يهجره روح القدس ولو للحظة واحدة طول اثنين وثلاثين عاما ولكنهم ينكرون هذا القرب بحق النبي ﷺ. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٩١-٩٤، الحاشية)

لو اعتقد الصحابة في رسول الله ﷺ أن روح القدس كان يهجره حيناً من الأحيان أو إلى فترات طويلة لما أخذوا منه ﷺ الأحاديث التي قالها في كل وقت وفي كل زمن، كلا بل ظلّ نظرهم مركّزاً على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. ولو اعتنق الصحابة مثلكم اعتقاداً بمس الشيطان لما عدّوا النبي ﷺ سيد المعصومين. اتقوا الله، لماذا أنتم مصمّمون على الافتراء؟....

لا شك أن الصحابة كانوا يعتقدون أنه لم يخلُ فعلٌ للنبي ﷺ أو أي قول له من هدي الوحي؛ سواء أكان ذلك الوحي مجملاً أو مفصلاً، أو خفياً أو جلياً، أو بيناً أو مشتبهاً لدرجة أن جميع معاملات النبي ﷺ ومكالماته مع أزواجه في الخلوة والسرّ وجميع الأمور العائلية المتعلقة بالأكل والشرب واللباس وضرورات الحياة اليومية قد ضُمَّت كلها إلى الأحاديث بفكرة أن كل تلك الأعمال والكلام كان من نور روح القدس. فقد وردت في سنن أبي داود وغيره من كتب الحديث رواية، وقد رواها الإمام أحمد أيضاً ببعض الوسائط عن عبد الله بن عمرو قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ

أَسْمِعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَنْهَيْتَنِي فُرَيْشُ فَقَالُوا إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمِعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا. فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ."؛ أي كل قول أو فعل يصدر مني فهو من الله تعالى كله.

وإذا قيل بأنه قد ورد في كتب الحديث ذكر خطأ النبي ﷺ في الاجتهاد أيضا في بعض الأمور، فإذا كان منشأ كل أقواله ﷺ وأفعاله هو الوحي فلماذا صدر الخطأ حتى وإن لم يُترك ﷺ قائما عليه؟

فجوابه: إن ذلك الخطأ الاجتهادي أيضا لم يكن بعيدا عن نور الوحي، ولم يستعد النبي ﷺ عن سيطرة الله عليه ولا لحظة واحدة؛ فإن مثل ذلك الخطأ الاجتهادي كمثله سهوه ﷺ في الصلاة بضع مرات وذلك لتنشأ بسببه المسائل الدينية. فلهذا السبب صدر منه ﷺ خطأ اجتهادي في بعض الأحيان ليكون سببا لإكمال الدين، وتنشأ بسببه بعض المسائل الدقيقة. والمعلوم أن ذلك السهو البشري أيضا لم يكن مثل سهو عامة الناس بل كان متصبعا بصبغة الوحي، لأن ذلك كان تصرفا خاصا من الله تعالى مسيطر على النبي، وكان يُميله إلى ما فيه حكم كثيرة من الله تعالى. فلا نرى ذلك الخطأ الاجتهادي أيضا بعيدا عن الوحي، لأن ذلك لم يكن أمرا عاديا بل كان الله تعالى حينها يسيطر على نبيه وكان يُظهر النور بصورة سهو أو اجتهاد خاطئ وذلك لمصلحة عامة. فكان الوحي يتدفق كما يُسَدّ ماء نهر جارٍ لحكمة ما ثم يُطْلَق بعد حين. فلا يسع عاقلا أن يقول في هذا المقام بأن ماء النهر قد جفّ أو أزيل منه. والحال نفسه فيما يتعلق بالخطأ الاجتهادي الذي يصدر من الأنبياء؛ فروح القدس لا يفارقهم قط، ولكن الله تعالى يسيطر على فهمهم وإدراكهم أحيانا لحكمة ما فيصدر منهم قول أو فعل خاطئ سهوا لتظهر حكمة منشودة، وحينئذ يجري نهر الوحي بكل قوة ويُزال الخطأ وكأنه لم يكن له وجود أصلا.

لقد ذهب المسيح إلى شجرة التين مسرعا ليأكل من ثمارها حين كان روح القدس معه، ولكنه لم يخبره أن الشجرة لا تحمل ثمارا في ذلك الوقت، ويعلم الجميع جيدا أن الشاذ والنادر هو في حكم المعدوم.

فما دام تجلّي الألوهية يتراءى بوضوح تام في ما يقارب مليون قول وفعل لسيدنا ومولانا محمد ﷺ، ونرى أنوار روح القدس ساطعة في كل أقواله وأفعاله وجملته حركاته وسكناته، فما الضير إذا وُجدت في عمل أو عملين سمة البشرية؟ بل كان ضروريا أن يحدث ذلك حيننا من الأحيان لتأكيد بشريته ﷺ حتى لا يتورط الناس في الشرك. في الأخير أنهي هذا الموضوع بعد نقل بعض الأقوال التي يظهر منها أن السلف الصالح لم يؤمنوا قط بأن روح القدس كان ينزل على النبي ﷺ في بعض المناسبات الخاصة فقط، وأنه ﷺ كان محروما منه في بقية الأوقات كليا والعياذ بالله؛ فمن جملتها قولُ سجّله الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في الصفحة ٤٢ من كتابه "مدارج النبوة" ويتلخص في أن ملائكة الوحي كانوا رفقاء النبي ﷺ وقرنائه على الدوام. فينقل من "جامع الأصول" و"كتاب الوفاء" أن إسرئيل لازم صحبة النبي ﷺ منذ بداية نبوته إلى ثلاث سنوات متتالية، ثم جاءه جبريل للصحبة الدائمة. ثم ينقل المؤلف من صاحب "سفر السعادة" بأن النبي ﷺ كان بالغاً من لعمر سبع سنوات حين أمر الله جلّ شأنه إسرئيل ليلازم صحبته ﷺ، فكان إسرئيل يلازمه ﷺ في كل حين وآن. وظل الحال على هذا المنوال إلى نهاية السنة الحادية عشرة من عمره ﷺ. ولكن إسرئيل ما كان يلقي في قلب النبي ﷺ بصورة الوحي إلا كلمة أو كلمتين. كذلك كان ميكائيل أيضا قرين النبي ﷺ. ثم أمر جبريل فكان قرينه ﷺ ومصاحبه إلى ٢٩ عاما متتالية قبل الوحي، ثم بدأ نزول وحي النبوة.

كل عاقل يستطيع أن يفهم من هذا البيان أن السلف الذين كتبوا عن جبريل أنه كان رفيق النبي ﷺ في كل حين وآن وبصورة دائمة إلى ٢٩ عاما قبل النبوة، لا يمكن أيضا أن يؤمنوا قط بأن جبريل كان يصعد إلى السماء أحيانا؛ لأن تزكّه النبي

ﷺ في وقت من الأوقات ينافي دوام القرب والمعية غير المنقطعة. ولكن إذا نظرنا إلى اعتقاد آخر أيضا لهؤلاء الصلحاء بأن مقر جبريل هو السماء فحسب وأنه يأتي بكل وحي من السماء فقط، فلا نجد سبيلاً للخلاص من التناقض الناتج عن هذين المعتقدين إلا أن نعتقد بأن نزول جبريل من السماوات ليس على وجه الحقيقة بل على سبيل التمثّل. وإذا كان النزول على سبيل التمثّل فلا ضير في أن يلازم جبريل الأنبياء عليهم السلام بوجوده التمثلي في كل حين وآن وفي كل طرفة عين لأنه ما زال في السماء بوجوده الحقيقي. وهذا المذهب صدّقه وأكّده عليه الشيخ "عبد الحق" المحدث الدهلوي في الصفحة ٤٥ من كتابه "مدارج النبوة" فيقول ما مفاده أن للعارفين إشكالا في نزول جبريل الذي كان أحيانا بصورة دحية الكلبي أو بصورة إنسان آخر، وينشأ الاعتراض أنه إذا كان جبريل في الحقيقة يتمثّل جسدا جديدا شبيها بجسد دحية الكلبي وكان ينفخ فيه روحه فأين كان جسده الحقيقي ذو الـ ٣٠٠ جناح؟ هل كان يبقى جسدا بلا روح وكان جبريل يموت ثم يظهر في جسد آخر على سبيل التناسخ؟

ثم يقول في الجواب بأن هذا النزول تمثلي عند المحققين وليس حقيقيا حتى يستلزم ترك جسد والدخول في جسد آخر على وجه الحقيقة. ثم يقول: الحق أنه كان في ذهن جبريل صورة دحية الكلبي، فكان جبريل عليه السلام نتيجة قدرته الكاملة وإراداته الشاملة يظهر مع جميع صفاته في تلك الصورة على سبيل التمثّل؛ أي كان يُظهر نفسه في صورة دحية الكلبي تمثّلا. وكان يُظهر نفسه على النبي ﷺ تمثّلا باللباس صفاته تلك الصورة، وليس أنه كان ينزل من السماء بكيانه الحقيقي بل كان يبقى ثابتا وقائما في مقامه في السماء. وكان جبريل هذا تمثّلا لجبريل الحقيقي؛ أي كان ظله وليس عينه، لأن جبريل بعينه موجود في السماء بصفاته الخاصة، وحقيقته وشأنه مختلف.

ثم يقول الشيخ بعد هذا الكلام بأنه كما ظل جبريل ينزل تمثّلا وليس حقيقة، كذلك هو مثال الأمور الروحانية التي تتمثل بصورة مادية، وهذا هو مثل تمثّل الله

تعالى أيضا حين يراه أصحاب الكشف بصورة البشر، وهذا هو مثل الأولياء الكمل الذين يُشاهدون أحيانا بصور متعددة في مواضع مختلفة.

جزى الله الشيخ الصالح "عبد الحق" المحدث خيرا على أنه قبل بصدق القلب أن جبريل لا ينزل بنفسه، بل إنّ وجوده التمثلي هو الذي يشاهده الأنبياء، وأما جبريل فيبقى ثابتا مستقرا في مقامه في السماء. وهذا هو الاعتقاد نفسه الذي أعتنقه أنا العبد المتواضع وبسببه يُصدر العلماء المعاصرون العمهون والمزعومون فتاوى التكفير ضدي. ومن المؤسف أنهم لا يفكرون بأن جميع المفسرين والصحابة أيضا متفقون على أن النبي ﷺ رأى وجود جبريل الحقيقي مرتين فقط. ويمكن لطفل صغير أيضا أن يفهم أن مجيئه إلى النبي ﷺ بوجوده الحقيقي والأصلي كان مستحيلا أصلا، لأن وجوده الحقيقي يملأ الشرق والغرب، وأن أجنحته بالغة أرجاء السماوات فأنتى لمكة أو المدينة أن تتسع له؟

لو اعتقدتم بنزول جبريل في الحقيقة وبوجوده الحقيقي لواجهتم حتما اعتراضا أنه كيف انحصر ذلك الوجود الحقيقي في حجرة النبي ﷺ؟ وإذا قلتم بأن ذلك لم يكن وجوده الحقيقي لم يبق بعد الأصل إلا التمثل. ويمكن عدّ نزوله نزولا حقيقيا إن لم يبق في السماء أي أثر لوجوده الحقيقي قط. وإذا نزل من السماء بوجوده الحقيقي فعليكم أن تثبتوا أين مجال قيامه وبقائه.

باختصار، إن فكرة أن جبريل كان ينزل إلى الأرض بوجوده الحقيقي بديهية البطلان، ولا سيما لو تأملنا في الجانب الثاني ونظرنا إلى فسادٍ يلزم الاعتقاد القائل بأن الأنبياء ظلوا في معظم الأوقات محرومين من بركة الوحي؛ فإنه من قلة الحياء أن يخطر هذا الاعتقاد بالبال.

يقول الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في الصفحة ٨٣ من كتابه "مدارج النبوة"، بأن جميع كلمات النبي ﷺ وأحاديثه إنما هي وحي خفي باستثناء بعض المواضع مثل قصة أسارى بدر، وقصة مارية، وقصة العسل وتأبير النخل وهي نادرة

وبسيطة. ثم يقول في الصفحة نفسها أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية أن نزول جبريل ليس خاصا بالقرآن الكريم فحسب، بل إن كل سنة أيضا هي نتيجة نزول جبريل، بل اجتهد النبي ﷺ أيضا من الوحي. ثم يقول في الصفحة ٨٧ بأن الصحابة كانوا يعدّون كل قول النبي ﷺ وفعله وحيا، سواء كان قليلا أم كثيرا، صغيرا أم كبيرا، ولم يكونوا يترددون في العمل به ولم يناقشوه. بل كانوا يحرصون على العمل بما يفعله النبي ﷺ في السرّ والخلوّة أيضا.

فلا شك أن الذي يتأمل في أحوال الصحابة وكيفية عدّهم كل أمر من أوامر النبي ﷺ وكل قوله وفعله حجة دينية، وعدّهم كل أوقاته ﷺ وكل لحظاته مستغرقة في الوحي سوف يستحي من القول بأن جبريل كان يهجره ﷺ ويصعد إلى السماء، وسوف يخشى أن تمر بقلبه شبهة مثلها. ولكن من المؤسف حقا أن العلماء المعاصرين الذين يُدعون محدّثين أيضا لا يخافون الله شيئا. وإذا كان التحلي عن معتقداتهم هذه كفرا، فأَيّ سعادة أكبر من مثل هذا الكفر!

نحن براء كل البراءة من إيمانهم هذا، ونحتكم إلى الله في أقوالهم هذه التي تؤدي إلى إساءة شديدة بحق رسول الله ﷺ أمام أعدائه. ماذا أقول وماذا أكتب بحق الذين أعطوا الكفار فرصة السخرية والاستهزاء، وخطّوا مرتبة نبينا ﷺ مقابل عيسى عليه السلام لدرجة تقشعر لهولها الأبدان. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١١١-١٢٦)

الأفكار التي تنشأ في قلب نبي والخواطر التي تخطر بباله، إنما هي وحي كلها في الحقيقة، ويشهد على ذلك القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. ولكن وحي القرآن الكريم يمتاز امتيازا كليا عن أي وحي آخر ينزل من الله تعالى بالمعنى فقط. وإن أقوال النبي كلها تدخل في عداد الوحي غير المتلو، لأن بركة روح القدس ونوره يحالف النبي دائما ويكون كل قول من أقواله مليئا ببركته، وتوضع في كلامه تلك البركة بروح القدس. فكل كلام يتفوه به النبي نتيجة

التركيز التام وفكره الكامل يكون وحيا دون شك، والأحاديث كلها تدخل في عداد هذا الوحي الذي يسمّى الوحي غير المتلو. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٥٢-٣٥٣)

من الواضح أنه لا يكون هناك إلقاء بدون الألفاظ ولا يمكن أن تتطرق إلى الذهن معانٍ تخلو من الألفاظ. ثم هناك فرق بين الأحاديث النبوية الشريفة والقرآن الكريم أيضا. وبناء على هذا الفرق لا نعتبر كلمات الأحاديث صادرة عن النبي نفسه الذي خرجت منه كلمات القرآن الكريم، وإن كانت كلمات الأحاديث أيضا من الله تعالى نظرا إلى مفهوم عام للإلقاء والإلهام، كما تشهد عليه الآية: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. (بركات الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٠-٢١، الحاشية)

إن زمن النبي زمن نزول الشريعة وإنما تُعتبر الشريعة ما يقوم به النبي من الأعمال. (نور القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٩١)

لقد عدّ الله تعالى.... كلام كل نبي بمنزلة كلامه هو بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ١٠٥)

إن كلام هذا النبي لا يخرج من نبع أهواء البشرية وأطماعها بل ينبع من كلام الله. وإن كلام النبي ﷺ يثبت كلام الله تعالى بحسب هذه الآية. (مجلة مقارنة الأديان، المجلد ١، رقم ٥، ص ٢٠٥)

ما ورد عن نبينا الأكرم ﷺ في القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ إنما هو إشارة إلى ذلك القرب الشديد والأسمى، وهو دليل على كمال تزكية نفسه وقربه من الله تعالى. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤١)

إن مقام التنبؤ لا يتيسر من دون الوصول إلى أعلى الدرجات من قرب الله تعالى، إذ يصبح الإنسان في هذا المقام مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

(النجم: ٤)، وإنما تُحَرِّز هذه الدرجة إذا بلغ الإنسان مقام ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (النجم: ٩). ما لم ينسلخ الإنسان من رداء البشرية ويُخفي نفسه تحت رداء الألوهية على وجه الظلية، فأنى له أن يبلغ هذا المقام؟ هذا مقام قد تعثر فيه بعض الصوفية الذين كانوا يجهلون منازل السلوك، فظنوا أنهم أصبحوا إلهًا، قد أدت عثرتهم هذه إلى خطأ فادح خطير أهلك كثيرين، وهو مسألة وحدة الوجود التي يجهل هؤلاء حقيقتها جهلاً تاماً. غاية ما أريده هو أن أبين أن المرء لا يعطى قوة النبوءات ما لم يبلغ درجة ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾. وإنما تنال هذه الدرجة عندما يحظى الإنسان بقرب الله تعالى. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١م، ص ٤)

يقول الله تعالى: أكون لسانه الذي ينطق به. وإلى ذلك يشير قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، ولذلك كان قول الرسول ﷺ كلام الله تعالى. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٠م، ص ٤)

الإلهام ليس بشيء ما لم ينزه الإنسان نفسه عن تدخّل الشيطان، وما لم يتطهّر من التعصبات والضغائن والحسد ومن كل ما يُسَخِّط الله تعالى. إن مثله كمثّل بركة تنصبّ فيها قنوات كثيرة من الماء، فلو كان ماء إحدى القنوات فاسداً أفلا يفسد الماء كله؟ هذا هو السر وراء قول الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ غير أن على الإنسان أن يكثر من الاستغفار لإزالة نقاط ضعفه هذه. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٨، عدد ١٧/٥/١٩٠١م، ص ١٣)

عندما يحتل الإنسان مرتبة "حُجَّةَ الله" يصبح الله جوارحه، هذا هو معنى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، وهذا يحدث عندما يصبح الإنسان مطيعاً كاملاً وعبداً مخلصاً لله تعالى، ويكون قد وافق مرضاة الله كلياً، ويكون كل عمل من أعماله وكل فعل من أفعاله أداة لإذنه وأمره ﷻ. في هذه الحالة ينطبق عليه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، وهذا المقام قد احتله نبينا الأكرم ﷺ بوجه أكمل وأتم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٥،

عدد ١٧/٧/١٩٠٥م، ص ١٠)

من الجدير بالانتباه أنه وإن كان كلُّ نبي يتصف بصفة المهدي لأن جميع الأنبياء هم تلاميذ الرحمن، كما أن كل نبي مؤيَّد بروح القدس بصفة عامة، ومع ذلك يخصّ هذان الاسمان بنبيين اثنين على وجه خاص؛ أي اسمُ المهدي يخص نبينا الكريم ﷺ، أما اسم المسيح - أي المؤيَّد بروح القدس - فيتعلّق بعيسى ﷺ بوجه خاص، وإن كان نبينا ﷺ يتفوق عليه في هذا الاسم أيضًا، لأنه تعلّم من "شديد القوى" دائمًا، غير أن مرتبة تلقّي التأييد من روح القدس - التي هي أقل من "شديد القوى" مرتبةً - تخص المسيح على وجه خاص. وهاتان الصفتان أو الميزتان مذكورتان في القرآن الكريم حيث سمّي النبي ﷺ مهديًا أميًا وقال في حقه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: ٦) ووصف المسيح حائزًا على تأييد روح القدس كما قد قال الشاعر الفارسي أيضًا ما معناه إذا أيّد روح القدس بفيضه كلَّ إنسان لتمكّن من إنجاز كل ما كان المسيح ينجزه.

وكان الأنبياء قد تنبأوا بأن هاتين الصفتين ستجتمعان في إمام آخر الزمان إشارةً إلى أنه سيكون نصفه إسرائيليًا والنصف الآخر إسماعيليًا. (الأربعين، رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٥٨-٣٥٩، الحاشية)

من مدلول كلمة "المهدي" أن لا يكون في علوم الدين تلميذاً أو مريداً لأحد من الناس، وأن يتربى على الدوام في كنف التجلي الخاص للتعليم اللدني الذي هو فوق كل تمثّل لروح القدس، وهذا التعلّم من الصفة المحمدية وإلى ذلك تشير آية: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وإلى دوام هذا الفيض وكونه غير منقطع تُشير آية: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، أما كلمة "المسيح" فتدلّ على أن روح القدس ملازم له على الدوام، وهذه الدرجة أقل من "شديد القوى" لأن من تأثير روح القدس أنه يُثبّت الناس على الطريقة بواسطة مَنْ ينزل عليه، أما "شديد القوى" فهو يصبغ قلوب الناس بأروع صبغة للطريقة بواسطة من ينزل عليه. (الأربعين، رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٦٠-٣٦١، الحاشية)

"وأما قول المعترض الفتان أن "ذو مِرَّة" اسم الشيطان، وقال أن المِرَّة هي مادة الصفراء، وباطل كل ما يخالفه من الآراء، فهذا كله كذب ودجل وتلبيس، ونعوذ بالله من الدجالين المفتنين. بل الأمر الصحيح الذي يوجد نظائره في كلمات بلغاء لسان العرب ونوابغ ذوي الأدب، أن أصل المِرَّة إحكامُ القتل وإدارة الخيوط عند الوصل، كما قال صاحب تاج العروس شارح القاموس، ثم نقلوا هذا اللفظ من الإحكام والإدارة إلى نتيجته.. أعني إلى القوة والطاقة، فإن الحبل إذا أُحْكِمَ قَتْلُهُ فلا بد من أن يتقوى بعد أن يُشَدَّ ويُسَوَّى، ويكون كشيء قويّ متين. ثم نُقِلَ منه إلى العقل كنقل الحقل إلى الحقل، لأن العقل طاقة تحصل بعد إمرار مقدمات وإحكام مشاهدات تُجَلِّيها الحسُّ المشترك من الحواسِّ بإذن ربِّ الناس وأحسن الخالقين. ثم نُقِلَ هذا اللفظ في المرتبة الرابعة إلى مزاج من الأمزجة.. أعني الصفراء التي هي إحدى الطبائع الأربعة، لشدة قوتها ولطافة مادتها، ولكونها مصدر أفعال قويّة وموجباً لجُرأة وشجاعة وكلِّ أمر يخالف عادات الجبان ويوافق سير الشجعان، فتفكّر إن كنت من الطالبين.

وأما نظيره في أشعار بُلغاء الجاهلية ونبغاء الأزمنة الماضية، فكفاك ما قال امرؤ القيس في قصيدته اللامية:

دَرِيرٌ كَحَذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ تَتَابَعُ كَفِّهِ بِحَيْطٍ مُوَصَّلٍ

وكذلك بيت لعمرو بن كلثوم التغلبي الذي هو نابغ في اللسان العربي، وقال في القصيدة الخامسة من السبع المعلقة، ونحن نكتبه نظيراً لمعنى الإدارة، وهو هذا:

تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمِرْتُ عَلَيْهِ لَمَّا لَهُ فِيهَا مَهِينًا

ومن عجائب لفظ المِرَّة اشتراكه في العربية والهندية في معنى الإدارة وإحكام القتل بالمبالغة، فإن الهنديين يقولون للإمرار: "مَرورنا" كما لا يخفى على الهنديين. وهذا ثبوت صريح من غير شائبة المين لاستخراج أصل حقيقة الذي هو دائر بين اللسائين، وفيه نكتة تسر المحققين.

وأما لفظ "ذِي مِرَّةٍ" بمعنى العقل، فإن كُنْتَ تطلب مَنَّا نظيره مع تصحيح النقل، فاعلم أن صاحب تاج العروس شارح القاموس فسر لفظ ذِي مِرَّةٍ بمعنى ذِي الدهاء، وقال يُقال إنه لَذُو مِرَّةٍ أي عقلٍ في مَثَلِ العرب العرباء. وإن لم يكفِكَ هذا المثل مع أنه هو الأصل، وتطلب مَنَّا نظيراً آخر من الأيام الجاهلية والأزمنة الماضية، فاقراً هذا البيت من صاحب القصيدة الرابعة من السبع المعلّقة، وكان من نبغاء الزمان وفي البلاغة إمام الأقران، وزاد عمره على مئة وخمسين، وهو هذا:

رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مِرَّةٍ حَصِدٍ وَتُجْحٍ صَرِيمَةٍ إِبْرَاهِمَا

واعلم أن هذه القصائد معروفة بغاية الاشتهار كالشمس في نصف النهار، وقد أجمع كافة الأدباء وجهابذ الشعراء على فضلها وكمال براعتها، واتفق عامة البلغاء على حسننها ونباهتها، واختارها الحكومة الإنكليزية لطلباء مدارسها وسُبقاء كوالجها وشرباء كيالجها لتكميل القارئ، ولا ينكرها إلا الذي مثلك غبي وشقي كعمين. هذا ما أوردنا لإلزامك وإفحامك من نظائر المتقدمين وكلام المشهورين المقبولين. وأما ما يظهر من سياق كلام الله وسباقه ومن عقدٍ درٍ حِقَاقِهِ، فهو طريق أقرب من ذلك للمسترشدين. فإنه تعالى كما وصف روح القدس بقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، كذلك وصفه في مقام آخر بذي قوة فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ فقوله في مقام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وفي مقام ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شرحٌ لطيف بأفانين البيان، وكذلك جرت سُنَّةُ الله في القرآن، فإنه يفسر بعض مقاماته ببعض آخر ليزيد الاطمئنان، وليعصم كتابه من تحريف الحائنين.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه المحكم وسفره المكرم صفاتٍ أخرى للروح الأمين، وبيّن عبارته وصدقه وأمانته وقربه من رب العالمين. فلا يحسبه شيطانا إلا الذي هو شيطان لعين. " (نور الحق، الجزء الأول، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ١٦٥-١٧٠) المرتبة الثالثة للحب أن تقع الجذوة المشتعلة لحب الله على فتيل حب الإنسان القابل للاشتعال وتُشعل، فيستولي حبُّ الله على كيان الإنسان وكلِّ ذرة من ذراته،

ويجعله مظهرًا أتم وأكمل له ﷺ. وفي هذه الحالة لا تَهْبُ نارُ حب الله لوحَ قلب الإنسان بريقًا فحسب، بل يشتعل وجوده كله على إثر هذا البريق، وتنور ألسنة النار وهيبها الجوّ المحيطُ بها كوضح النهار دون أن يبقى للظلام أي أثر، بل ويصبح الوجود كله نارًا تمامًا مع جميع صفاتها الكاملة. وهذه الحالة التي تتولد بصورة النار المشتعلة نتيجة وصال النوعين من الحب تسمى "الروح الأمين"، لأنها توفر الأمن من كل ظلمة، وهي بريئة من كل شائبة، وتسمى "شديد القوى" أيضًا، لأن تلك القوة العظيمة هي الوحي الذي لا يُتصور وحيٌّ أقوى منه، وتسمى "ذا الأفق الأعلى" أيضًا. ذلك لأنه التجلي الأعظم لوحى الله تعالى الذي يسمى باسم: "رأى ما رأى" أيضًا، لأن تقدير هذه الحالة يفوق تصور المخلوقات وأفكارهم جميعًا. وهذه المرتبة قد حظي بها شخص واحد في الدنيا، أي الإنسان الكامل ﷺ الذي اكتملت عليه سلسلة البشرية كلها، وبلغت حلقة القدرات البشرية فيه أوج كمالها. والحق أنه ﷺ هو النقطة الأخيرة في الجانب الأعلى لسلسلة خلق الله، والمنتهى لكافة مراتب الارتقاء. إن حكمة الله تعالى بدأت سلسلة الخلق من الأدنى والأسفل على الإطلاق، وأوصلتها إلى النقطة الأعلى على الإطلاق، والتي تسمى بتعبير آخر "محمدًا ﷺ"، أي الذي حُمد كثيرًا؛ أي هو مظهر الكمالات التامة. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٣-٦٤)

الآية ٩-١٠: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح إلهامه: "أردت أن أستخلف فخلقت آدم، إني جاعل في الأرض خليفة: والمراد من الخليفة هنا شخص يكون واسطة بين الله وبين الخلق لإرشادهم وهدايتهم. ولا تراد هنا الخلافة الظاهرية التي تُطلق على السلطنة والحكومة، وليست مسلمًا بها من الله تعالى في شريعة الإسلام لأحد غير قریش. بل الحق أنه قد ذُكرت هنا المراتب الروحانية أو النيابة الروحانية. كما ليس

المراد من كلمة "آدم" هو ذلك الآدم الذي هو أبو البشر، بل المراد منه شخص يقام بواسطته نظام الرشد والهداية ويوضع به أساس الخلق الروحاني، وكأنه أبٌ لطلاب الحق من حيث الحياة الروحانية. هذه نبوءة عظيمة، أُشير فيها إلى قيام جماعة روحانية في وقت لا يوجد لها أي أثر أبدا. ثم ذكر المرتبة الروحانية لهذا الآدم الروحاني فقال: "دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى".

حين تلقَّيت هذه الآية الكريمة إلهاما كنت مترددا في معرفة معناها وتحديدده. وفي أثناء هذا التردد غلبتني الغفوة وانكشف عليَّ معناها في الرؤيا. وبيان ذلك أن الدُّنُو يعني قرب الله تعالى. وليس المراد من القرب الحركة من مكان إلى مكان أقرب، بل يُعدُّ الإنسان مقربًا إلى الله حين يتخلَّى عن إرادته وعن نفسه وعن المخلوق وعن كل ما سوى الله من أنداد وأغيار، ويفنى في طاعة الله تعالى ووجهه كليًا، ويتعد عن كل ما سوى الله بُعدا تاما، ويغرق في بحر حب الله تعالى بحيث لا يبقى لوجوده وأنانيته أدنى أثر أبدا. وما لم يتخلَّ عن شوائب نفسه، وما لم يتحلَّ بحلَّة البقاء بالله لا يكون أهلا لنيل ذلك القرب. وإن مرتبة البقاء بالله لا تُنال ما لم يصبح حب الله تعالى للإنسان غذاء وما لم تستول عليه حالة لا يستطيع فيها العيش دون ذكر الله تعالى، ويرى استقرار غير الله في قلبه موتا له، حتى يلاحظ بصراحة تامة أنه يعيش مع الله ﷻ. وأن يُجذب إليه ﷻ بحيث يبقى قلبه مستغرقا في ذكر الله دائما، ومتألما من أجله. وأن ينفر من غيره ﷻ وكأنه يكرُّ عداوة شخصية لغيره فيتألم بطبيعته من الميل إليه. فعندما تتحقق هذه الحالة يتطهَّر تلقائيا قلبه الذي هو مورد الأنوار الإلهية وتنعكس فيه أسماء الله وصفاته، فينال العارف بالله كمالا آخر وهو كمال التدبُّي. والمراد من التدبُّي هو الهبوط والنزول الذي يحدث حين يرجع الإنسان إلى عالم الخلق شفقةً على العباد مثل الله الرحمن والرحيم تماما متخلِّقا بأخلاقه ﷻ. ولأن كمالات الدُّنُو تستلزم كمالات التدبُّي، لذا فسيكون التدبُّي بقدر الدُّنُو نفسه. وإن كمال الدُّنُو يكمن في انعكاس أسماء الله وصفاته في قلب السالك، وأن يتجلى فيه المحبوب

الحقيقي بجميع صفاته الكاملة دون شائبة من الظلمة ودون وهم الحلول فيه. وهذه هي حقيقة الاستخلاف وماهية نفخ روح الله، وهذا هو الأساس الحقيقي للتخلق بأخلاق الله ﷻ. ولما كانت حقيقة التدليّ تستلزم التخلّق بأخلاق الله، وكمالُ التخلّق بأخلاق الله يقتضي أن يبلغ السالكُ في الشفقة على العباد، والوقوف موقف الناصح لهم، والعكوف على إيصال الخير لهم بالقلب والروح، مبلغًا لا يتصوّر المزيد عليه؛ فيضطر الواصل الكامل أن يكون مجمع الأضداد، بمعنى أن يتوجّه إلى الله تعالى على أكمل وجه، وأن يتوجّه كذلك إلى الخلق على أكمل وجه، فيكون بين القوسين، قوس الألوهية وقوس البشرية، كالوتر الذي يكون على صلة قوية معهما. فخلاصة الكلام أن الوصول الكامل يستلزم الدنو والتدليّ كليهما. الدنو اسم لذلك القرب التام حين يحقق الإنسان الكامل -بواسطة التركيبة الكاملة- السير في الله بعد السير إلى الله ويفنى تماما من وجوده الحقير ويغرق في بحر الألوهية ويخلق وجودا جديدا لا مغايرة فيه ولا جهل ولا سفاهة، ويتسنى له الانصباغ الكامل بصبغة الله الطاهرة. أما التدليّ فهو اسم لحالة الإنسان حين ينصبغ بصبغة ألطاف الله ورحماته وبعد التخلق بأخلاق الله يرجع إلى عباد الله للإصلاح والإفادة. فليكن معلوما أنه يوجد هنا في قلب واحد وفي حالة واحدة وبنية واحدة نوعان من الرجوع، الرجوع الأول هو إلى الله تعالى الذي هو الوجود الأزلي، والرجوع الثاني هو إلى عباده الذين هم وجود محدث. ومثّل النوعين من الوجود، أي القديم والحادث، كمثل الدائرة التي طرفها الأعلى هو "الوجوب" وطرفها الأسفل هو "الإمكان". ويأخذ الإنسان الكامل في وسط هذه الدائرة صورة تمثيلية نتيجة الاتصال المحكم بكلا الجانبين أي الدنو والتدليّ كالوتر في دائرة قوسين. بمعنى أنه يصبح واسطة بين الله تعالى وبين الخلق. فأولا توهّب له خلعة خاصة من الدنو وقرب الله فيصعد إلى أعلى مقام القرب، ثم يُنزل إلى الخلق. فيظهر صعوده هذا ونزوله بصورة قوسين وتكون نفس الإنسان الكامل -جامعة العلاقتين- بمنزلة "قاب قوسين". و"لقاب" يُطلق في العربية على الوتر.

المعنى الحرفي لهذه الآية هو أنه دنا، أي قُرْب إلى الله تعالى، ثم تدلَّى أي رجع إلى الخلق، فصار مثل وتر واحد للقوسين بسبب صعوده ونزوله. ولأن توجَّهه إلى الخلق كان نابعا عن عينٍ نقية للتخلق بأخلاق الله فإن توجَّهه إلى الخلق عيْنُ التوجه إلى الخالق. أو يمكن أن تفهموا بتعبير آخر أن الله تعالى المالك الحقيقي يتوجَّه إلى العباد نتيجة شفقتة على العباد البالغة غايتها وكأنه مقيم عندهم. فلما بلغ السالك كماله في سيره إلى الله اضطر للعودة إلى المكان الذي كان الله فيه. فلهذا السبب صار كمال الدنوّ.. أي القرب التام مدعاة لتدليّيه أي هبوطه. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة،

الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٨٥-٥٩٠، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

أي دنا (من الله ﷻ) ثم تدلَّى (أي نزل إلى المخلوق لتبليغ أحكام الله). فنظرا إلى أنه صعد إلى الجهة العليا فوصل إلى غاية القرب التام حيث لم يبق أي حجاب بينه وبين الحق، ثم نزل إلى الأسفل ولم يبق أي حجاب بينه وبين الخلق- أي لما صار أكمل وأتم في صعوده ونزوله ووصل إلى الكمالات المتناهية- فقد استقر مكانه بين قوسين؛ أي مكان القاب- وهو قطر الدائرة- وبصورة أتم وأكمل. بل قد دنا من قوس الألوهية وقوس العبودية أكثر مما يُتصور ويخطر بالبال. فهذه صورة القوسين مثلا:



فالخط الذي ينصف الدائرة في هذه الصورة، أي قطر الدائرة، هو نفسه قاب القوسين كليهما. فليكن معلوماً أن كلا النوعين للوجود، أي الواجب والممكن، كدائرة يقطعها الخط المارّ بالمركز إلى قوسين، نفس الخط الذي هو قطر الدائرة والذي عبّر عنه القرآن الكريم باسم "قاب قوسين"، ويقال له في الحديث اليومي وتر

القوسين في علم الهندسة. قد وقع كبرخ بين الذات المفيضة والمستفيضة، وهو يشبه - في أخص كماله الذي هو عبارة عن الدرجة الأخيرة للكمالات - النقطة التي هي مركز الدائرة والنقطة الوسطى لوتر القوس. وهذه النقطة نفسها قلب جميع كمالات الإنسان الكامل. ولها نسبة بخطين متساويين؛ بقوسَي الألوهية والعبودية.

وهذه النقطة حصراً أرفع نقط تلك الخطوط العمودية التي تُمد من المحيط إلى قطر الدائرة. وصحيح أن وتر القوسين مؤلف من كثير من النقط التي هي في الحقيقة صور محسوسة للكمالات الروحانية لصاحب الوتر، لكن الأنبياء والرسل وأرباب الصدق والصفاء الآخرين أيضاً يشاركون في جميع نقط الوتر ما عدا هذه النقطة المركزية. ونقطة المركز تمثل الكمال الذي يحوزه صاحب الوتر بدرجة أعلى وأرفع وأخص وممتازا مقارنة مع سائر الكمالات، والتي لا يشاركه فيها حقيقيا أي من المخلوق، إلا أن المشاركة ظليا وبالاتباع والانقياد ممكنة. فليكن معلوما الآن أن هذه النقطة الوسطى تسمى الحقيقة المحمدية؛ التي هي منبع جميع حقائق العالم إجمالا وأصلها. وفي الحقيقة انبسط وامتد خط الوتر من هذه النقطة وحدها. وروحانية هذه النقطة نفسها في خط الوتر كله هوية سارية، فيضها المقدس عيّن هذا الخط كله. العالم الذي يعدّه المتصوفون من أسماء الله، فإن أول وأعلى مظهر له - الذي صدر منه على وجه التفصيل - هو هذه النقطة الوسطى بالضبط، التي تسمى في مصطلحات أهل الله بالنقطة النفسية لأحمد المجتبي ومحمد المصطفى. وسميت في مصطلح الفلاسفة بالعقل الأول أيضا. وإن علاقة هذه النقطة بالنقط الوترية الأخرى كعلاقة الاسم الأعظم بأسماء الله الأخرى ﷻ. باختصار؛ إن مصدر الرموز الغيبية ومفتاح الكنوز اللاربيية والمرآة التي تعكس الإنسان الكامل هي هذه النقطة وحدها، وهي حصراً علّة غائية لجميع أسرار المبدأ والمعاد، ولِمْيَةُ خلق كل منخفض ومرتفع، والتي تعجز جميع العقول والأفهام البشرية عن التصور بكنهها. وكما أن كل حياة مستفاضة من حياة الله وكل وجود ظهر بوجوده وكل معيّن مرتدٍ رداءً تعيينه، وكذلك

النقطة المحمدية تؤثر بإذنه تعالى في جميع مراتب الأكوان وخطائر الإمكان بحسب كفاءاتٍ مختلفة وطبائع متفاوتة.. ولما كانت هذه النقطة جامعةً جميع المراتب الإلهية ظلياً وجميع المراتب الكونية منبعياً وأصلاً، بل هي مجموعة هاتين كليتهما، لذا فهي تحيط إجمالاً بكل مرتبة كونية، وهي العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب طبيعية إلى نهاية تنزلات الوجود. وكذلك لها مماثلة بالمرتبة الإلهية لكونها ظلّ الألوهية كتشابه العكس في المرآة بالأصل. وتنعكس فيها أمهات الصفات الإلهية- أي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام بجميع فروعها- انعكاساً أتم وأكمل. لا نستطيع أن نحدّ هذه النقطة المركزية- التي هي برزخ بين الله ﷻ وبين المخلوق، أي النقطة النفسية لحضرة سيدنا محمد المصطفى ﷺ- في حدود مفهوم كلمة الله فقط، كما حُدّد المسيح بهذا الاسم؛ لأن هذه النقطة المحمدية ظلياً تستجمع جميع مراتب الألوهية. ولهذا السبب قد شُبّه المسيح في البيان التمثيلي بالابن، بسبب النقص الذي بقي فيه. ذلك لأن الحقيقة العيسوية ليست مظهر أتم الصفات الألوهية بل هي فرع من فروعها، على عكس الحقيقة المحمدية؛ لأنها مظهر أتم وأكمل لجميع الصفات الإلهية. وإثبات ذلك قد بلغ الكمال عقلاً ونقلاً. ولذلك قد شُبّه حضرته ﷺ ظلياً -في البيان التمثيلي الوارد في الأسفار السماوية- بالله القادر ذي الجلال، وهو بمنزلة الأب للابن. وإضافة إلى ذلك إن سبب كون تعليم المسيح عليه السلام ناقصاً وكون تعليم القرآن الكريم أكمل وأتم من جميع التعاليم الإلهامية يرجع في الحقيقة إلى أن فيض الناقص يكون ناقصاً وفيض الأكمل يكون أكمل.

ومن التمثيلات التي شُبّه فيها النبي ﷺ في القرآن الكريم بالله القادر ظلياً، الآية التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، أي بسبب ترقيات القرب الكاملة قد صار (أي سيدنا محمد ﷺ) قاب قوسين بل أدنى من ذلك. فالواضح الآن أن في الطرف الأعلى للوتر قوس الألوهية. فلما تقدمت النفس المحمدية المقدسة لشدة قربها ونقائها المتناهي من حدود الوتر واقتربت جداً من نحر

الألوهية، فقد وقعت في النهر الذي لا ساحل له، واختفت ذرة البشرية في بحر الألوهية الأعظم. وهذا التقدم لم يكن مستحدثاً وجديداً بل كان متقدماً منذ الأزل. وكان جديراً، ظلياً واستعارة، بأن تصفه الصحف السماوية والكتابات الإلهامية بأنه مظهر الألوهية الأتم وتعدّه المرآة التي تعكس الحق. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ٢٦٤-٢٧٥، الحاشية)

"ولا ريب أن نبينا سُمِّيَ مُحَمَّدًا لما أراد الله أن يجعله محبوباً في أعينه وأعين الصالحين. وكذلك سَمَّاهُ أَحْمَدَ لما أراد سبحانه أن يجعله مُحِبَّ ذاته ومُحِبَّ المؤمنين المسلمين. فهو مُحَمَّدٌ بشأن وأحمدُ بشأن. واختصَّ أحدُ هذين الاسمين بزمان والآخر بزمان، وقد أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿دَنَى فَتَدَلَّى﴾، وفي: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٠٨-١٠٩)

سيدُ الأنبياء وخير الورى مولانا وسيدنا محمد المصطفى ﷺ بالحسن الروحاني العظيم الذي تكفي لنعته الآية الكريمة: ﴿...دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، أي دنا ذلك النبي من الله تعالى كثيراً، ثم تدلَّى إلى الخلق، وبذلك أدَّى كِلا الحَقِّينِ، أي حق الله وحق العباد، وأظهر الجمال الروحاني من كِلا النوعين، وصار كالوتر بين القوسين؛ فكان وجوده كما يظهر من الرسم التالي:



إن أصحاب الطبائع الخبيثة والعمهين لم يروا هذا الحسن كما يقول الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. أي ينظرون إليك ولكنك لا تتراءى لهم فهلك هؤلاء العمهون كلهم في نهاية المطاف. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٢٠-٢٢١)

يجب الانتباه إلى أن مصدر "تدلى" هو "دلو" ومعناه إرسال الدلو في البئر ليُمْلَأ ماءً. ومعناه الثاني هو اتخاذ أحد شفيعا له. فمعنى "تدلى" هو التوجه إلى الناس بكمال المواساة والنصح، والاقتراب منهم كثيرا وإبعاد الماء الكدر عنهم وإعطاؤهم الماء النقي الطاهر. (مجلة مقارنة الأديان، المجلد ١، رقم ٥، ص ١٨٤)

فقد بين الله تعالى في القرآن الكريم كون النبي ﷺ شفيعا مشيرا إلى هذا المقام للشفاعة فقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي صعد هذا الرسول إلى الله تعالى واقترب منه بقدر ما كان ممكنا وحاز كمالات القرب كلها، ونال حظا كاملا من مقام اللاهوت، ثم رجع إلى الناسوت رجوعا كاملا، أي أوصل نفسه إلى منتهى العبودية، ونال حظا كاملا من مستلزمات البشرية الطاهرة مثل مواساة البشر وحبهم الذي يُسمى كمال الناسوت. وبذلك بلغ درجة الكمال في حب الله من ناحية، ومن ناحية ثانية بلغ الكمال في حب البشر. فما دام قد دنى إلى الله بوجه كامل، ثم تدلى بوجه كامل أيضا إلى البشر لذا صار -بسبب تساوي القرب من الجهتين- كوتر بين قوسين. فوجد فيه الشرط الواجب وجوده في الشفاعة. وشهد الله تعالى في كلامه المجيد أنه ﷺ صار بين البشر وربّه كالوتر بين قوسين. (مجلة مقارنة الأديان، المجلد ١، رقم ٥، ص ١٨٢)

هناك برزخ بين الإنسان والله تعالى، وهو التجليات الإلهية. وقد أشار الله تعالى إلى هذا المقام بقوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وهذا بيان لمكانة النبي ﷺ السامية العالية جدا. لقد وهبت هذه المرتبة للإنسان الكامل فقط الذي صار ما بين قوسي العبودية والألوهية وتعلق بهما تعلقا شديدا وقويا كأنما أصبح عينَ الاثنين، ومحا نفسه من بينهما، وصار كمرآة صافية. وكانت لتعلقه جهتان، فمن الجهة الأولى، وهي العليا، اجتذب الأنوار والفيوض الإلهية كلها، ومن الجهة الأخرى أوصل تلك الفيوض كلها إلى البشر، كلٍّ بحسب كفاءاته. فهو متصل بالألوهية من جهة، وبالبشرية من جهة أخرى. وكما هو

واضح من هذه الآية فإنه (دَنَا) أي من الله تعالى، (فَتَدَلَّى) أي نزل إلى البشر من أجل تبليغ أحكام الله تعالى، وصار كالوتر للقوسين نتيجة بلوغه أتم مراتب تعلقات القرب هذه، بل صار أكثر من ذلك في قربه من قوسيّ الألوهية والعبودية. ولما كان الدنوّ أبلغ من القرب، قال الله تعالى (دَنَا)، وهذه النقطة هي البرزخ بين الله والخلق. إنها النقطة النفسية لسيدنا محمد المصطفى ﷺ. ولأن النبي ﷺ يأخذ من الله ويوصل عطاءه إلى الخلق، فلذلك كان من أسمائه القاسم أيضا. (الحكم، مجلده رقم ٤٢، عدد ١٧/١١/١٩٠١م، ص ٣)

إن كلمة "الشفيع" مستمدة من "الشفع" ومعناها الزوج. لذا لا يمكن أن يكون شفيعا إلا من كان مظهرا أتم لمقامين، أي أن يكون مظهرا كاملا لللاهوت والناسوت. المراد من كونه مظهرا كاملا لمقام اللاهوت هو أن يصعد إلى الله، وينال من الله. ومعنى كونه مظهرا لمقام الناسوت هو أن ينزل إلى الخلق ويبلغهم ما يناله من الله. والمظهر الكامل لهذين المقامين هو نبينا الأكرم، ولقد أشير إلى ذلك في: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٢م، ص ٥)

قال الله تعالى في بيان مكانة النبي ﷺ: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ومعناه أنه صعد إلى الأعلى، ثم نزل إلى البشر. إن كمال النبي ﷺ هو أسمى درجات الكمال وأعلاها بحيث يستحيل العثور على نظيره.

وذكر الله تعالى كمال النبي ﷺ هذا بشكليين: أحدهما الصعود، والآخر النزول. أما صعوده فكان إلى الله تعالى، أي قد جذب إلى الله حبًا وصدقًا ووفاءً حتى تشرف بمقام الدنوّ من الله القدّوس. و"الدنوّ" أبلغ من "القرب"، ولذلك اختيرت هنا كلمة ﴿دَنَا﴾. فبعد أن نال النبي ﷺ حظّه من فيوض الله وبركاته نزل إلى البشر رحمةً بهم، وهذه الرحمة نفسها مذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨). والسر في تسمية النبي ﷺ بـ "القاسم" أنه يأخذ من الله تعالى ما

يأخذ، ثم يوصله إلى المخلوق. فلم يكن نزول النبي ﷺ إلا لإيصال الفيض الرباني الذي تلقاه إلى المخلوق. فقوله تعالى ﴿ذَنَّا فَتَدَلَّى﴾ إشارة إلى هذا الصعود والنزول، وهو دليل على علو شأن النبي ﷺ. (جريدة الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٢، عدد ١٠/٩/١٩٠٥ ص ٨)

الآية ١٨: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

فمرتبة الكمال (في الرقي الكامل) هي: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، إن الإنسان يرى في زمن مجاهداته العجائب في كشفه، وترد عليه واردات من شتى الأنواع، ولكن مرتبته العليا هي العبودية ويشتد فيها أن يتبرأ المرء من الصحو والسكر والفتنة والشطح. (مكتوبات أحمد، ج ١، ص ٥١٩)

الحالة التامة هي التي أشير إليها في: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، وهذه الحالة ستسنى لأهل الجنة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٨)

الآية ٢٢-٢٣: ﴿الْكُفُّ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾

أستخدم أحيانا كلمات قاسية عند الرد على المسيحيين، فمن الواضح تماما أنهم عندما يؤذون قلوبنا ويشنون على نبينا الأكرم ﷺ هجمات دون مبرر أرد عليهم ردا إلزاميا من كتبهم تنبيههم فقط. فليستخرجوا لي شيئا قلته بحق عيسى عليه السلام كرد إلزامي ولا يوجد في الإنجيل. لا يسعني على أي حال أن أسمع الإساءة إلى النبي ﷺ وأسكت عليها. الحق أن الردود من هذا النوع موجودة في القرآن الكريم أيضا كما ورد فيه: ﴿الْكُفُّ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾، و: ﴿أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَهُمْ الْبَنُونَ﴾ (الصفات: ١٥٠) باختصار، الرد الإلزامي أسلوب في المناظرة، وإلا فنؤمن بعيسى عليه السلام رسولا من الله وعبدا مقبولا ومختارا عنده. والذين قلوبهم ليست نقية نفوض أمرهم إلى الله تعالى. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧ م، ص ٤)

الآية ٢٩: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

المراد من العلم هو اليقين. الظنون لا تسمى يقينا، ولكنهم يتبعون الظن. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ٧/٢/١٩٠٣ م، ص ١٤) من الواضح أن الظن ليس بشيء يُعتدّ به. والذي يتشبه بالظن البحت فهو منحط كثيرا عن مقام الحق السامي. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. أي أن الظن ليس بشيء مقابل حق اليقين (التعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٠٨)

اعلموا أن الظن لا يفيد شيئا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. اليقين وحده يجعل الإنسان ناجحا، وبدونه لن يتم شيء. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٩، عدد ١٠/١٢/١٩٠٢ م، ص ١)

الآية ٣٣: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

"وأما ما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ففرّق بين تزكية النفس وإظهار النعمة، وإن كانا مشابهيْن في الصورة. فإنك إذا عزوت الكمال إلى نفسك ورأيتك كأنتك شيء، ونسيت الخالق الذي منّ عليك فهذا تزكية النفس، ولكنك إذا عزوت كمالك إلى ربك، ورأيت كل نعمة منه، وما رأيت نفسك عند رؤية الكمال بل رأيت في كل طرف حول الله وقوته ومنه وفضله، ووجدت نفسك كميت في يد الغسل، وما أضفت إليها شيئا من الكمال، فهذا هو إظهار النعمة." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧،

يتبين من ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾، أنه ليس بوسعكم أن تكونوا معصومين ومحفوظين بل هو فعل الله وكل نور وقوة تأتي من السماء. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٢، عدد ١٩٥/٦/١٩٠٣م، ص ١٦٩)

إن تركية النفس لا تتحقق تلقائياً، ولذلك قال الله ﷻ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ أي لا تحسبوا أنكم تصبحون مركزين بقوة عقولكم ونفوسكم. فهذا باطل فهو أعلم بمن هو المتقي. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٦، عدد ٢٥/٩/١٩٠٣م، ص ٣٨٢)

كيف لأحد أن يكون واثقاً من اتقاء أحد؟ يقول الله تعالى: ﴿لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ويقول بأن الله وحده ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: ٨)، غير أن أمارات تقوى المأمور من الله دون غيره تكون واضحة جلية. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٢-٢٣، عدد ٨٥-١٦/٦/١٩٠٤م، ص ٢)

لا تدعوا أبداً أنكم تركيتم وتطهرتم. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨٥/٩/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٣٨: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾

السبيل لنيل قرب الله هو أن يتحلى المرء بالصدق. القرب الذي ناله إبراهيم عليه السلام كان بسبب ذلك فقط، فقال الله تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾. الوفاء والصدق والإخلاص لله تعالى يقتضي موتاً. فما لم يكن الإنسان جاهزاً للقضاء على ملذات الدنيا وشوكتها كلها وما لم يستعد لقبول كل ذلة وصعوبة وضيق لوجه الله لا تنشأ فيه هذه الصفة. ليس المراد من عبادة الأوثان أن يعبد الإنسان شجراً أو حجراً، بل كل ما يحول دون قرب الله ويؤثر على الله فهو وثن. توجد في الإنسان أوثان كثيرة لدرجة لا يدرك عندها أنه يعبد الأوثان. فما لم يصبح لله خالصاً ولا يستعد لتحمل كل مصيبة في سبيله يتعذر أن ينشأ فيه الصدق والإخلاص. هل

نال إبراهيم عليه السلام هذا اللقب هكذا؟ كلا! بل جاءه صوت ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ عندما استعد للتضحية بابنه. إن الله تعالى يريد العمل ويرضى بالعمل فقط، والعمل يكون مصحوبا بالألم. ولكن عندما يكون الإنسان جاهزا لتحمل المشاق لوجه الله فلا يبتليه الله بالألم. عندما أراد إبراهيم التضحية بابنه عملا بأمر الله تعالى وأصبح على استعداد تام أنقذ الله ابنه. ألقى عليه السلام في النار ولكنها لم تؤثر فيه شيئا. فإذا استعد المرء لتحمل المصائب في سبيل الله أنقذه الله منها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣ م، ص ١)

إذا لم يصبح الإنسان لله بصدق وصفاء أصبح الفوز بأي درجة صعبا، لقد شهد الله ﷻ لإبراهيم ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ إن تنزيه القلب من الغير على شاكلته عليه السلام وعمرانه بالحب الإلهي والسلوك بحسب مشيئة الله والاتباع له ﷻ كما يتبع الظل أصله، بحيث لا يبقى أي فرق بين رضا الإنسان ومروضة الله، كل هذه الأمور تُنال بالدعاء. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١٦/١١/١٩٠٣ م، ص ٣٣٤)

لقد مدح الله تعالى إبراهيم في القرآن الكريم فقال: ﴿إبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي قد أنجز ما وعد. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢، عدد ٨/١/١٩٠٤ م، ص ١٥)

إن الله ﷻ ينشئ علاقاته دوما بعباده الطيبين كما قال ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾. حين يحسن المرء إلى الناس فعليه ألا يمتن عليهم أبدا، فالذي يتصف بصفات إبراهيم يمكن أن يصبح إبراهيم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٤، عدد ٣٠/٦/١٩٠٣ م، ص ١١)

عديم الهمة والرعيدي وعديم الوفاء الذي لا ينشئ مع الله علاقات الإخلاص والوفاء بل هو مخادع فلا فائدة منه ولا قيمة له ولا أهمية. فكل شرف وأهمية يترتب على الوفاء فقط، فعلى أي أساس نال إبراهيم عليه السلام الشرف والعظمة؟ قد حكم بذلك القرآن الكريم في قوله ﴿إبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: ٣٨)، فقد ألقى به في النار ولم يرض بأن يقول للكفار سأعبد أصنامكم، واستعد لتحمل كل نوع من المصيبة والألم من أجل الله، حين قال الله له أن يترك زوجته في واد غير ذي زرع

استجاب له فوراً، وتقبل كل ابتلاء كأنه كان عاشق الله، ولم يكن له أي غرض نفساني. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠٤م، ص ١-٢)

ففي العالم المادي أيضاً إذا خدم خادم سيده وأدى له حق الوفاء، يحبّه السيد حباً لا يحب بمثله غيره، أما الذي يفتخر بمجرد امتناعه عن الرذائل - مع أنه لو ارتكبها لعُوقب عليها أيضاً - فلا تتعين له أي حقوق. وإنما تتعين الحقوق بالصدق والوفاء فقط، كما قال تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٨، عدد ٢٤/٢/١٩٠٤م، ص ٢)

يقول الصوفية أن السالك يجب أن لا يهتم بالرؤيا والوحي الذي يتلقاه في أوائل السلوك، لأنه عادة يعترض عائقاً في هذا الطريق، فليس فيه أي ميزة شخصية للإنسان، بل هو فعل الله أن يُري أحدا رؤيا جيدة أو يوحي إليه، أما الإنسان فلم ينجز شيئاً. انظروا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يتلقى الوحي بكثرة، لكنه لم يُذكر في أي مكان أنه تلقى الوحي الفلاني أو نزل عليه الإلهام الفلاني، وإنما ذُكر ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾، أي الذي سجل نموذجاً كاملاً للوفاء. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ١٠)

طُرح على المسيح الموعود عليه السلام سؤال: طلب إبراهيم عليه السلام أن يرى كيفية إحياء الموتى، أفلم يكن قلبه مطمئناً من قبل؟ فقال في الجواب: الحق أن الأنبياء عليهم السلام يتعلمون في مدرسة الله تعالى، ويُدعون تلاميذ الرحمن ويكون تقدمهم أيضاً تدريجياً، لذلك جاء في القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ: ﴿كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: ٣٣)، أعلم جيداً ماذا تكون حالة الأنبياء عليهم السلام. يكون هناك فاصل زمني يُعَدُّ بآلاف الفراسخ بين اليوم الذي يُكَلِّفُ نبي بمهمة النبوة واليوم الأخير من نبوته، فلا غرابة إن قال إبراهيم عليه السلام ذلك. لقد حكم القرآن الكريم بنفسه بشأن إبراهيم فقال: ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.... فكيف يصحّ هذا الاعتراض؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ١٠)

الآية ٣٩: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

أما القول بأن الأحران والمحن الإنسانية هي بسبب أكل حواء التفاحة، فليست عقيدة الإسلام، إنما عَلِّمْنَا أنه ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، فلا يعاقب بكر على ذنب ارتكبه زيدٌ، ولا تُرجى منه أي فائدة، فليس أكل حواء التفاحة سبب هذه المشاكل والحزن والعقوبة، بل القرآن الكريم قد بين لها أسبابا أخرى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٦، عدد ٢/٦/١٩٠٨م، ص ٧)

الآية ٤٠: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ... أي العمل ضروري لنيل

الأجر. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣١)

إن الله تعالى لا يمنع من كسب الدنيا، بل يَعْلِمْنَا الدعاء لنيل حسنة الدنيا. إن الله تعالى لا يريد أن يجلس الإنسان عاطلا لا يحرك ساكنا، بل قال صراحة: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

فعلى المؤمن أن يسعى ويجتهد في كسب الدنيا، غير أنني سأقول لكم بقدر ما استطعت أن أقول: لا تجعلوا الدنيا هي المقصود بحد ذاتها، بل اجعلوا الدين المقصود بحد ذاته، واجعلوا الدنيا خادمةً وَمَطِيَّةً للدين. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٩، عدد ١٦/٨/١٩٠٠م، ص ٤)

الإنسان ينال الكمالات نتيجة المجاهدات، ولكن الذين وجدوا وصفا سهلة لدم المسيح أنى لهم أن يقوموا بالمجاهدات؟ إذا كان النجاح ممكنا بدم المسيح فلماذا يقوم الطلاب بالمجاهدات والمساعي في المدارس لاجتياز الامتحانات؟ بل ينبغي أن يتوكلوا على الدم فقط^١ وينجحوا نتيجة دون أن يجتهدوا، أما أولاد المسلمين فلينجحوا ببذل قصارى جهودهم. الواقع أنه: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾. نرى في هذا العالم أن الإنسان عندما يحاسب نفسه يطلع على الفسق والفجور، فيستطيع أن

^١ أي دم المسيح. (المدون)

يصقلها أخيراً بعد بلوغه درجة اليقين. ولكن إذا كان الاعتماد على دم المسيح فما الحاجة إلى المجاهدات؟ الحق أن التعليم الباطل يمنعهم من التقدم. إن صاحب التعليم الصادق يدعو ويسعى جاهداً حتى يصل في نهاية المطاف إلى غايته المتوخاة ساعياً ومجاهداً. عندما يدركون أن هذه الأمور ليست إلا قصصاً واهية ولا تترتب عليها آثار ولا نتائج، ومن ناحية ثانية تصحب التعليم الصادق بركاتٌ، سيفهمون الأمر على حقيقته. الإنسان يزرع بذرة فيضطر للكثير من الجهد في سبيل ذلك أيضاً، كذلك إذا كان موظفاً فلا بد له من الجهد. باختصار، كل واحد منهمك في العمل والجهد في مجاله، وثمره جهد كل شخص تعتمد على مساعيه. القرآن كله زاخر بهذا الموضوع فيقول مثلاً: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾. أما الذين يؤمنون في الغرب بكفارة المسيح فليسألهم أحد ماذا نالوا بسببها؟ أيّ تقدم أحرزه رجالهم ونساؤهم نتيجة هذا الإيمان؟ يجب أن يُنبهوا لهذه الأمور مراراً وتكراراً. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٢٤/١/١٩٠٣ م، ص ٧٤)

ينبغي أن تقرأوا القرآن الكريم كثيراً، واسألوا الله التوفيق لقراءته، لأن الإنسان لا يفوز بشيء دون بذل المساعي. فانظروا إلى الفلاح كيف يحرق الأرض ويتحمل أنواع المشاق وبعدّها يفوز بالثمار، إلا أن الأرض يجب أن تكون خصبة للحصول على الثمار، وكذلك إذا كان قلب الإنسان جيداً وتوفرت الوسائل الرائعة أيضاً وقدر على أن ينجز كل شيء، عندها تتحقق له الفائدة، كما قال ﷺ: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾. فيجب ربط القلب بالله ﷻ بارتباط وثيق، وإذا حصل ذلك فسوف يخشى القلب الله باستمرار، وحين يخشى القلب دوماً تفور رحمة الله لعبده تلقائياً، ومن ثم ينجيه من البلايا كلها. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م، ص ١٠٩)

إن تأثير الدعاء ثابت متحقق، فالحجّ عن الميت مقبول، كما ذكر ذلك عن الصيام أيضاً.

سأل شخص: ما معنى الآية: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، فقال عليه السلام: إذا كان المراد منه أن الدعاء بحق الأخ لا يُقبل، لكان يجب أن يكون في الفاتحة "اهديني" بدلا من ﴿اهدينا﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١١٥/٥/١٩٠٣م، ص ١١٥)

لا نفتخر أبدا بتلقي الرؤى والإلهامات، ونجلس عاطلين، ونتخلى عن المجاهدات، فالله تعالى لا يرضى بذلك بل يقول ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٤٠)، فثمة حاجة لينجز الإنسان في سبيل الله مجاهدة وعملا منقطع النظر، فإذا كلم الله أحدا من الصباح إلى المساء فليس ذلك مدعاة للفخر، لأن ذلك عطاؤه تعالى بل يجب أن نستعرض ما الذي أنجزناه من أجله. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ١٠)

كان هناك أناس مثلهم دائما أرادوا أن ينالوا بغير أي جهد أو مشقة أو سعي ومجاهدة الكمالات التي تُنال بالمجاهدات. لقد ورد في وقائع الصوفية أن بعض الناس قالوا لهم أن يدبروا لهم ليصبحوا أولياء بنفخة واحدة، فردوا عليهم أن النفخة أيضا بحاجة إلى الاقتراب لأنها أيضا لا تصيب من كان بعيدا. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ هذا قانون الله المقرر وإذا أراد أحد أن ينال شيئا بخلاف ذلك فهو ينقض قانون الله ويمتحنه تعالى لذا سيُحرم. لا يمكن في الأمور الدنيوية العادية أيضا أن ينال المرء شيئا بمجرد نفخة واحدة، أو يحظى بنجاح دون سعي ومجاهدة. فمثلا: انطلقت من المدينة ووصلت إلى المحطة، فلو لم تنطلق من المدينة أتى كان لك أن تصل إلى المحطة؟ ألم تحتج إلى تحريك قدميك؟ كذلك يضطر الإنسان إلى أن يعمل شيئا أولا في كل عمل من أعمال الدنيا، فعندما يسعى الإنسان جاهدا يبارك الله في سعيه. هكذا لا ينال الكمال في سبيل الله إلا الذين يجاهدون في سبيله، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠) إذن، لا بد من السعي، فإن المجاهدة هي السبيل الوحيد للنجاحات. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٣)

الدعاء لا ينفع إلا إذا رافقه سعي الإنسان. يريد بعض الناس أن يُجْعَلُوا أولياء بنفخة واحدة، ولا يدرون أن النفخة أيضا لا تصيب إلا من اقترب. من الخطأ تماما الظن أن يحدث شيء بغير سعي الإنسان. لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٤٠) ولكل حالة من حالات القلب هناك علامة للعمل الظاهري. عندما يغلب القلب حزنٌ تسيل الدموع تلقائيا. لذلك لم تترك الشريعة مدار الإثبات على شهادة واحدة ما لم يكن هناك شاهد آخر أيضا. فما لم يكن الظاهر والباطن سيئين لا يستوي شيء. (بدر، مجلد ٣، رقم ٤١-٤٢، عدد ١-٨/١١/١٩٠٤م، ص ١٠)

السعي والمجاهدة ضرورية للإنسان، وكذلك المصائب والشدائد. ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾. الذين يسعون يستفيدون من ثمرات سعيهم، كذلك الذين يجاهدون في سبيل الله ويضحون بنفوسهم، تظهر عليهم أمارات قرب الله وأنواره وبركاته وآثار القبول، ويُفتح لهم باب الجنة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد: ١٧/٨/١٩٠٥م، ص ٤)

من ناحية يبين في القرآن الكريم صفاته، الكرم والرحم واللفظ والرأفة ويبيد كونه رحمانا، ومن ناحية أخرى يحصر فيضه في السعي والمجاهدة بقوله: ﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ و﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، كما يشكّل دأب الصحابة رضي الله عنهم أسوة حسنة وقدوة رائعة لنا، فتأملوا في حياة الصحابة رضي الله عنهم فهل كانوا قد نالوا تلك المداير العظيمة بمجرد الصلوات العادية؟ كلا بل لم يبالوا بحياتهم لنيل رضوان الله، وضَحَّوْا بحياتهم كالقرايين، وبعدها نالوا هذه الدرجة، ولقد رأينا معظم الناس يريدون أن يُمنحوا تلك الدرجات والوصول إلى العرش بنفخة واحدة.

من ذا الذي يمكن أن يفوق النبي ﷺ درجة، فكان أفضل البشر وأفضل الرسل والأنبياء وإن لم ينجز هذه الأعمال بنفخة فمن غيره يمكن أن يتمكن من ذلك؟ فانظروا كم من المجاهدات الشاقة بذلها في غار حراء، الله أعلم لأي مدة طويلة بكى

وتضرع إلى الله، وكم بذل من الجهود الشاقة والمسااعي المضنية للتركية، وبعدها نزل الفيض من الله تعالى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ٤/ ١٩٠٨ م، ص ١)
 من المؤكد أن كل ما يحدث فإنما بفضل من الله فقط، إلا أن بذل السعي واجب على الإنسان. كما قد أمرنا به في القرآن الكريم صراحة: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٤٠)، أي سينال الإنسان فيوضا بقدر ما يبذل لها المسااعي.
 (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١/ ٥/ ١٩٠٨ م، ص ١)

الآية ٤٣: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾

أي أن سلسلة الأسباب والمسببات كلها تنتهي إلى الله ﷻ. وبيان ذلك أن جميع الموجودات مرتبطة بسلسلة السبب والمُسبب. ومن أجل ذلك ظهرت أنواع من العلوم في العالم، إذ لا يخرج عن هذا النظام أي من المخلوقات. فالبعض منها بمنزلة الأصول، والبعض الآخر منها كالفروع. ومن البديهي أن العلة إما تقوم بذاتها أو بوجود علة أخرى، وهذه تقوم بعلة ثالثة وهلم جرا. ولا يصح أبدا أن تكون سلسلة العلل والمعلولات في الكون المحدود بدون نهاية واحدة. وعليه فلا بد من التسليم بأنها - لا محالة - تنتهي بعلة هي العلة الأخيرة. فالمنتهى الذي تنتهي إليه هذه السلسلة من العلل هو الله تعالى. فتبصروا كيف أن الآية: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ تبين الدليل المذكور بأبلغ بيان في كلمات قصيرة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة القمر



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٤: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾

ففي الليلة الأولى من طلوعه لا يسمّى القمر قمرا في لغة العرب بل يسمّى هلالا إلى ثلاث ليال، بل إلى سبع ليال عند البعض. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٠٣)

إن معجزة انشقاق القمر ليست في نظر أهل الإسلام أمرا يتوقف عليه إثبات صدق الإسلام، وهو لا يعدّ البرهان الأعظم على صدق كلام الله، بل هي آية

طبيعية من آلاف الشواهد الداخلية والخارجية ومئات المعجزات والآيات، وتتمتع بإثبات كاف من التاريخ نذكره في الصفحات التالية عن قريب. فلو افترضنا متجاهلين جميع الإثباتات الجلية أن هذه المعجزة ليست ثابتة، وفسرنا الآية كما يفهمها النصارى المعاصرون والطبيعيون أو منكرو الخوارق الآخرون، ففي هذه الحالة إذا حصل أي حرج فلعله يساوي خسارة ملّيم واحد من عقار يقدر ثمنه بمائتي مليون من الدراهم. فالجلي من هذا البحث أنه لو لم يستطع أهل الإسلام إثبات هذه المعجزة تاريخياً - على سبيل المحال - فإن عدم قدرتهم على هذا الإثبات لا يضر الإسلام أبداً ضرر. بل الحق أن الكلام الإلهي قد أغنى المسلمين عن سائر المعجزات كلياً، فهو ليس إعجازاً فحسب، بل يُظهر المعجزات أيضاً ببركاته وتنويراته. الحق أن القرآن الكريم يتمتع في ذاته بصفات كمالية تغنيه عن معجزات خارجية، فالمعجزات الخارجية لا تشكّل أي إضافة إليه، كما لا يترتب أي نقص على عدمها. إن كيانه الخلاب الجذاب لا يتحلى بحلي المعجزات الخارجية فحسب، بل هو نفسه جامع آلاف المعجزات العجيبة والغريبة التي يراها الناس في كل عصر لا أن يذكر رؤيتها في الماضي فقط؛ فهو محبوبٌ مليح الحسن، ويتحلى كل شيء بوجوده ويتزين به، أما هو فلا يحتاج إلى شيء يتزين به.

ہمہ خوبان عالم را بزورہا بیاریند تو سیمیں تن چناں خوبی کہ زیورہا بیارائی

أي: إن جميع ذوي الحسن في العالم يتزيّنون بالحلي، أما أنت فضي الجسم فتتزيّن بك الحلي

وبالإضافة إلى ذلك فليكن مفهوماً أن الذين يعترضون على معجزة انشقاق القمر فإنما يملكون حجة وحيدة، وهي أيضاً ناقصة وداحضة، أن انشقاق القمر ينافي قوانين الطبيعة. لذا أرى من المناسب أن نبحث شيئاً في قانون الطبيعة الذي يذكرونه، ثم نذكر من التاريخ الإثبات الذي يبرهن على صحة هذا الحادث. فليكن معلوماً أن المؤمنين بالطبيعة، أي الذين يُدعون أتباع قانون الطبيعة، يركزون على أنه من البدهي

أن كل ما يستطيع الإنسان معرفته بقواه العقلية هو ليس سوى الطبيعة وقانون الطبيعة. أي بإلقاء نظرة على أن المصنوعات والموجودات المشهودة الموجودة، يتراءى لنا من كل جانب حصراً أن كل شيء مادي أو غير مادي سواء كان فينا أو في ما حولنا أو فوقنا أو تحتنا، مرتبط دوماً بنظام مترابط غريب في ذاته ووجوده وقيامه وفي الآثار التي تترتب عليه، ولا ينفصل عنه أبداً. فحيثما قرر الله صنع شيء ما، حصل على المآل نفسه دون خطأ، وسيحدث بحسب ذلك، فإنما الصدق والمبادئ الحق ما يوافقه. فأقول لا شك أن كل ذلك حق، لكن هل ثبت من ذلك أن طرق القدرة الإلهية وقوانينها تنحصر في حدٍ اطلعنا عليه من خلال التجربة والمشاهدة ليس أكثر؟ فما دام الإيمان بالقدرات الإلهية غير المحدودة مسألة مهمة لدرجة أن يتوقف عليه نظام الألوهية والكون بأسره، وبه يفتح باب التقدم العلمي على الدوام، فكم من الخطأ تقديم الحجة السخيفة القائلة بأن الأمر الذي هو خارج نطاق فهمنا ومشاهدتنا خارج عن نطاق قانون الطبيعة أيضاً. بل ما دمنا قد أقررنا بألستنا بأن قوانين الطبيعة غير محدودة ولا نهاية لها، فيجب أن يكون مبدأنا أن لا نردّ سلفاً كل جديد نكتشفه بعد أن نلاحظه يفوق عقولنا. بل يجب أن نفحص جيداً وباهتمام هل هو ثابت أم لا. فإذا ثبت فلنسجله في قائمة سنن الكون التي نعرفها، أما إذا لم يثبت فعلينا أن نكتفي بالقول إنه غير ثابت، ولن يكون مسموحاً لنا بأن نقول إنه خارج نطاق قانون الطبيعة. كلا بل يجب لاعتبارنا شيئاً خارج قانون الطبيعة أن نكون محيطين بجميع قوانين الله الأزلية والأبدية كدائرة، ويحيط فكرنا تماماً بكل ما أظهره الله ﷻ منذ الأزل من القدرات المختلفة وما سيظهره منها في المستقبل للأبد. فهل سيكون قادراً على إظهار قدرات جديدة متجددة على الدوام أم سيبقى مقيداً - كنور المعصرة - ومحصوراً في القدرات التي شاهدناها سلفاً، والتي أحطنا بها جيداً. وإن قلتم إنه سيبقى مقيداً ومحصوراً، فلأي سبب يكون ذلك مع كون ألوهيته وقدرته وطاقته غير محدودة؟ هل بنفسه سيعجز عن إظهار قدراته الواسعة أم سيُجبر عليه أي قاصر آخر؟ أم هل بضعة

أنواع من القدرة هذه فقط تعزز قدرات ألوهيته؟ وبصبيه الزوال نتيجة إظهار قدرات أخرى؟ باختصار؛ إذا كنا نؤمن بأن قدرات الله غير محدودة فمن الغباء والسفه أن نتوقع الإحاطة بجميع قدراته. وذلك لأنها إذا انحصرت في وعاء مشاهدتنا فكيف تعدّ غير محدودة وغير متناهية؟ وفي هذه الحالة يظهر عيبٌ وهو أن تجربتنا الفانية والناقصة تُعدّ حاصرةً لجميع قدرات الله الأزلية والأبدية كلّها، بل تطرأ مشكلة أخرى وهي أن اعتبار قدراته محدودةً سيقودنا إلى الاعتقاد بأنه نفسه ﷺ أيضًا محدود. وسنُضطر للقول بأننا اكتشفنا حقيقة الله كلّها وكنهه وتوصلنا إلى أعماقها وسبرنا أغوارها، وإن الكفر والإساءة والإلحاد الذي يوجد في هذه الكلمة لغني عن البيان. فاعتبار التجارب المحدودة جدا في الزمن المحدود قانون الطبيعة بأسره وإنهاء سلسلة غير متناهية للطبيعة عندها وقطع الأمل في انكشاف أسرار جديدة في المستقبل نتيجة تلك الأنظار القاصرة التي لم تعرف الله ذا الجلال كما تحب معرفته والذين ثبت أن طبعهم منقبض جدا، حتى إنهم يزعمون كضفدع البركة أنهم استولوا على محيط لا ساحل له. فجميع أفرح العارفين وراحات المحزونين تكمن في الإيمان بأن قدرات الله ﷻ غير مدركة، لا أقول أن آمنوا بأي أمر حديث دون أي بحث أو بغير إثبات عقلي أو اختباري أو تاريخي، لأن ذلك سيؤدي إلى جمع كثير من الغث والسمين. وإنما أقول: عظموا الله ﷻ ولا تعترضوا عنادا وعبثا على أفعال الله - ذي الجلال - الجديدة (التي تتراءى جديدة في أنظاركم المحدودة)، لأن الإنسان كما بينت سابقا لم يتمكن بعد من تحديد قدرات الله العجيبة والحكم الدقيقة وأسراره المعقدة، ولا يبدو من جدارته وقدرته مستقبلا أن يقيس أسرار مالك الملك المختومة، على شاكلة مساحة الأرض الصغيرة جدا، أو يدّعي بأنه قد أحاط بجميع خواص شيء معين. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ٦٠-٦٨)

إن الاعتراض أنه كيف انشق القمر وخرج الشقان من الكتّين، هو عديم الأصل وباطل تماما. فلا نؤمن أبدا أن القمر انشق وخرج الشقان من كتّي النبي ﷺ، وهو

غير مذكور في القرآن الكريم ولا في أي حديث صحيح. وإذا كان أحد يدّعي أنه وارد في القرآن الكريم أو الحديث فليذكره. فمثل هذا الاعتراض كمثل من اعترض على السادة الآريين أنه قد ورد في كتبهم أن نهر الغانج ينبع من ضفائر "مها ديوجي". فالاعتراض الذي لا أصل له في القرآن الكريم أو الحديث إذا كان يثبت منه شيء فإنما أن المدرس المحترم ليس لديه أي إلمام بأصول الإسلام وكتبه الموثوق بها. فإذا كان اعترض المدرس مبنيًا على أصل صحيح فعليه أن يستخرج لنا من القرآن الكريم في هذا المجلس نفسه الآية التي ورد فيها هذا التفصيل. وإن لم يجد آية من القرآن الكريم فليقدم أي حديث صحيح قد ورد فيه هذا المضمون، وإن لم يستطع فليخجل وليستحي. لأن الحوار يليق بمن يكون مطلعًا على دين الفريق الخصم. أما السؤال بأن انشقاق القمر يخالف العقل في رأي المدرس المحترم ومجدوئه يختل نظام العالم ففكرة المدرس هذه ناشئة عن قلة التدبر فقط، لأن العمل الذي يقوم به الله ﷻ لإظهار القدرة فقط فإنما يتحقق ذلك العمل بسبب القدرة الكاملة لا بالقدرة الناقصة. أي أن القادر القدير الذي من صلاحيته وقدرته أن يشق القمر فهو قادر على تحقيق ذلك بحكمة بحيث لا يحدث أي خلل في نظامه. ولذلك يسمى "سرب شكّي مان" أي القادر المقتدر. ولو لم يكن قادرا ومقتدرا لما قدر على إنجاز عمل من أعمال الدنيا. صحيح أن شناعة العقل هذه توجد بكثرة في معظم معتقدات الآريين التي بها تثبت معتقداتهم مخالفة للعقل تماما من ناحية، ومن ناحية ثانية معارضة لقدرة الله وعظمته ﷻ؛ مثل كون الأرواح وأجزاء العالم الصغيرة وذراته غير مخلوقة وقديمة ومن تلقاء نفسها، هي من عقائد آريا سماج. وهذا المبدأ يخالف العقل صراحة، لأنه لو كان صحيحا لكان كل شيء واجب الوجود كالبرميشور، ولما بقي أي دليل على وجود الله، بل لأصبح نظام الدين كله أبتى ومختلا. لأنه إذا كنا كلنا غير مخلوقين وأزليين فأبي حق الله ﷻ علينا ولماذا يطالبنا بالعبادة والعبودية والشكر؟ ولماذا

يعاقبنا على ارتكاب الذنب؟ لأنه إذا كانت بصارتنا الروحانية وجميع قوانا الروحانية قديمةً ومن تلقاء نفسها، فكيف احتجنا إلى البرميشور لخلق القوى الفانية؟ فلو كان أحد يبحث عن أمور غير عقلانية فليس هناك ما يعارض العقل أكثر من الإيمان بالله ربنا لما ثم فصله عن أعمال إلهية. أما الفعل الإلهي الذي له علاقة بالقدرة وحدها فلا يستطيع أن يعترض عليه إلا من أحاط بجميع قدرات الله أولاً. وليكن واضحاً هنا أيضاً أن انشقاق القمر حادثٌ تاريخي قد ورد ذكره في القرآن الكريم، والواضح أن القرآن الكريم كتاب كانت كل آية عند نزولها تُقرأ على مسامع آلاف من المسلمين والمنكرين. وكانت تُبلّغ، وكان له مئات الحقاظ، وكان المسلمون يقرأون القرآن في الصلاة وخارجها أيضاً. فلما ورد في القرآن الكريم صراحة أن القمر قد انشق، وأن الكفار حين رأوا هذه الآية قالوا إنه سحر، كما يقول الله ﷻ: ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، فكان لزاماً على المنكرين في ذلك الزمن أن يتوجهوا إلى بيت النبي ﷺ ويقولوا له: متى وفي أي وقت شققت القمر، ومتى رأينا ذلك؟ لكن لما سكت جميع المخالفين ولم ينبسوا ببنت شفة بعد نشر هذه الآيات وكونها معروفة، فهذا يبرهن على أنهم كانوا قد رأوا القمر قد انشق حتماً. ولذلك لم يجدوا مجالاً للاعتراض. باختصار؛ من الواضح جداً والمفيد للباحث صادق الطبع أنه لم يكن في وسع النبي ﷺ أن يسجل في القرآن الكريم أي معجزة كاذبة بذكر شهادة معارضيه. لأنه لو كتب زيفاً لما تركه معارضوه المعاصرون المقيمون في المدينة نفسها. وبالإضافة إلى ذلك ينبغي التأمل في أن المسلمين الذين قُريت عليهم هذه الآية كانوا هم أيضاً بالألوف. ومعلوم أن كل إنسان يتلقى من قلبه شهادة محكمة أنه لو صدر من أي شيخ أو مرشد أو رسول أمرٌ كذبٌ وافتراءٌ محض لتلاشى اعتقاده له كله فوراً. وسيصبح مثل هذا الرجل مكروهاً في نظر كل واحد. ففي هذه الحالة من الواضح جداً أنه إذا لم تكن هذه المعجزة قد

ظهرت وكانت افتراءً محضاً، لتحتّم أن يرتد فوراً ألوف مؤلفة من المسلمين الذين آمنوا بالنبي ﷺ كلهم. لكن من الجلي البين أن شيئاً من هذه الأمور لم يظهر. ومن ثم ثبت بالتأكيد أن معجزة انشقاق القمر ظهرت حتماً. فليفكر كل منصف في نفسه؛ ألا يكفي إثباتات تاريخياً أن معجزة انشقاق القمر سُجلت في القرآن الكريم بشهادة المعارضين ونُشرت في الزمن نفسه. ولزم جميع المعارضين الصمت عند سماع هذا المضمون. فلم يدحضه أحد شفها أو خطياً، وآلاف المسلمين من ذلك الزمن شهدوا شهادة عيان. وأريد أن أقول مكرراً: إن الاعتراض على قدرة الله هو كفر بالله ﷻ من وجه. لأنه إذا لم نؤمن بالقدرة المطلقة لله ﷻ، واعتقدنا بحسب مبادئ تناسخ الآريين أنه ما لم يمت زيد لاستحال أن يولد بكر، ففي هذه الحالة تبطل الألوهية كلها. بل الاعتقاد الصحيح والحق أن نؤمن بأن الله "سرب شكتي مان" أي القادر القدير. ولا نجعل عقلنا الناقص وتجربتنا الناقصة مقياساً لاختبار أسرار قدرة الله غير المنتهية. وإلا سوف ترد اعتراضات كثيرة على دعوى العلم الكامل ولن نجد بدءاً من مواجهة أنواع الخجل والندم التي لا حد لها. فمن دأب الإنسان أنه حين يرى أي شيء أرفع من عقله يظنه مخالفاً للعقل. مع أن كون شيء فوق العقل أمرٌ وكونه مخالفاً للعقل أمر آخر تماماً. فأنا أسأل المدرس المحترم: لو وظّف الله نصف الكتلة القمرية التي تلاحظ وتُحسّ فهل كان الله سيعدّ قادراً أم لا؟ وإن قلتم لا فما هو الدليل العقلي على ذلك الذي يقبله العقل وفي أي كتب جاء ذلك الدليل؟ فما دام معروفاً ومسلماً به في معجزة انشقاق القمر أن جزءاً من القمر ظل على حالته المعهودة وانشق عنه الآخر، وذلك أيضاً لدقيقة أو نصفها، أو أقل من ذلك، فأبي استبعاد عقلي في ذلك؟ وحتى لو كان هناك استبعاد عقلي على سبيل الافتراض لقلنا: متى كان في وسع العقل الإنساني الناقص أن يتوصل إلى كنه كل عمل رباني. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٠٩-١١٢)

التصرفات الخارجية: فهي الخوارق الخارجية التي لا علاقة ذاتية لها بالقرآن الكريم. ومنها معجزة انشقاق القمر. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٦٠، الحاشية)

معجزات التصرفات الخارجية قد وردت في القرآن الكريم على عدة أنواع. منها أن الله ﷻ قد أظهر تصرف قدرته في السماء فجعل القمر بدعاء النبي ﷺ شقين. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٦٣-٦٤، الحاشية)

إذا كان عقل المرء غير مصاب بالخلل فهو يفهم بسهولة أن ظهور ميزة جديدة لشيء لا يستلزم إبطال ميزاته السابقة. فبناء على هذه القاعدة إن العقلاء الذين يهابون دوما قدرات الله العظيمة الشأن يعرفون جيداً أن الحكيم القدير الذي لا نهاية لحكمه، من المحتمل أن يكون قد أودع الشمس والقمر ميزة لا يحدث بموجبها الخلل في عملهما حتى بعد الانشقاق. وإلى ذلك يشير قول الله ﷻ: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. إن هذه الآية تعني أن الله الحكيم كان قد أودع القمر منذ الأزل ميزة خفية هي أنه سينشق في ساعة محددة. كما من الواضح الجلي أن ظهور خواص النجوم والشمس والقمر مرتبط بساعات معينة، وأن للساعات دخلاً كبيراً في حدوث العجائب السماوية والأرضية. وإن ظهور قوانين الطبيعة مرتبط في الحقيقة بهذه الساعات. فما أروع الإشارة الحكيمة والفلسفية الذي سجلها الله ﷻ في الآية الكريمة المذكورة آنفاً؛ أي أن الساعة المحددة المقدرة لانشقاق القمر قد اقتربت، فانشق القمر. كما يقول ﷻ في آية تالية: ﴿وكذبوا واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أي قد حمل الكفار انشقاق القمر محمل السحر وكذبوا، لكنه ليس من السحر في شيء بل هو من الأمور الإلهية، أي القوانين الطبيعية التي تستقر في ساعاتها المحددة. وكيف يتعجب العاقل من آية القدرة هذه؟ فهل هذا الأمر هو الوحيد في نظام العالم الذي يفوق عقول الحكماء والفلاسفة؟ وهل قد أحاطوا بسائر أسرار القدرة فهما وإدراكا؟ فهل هذه هي العقدة الوحيدة التي لم تنحل بعد وقد

فرغوا من حلِّ بقية العقد كلها؟ فهل هذا العمل هو الوحيد من عجائب أفعال الله دون غيره؟ كلا بل لو تدبرتم لوجدتم آلاف العجائب من أفعال الله في العالم. فالزلازل القوية العنيفة تضرب الأرض دوماً وأحياناً تنشق الأرض وتنقلب لعدة أميال ومع ذلك لا يحدث أي خلل في نظام العالم. مع أنه كما للقمر دخلٌ في هذا النظام، فللأرض مثله. باختصار؛ إن هذه الشبهات الناجمة عن الإلحاد تنشأ في قلوب الذين يزعمون أن الله تعالى ضعيف وعاجز ومحدود القوة مثلهم. فإذا كانت مثل هذه الاعتراضات ترد على الله تعالى، فلا يمكن أن يقتنع العقل ويطمئن بحال من الأحوال كيف وبأي أجهزة صُنعت كبار الأجرام العلوية والسفلية؟ (الكحل لعيون الآرية، الخزانة الروحانية، المجلد ٢، ص ١١٨-١٢١)

حين كان الادعاء بانشقاق القمر شقين قد صدر بكل قوة حتى قد أقيمت الحجة على المخالفين في القرآن الكريم بالذات أنهم رأوا القمر قد انشق وقالوا إعراضاً عنه إنه سحرٌ قوي. ثم هذه الدعوى لم تشتهر في العرب فقط بل في الزمن نفسه كانت قد اشتهرت في بلاد الروم والشام ومصر وفارس وغيرها من البلاد النائية. ففي هذه الحالة لم يكن مدعاة للعجب أن تنبهر شتى الأمم- التي كانت تعارض الإسلام- وتلزم الصمت ولا تنبس بأي كلمة، وتمتنع بدافع العناد والبغض والحسد من الإدلاء بالشهادة على حدوث انشقاق القمر. فمتى كان يروق للمنكر والمعارض في حالة الكفر والمعارضة أن يؤلف الكتب تأييداً للدين المعارض أو يشهد على معجزاته؟ فقد حدث حالياً أن الآريين لاله شربمت وملاوا مل من سكان قاديان وبعض إخوتك الآريين الآخرين قد شهدوا أنهم رأوا بأعينهم تحقق قرابة ٧٠ نبوءة لهذا العبد المتواضع بما فيها التنبؤ بوفاة البانديت ديانند أيضاً. وإلى الآن يجوزتنا إقرارات البعض الخطية، إلا أنهم أخرجوا ألسنتهم الآن خوفاً نتيجة لوم قومهم وطعنهم، بالإضافة إلى التهديد بأن شهادتهم ستؤيد الإسلام وتحقق ما ليس فيه خيرٌ الفيدا أيضاً، فامتنعوا عن إدلاء الشهادة بحق الصدق حبا للباطل. فإذا

امتنع أحد عن إدلاء الشهادة حال كونه معارضا، فليس مدعاة للاستغراب. بل مما يثير التعجب أن لا يكتُب شيئا بعد أن ثبت بطلان دعوى الخصم وكذبه، ولا يقيم عليه الحجة ولا يفضحه. فأنا أتساءل: لَمَّا كان النبي ﷺ قد نشر علنا في العامة أن معجزة انشقاق القمر ظهرت على يديه، وقد رآها الكفار بأم أعينهم وعدّوها سحرا، فإن لم يكن حضرته ﷺ صادقا في دعواه هذه، فلماذا لزم الصمت معارضو النبي ﷺ المعاصرون الذين كانت قد بلغتهم هذه الأخبار كصوت الناقوس؟ ولماذا لم يدينوا النبي ﷺ بقولهم: متى شققت القمر شقين ومتى وصفنا ذلك سحرا، ومتى أعرضنا عن قبوله؟ لماذا لزموا الصمت إلى الموت ولجموا ألسنتهم حتى خلوا من هذا العالم؟ ألم يكن صمتهم المنافي تماما لوضعهم المعارض وحماسهم للمواجهة، يؤكد على أنه كان هناك مانع قوي عن الكلام. لكن أي مانع كان هناك سوى ظهور الصدق؟ فقد ظهرت هذه المعجزة في مكة، وكان المسلمون ما زالوا ضعافا وفقراء وعديمي الحيلة. ثم مما يزيد الاستغراب أن أبناءهم وأحفادهم أيضا لم يفتحوا أفواههم للإنكار. مع أنهم لو كانوا قد وجدوا هذه الدعوى العظيمة - التي كانت قد انتشرت على بعد مئات الأميال - افتراءً محضاً، لوجب وتحتم عليهم أن يؤلفوا كتباً لدحضها وينشروها في العالم. فلم لم يتجرأ أحد من مئات الألوف من النصارى والعرب واليهود والمجوس وغيرهم على الرد؟ ومعلوم أن المسلمين ظلوا يقدمون شهادة عيان أمام ألوف من الناس علنا، وشهاداتهم ما زالت مسجلة في الكتب التي أُلفت في ذلك العصر، فهذا يشكل دليلا صريحا على أن المعارضين رأوا انشقاق القمر بأم أعينهم حتمًا ولم يبق لديهم أي مجال للرد، وهو الذي منعهم من إثارة الشغب في الإنكار. ولَمَّا كانت معجزة انشقاق القمر قد اشتهرت في ملايين الناس في الزمن نفسه، فهم لم يتصدّوا لمواجهتها خجلا. فمن هنا يتبين بجلاء أن صمت معارضي الإسلام في ذلك العصر يشكّل برهانا على حدوث انشقاق القمر لا على بطلانه. ذلك لأن معارضي الإسلام لا

يقدرّون تبرير امتناعهم عن كتابة الرد على الدعوى التي كان يجب عليهم أن يفندوها حتمًا. لم يكن النبي ﷺ ناسكا عاديا أو منطويا في زاوية حتى يقال أن ناسكا مسالما لم يهاجم الأديان الأخرى جدير بغض النظر عنه. كلا بل كان النبي الكريم ﷺ يبين علنًا أن معارضيّه سيدخلون جهنم. ففي هذه الحالة كانت هناك دواعي الثورة المعادية مطلقة. بالإضافة إلى ذلك لا يبدو من الضروري أن يطّلع سكان كل بلد على حادث انشقاق القمر الذي لم يحدث لأكثر من ثوانٍ. لأن التفاوت الطبيعي في الأيام والليالي في مختلف البلدان وكون الجو غير صاف ومغيّرًا وغائمًا في موضع وكذلك الأمور الأخرى تتسبب في عدم الرؤية. كما أنه ليس من طبع الإنسان وعادته أن يشد أنظاره دوماً إلى السماء ولا سيما ليلاً، وهو وقت للنوم والراحة، وفي بعض الفصول وقت الجلوس داخل الغرف. فهذا الالتزام مستبعد جدًّا.

وإضافة إلى هذه الأمور نكتب أن كتب الهندوس الموثوق بها أيضًا تتضمن الشهادة على حدوث انشقاق القمر. فقد كتب بياس المحترم في باب الدين في "مها بھارت" أن القمر كان قد انشقَّ في زمنه ثم اتصل. وقد وصف انشقاق القمر هذا على حدِّ زعمه الضعيف بأنه معجزة "بسوامتر". لكنه يُستتج من شهادة البانديت ديانند وأقوال الباحثين الأوروبيين، أن كتب القصص مثل "مها بھارتھ" ليست قديمة جدًّا بل قد مضت على صدور بعض كتب القصص ثمانية أو تسعة قرون فقط. الآن من الأقرب إلى القياس أن يكون كتاب "مها بھارتھ" أو حادثه قد كُتبت بعد مشاهدة حادث انشقاق القمر الذي وُصف بأنه معجزةٌ للنبي ﷺ. أما اسم "بسوامتر" فقد سُجل لكيل المدح دون حقِّ اتباعاً للتقليد السائد عند الهندوس بحق أسلافهم. ويبدو أن شهرة هذا الحادث كانت سائدة في الهندوس في زمن مؤلف كتاب "تاريخ فرشته" لأنه قد كتب في الباب الحادي عشر قول الهندوس المشهور أن الراجا كان جالسا على سطح قصره في مدينة "دهار" المتصلة بنهر "بھنبل" والواقع في ولاية "مالوه"، ولعلها تسمى في هذه الأيام بـ "دهارا نغري"، إذ رأى فجأة أن القمر قد انشق، وبعد

البحث والتحري انكشف على ذلك الراجا أنها معجزة النبي العربي ﷺ فأسلم. فسكان تلك المنطقة يذكرون أن هذه المعجزة حصرا كانت سبب إسلامه. وكانت هذه المعجزة حادثا مشهورا في هندوس المناطق المجاورة. وبناء على ذلك سجّله المؤلف الباحث في كتابه. باختصار؛ إذا كان الخبر قد بلغ الراجات في الهند وسُجل في كتاب السادة الآريين "مها بهارتة" ويرى البانديت ديانند زمن هذه النصوص معاصراً لزمن النبي ﷺ، وتبينت حقيقة قانون الطبيعة أيضاً. وإذا كان لاله مرليدهر المحترم ما زال يشك في انشقاق القمر فسنظل نبدي أسفاً كبيراً على فهمه. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٢١-١٢٧)

في درجة اللقاء هذه تصدر عن الإنسان أحيانا أعمالاً تبدو وكأنها تفوق قدرات البشر وتتسم بصبغة قدرة الله... كذلك إن معجزةً أخرى للنبي ﷺ وهي شق القمر، قد ظهرت بقدرة الله نفسها إذ لم يرافقها دعاء، لأنها أيضاً حدثت بإشارة إصبع كانت تتمتع بقدرة الله. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥، ٦٥-٦٦)

والحكمة نفسها كانت تكمن في انشقاق القمر الذي ظهر في زمن النبي ﷺ أيضاً للدلالة على أن الذين أوتوا نورَ علوم الكتب السابقة لم يثبتوا على ذلك النور وتمزقت أمانتهم وتدينهم، وقد كشفت السماء بانشقاق القمر في ذلك العصر أيضاً أن ورثة النور على الأرض أحبوا الظلام. ومن المؤسف هنا أن الخسوف والكسوف الذي ظهر في السماء في رمضان قبل مدة قد زال، واستعادت الشمس والقمر نورهما وأشرقا كلاهما، غير أن علماءنا وزهادنا الذين يسمّون شمس العلماء وبدر العرفاء ما زالوا إلى هذا اليوم مصابين بالكسوف والخسوف. (عاقبة آتهم، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ٢٩٥)

لقد ظهرت كل هذه العلامات لقرب القيامة وحدث في العالم انقلاب عظيم، ثم لما كان زمن رسول الله ﷺ نفسه زمن قرب القيامة كما يفهم من آية: ﴿اَفْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، فمن ذا الذي يشك في كون هذا الزمن- الذي جاء بعده

بثلاثة عشر قرناً إضافياً- الزمن الأخير. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٤٣)

أما القول بأنه لا يعلم أحد ساعة القيامة فليس المراد من ذلك أنه لا يعلم عنها أحد شيئاً على الإطلاق. فلو كان الأمر كذلك، لما كانت علامات قرب القيامة المذكورة في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة جديرةً بالقبول؛ لأنها أيضاً تفيد العلم بقرب القيامة.

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم أنه ستفجر الأنهار، وتُنشر الكتب والجرائد بكثرة في الزمن الأخير، وتُعطل الإبل، ونجد أن كل هذه العلامات قد تحققت في زمننا هذا؛ إذ حل القطار محل العشار وبواسطته تتم التجارة، ففهمنا أن القيامة قد قربت. وقد مضى حينٌ من الدهر وقد أخبرنا الله تعالى بقرب القيامة في الآية: ﴿اٰفْتَرَبْتَ السَّاعَةَ﴾ وغيرها من الآيات. فالشريعة لا تعني أن القيامة مخفية عنا من كل الوجوه، بل الحق أن جميع الأنبياء ظلوا يذكرون علامات الزمن الأخير، وقد ذكرت في الإنجيل أيضاً. فالمراد من ذلك أنه لا يعلم أحد تلك الساعة بالتحديد، والله قادر على أن يزيد بضعة قرون أخرى بعد مرور ألف سنة؛ لأن الكسر لا يُعَدُّ في مثل هذا الحساب كما تزداد بضعة أيام على الحمل قبل الإنجاب. من المعلوم أن معظم الأولاد يولدون في مدة تسعة أشهر وعشرة أيام، ومع ذلك يقال إنه لا يعلم أحد ساعة المخاض. كذلك مع أنه لم يبق من الآن إلى نهاية الدنيا إلا ألف عام؛ غير أن ساعة قيام القيامة ليست معروفة على وجه التحديد. إن رفض الأدلة والبراهين التي بينها الله تعالى لإثبات الإمامة والنبوة ليس إلا إضاعة للإيمان.

من الواضح أن علامات قرب القيامة قد اجتمعت كلها، وصار الانقلاب العظيم في الدنيا ملحوظاً. كذلك فقد ظهرت معظم علامات قرب القيامة التي بينها الله تعالى في القرآن الكريم. كما يتبين من القرآن الكريم سوف تُفجر الأنهار بكثرة عند اقتراب القيامة، وتُنشر الصحف بكثرة، وتُنسف الجبال، وتُحَقَّقُ الأنهار، وتُعَدُّ

الأرض بكثرة للزراعة، وتُفتَح الطرق لاجتماع الناس، وتقوم ضجة دينية كبيرة بين الأقوام، وينقضّ قومٌ على دين قومٍ آخرين كتلاطم الأمواج ليقضي عليهم نهائياً. ففي تلك الأيام يعمل صُور سماوي عمله، وتُجمع الأمم كلها على دين واحد إلا الطبائع الرديئة التي لا تستحق الدعوة السماوية. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٠-٢١١)

إن شق القمر... معجزة ذُكرت أمام آلاف الكفار العرب، فلو كان هذا الأمر خلافاً للواقع لكان من حقهم أن يعترضوا ويقولوا بأن هذه المعجزة لم تظهر، وخاصة حين قيل في آية تذكر شق القمر بأن الكفار رأوا هذه المعجزة وقالوا إنه سحر مستمر بلغ عنان السماء كما يقول الله تعالى: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾. من الواضح أنه لو لم ينشق القمر لكان من حقهم أن يقولوا بأننا ما رأينا آية، وما سَمِيناها سحراً. فمن هنا يتبين أن أمراً ما كان قد ظهر حتماً وسُمي "شق القمر". وقال البعض بأنه كان خسوفاً من نوع عجيب أنبأ به القرآن الكريم قبل الأوان، وإن هذه الآيات جاءت كنبوءة. ففي هذه الحالة ستؤخذ كلمة "الشق" كاستعارة بحتة، لأن الجزء المستور في الخسوف والكسوف ينشق وينفصل، وهذه استعارة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٢)

إن معجزة شق القمر هي من قبيل المعجزات المادية. يطعن بعض الجهال في معجزة شق القمر متذرعين بالنواميس الطبيعية، ولكنهم لا يدرون أن قدرات الله ونواميسه أسمى من الإحاطة والتقدير. آه، إنهم يقولون بأفواههم الله الله من ناحية، ومن ناحية أخرى ينسونه تماماً، دع عنك أن تحرّ قلوبهم وأرواحهم ساجدة برؤية قدرات الله العظيمة والتي هي وراء الورا. لو كانت قدرات الله محصورة فيما تصل إليه أفكارنا وتقديرنا، فأني حاجة للدعاء؟ كلا. وها إني أخبركم أنه ليس بوسع أحدٍ الإحاطة بقدرات الله وإراداته، ومن ادعى ذلك فهو ينكر الله تعالى. ويل للجاهل

يؤمن بأن الله تعالى يملك قدرات غير محدودة، ثم يقول أن معجزة شق القمر منافية للنواميس الطبيعية. اعلّموا أن هذا الشخص لا يملك فكراً سليماً ولا قلباً بصيراً. اعلّموا جيداً أنه لا ينبغي لكم الاعتماد على نواميس الطبيعة أبداً، أعني لا تحدّوها بحدود، ظانين أن أسرار ألوهية الله تنتهي هنا، إذ لو كان الأمر مقتصرًا على ذلك فهذا يعني أنكم قد أحطتم بألوهيته تعالى إحاطة كاملة. كلا، فإياكم وهذه الجسارة والجرأة التي تُسقط المرء من مقام العبودية، ويكون مآلها الهلاك. ما كان لمؤمن أن يرتكب حماقة الزعم بحصر قدرات الله وتحديدّها. وما أصدق الإمام فخر الدين الرازي في قوله بأن الذي أراد أن يقيس قدرات الله تعالى بمقياس العقل فهو أحمق. انظروا إن الله تعالى قد خلق الإنسان من النطفة. إن التفوه بهذه الكلمة سهل ويبدو الأمر عادياً جداً، لكن الواقع أن خلق الله الإنسان من قطرة ماء وتزويده بهذه القوى إنما هو سرٌّ من الأسرار. فهل بوسع العقل أن يدرك كيفية هذا السرِّ وكُنْهه؟ لقد بذل الطبيعيون والفلاسفة كل ما في وسعهم، ولكنهم لم يستطيعوا معرفة هذا السر. كذلك فكل ذرة في الكون تابعة لله تعالى، والله قادر على إظهار أمر خارق دون أن يختلّ نظام الكون الظاهري. إن العارفين يدركون هذه الأمور جيداً ويستمتعون بها، ولكن بعض الناس يعترضون على أمور بسيطة ويرتابون. فمثلاً لم تحرق النار إبراهيم عليه السلام، وهذا الحادث مشابه لواقعة شق القمر. إن الله تعالى يعلم جيداً متى تحرق النار وبأية أسباب تخمد. لو اختُرعت مادة واقية من حرق النار، أو علموا بها هؤلاء القوم، لصدّقوا فوراً بعدم إحراق النار، ولكن مثل هذا التصديق لا ييسر للمرء ميزة الإيمان بالغيب ومتعة حسن الظن؟ لم نقل قط أن الله تعالى لا يخلق الأسباب لفعل شيء، ولكن هناك أسباب تظهر للعيان وأسباب أخرى تظل خفية.

باختصار، إن أفعال الله كثيرة وخارجة عن حد الإحصاء، وإن قدرته لا تعجز عن شيء أبداً، ولا يمسه من لغوب وتعب، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٨٠)، وهو القائل: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ (ق: ١٦). فليس بوسع البشر،

مهما بلغوا من العقل والعلم، أن يحصروا قدرة الله وأفعاله، ولا مناص لهم من الاعتراف بعجزهم تجاهها.

تذكرت في هذه المناسبة واقعة يعلمها إخواننا الأطباء هنا جيدا، وهي أنه جاءني شخص اسمه عبد الكريم، وكان في بطنه ورم يتعاضم إلى جانب مقعده، وقال الأطباء أن لا علاج للرجل، والأفضل أن يُقتل بإطلاق الرصاص عليه.

قصارى القول، هناك أمراض كثيرة لا يعرف الأطباء ماهيتها جيدا. فمثلا إن الطاعون أو الكوليرا هما من الأمراض التي حين يكلف الطبيب بعلاج المطعون يصاب بالهلع والهول. مهما درس المرء من العلوم ومهما عكف على البحوث الفلسفية، فإنه سيدرك في النهاية أنه لم ينجز شيئا. ورد في الحديث أننا لا ندرك من معارف كلام الله وأسرار أفعاله إلا بقدر ما يأخذه العصفور في منقاره من ماء البحر. فكيف يحق للإنسان العاجز والفيلسوف أو العالم الأحق المغرور بعلمه الناقص أن يعترض على فعل الله تعالى ويحسب شق القمر منافيا للنواميس الطبيعية؟

نحن لا نمنع من الاعتراض. كلا، فليعترضوا كما يحلو لهم، ولكن يجب أن يضعوا في الحسبان أمرين اثنين: أولهما خشية الله وقدرته غير المحدودة، وثانيهما: عجز الإنسان وعلمه المحدود. إن كبار الفلاسفة والعلماء أيضا قد اضطروا أخيرا للاعتراف بجهلهم. إن منتهى العقل يؤكد منتهى جهلهم دوما. حُذ الأطباء مثلا، فكلُّهم يعرفون ما هو العَصَبَة المجوفة، ولكن لو سألتهم عن ماهية النور وكُنْهه أو سألتهم عن ماهية الصوت، لقالوا يحدث كذا وكذا على طبلة الأذن، ولكنهم لن يقدروا على بيان ماهية الصوت تمامًا أبداً. ولو سئلوا عن سبب حرارة النار وبرودة الماء فلن يستطيعوا الرد أبداً. الوصول إلى كُنْه الأشياء ليس بوسع حكيم أو فيلسوف أو عالم. فمثلا تنعكس صورتك في المرأة، ولكن لا يُفصل رأسك ليدخل المرأة، بل يُرى وجهك في المرأة وأنت سالم.

فاعلموا أن الله تعالى يعلم جيدا أنه من الممكن أن ينشق القمر بدون أن يقع أي خلل في نظام العالم. الواقع أن كل هذا يتعلق بخواص الأشياء ولا يسع أحدا أن ينسب ببنت شفة في هذا الموضوع. لذا فإن إنكار الخوارق والمعجزات الإلهية نتيجة الاستعجال إنما هو دأب الجاهلين.

ليس من الفطنة اعتبار قدرات الله وعجائبه محدودة. إن الناس لا يدركون ماهية أنفسهم هم ولا يستوعبونها، ومع ذلك يقحمون آراءهم في أمور سماوية مستعجلين!! (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٨٨-٩١)

الحق أن الله تعالى لا يفعل أي فعل بطريقة غير عادية، بل إنه يخلق له الأسباب، عرفناها أم لم نعرفها. باختصار، الأسباب تكون موجودة هناك حتماً، لذا فإن معجزة شق القمر أو معجزة ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ (الأنبياء: ٧٠) ليستا خارجتين عن الأسباب، بل هما نتاج أسباب خفية جدا، وهي مبنية على علوم حقيقية لا يقدر على إدراكها أصحاب النظر القصير المشغوفون بالفلسفة المظلمة. إنه لما يحيرني أنه ما دام عدم العلم بشيء لا يستلزم عدم وجود ذلك الشيء، فكيف يتجاسر الفيلسوف المتعالم الغبي على نفي تلك المعجزات الحقيقية نتيجة جهله بأسبابها؟ غير أن مذهبا هو أن الله تعالى قادر على أن يُطلع عبدا من عباده على تلك الأسباب الخفية إن أراد، ولكنه ليس ضروريا. انظروا أن المرء إذا أراد بناء بيت، فإنه يضع في الحسبان ما يصنع فيه من صنوف أسباب الراحة، غير أنه يفكر أولاً أن يجعل للبيت بابا للدخول والخروج، وإذا كان يملك أشياء كثيرة من قبيل الفيلة والخيول والسيارات وغيرها، فيجعل الباب بحجم هذه الحيوانات والأثاث لدخولها وخروجها، لا أن يجعله ثقباً صغيراً كجحر الحية.

كذلك عندما نلقي نظرة واسعة وفاحصة على أفعال الله، أي على النواميس الطبيعية، نجد أنه تعالى لم يُرد لمخلوقاته، بعد أن خلقها، أن تنسى العبودية وتنقطع

عن صاحب الربوبية. كلا، لم ترد الربوبية إبعاد العبودية أبدا. هذه هي الفلسفة الحققة. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٣٧-١٣٨)

المعجزة العظيمة الأخرى للنبي ﷺ هي معجزة شق القمر. كان انشقاقه نوعا من الخسوف في الواقع، وحدث بإشارته ﷺ. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ١٩٠٣/٥/٣١، ص ١٢)

قال عليه السلام ردا على سؤال: ما المراد من قرب القيامة؟ لقد وردت في القرآن الكريم أيضاً آيات في هذا الموضوع مثل ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ فيمكن أن تعرفوا ما معنى القريب، فقد ظهرت علامات قرب الساعة ويتبين منها بجلاء أن هذا هو الزمن الأخير. كان النبي ﷺ عند ظهور حادث مريع يقول: لقد قامت القيامة. (بدر، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ١٩٠٨/٢/٢٠، ص ٣)

وقال عن شق القمر: كان نوعا من الخسوف في رأيي. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ١٩٠٨/٥/٢٤، ص ٥)

كانت هذه آية مذكورة منذ القدم وقد تحققت الآن، وقد ورد ذكرها في البراهين الأحمدية على سبيل الاستعارة. لقد تلقيت أيضا إلهاما: "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر"، وذهب بعض المحدثين أيضا إلى أن شق القمر كان نوعا من الخسوف. (قال المولوي محمد أحسن الأمروهي: هذا هو مذهب عبد الله بن عباس) وهذا ما يقوله الشاه عبد العزيز أيضا، وأنا أيضا أعتنق المذهب نفسه بأنه كان نوعا من الخسوف، لأن كبار العلماء قالوا ذلك. (بدر، مجلد ٢، عدد ١٩٠٣/٢/١٣، ص ٢٦)

﴿وإن يروا آيةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ...﴾ قد شاهد الكفار حينها معجزة شق القمر التي كانت نوعا من الخسوف، وقالوا: ما الغرابة في ذلك إذ لا يزال يحدث ذلك منذ القدم وليس فيه ما يخرق العادة. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٠٦-٥٠٧)

الآية ٦: ﴿حِكْمَهُ بَالِغَةً فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾

القرآن حكمة بالغة. (الحرب المقدس، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٦-٨٧)

الآية ١١: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾

فانتصر أي قاومهم نيابة عني. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان

الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٢-٦١٣، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٤٤-٤٦: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ

يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾

أي هل كفاركم خير من حزب فرعون أم أنتم مستثنون ومبرأون في كتب الله من العذاب والمواخذة؟ هل يقولون إن جماعتهم قوية وستحرز الفتح والانتصار.

(البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٥،

الحاشية رقم ١١)

لقد ورد في كتب التفاسير الموثوق بها أنه حين نزلت الآية: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ

وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال النبي ﷺ: لا أدري بأيّ حادث تتعلق هذه النبوءة. ثم حين

نال ﷺ فتحا عظيما في معركة بدر، قال ما معناه: الآن علمتُ بأنها كانت

تتضمن نبأ بهذا الفتح العظيم. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان

الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٤٩)

انظروا كيف تحدى الأعداء بمنتهى الشجاعة والبسالة: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ (هود:

٥٦)، أي لا تألوا جهدا ولا تدّخروا حيلة ولا خدعة ولا تأمرا لقتلي، وامكروا كل

مكر من أجل إخراجي أو أسري، ولكن اعلموا أنه ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾

(القمر: ٤٦)، أي سيكون النصر حليفي في النهاية، وستبوء خططكم كلها

بالفشل، وسيتفرق جمعكم، ويتشتت شملكم، وتولون كلكم مدبرين. ليس ثمة نبي

من الأنبياء قام بهذه الدعوى العظيمة: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، ولم يجرؤ أحد منهم على أن يقول: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ (هود: ٥٦)، كما لم يعلن أحد منهم: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٦)، إنما خرجت هذه الكلمات من فم ذلك النبي الذي كان ملتقًا برداء الألوهية تحت ظل الله تعالى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤ / ٧ / ١٩٠٢ م، ص ٨)

كانت حياة النبي ﷺ في مكة زاخرة بالنبوءات، وإذا فكر فيها عاقل بخشية الله لعلم الكم الهائل من أنباء الغيب التي تلقاها رسول الله ﷺ! هل قول الله تعالى: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ في وقت كان القوم كلهم يعادونه فيه، ولم يكن هناك من أنيس له أو رفيق، هو قول عادي؟ كانت الأسباب والظروف تجزم أنه سيقتضى عليه ﷺ سريعا، ولكن في تلك الأوضاع أنبا بنجاحه وبخزي الأعداء وخسراهم، ثم حدث ذلك تماما. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠ / ٤ / ١٩٠٣ م، ص ٢)

الآية ٥٥-٥٦: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ

مُقْتَدِرٍ﴾

يتبين من هاتين الآيتين أن الله تعالى جعل دخول الجنة ومقعد صدق يستلزم بعضه بعضا، أي أن الوصول إلى الله تعالى ودخول الجنة منوط ببعضه بالآخر. فإذا كان معنى ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦) هو أن المسيح قد رُفِعَ إلى السماء، فلا بد أنه قد دخل الجنة أيضا كما تدل عليه بصراحة تامة؛ الآية: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الفجر: ٢٩) والتي تعطي معنى ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ نفسه. فيتبين من هنا أن مفهوم الرفع إلى الله، والانضمام إلى جماعة المقربين السابقين، والدخول إلى الجنة؛ يتحقق في آن معا. فهذه الآية أيضا تبرهن على موت المسيح. فالحمد لله الذي أحقَّ الحقَّ وأبطلَ الباطل ونصر عبده وأيد مأموره. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٥)

المراد من الرفع هنا هو الموت، ولكنه الموت الذي تصحبه العزة والإكرام، وذلك مثلما يقدر للمقربين؛ إذ توصل أرواحهم بعد الممات إلى العليين كما يقول تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٤)

أن مجيء المسيح ثانية إلى هذا العالم لا يجلب له الوجهة بحال من الأحوال، بل سوف يأتي متنازلاً عن مرتبته ومكانته بحسب عقيدتكم، إذ سوف يُبايع الإمام المهدي بعد كونه رجلاً من الأمة، ويُصلي وراءه مقتدياً، فما هذه الوجهة؟! بل القضية على العكس وتسيء إلى النبي الذي هو من أولي العزم، أما القول بأنه سيفتخر بكل هذه الأمور ففكرة سخيفة وباطلة، أما إذا لم ينزل من السماء فعندها تتحقق وجاهته، يقول الله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤١٢-٤١٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الرحمن



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٣: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

العلم نور ولا يمكن أن يكون حجاباً بل الجهل هو الحجاب الأكبر. العليم اسم من أسماء الله. وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، لذلك قال الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة: ٣٣). (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٢م، ص ٢)

الآية ٤-٦: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِحْسَبَانِ﴾

"فالمراد من البيان اللغة العربية، كما تشير إليه الآية الثانية أعني قوله تعالى: ﴿عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٤)، فجعل لفظ "المبين" وصفاً خاصاً للعربية، وأشار إلى أنه من

صفاته الذاتية، ولا يشترك فيه أحد من الألسنة كما لا يخفى على المتفكرين. وأشار بلفظ "الْبَيَان" إلى بلاغة هذا اللسان، وإلى أنها هي اللسان الكاملة، وأنها أحاطت كل ما اشتدَّت إليه الحاجة، وتصوبت مطرُها بقدر ما اقتضت البلدة، وفاقَت كلَّ لغة في إبرازِ ما في الضمائر، وسأوى الفطرة البشرية كتساوي الدوائر. وكلَّ ما اقتضته القوى الإنسانية وابتغته التصوراتُ الإنسية، وكلَّ ما طلبه حوائجُ فطرة الإنسان، فيحاذيها مفرداتُ هذه اللسان، مع تيسير النطق وإلقاء الأثر على الجنان، فاتَّبِع ما جاءك من اليقين. ثم سياق هذه الآية يزيدك في الدراية، فإنه يدل بالدلالة القطعية على ما قلنا من الأسرار الخفية، لتكون من الموقنين. فَتَفَكَّرْ في آية: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، فإن الغرض فيها ذكر الفرقان والحث على التلاوة والإمعان، ولا يحصل هذا الغرض إلا بعد تعلُّم العربية والمهارة التامة في هذه اللهجة، فلأجل هذه الإشارة قدَّم الله آية: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، ثم فقاه آية: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، كأنه قال: المنة ممتنان، تنزيل القرآن وتخصيصُ العربية بأحسن البيان، وتعليمُها لآدم لينتفع به نوع الإنسان، فإنها مخزَّنٌ علوم عالية وهدايات أبدية من المَّتَان، كما لا يخفى على المتدبِّرين. فالحاصل أنه ذكر أولاً نعمة الفرقان، ثم ذكر نعمة أخرى التي هي لها كالبنيان، وأشار إليها بلفظ البيان، ليعلم أنها هو العربي المبين. فإن القرآن ما جعل البيانَ صفةً أحد من الألسنة من دون هذه اللهجة، فأَيُّ قرينةٍ أقوى وأدُلُّ من هذه القرينة لو كنتم متفكرين؟ ألا ترى أن القرآن سَمَّى غيرَ العربية أعجميًّا؟ فمن الغباوة أن تجعلها للعربية سَمِيًّا، فافهم إن كنت زكيًّا، ولا تكن من المعرضين. والنص صريح ولا ينكره إلا وقيح من المعاندين. ومنها ما قال ذو المجد والعزة في آية بعد هذه الآية، أعني قول الله الحنان: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، فانظر إلى ما قال الرحمن، وفكِّرْ كذي العقل والإمعان، وتدكَّرْ كالمسترشدِّين، فإن هذه الآية تؤيد آيةً أولى، ويفسِّر معناها بتفسير أجلى، كما لا يخفى على المفكرين. وبيانه أن الشمس والقمر يجريان متعاقبين، ويحملان نورا واحدا في اللونين، وكذلك العربية والقرآن، فإنهما تعاقبا واتَّحد البروق واللمعان،

أما القرآن فهو كالشارق المنير، والعربية كالبدور المستنير، ومع ذلك ترى العربية أسرع في المسير، وأجرى على لسان الصالح والشرير، وما كانت شمس القرآن أن تدرك هذا القمر، وكذلك قدر الله هذا الأمر، وإنهما بحسبان، ويجريان كما أجريا ولا يغيان، بحسابٍ مقدّرٍ من الرحمن، فترى أن القرآن يجري برعاية أنواع الاستعداد، ويكشف على الطالب أسرار المعاد، ويُرِيّ الحكماء كما يُرِيّ السفهاء، ويعلم العقلاء كما يعلم الجهلاء، وفيه بلاغ لكل مرتبة الفهم، وتسليّة لكل أرباب الدهاء والوهم، وساوٍ جميع أنواع الإدراك من أهل الأرض إلى أهل الأفلاك، وإنه أحاط دوائر فهم الإنسان، مع التزام الحق وإقامة البرهان، وإنه نور تام مبين. وأما اللغة العربية فحُسبائها أنها تجري تحت مقاصد القرآن، وتتم بمفرداته جميع دوائر دين الرحمن وتخدم سائر أنواع التعليم والتلقين. وإنها من أعظم مجالي القدرة الربّانية، وخصّها الله بنظام فطري من جميع الألسنة، وأودعها محاسن الصنعة الإلهية، فأحاطت جميع لطائف البيان، وأبدى الجمال كأحسن أشياء صدرت من الرحمن. وهذا هو الدليل على أنها ليست من الإنسان، وفيها صبغة حكميّة من الله المتّان، وفيها حُسنٌ وبهاءٌ وأنواع اللّمعان، وفيها عجائب صانع عظيم الشأن، تَلَمَّع وجهها بين صفوف ألسنة شتى، كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ في الدجى. وإنها كروضة طيّبة على نهر جار، مثمرة بأنواع ثمار، وأما الألسن الأخرى فقد غيّر وجهها فتُرّ تصرّف النوكى، وما بقيت على صورتها الأولى، فهي كأشجار اجتثّت من مغارسها، وبُعِدَتْ من نواظر حارسها، ونُبذت في موماةٍ وقفرٍ وفلاة، فاصفرت أوراقها، وبِست ساقها، وسقطت أثمارها، وذهبت نضرتها واخضرارها، وترى وجهها كالمجذومين. " (من الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٨٨-١٩٣)

"وقد سمعت أن الله جعل لفظ البيان صفةً للعربية في القرآن، ووصف العربية بعربي مبين، فهذه إشارة إلى فصاحة هذا اللسان وعلو مقامها عند الرحمن، وأما الألسنة الأخرى، فما وصفها بهذا الشأن، بل ما عزاها إلى نفسه لتعليم الإنسان،

وسمى غير العربية أعجمياً، ففكرَ إن كنتَ زكياً، وطوبى للمتفكرين. " (من الرحمن، الخزانة الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٠٨)

الآية ١٤: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قال عليه السلام: ردًا على السؤال: لماذا أعيد الكلام في سورة الرحمن؟:

الالتزام بمثل هذا الأمر ميزة متميزة لكلام الله تعالى. من طبيعة الإنسان أنه يحفظ الكلام الموزون سريعاً لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (القمر: ٢٣).
لقد ورد: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ للتذكير المتكرر. لا تركزوا على هذا التكرار وحده بل قد تكرر الكلام في القرآن الكريم في أكثر من موضع، لذلك أنا أيضاً أحب التكرار. لو قرأ أحد كتبي لوجد فيها تكراراً كثيراً. الذي يجهل الحقيقة سيرى ذلك منافياً للبلاغة ويظن كأنه كُتب خطأ ولكن الأمر ليس كذلك. بل يخطر ببالي لعل القارئ يكون قد نسي ما كتبته من قبل فأذكره مراراً لعل عين أحد تفتح في أي مقام؛ "إنما الأعمال بالنيات".

إضافة إلى ذلك لا فائدة من الاعتراض على التكرار أصلاً لأن من فطرة الإنسان ألا يتذكر أمراً ما لم يكرره مراراً. لماذا أمرنا بتكرار "سبحان ربي الأعلى" و"سبحان ربي العظيم"؟ كان يكفي أن يقال مرة واحدة. كلا، بل السر في ذلك أن التكرار يترك تأثيره الخاص ويُحدث النشاط في القوى مهما كانت غافلة وخامدة. لذلك قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١١) كما تكون علاقة ذهنية بشيء فتحفظه كثرة التكرار في الذهن، كذلك هناك علاقة روحانية أيضاً، وهناك حاجة إلى التكرار فيها أيضاً. ولا تبقى الصلة والعلاقة الروحانية قائمة بدون التكرار... يقول الإمام جعفر عليه السلام ما مفاده: أقرأ الآية بكثرة حتى توحى إلي. وقد ذهب الصوفية أيضاً هذا المذهب. معنى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأنفال: ٤٦) هو أن اذكروا الله بكثرة حتى تحفظوا اسمه.

في كلام الأنبياء عليهم السلام أسلوب بوجه عام أنهم يبينون الكلام بالتركرار وبأساليب مختلفة ويكون الهدف من ورائه أن ينفع الناس. الذين قرأوا كتيبي يعرفون أنهم لو قرؤوا أربع صفحات من كتابي سيتكرر فيه أمر واحد خمسين مرة، وأهدف من وراء ذلك لعل القارئ لم يتأمل في المقام السابق ومر به مرور الكرام. هذه هي الحكمة في الإعادة والتكرار في القرآن الكريم أيضا. إنه منطبق عابث للأغبياء الذين يقولون إن التكرار يضيع البلاغة. فليقولوا ما يشاؤون، أما القرآن الكريم فيهدف إلى شفاء المريض، فلا بد أن يعطيه الدواء مرارا وتكرارا. إن لم يكن هذا المبدأ صحيحا فلماذا يعطي هؤلاء المعترضون دواء بالتكرار شخصا يمرض عندهم؟ ولماذا يكررون بأنفسهم الغذاء واللباس وغيرهما ليل نهار؟ قرأت مؤخرا في جريدة أن إنجليزيا انتحر لسبب وحيد أن النهار والليل نفسهما يتكرران دائما، كذلك الغذاء محدد وهو لم يستطع أن يتحمل ذلك. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥ م ص ٩)

الآية ٢٧-٢٨: ﴿كُلْ مِّنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

أي كل ما هو موجود في الأرض أو يخرج منها، إنما هو في معرض الفناء؛ أي في حركة مستمرة إلى الفناء، ولا يخلو منها أحد. إنها الحركة نفسها التي تجعل الصغار شبابا، وتحوّل الشباب إلى شيوخ، وتدفع الشيوخ إلى القبور، ولا يخرج أحد من هذه السنة الإلهية. لقد استخدم الله تعالى كلمة ﴿فَإِنَّ﴾ في الآية المذكورة ولم يستخدم "يفنى"، ليُعلم أن الفناء ليس بشيء سيحدث دفعة واحدة في المستقبل، بل إن سلسلة الفناء جارية باستمرار. ولكن المشايخ المعاصرين يظنون أن المسيح ابن مريم ما زال في السماء -دون أن يحدث فيه تغيير أو تبدل- بجسده القابل للفناء، والذي يعمل فيه الفناء عمله باستمرار بحسب النص الصريح، ولا يؤثر فيه الدهر أدنى تأثير، مع أن الله تعالى لم يستثن المسيح من كائنات الأرض في هذه الآية. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٤)

كما أن هذه الأسباب ظاهرة حالياً والمسبب مختفٍ، أما عندها فسيكون المسبب ظاهراً وتختفي الأسباب في زاوية العدم، وكل شيء يرجع إليه ويختفي في تجلياته القاهرة، وسيترك كل شيء مقامه ومركزه وتحل محلها التجليات الإلهية. وبعد فناء العلل الناقصة وانعدامها تظهر العلل التامة والكاملة للعيان. وإلى ذلك أشير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وقوله ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (المؤمن: ١٧) أي سيفني الله تعالى كل شيء بتجلياته القاهرة ويظهر وحدانيته. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٣-١٥٤، الحاشية في الحاشية)

"وأما قوله تعالى في قصة إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٨) فاتفق المحققون من العلماء أن المراد من الرفع ههنا هو الإمامة بالإكرام ورفع الدرجات، والدليل على ذلك أن لكل إنسان موت مُقدَّر لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٢٠)

إن الله الذي هو واحد في ذاته قد خلق الأشياء كلها كشيء واحد لتدل على وحدانية خالق واحد. باختصار، قد وضع الله تعالى فيها بحسب الوحدة نفسها قدرة على التغير بمقتضى قدرته غير المحدودة فلا نرى شيئاً من المخلوقات سَلِمَ من التحوّل إلى حالة أخرى إلا الأرواح التي جعلت مصداقاً لـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء: ١٧٠) بناءً على سعادتها أو شقاوتها وقد حدّد لها وعدّ الله تعالى خَلْقَةً لا تتبدّل. بل لو تعمّقت في الموضوع أكثر لوجدتم أن مبدأ التغير يعمل عمله باستمرار في كل جسم أيضاً. وقد أثبتت البحوث في علوم الطبيعة أن جسم الإنسان يتغير تماماً في غضون ثلاثة أعوام، وكأن الجسم السابق يتبحّر ذراتٍ. خذوا الماء أو النار مثلاً، فهما أيضاً لا يخلوان من التغير ويحكمهما نوعان من التغير. أولاً: تخرج بعض الجزيئات وتضاف إليها أخرى جديدة. ثانياً: الجزيئات التي تخرج تتولد ولادة جديدة بحسب قدراتها. باختصار، إن من سنة

الله أن يتبلي هذه الدنيا الفانية بدورات التغيّرات. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٨، الحاشية)

كل شيء في معرض الزوال، وأما الباقي فهو الله ذو الجلال والإكرام. ولنفرض أن الأرض تفتّتت وصارت غباراً، وانفطرت الأجرام الفلكية وصارت هباءً، وهبت عليها عاصفة الفناء فمحت أيّ أثرٍ منها، ومع هذا فإن العقل يسلم، بل إن الوجدان السليم يرى من الضروري أن يبقى بعد كل هذا الفناء شيء واحد لا يفنى ولا يقبل تغييراً ولا تبديلاً، بل لا يزال على حالته الأولى، وذلك الشيء الوحيد هو الله الذي خلق كل الأشياء الفانية ويبقى هو بعيداً عن يد الفناء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٠-٣٧١)

كل شيء هالك ومتغيّر، والبقاء لله وحده. بمعنى أن كل شيء يقبل الفناء والتغيّر ولكن فطرة البشر مضطرة إلى القبول بأن هناك ذاتاً واحدة في عالم الأرض والسماء لن تفنى ولن تتغير حين يصيب الفناء والتغيّر كل شيء آخر، بل ستبقى على حالها وهي ذات الله. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٧-٩٨)

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.... فقد جعل الموت لا مندوحة منه لكل شيء سواء وَجَلَّ. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٥)

والله تعالى خالق منذ الأزل ولكن وحدانيته تقتضي أن يفنى كل شيء في وقت من الأوقات. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي أن الجميع على هذه البسيطة فانون، أيّا كان وقت الفناء، ولا يسعنا القول متى سيأتي ذلك الوقت ولكنه سيأتي حتماً. والله قادر على أن يخلق من جديد إذا شاء، فهذا تجلي قدرته فقط. (بدر، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ٢١/٢/١٩٠٧م، ص ٤)

الآية ٣٠: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

إلهنا القادر على كل شيء ليس هكذا، بل هو خالق ذرات العالم كلها والأرواح كلها والمخلوقات كلها. وإذا أثير سؤال عن قدرته فالجواب هو أنه قادر على كل ما

لا يتنافى مع صفاته الكاملة ومواعيده الصادقة. أما القول بأنه لا يريد القيام ببعض الأمور وإن كان قادرا فهي تهمة سخيفة للغاية فمن صفاته: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. وما دام سلُّبه من الماء البرودة أو إزالته من النار خاصة الإحراق لا ينافي صفاته الكاملة ومواعيده الصادقة. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٨-٢٩)

أي في كل يوم هو مشغول في فعل معين؛ فيدعو البعض إليه ويردّ البعض، ويعمر البعض ويهلك البعض، ويُعزّز البعض ويُذل البعض. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣٠)

كما تطلع النجوم تباعا كذلك تماما تتجلى صفات الله تعالى. فتارة يكون الإنسان تحت ظل صفات الله الجلالية واستغناؤه الذاتي، وتارة أخرى يقع عليه ظل صفاته الجمالية. وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٩)

إن الله صفاته قديمة، ولكن ليس لزاما عليه أن يُطلعنا على كل صفة من صفاته. وهذه الدنيا لا تتسع لأعماله كلها. فبالقاء نظرة دقيقة على كلام الله والإمعان فيه يتبين أنه أزلّي وأبدى، وإن ترتيب المخلوقات لا ينافي كونه أزليا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠٢/٢/١٩٠٣م، ص ٣٨)

الآية ٣٤: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

لا تستطيعون أن تخرجوا من ملكه تعالى، ومملكه هو السماوات والأرض فأينما تذهبون ستصاحبكم غلبة. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٦)

الآية ٤٧: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

من كان يخاف الله ويخشى مرتبة عظمتة وجلاله فله جنتان، إحداها هذه الدنيا والثانية، الآخرة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٦)

أي أن الذي يقدّر الله حق التقدير ويهجر الذنوب خائفا المساءلة عند الله؛ سيُنعم عليه بجنّتين.

أولا: سيُوهب حياة الجنة في هذه الدنيا ويحدث فيه تغيير حسن، وسيكون الله تعالى وليّا وكفيلا له.

ثانيا: توهب له جنة أبدية بعد الممات، ذلك لأنه خاف الله وآثره على الدنيا وأهواء النفس. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٨)

إن للإنسان جنّتين. فمن أحبّ الله تعالى فكيف يمكن أن يعيش عيشة الحرقة والألم؟ ما دام صديق بعض الحكام في الدنيا يعيش بسبب صداقته عيشة كالجنة فيما يتعلق بديناه، فما بالك بأولياء الله تعالى، أفلا تكون أبواب الجنة مفتوحة لهم؟ لا جرم أن الدنيا مليئة بالمصائب والخطوب، ولكن ما يدريككم كم يستمتع هؤلاء القوم بحلول هذه الشدائد والآلام عليهم. الإنسان لا يصبر على الأذى لنصف ساعة، أما هؤلاء القوم فيصبرون على الأذى طوال حياتهم. ولو عُرض عليهم مُلك عظيم على أن يتركوا عملهم فلا يرضون بذلك. كذلك لو صُبّت عليهم جبال المصائب فلا يثنون عن إرادتهم.

لقد مرّ النبي ﷺ بالظرفين كليهما. فقد أتى عليه زمان رُشق فيه بالحجارة بالطائف، وآذاه جمع كبير أشد الأذى، لكن لم تتزعزع عزيمته. ولما رأى القوم أنه لا يعبأ بالمصائب والشدائد، اجتمعوا وجاءوه يعدونه بالملك والسيادة، ويعرضون عليه كل أنواع الراحة والرخاء وحتى أجمل النساء، على أن يكفّ عن ذمّ أهتهم، ولكنه ﷺ لم يحفل بوعده الملك، مثلما لم يبال بالأذى الشديد الذي حل به في الطائف بل آثر أن يرشق بالحجارة. فإن لم يكن يجد فيها متعة عظيمة فأثّر له أن يقع في الآلام تاركاً الراحة؟ (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٣٦-٣٧)

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ أي الذي خاف المثول أمام الله تعالى له جنتان، بمعنى أنه ينال إحدى الجنّتين في هذه الدنيا، لأن خشية الله تمنعه من ارتكاب

السيئات، والسعي وراءها يخلق في قلب المرء قلقا واضطرابا، وهو بحد ذاته جهنم خطيرة، ولكن الذي يخاف الله تعالى فيجتنب السيئات، وبالتالي ينجو في هذه الدنيا من العذاب والألم الذي هو نتيجة الوقوع في أسر الشهوات وعبودية أهواء النفس، ويتقدم في الإنابة إلى الله بإخلاص، فيعطى متعة وسرورا، وبذلك تبدأ حياته في الجنة من هذا العالم. ومن عمل على النقيض من ذلك بدأت حياة الجحيم له.

(الحكم، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ٢٤٤/٣/١٩٠٢م، ص ٤)

الإنسان مكلف بمسؤوليات جسيمة، لذا عليه أن يفكر بالآخرة جيدا. والاستعداد للآخرة ضروري، والمصائب التي تأتي في هذه السبيل لا تحسبها حزنا وألما، بل الله ينزلها على الذين يريد أن يذيقهم مذاق الجنتين: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾. تأتي المصائب ليزيل الله تعالى الأمور المؤقتة التي تكون بصورة التكلف.

(الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤٤/١٢/١٩٠٢م، ص ٢)

إن أفضل ما يريح الإنسان ويُسعده هو الإيمان الصادق، وهذا ما يمتاز به المؤمن. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد

١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٦)

يقول عبد القادر الجيلاني رحمه الله بأنه عندما يصبح الإنسان عارفا يسقط ثواب عبادته لأنه إذا صارت النفس مطمئنة فما معنى الثواب إذن؟ الثواب يترتب نتيجة معارضة النفس، أما بعدها فلن تعود الحال على المنوال نفسه. جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ أي دخل المرء الجنة ولم تعد له الدرجة نفسها من الثواب. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد

١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٠)

﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، المراد من الجنة في هذه الآية هو الجنة في الدنيا، كما في الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٧،

عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥١)

الجنة ليست واحدة فحسب بل قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

(الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨٨/٢/١٩٠٣ م، ص ٦)

....لقد ذكر القرآن الكريم جنتين، كما ورد ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ أي أن الذي يخاف ربه له جنتان، إحداها في الدنيا والأخرى في الآخرة. فالجنة التي ينالها في الدنيا هي تلك التي ينالها بعد إحراز هذه الدرجة، وبعد الوصول إلى هذه الدرجة لا تبقى للإنسان أي مشيئة، بل تكون مشيئة الله هي مشيئته. فكما أن الإنسان حين يُطلق بعد أن يُخصى فلا يستطيع ارتكاب الزنا والفواحش، مثل ذلك هذا الإنسان أيضا يُخصى روحانياً ومن ثم لا يقدر على أي ارتكاب سيئة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٠، عدد ١٤/٨/١٩٠٤ م، ص ٢٣٥)

كل من يخاف الله ويخشى مرتبة عظمتة وجلاله، فله جنتان، إحداها هذه الدنيا نفسها والأخرى هي الآخرة. فالذين ينشدونه ﷺ بعد إفاء أنفسهم بصدق القلب والإخلاص في سبيله ويعبدونه، هم يشعرون في ذلك بلذة، وينالون الأطعمة الروحانية التي تنور الروح وتزيد معرفتهم بالله. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١٦/١١/١٩٠٣ م، ص ٣٣٥)

لما كانت في هذا العالم أيضا جنة يعطاها المؤمن فبحسبها يحدث هنا تغيير أيضا، حيث يوهب له نوع خاص من الهيبة، بتأثير التجليات الإلهية، ويمنع من ثوائر النفس الأمارة، ويعطى سكينه النفس مطمئنة والطمأنينة، وتجاب أدعيته .. وتبرد جميع ثوائره، ويجد في الله راحة واطمئنانا ويحدث فيه تغيير. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤ م، ص ٦)

هذه الأمة تحظى بفضل الله الخاص. ما يريده الإسلام إنما يتحقق في هذه الأمة فقط بواسطة الإسلام. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾. الحواس لرؤية الله تُنال في هذه الدنيا. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٤ م، ص ٦)

الذين يقومون في حضرة الله يُرزقون جنتين. إن حقيقة ذلك عندي هي أن إحدى الجنتين هي التي تُنال بعد الممات، والجنة الثانية تُعطى في هذه الدنيا، وتكون شاهدة على نيل الجنة الأخرى. المؤمن مثله ينجو في الدنيا من أنواع جهنم. (الحكم، مجلد ٩، عدد ٣٥، رقم ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٨)

اعلموا أن الذين يتقدمون إلى الله بصدق وإخلاص لا يضيِّعون أبداً، بل توهب لهم نعم كلا العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، وذلك لئلا يخطر ببال أحد أن الذين يأتونني يخسرون الدنيا. كلا بل لهم جنتان؛ فجنة في هذه الحياة الدنيا، وجنة في الآخرة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤، عدد ١٤/١/١٩٠٨ م، ص ٣)

الآية ٦١: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

فإذا أحسنّا إلى المحسن المسلم فقط ولم نحسن إلى المحسن غير المسلم فقد تركنا تعليم الله لأنه لم يُقَيَّد جزاء المحسن بأي دين معيّن، بل قد قال صراحة بأنه غير راض عن الشرير الذي يسيء إلى من أحسن إليه. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٦٧)

حيثما ذكر الله في القرآن الكريم المحسن ذكره من دون شرط، أي لم يقل أن المحسن يجب يكون مسلماً أو موحداً أو من ديانة معينة، بل أمر بمراعاة حق "المحسن" بوجه عام، أيّاً كان دينه. ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٥، عدد ١٠/٢/١٩٠٠ م، ص ٥)

ليس المراد من ذلك قط أن تحسنوا إلى المسلم مقابل إحسانه، وإذا أحسن أحد من أهل الأديان الأخرى فتسيئوا إليه. كلا، بل هذا عمل خييث. إنما يريد الله أن من الواجب الإحسان إلى كل من أحسن إليكم. في الإحسان قوة بحيث لو أطعمت كلبك قطعة خبزٍ مثلاً لتوجه إليك مرة بعد أخرى. وإن طردته بالضرب أيضاً سوف يهتّ ذنبه إظهاراً للشكر على الإحسان إليه سابقاً. ومن لا يشكر على منّة ولا يقدرها هو أسوأ من الكلب. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٤/٢/١٩٠٧ م، ص ٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الواقعة



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١٩-٢٠: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾

أي سيعطى أهل الجنة كؤوسا من الشراب الصافي الذي سيكون مصفى كالماء الزلال، وسيكون ذلك الشراب خاليا من جميع العيوب، بحيث لن يتسبب في صداع ولن يصيب بإغماء أو سُكْر. لن يسمعو في الجنة أي كلام لغو وبذيء ولن يُسمع أي أمر أثيم، بل سوف يُسمع "سلاما سلاما" من كل طرف وصوب وهو علامة الرحمة والحب والفرحة. ستكون وجوه المؤمنين نضرة طرية وجميلة، وسيرون ربهم. أما الأعمى في هذا العالم فسيبقى أعمى في ذلك العالم أيضًا، بل سيكون أسوأ من ذلك.

يتجلى من هذه الآيات كلها أن شرابات الجنة لا علاقة لها بشرابات الدنيا ولا هي تُشبهها، بل هي تخالفها وتباينها في جميع مزاياها وصفاتها، ولم يرد في موضع من القرآن الكريم أن ذلك الشراب سيُصنع - مثل خمور الدنيا - من العنب أو السكر الأسود أو قشور شجر السَّمُر أو من أي مادة دنيوية. كلا بل قد ورد في الكلام الإلهي مرارا وتكرارا أن البذرة الحقيقية لذلك الشراب هي حبُّ الله ﷻ ومعرفة التي يأخذها العبد المؤمن من هذا العالم. أما القول كيف سيتمثل الأمر الروحاني في صورة الشراب، فهذا سرٌّ من أسرار الله وينكشف على العارفين في المكاشفات. وإن العقلاء يتوصلون إلى حقيقته من خلال بقية الآثار والعلامات. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٥٧)

الآية ٤٠-٤١: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

لقد قال رسول الله ﷺ بحق أمته بصراحة تامة إنكم ستصبحون يهودا بحدوكم حذو اليهود تماما، وإن هذه البلايا ستنتشر في الزمن الأخير في البلاد الشرقية، أي في الهند وخراسان وغيرها أكثر من غيرها. عندها ينزل - أي يُبعث - المسيح ابن مريم لاستئصال هذه اليهودية. وقال ﷺ أيضا بأنه كما ستصبح هذه الأمة كاليهود، كذلك سيولد فيها ابن مريم أيضا بصورة مثيله، وليس أن تصير هذه الأمة يهودا ويأتي ابن مريم من بني إسرائيل! ففي هذه الفكرة إساءة كبيرة لبنينا الأكرم ﷺ. وكذلك تعارض هذه الفكرة آية: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤١٩-٤٢٠)

لا تذكرون ما قال عالم الغيب وهو أصدق القائلين، وبشركم بإمام آتٍ في كتابه المبين، وقال: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. ولكلِّ ثَلَّةٍ إمامٌ، فانظروا هل فيه كلام، فأين تفرون من إمام الآخرين؟ (نور الحق، الجزء الثاني، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٢١٧)

"وهنا نكتة كشفية ليست من المسموع، فاسمع مُصَغِّيًا وعليك بالمَدْوَع، وهو أنه تعالى ما اختار لنفسه ههنا أربعة من الصفات، إلا لِيُرِيَ نموذجها في هذه الدنيا قبل الممات، فأشار في قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ إلى أن هذا النموذج يُعطى لصدر الإسلام، ثم للآخرين من الأمة الداخرة. وكذلك قال في مقام آخر وهو أصدق القائلين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (القصص: ٧١). فقسم زمان الهداية والعون والنصرة، إلى زمان نبينا ﷺ وإلى الزمان الآخر الذي هو زمانُ مسيح هذه الملة. وكذلك قال: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، فأشار إلى المسيح الموعود وجماعته والذين اتبعوهم. فثبت بنصوص بينة من القرآن، أن هذه الصفات قد ظهرت في زمن نبينا ثم تظهر في آخر الزمان." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٥٣-١٥٤)

صحيح أنه كان في زمن الفيح الأعوج صالحون وأهل الله أيضا مقابل جماعة كبيرة للضالين، كما بُعث على رأس كل قرن مجدِّدون أيضا. لكن بحسب منطوق الآيتين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، فإن الحزب المحمدي، الخالص الطاهر من كل أنواع الشوائب والمتمتع بإيمان مغسول بالتوبة النصوح ودقائق العرفان والعلم والعمل والتقوى، جماعة كثيرة العدد، فله في الإسلام فريقان فقط؛ أي فريق الأولين وفريق الآخرين.. أي الصحابة وجماعة المسيح الموعود. فلما كان الحكم على كثرة العدد وكمال صفاء الأنوار فإن المراد من جملة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في سورة الفاتحة هذان الفريقان حصرا، أي رسول الله ﷺ مع جماعته، والمسيح الموعود مع جماعته. وملخص القول إن الله ﷻ منذ البدء قد بين لهذه الأمة فريقين، وإليهما أشير في جملة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في الفاتحة، (١) أولهما الأولون، وهم جماعة النبي ﷺ (٢) والثاني الآخرون، وهم جماعة المسيح الموعود. أما الأفراد الكمل في الزمن الوسطي - المسمى بالفيح الأعوج - فقد عُذُّوا كالنادر بسبب قلة عددهم وكثرة الأشرار والفجار وهجوم جيوش الأديان الباطلة والعقائد السيئة والأعمال السيئة. ومع ذلك ظل الصالحون

من الأمة الحمديدية حتى في هذا الزمن الوسطي يتواجدون كالنهر العظيم رغم طوفان البدع بالمقارنة مع الأديان الأخرى. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ٢٢٥-٢٢٦)

إن الجماعة الكبيرة من الأبرار والأخيار التي لم تتلطح من المذاهب السيئة اثنتان فقط؛ جماعة الأولين.. أي جماعة الصحابة الذين تلقوا التربية من النبي ﷺ، وجماعة الآخرين الذين بسبب التربية الروحانية للنبي ﷺ يُعدّون على سيرة الصحابة، كما يفهم من آية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾. فهاتان الجماعتان حصرا من المنعم عليهم في الإسلام على وجه حقيقي، وإن إنعام الله عليهم يتمثل في أن الله خلّصهم من أنواع الأخطاء والبدع المتنوعة وطهّرهم من كل أنواع الشرك، ووهب لهم التوحيد الخالص والنير. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ٢٢٧-٢٢٨)

"انظر في البخاري وغيره من الصحاح، كيف بشر نبينا ورسولنا ﷺ وقال: إنه سيكون في أمته قوم يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ويُسَمَّون محدّثين. وقال الله جلّ شأنه ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾". (تحفة بغداد، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٥)

"ثم بشر لنا وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾. وفي هذه الآية أشار إلى أن هذه الأمة تُكلّم كما كُلمت الأمم من قبل." (تحفة بغداد، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٧، الحاشية)

الآية ٧٦-٨٠: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

أي أقسم بمواقع النجوم، وهو لو عرفتم قسم عظيم، على أن هذا القرآن كتاب عظيم الشأن وأن تعاليمه لا تناقض سنة الله بل إن جميع تعاليمه مسجلة في كتاب مكنون، أي صحيفة الفطرة، ولا يكتشف دقائقه غير الذين طهّروا، (لقد أشار الله

ﷺ بالقسم بمواقع النجوم إلى أنه كما تبدو النجوم كالنقط بسبب بُعدها الشاسع، لكنها ليست في الحقيقة كالنقط بل هي ضخمة عملاقة، كذلك يخفى القرآن الكريم عن أعين قليلي النظر لرفعته العظيمة وعلو شأنه. والذين تزول غشاوتهم يقدرّون على رؤيته. وفي هذه الآية أشار الله ﷻ إلى الدقائق العالية للقرآن الكريم أيضا، التي تخص عباده الخواص، الذين يطهّروهم الله ﷻ بيده. ولا يصح الاعتراض أنه إذا كان علم القرآن الكريم قد اختص بالعباد الخواص فكيف يؤاخذ الآخرون في حالة العصيان، ذلك لأن تعليم القرآن الكريم الذي هو مدار الإيمان سلس يفهمه الكافر أيضا، وليس من شأنه أن يخفى عن أي قارئ. فلو لم يكن سلسا مفهوما لبقى نظام التبليغ ناقصا. لكن الحقائق والمعارف لما لم تكن مدار الإيمان وإنما هي تزيد المؤمن عرفانا، لذا هُدي إلى هذا الطريق الخواص فقط، لأنها في الحقيقة مواهب ونعم روحانية توهب لكاملِي الإيمان بعد الإيمان. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٢-٥٣)

"﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾، وأنت تفهم أن في هذا القول إشارة إلى أن للنجوم ومواقعها دخل لتحتسب زمان النبوة ونزول الوحي، ولأجل ذلك قيل إن بعض النجوم لا يطلع إلا في وقت ظهور نبي من الأنبياء. فطوبى للذي يفهم إشارات الله ثم يقبلها كالتقاة." (حمامة البشري، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٨٩)

أقسم بمطالع النجوم ومناظرها... لو اطلّعت على الحقيقة لعلمت أن القرآن الكريم كتاب ذو شأن عظيم ولا يمسه إلا المطهّرون باطنيا. والسبب لهذا القسم بهذه المناسبة هو أن ميزة القرآن الكريم هي أنه كريم بمعنى أنه يشمل المكارم الروحانية، ولكن بسبب كونه أعلى وأسمى جدا واحتوائه على حقائق ودقائق رفيعة يبدو صغيرا عند قصيري النظر للسبب نفسه الذي لأجله تبدو لهم النجوم صغيرة كالنقاط، مع أنه ليس صحيحا أنها كالنقاط بل لأن مواقعها أعلى وأرفع جدا فلا تستوعب الأبصار القاصرة ضخامتها الحقيقية. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٧)

يقدم الله تعالى أمراً بديهياً كدليل نظري بصورة الأقسام، أو يقدّم أمراً مسلماً به لقبول أمرٍ غير مسلّم به. والشيء الذي يُقسَم به ينوب مناب الشاهد في الحقيقة. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية المجلد ٦ ص ٢٨١)

علامتهم الخامسة عشرة هي علم القرآن الكريم. إن معارف القرآن الكريم وحقائقه ولطائفه التي يُعطونها لا يُعطّاها الآخرون مطلقاً. هؤلاء هم المُطَهَّرُونَ الذين يقول الله جلّ شأنه عنهم: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣٧)

إن علم القرآن الكريم من كبرى علامات المُطَهَّرِينَ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤٣)

أما علم الدين والمعارف الطيبة فلا من أجل الحصول عليها ودرايتها من إحراز الطهارة الحقة والتخلي عن سبل الخبث، ولذلك قال الله في القرآن الكريم: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي لا يفهم الأسرار الطيبة لكتاب الله المقدس إلا الذين هم أطهار القلوب ولهم فطرة طيبة وعمل طيب، فبالمكر والدهاء الدنيوي لا تُنال أبداً العلوم السماوية. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ١٢٦)

لا تنكشف حقائق القرآن إلا على الذين يطهّرههم الله تعالى وينزههم بيده. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

قال المسيح الموعود ﷺ في بيان معايير تفسير القرآن الكريم:

المعيار الرابع: هو التدبر في القرآن الكريم بالنفس المطهّرة، لأن للنفس المطهّرة انسجاماً مع القرآن الكريم. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي أنّ حقائق القرآن الكريم لا تنكشف إلا على الذين هم أطهار القلوب، لأن معارف القرآن الكريم المقدسة تنكشف على مُطَهَّر القلب بسبب انسجامه معها فيعرفها ويشتمّها ويعلن قلبه أن هذا هو الطريق الحق. وإن نور قلبه

معيّارٌ أمثل لاختبار الصدق. فما لم يكن الإنسان صاحب حال وما لم يمر من ذلك الطريق الضيق الذي مرّ منه الأنبياء عليهم السلام، فحريّ به ألا يُنصّب نفسه مفسّراً للقرآن الكريم تجاسراً واستكباراً منه، وإلا سيكون تفسيره تفسيراً بالرأي الذي منع النبي ﷺ منه وقال: "من فسّر القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ". (بركات الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٨-١٩)

أقول حلفاً بالله بأن الحق هو أنه يجب تنزيه القلب أولاً من ثورة النفس لفهم كلام الله، عندها فقط سينزل عليه النور من الله، وبدون النور الباطني لا تُرى الحقيقة الأصلية، حيث يقول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي أنه لكلامٍ قدوسٍ وطاهرٍ فلن يدرك أحد أسرار ما لم تُطهّر نفسه. كنت شاباً وقد شخّطُ الآن، ويستطيع الناس أن يشهدوا إذا شأؤوا بأني ما خضتُ في أمور الدنيا بل ظللت راغباً في الأمور الدينية دائماً، وقد وجدتُ هذا الكلام الذي اسمه القرآن الكريم طاهراً ومليئاً بالحكم الروحانية إلى أقصى الدرجات؛ فلا يؤلّه إنساناً، ولا يسبب اللوم والذم لله ﷻ حاسباً الأرواح والأجسام خارج نطاق خلقه ﷻ. البركة التي لنيلها يقبل المرء الدين ينزّلها هذا الكلام على قلبه، ويورثه فضله ﷻ. فأنت لنا أن نعود إلى الظلمة بعد أن وجدنا النور؟ وكيف نعود عمياناً بعد أن وجدنا الأعين؟ (ديانة سناتن، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٧٣-٤٧٤)

الحق أن من مهام المسيح الموعود والمهدي؛ أن يضع الحروب ويُعلي كلمة الإسلام بالقلم والدعاء والتركيز. ولكن المؤسف أن الناس لا يفهمون ذلك، لأنهم ليسوا راغبين في الدين كرجبتهم في الدنيا. فأنت لهم أن يتوقعوا بأن تُكشف عليهم معارف القرآن مع انغماسهم ووقعهم في شوائب الدنيا؟! إذ ورد في القرآن الكريم بكل وضوح ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (محاضرة لدهيانة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٧٩)

إن علم الدين من العلوم السماوية وهي منوطة بالتقوى والطهارة وحب الله ولا تُعطاهما كلاب الدنيا. فلا شك في أن إتمام الحجة بالكلام الموجّه هي مهمة الأنبياء وأبطال الله، وسنة الفنانين في الله أنهم يكونون مهبط فيوضه. يقول الله جلّ شأنه، ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فأني لشريـر ومنافق عبد الدنيا أن ينال الفيوض السماوية التي لا يمكن حيازة أي انتصار من دونها؟! وأني لروح القدس أن يتكلم في قلب يتكلم فيه الشيطان؟ (البلاغ، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣٧٢-٣٧٣)

"يقولون إنا لا نرى ضرورة مسيح ولا مهدي، وكفانا القرآن وإنا مهتدون. ويعلمون أن القرآن كتاب لا يمسّه إلا المطهّرون. فاشتدّت الحاجة إلى مفسّر زكّي من أيدي الله، وأدخل في الذين يبصرون." (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٨٣-١٨٤)

ومع أن القرآن الكريم معجزة عظيمة الشأن، إلا أنه بحاجة إلى وجود شخص كامل مطلع على جواهره المعجزة. لا شك أن القرآن الكريم كسيف عديم النظير ولكنه بحاجة إلى يد وساعد قويتين لإظهار قدرته. والآية الكريمة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ شاهدة على ذلك. أي أنه لا يؤثر في قلوب غير المطهّرين بصورة معجزة إلا إذا وُجد في القوم أحد قادر على إظهار تأثيره. وهذا القادر لن يكون إلا الذي يحظى بمكاملة الله ومخاطبته مثل الأنبياء. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٨٦)

إن حقائق القرآن ودقائقه لا تنكشف إلا على الذين طهّروا تطهيرا. يتبين من هذه الآيات بكل جلاء أن لفهم القرآن حاجة إلى معلّم طهّره الله بيده، إذ لو لم يكن هنالك حاجة لذلك لما كانت هناك حاجة في صدر الإسلام أيضا. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٨٤)

إن كون المرء من أولياء الله وصادقا أيضا يُستنبط من علمه بالقرآن الكريم، لأنه بحسب الآية الكريمة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يُعطى علم الكتاب العزيز إلا ذوو بواطن طاهرة. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٤٧٤)

القرآن كله محفوظ في صندوق متين من النواميس الطبيعية. ما هو المراد من قوله تعالى بأن القرآن محفوظ في كتاب مكنون؟ المراد أنه ليس منحصرًا في الصحف فقط، بل إنه لفي كتاب مكنون يسمى صحيفة النواميس الطبيعية، بمعنى أن كل ذرة من النواميس الطبيعية تشهد على صدق تعاليم القرآن كلها. إن تعاليمه وبركاته ليست مجرد قصة وحكاية حتى يأتي عليها الزمان. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٧٢)

إن القرآن الكريم كتاب يحوي المعارف والأسرار بكل أنواعها، ولكن الاطلاع عليها يتطلب تلك القوة القدسية التي أشار الله إليها بقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٨٥)

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، أي أنه ذلك الكتاب الكامن في صحيفة الفطرة الإنسانية، ولكن لم يكن بوسع كل إنسان أن يراه. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٩٤)

هذا الكتاب المكنون خفي في السماوات والأرض، ولا يقدر على قراءته كل من هبّ ودبّ، وأن القرآن الكريم مرآة لذلك الكتاب المكنون في السماوات والأرض. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٤-٢٥، عدد ٢٠-٢٧/٨/١٨٩٨م، ص ٩)

إن معارف القرآن لا تنكشف إلا على الذي طُهر تطهيرا. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٨-٢٩، عدد ٢٠-٢٧/٩/١٨٩٨م، ص ٤)

ليبان حقائق القرآن ومعارفه ينشأ في قلب المرء انسجام وجذب وعلاقة مع الحق والصدق، ثم يظل يتقدم فيه ويرتقي حتى يصبح مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ

أَهْوَى * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى. فلا يقع بصره إلا على الصدق فقط، ويُعطى قوة خاصة وقدرة مميزة يعرف بها الحق من الباطل على الفور، حتى إن قلبه ينال قوة مرهفة الحسّ يستطيع بها شَمَّ رائحة الباطل من بعيد. هذا هو السرّ المذكور في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٣، عدد ١٧/٤/١٩٠٥م، ص ٥)

عندما يبلغ الإنسان درجة الصديق تتيسر له معرفة القرآن ومحبهه ويُطْلَع على حقائق القرآن ودقائق معارفه. ولأن الكذب يجذب الكذب، فلا يَطْلُع الكاذب على معارف القرآن وحقائقه أبداً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠١م، ص ١)

أن نواميس الطبيعة تدعم كل ما قيل في القرآن الكريم دعماً كاملاً. وكأن ما ورد في القرآن الكريم هو نفسه موجود في الكتاب المكنون. وإدراك هذا السرّ محال من دون اتباع الأنبياء عليهم السلام، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٧)

الحصول على العلوم المادية والاطلاع على دقائقها لا يحتاج إلى التقوى والطهارة، فالإنسان النجس والدنس جداً أيضاً يمكن أن يحصل عليها مهما كان فاسقاً وفاجراً وظالماً. فالأشخاص من الطبقات الرذيلة والدينئة أيضاً ينالون الشهادات فيها. أما علوم الدين فليست من هذا القبيل، إذ لا يستطيع الحصول عليها كلُّ فلان وعلان، بل إن الحصول عليها يتطلب التقوى والطهارة، كما قال الله ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، فالذي يريد أن ينال العلوم الدينية فليتقدم في التقوى، فقدر ما سيتقدم في التقوى ستنكشف عليه الدقائق والحقائق اللطيفة. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢، عدد ١٨/٤/١٩٠٤م، ص ١٣)

الشؤون المادية لا تحتاج إلى التقوى لكن الدين يحتاج إليها، ولذلك لا يفهم هؤلاء أمور الدين أيضاً، وإشارة إلى ذلك قال الله ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾،

أي يصعب على الإنسان مسُّ القرآن ودونك التعمق فيه، ما لم يكن مطهراً أي متقياً. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨/٣/١٩٠٤م، ص ٥)

الحق أن من مهام المسيح الموعود والمهدي؛ أن يضع الحروب ويُعلي كلمة الإسلام بالقلم والدعاء والتركيز. ولكن المؤسف أن الناس لا يفهمون ذلك، لأنهم ليسوا راغبين في الدين كرجبتهم في الدنيا. فأئى لهم أن يتوقعوا بأن تُكشف عليهم معارف القرآن مع انغماسهم ووقوعهم في شوائب الدنيا؟! إذ ورد في القرآن الكريم بكل وضوح: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٦، عدد ١٧/١٠/١٩٠٦م، ص ٥)

يقول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، كلما ازدادت الطهارة ازدادت المعرفة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٧، عدد: ٢٦/٤/١٩٠٦م، ص ٢)

التقوى ليس شرطاً للحصول على علوم أخرى. لا يُشترط لتعلم الرياضيات والهندسة وعلم الأفلاك وغيرها أن يكون متعلمها متقياً وورعاً حتماً بل يمكن أن يتعلمها مهما كان فاسقاً وفاجراً. ولكن لا يمكن أن يتقدم في علوم الدين فيلسوف أو عالم المنطق الجاف. من كان قلبه فاسداً وليس له نصيب من التقوى لن تنكشف عليه الحقائق والمعارف. ومع ذلك يقول بأن علوم الدين وحقائقه تجري على لسانه فهو كاذب، لأنه لا يمكن أن يجد نصيباً من حقائق الدين ومعارفه قط، بل حصول المرء على اللطائف والنكات الدينية مشروط بكونه متقياً. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٧م، ص ٧)

الآية ٩٦: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

أي أن القرآن الكريم يذكر المؤمنين بكافة الأمور التي كانت خافية ومستورة في فطرتهم. وإنه لحقُّ محض يوصل الإنسان إلى اليقين. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٧)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الحديد



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٤: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

"إن المسيح مظهرٌ لاسم الله الذي هو خاتم سلسلة المخلوقات، أعني "الآخر" الذي أُشير إليه في قوله تعالى هُوَ ﴿الْآخِرُ﴾ لِمَا هُوَ علامة لمنتهى الكائنات، فلأجل ذلك اقتضت نفسُ المسيح ختمَ سلسلة الكثرة بالممات، أو برَدِّ المذاهبِ إلى دين فيه موثُ النفوس من الأهواء والإرادات، والإسلاكُ على الشريعة الفطرية التي تجري تحت المصالح الإلهية وتخليصُ الناس من ميل النفس بهواها إلى العفو والانتقام والمحبة والمعاداة. فإن الشريعة الفطرية التي تستخدم قوى الإنسان كلها لا ترضى بأن تكون خادمةً لقوة واحدة، ولا تقيد أخلاق الإنسان في دائرة العفو فقط، ولا في دائرة

الانتقام فقط، بل تحسبه سجيّة غير مرضية، وتؤتي كلّ قوة حقّها عند مصلحة داعية وضرورة مقتضية، وتُغيّر حكمَ العفو والانتقام والمصافاة والمعاداة بحسب تغيّرات المصالح الوقتية. وهذا هو الموت من النفس والهوى والجذبات النفسانية ودخول في الفانين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٠٨-٣٠٩)

يتبين من هذه الآية بجلاء أن شخصا كان مظهرا لصفة الله "الأول"، وشخصا آخر سيكون مظهرا لصفته "الآخر". وكان من المحتوم أن يتحدا من حيث صفاتهما في صفة واحدة. فما دام آدم قد خلُق ذكرا مع أنثى، وكذلك شيث، فكان ضروريا أن يُخلَق الإنسان الأخير أيضا ذكرا مع أنثى. لذا لا بد أن يولد، بحسب القرآن الكريم، الخليفة الموعود وخاتم الخلفاء- الذي يجب أن يسمّى المسيح الموعود بتعبير آخر- على المنوال نفسه أي توأما؛ بحيث تخرج البنت أولا ثم يخرج الولد بعدها ليكون خاتم الأولاد. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٨٤-٤٨٥)

أي هو وَعَلَيْكَ موجود قبل كل شيء آخر، ومع كونه الأول هو الآخر أيضا. وهو أظهر من كل شيء آخر ومع كونه الأظهر فهو أخفى من الجميع أيضا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١١٩-١٢٠)

من سمات كلام الله أن بعض آياته يفسر بعضها. إن تفسير "الأول" هو: "كان الله ولم يكن معه شيء آخر". واستدل منه على أن ﴿كل من عليها فان﴾ وإنني أحب المعنى الذي علّمه الله. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٨، عدد ٢٤٤/١٠/١٩٠٢م، ص ٧)

الآية ٥: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

أي بعد الفراغ من خلق المخلوقات كلها في ستة أيام، بدأ يُظهر صفّي العدل والرحمة. إن استواء الله على عرش الألوهية يشير إلى أنه بعد أن خلق الخلق كله بدأ

يتصرف معهم بمقتضى العدل والرحمة والسياسة. فهذا التعبير مستمد من أنه حين يحضر أصحاب القضية كلهم وأركان الدولة والجيش بهيئتهم وتكون أعمال المحكمة على أوجها حيث يطلب كل ذي حق حقه من العدل الملكي، وتتوفر جميع أسباب العظمة والهيبة، يأتي الملك بعد الجميع ويزين عرش المحكمة بوجوده الكريم. باختصار؛ قد ثبت من هذه الآيات أن آدم خلُق في الجزء الأخير من يوم الجمعة، لأن سلسلة الخلق قد انقطعت بعد اليوم السادس. والسبب أن اليوم السابع هو يوم الاستواء على العرش لا يوم الخلق. إن اليهود وصفوا اليوم السابع يوم الراحة، لكن ذلك سوء فهمهم، بل هو تعبير معناه أن الإنسان حين يفرغ من مهمة عظيمة فكأن ذلك الوقت وقت راحته. فالنصوص من هذا النوع في التوراة من قبيل المجاز ولا تعني أن الله تعب في الحقيقة ولم يجد بدا من الراحة نتيجة الإرهاق والمشقة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٧٩، الحاشية)

الآية ١٣: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

أي أن نور إيمانهم الذي يحظون به في شكل خفي سوف يُرى يوم الآخرة وهو يسعى أمامهم وعلى يمينهم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠١)
إن نور المؤمنين الذي هو مخفي في الدنيا ستره ذلك اليوم ويظهر عيانا وسيَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١١)

الآية ١٨: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

كان تجليا عظيما لكمال رحمانية الله ﷻ إذ أنزل في وقت الظلمة والظلام نورا عظيما اسمه الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والذي أحق الحق وأفنى الباطل،

ونزل على الأرض حين كانت الأرض قد ماتت ميتة روحانية، وظهر فساد كبير في البر والبحر، فقد حَقَّق بنزوله مهمة عظيمة أشار الله تعالى إليها بنفسه قائلاً: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي كانت الأرض قد ماتت، والآن يحييها الله من جديد.

يجب الانتباه جيداً إلى أن نزول القرآن الكريم لإحياء الأرض كان نتيجة هياج صفة الرحمانية. إنها الصفة نفسها التي تهيج أحياناً مادياً وتُسَعِف الذين أصابهم القحط، فتُمطر الغيث على الأرض اليابسة، وأحياناً أخرى تهيج الصفة نفسها روحانيا وترحم الجوع والمتعطشين الموشكين على موت الضلال، ولا يبقى لديهم غذاء الحق والصدق الذي هو مدعاة للحياة الروحانية. فكما يهيب الرحمن القدير غذاء للجسم عند حاجته إليه، كذلك يهيب بمقتضى رحمته الكاملة غذاء روحانياً أيضاً عند الضرورة الحقة. غير أنه صحيح تماماً أن كلام الله تعالى إنما ينزل على الأصفياء فقط الذين يرضى ﷻ عنهم، ويكلّم الله ويخاطب الذين يحبهم فقط. ولكن ليس صحيحاً قط أن مَنْ كان الله تعالى راضياً عنه ينزل عليه كتاباً دون ضرورة حقة، أو أنه ﷻ يكلّم أحداً حتماً ودائماً بغير ضرورة حقة نتيجة التزامه بالطهارة فقط. بل الحق أن كتاب الله تعالى إنما ينزل حين تمس الحاجة لنزوله في الحقيقة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤١٩-٤٢٠ الحاشية رقم ١١)

إن سنة الله في الكون هي أنه عندما تموت الأرض فيحييها الله من جديد. قد فصلنا الآيات للناس لعلهم يفقهون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٧-٦٥٨)

أي أن سنة الله منذ القدم أنه يحيي الأرض من جديد حين تموت. فلا يكفي بإنزال غيث واحد. يجب التدبر ما أروعها من حقيقة أن باب الإلهام المتجدد لا ينغلق أبداً. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٩٣-٢٩٤)

هذا أسلوب شائع في القرآن الكريم؛ إذ أنه يراد من الأرض، قلوب أهلها وقواهم الباطنية. وذلك مثل قوله جل شأنه: وهذا أسلوب شائع في القرآن الكريم؛ إذ أنه يراد من الأرض، قلوب أهلها وقواهم الباطنية. وذلك مثل قوله جل شأنه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٦٨)

فليتضح أن القرآن الكريم زاخر بعبارات تفيد أن الدنيا كانت ميتة فأحيها الله تعالى من جديد بإرسال نبيه خاتم النبيين ﷺ، حيث يقول: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٩٤)

تأملوا الآن أن هذا الدليل الذي ذكر لكم لم نختعه من دماغنا بل إن القرآن نفسه يعرضه، وبعد بيان جزأي الدليل يقول بنفسه ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي أن هذه أيضا علامة على كون هذا الرسول والكتاب من الله، وقد بيناها لكي تتفكروا وتفهموا وتصلوا إلى الحقيقة.

أما الجانب الثاني لهذا الدليل وهو أن النبي ﷺ دُعي إلى مولاه من هذا العالم بعد أن أنجز مهمته على أكمل وجه، فهذا ما يثبت من القرآن الكريم جيدا. (نور القرآن رقم ١، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٤٠-٣٤٣)

بعض القساوسة الذين يريدون كتمان الحق في هذا الزمن حين لاحظوا أن هذا الإصلاح الشامل قد تحقق على يدي النبي ﷺ، لدرجة أن لا يسعهم كتمانهم وأن الإصلاح الذي أحرزه المسيح مقابل ذلك في زمنه لا يمثل شيئا يذكر، أصيبوا بقلق أن إصلاح الضالين وجعل السيئين يعملون الحسنات - وهو العلامة الحقيقية لنبي صادق وقد أحرزه النبي ﷺ بالتمام والكمال - لا توجد بها أي نسبة في إصلاح المسيح. فأرادوا أن يهيلوا التراب على الشمس بمكايدهم الدجالية، فخدعوا الجهلة مضطرين بقولهم كما نشر القس "جيمس كيمن ليس" في محاضراته أن الناس كانوا سلفا مستعدين للإصلاح وكانوا قد بدأوا يحتقرون عبادة الأوثان والشرك. لكن هؤلاء إذا كانوا صادقين في رأيهم فيتحتم عليهم تقديم برهان على صدق دعواهم

كما أعلن القرآن الكريم ضدهم قائلاً: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إذ قد وصفهم موتى ونسب إحياءهم إلى نفسه، ويقول في عدة آيات أنهم كانوا مقيدون في أغلال الضلال فحررناهم وكانوا عميانا فجعلناهم يبصرون، كانوا في الظلام فوهبنا لهم النور، وكل هذه الأمور لم يصرَّح بها خفية بل قد بلغهم القرآن وسمعوها بأذانهم ولم ينكروها ولم يصرحوا قط إننا سلفا كنا مستعدين، ولم يَمِّن علينا القرآن بشيء.

(نور القرآن رقم ١، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٦٦-٣٦٧، الحاشية)

لقد أثبت القرآن الكريم ضرورته بكل جلاء حين قال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٥٥)

ذكر القرآن الكريم بنفسه ضرورة مجيئه قائلاً بأن كل نوع من سوء السلوك وسوء الاعتقاد والفحشاء كان قد أحاط بسكان الأرض في ذلك الزمن.

فيجب التأمل الآن بشيء من خشية الله، ألم يُرد الله تعالى مع اجتماع كل هذه الحاجات أن يحيي العالم من جديد بكلامه المتجدد والحي؟ أليس فيكم رجل رشيد ونبيل يتأمل في دليل مفاده أن القرآن الكريم يقول بنفسه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.. أي اعلموا أيها الناس أن الأرض كانت قد ماتت ويحييها الله الآن من جديد. فهذا كان نور القرآن الكريم الذي بمجيئه عاد العالم إلى التوحيد وملئت الجزيرة العربية كلها بالتوحيد وتلاشت عبادة النار من بلاد الفرس أيضاً. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣ ص ٢٦٦-٢٦٧)

الماء الذي نشره رسول الله ﷺ شأنه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.... فحيَّت الأرض بهذا الماء. (كتيب الإنذار، ص ١٨)

قد وصف الله تعالى القلب أيضاً بكلمة "الأرض" حيث قال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. كم يتكبد الفلاح من المشقة والعناء بشأن أرضه؛ حيث يشتري الثيران، ويحرقها، ويذر فيها البذور، ويسقيها، ويكدح كدحاً كبيراً،

باختصار، إنها لا تدّر عليه بشيء ما لم يعتنِ بها بنفسه. ورد أن شخصاً قرأ على حجر: الزرع أموال وثروات. فبدأ بالزراعة، ولكنه فوّض أمرها إلى العمال، ولما قام بالحساب في النهاية علم أنه لم يُجِنِ نفعاً، بل أصبح مديناً. فساوره الشك فيما قرأ، فقال له بعض الحكماء: إن النصيحة التي قرأتها حق، ولكنك عملت حماقة، إذ كان عليك أن تشرف على الأرض بنفسك ولو فعلت ذلك لجنت منها النفع. كذلك تماماً هو أمر أرض القلب، فالذي يستهين بها لا ينال من الله فضلاً ولا بركة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ١١)

كما أن النبي ﷺ وُلِدَ في برية مادية، كذلك كان ذلك العصر يمثّل البرية من الناحية الروحانية أيضاً. لم تكن في مكة أنهار مادية ولا روحانية، كما كانت البلاد الأخرى أيضاً قد هلكت بسبب عدم وجود الأنهار الروحانية، وكانت الأرض قد ماتت كما يقول القرآن الكريم: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي تعلمون أن الأرض كانت ميتة كلها، ويحييها الله الآن من جديد. فمن الحجج القوية على صدق النبي ﷺ أنه جاء في وقت كان العالم كله متورطاً في السيئات والاعتقادات السيئة، وكان خالياً من الحق والحقيقة والتوحيد والطهارة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٢م، ص ٤)

وبين السماء والأرض علاقة مثل العلاقة بين الذكر والأنثى. توجد في الأرض آبار ولكنها مع ذلك محتاجة إلى الماء من السماء. وإن لم ينزل الماء من السماء ماتت الأرض، فحياتها تقتصر على الماء النازل من السماء، لذلك قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

لقد لوحظ أيضاً أنه عندما يتأخر نزول الماء من السماء ويشح المطر تجف مياه الآبار وينخفض منسوبها رويداً رويداً، وعندما يحل موسم الأمطار وتهطل الأمطار بكثرة يتدفق ماء الآبار ويبدأ منسوب الماء بالصعود، لأن في الماء السماوي قوة الجذب. هنا يجب أن يفكر أتباع مذهب البرهمو أنه إذا انقطع نزول الماء من السماء

سوف تحف الآبار كلها. كذلك نؤمن بأن الله تعالى أعطى كل إنسان نور القلب، وأودع دماغه عقلاً يتمكن بسببه أن يميز بين الخير والشر. وإن لم ينزل نور النبوة من السماء انقطعت سلسلته عن العقول والأذهان وساد الظلام نور القلب، ولما بقي نافعا قط، لأن هذه السلسلة تستنير من نور النبوة فقط. فكما تخرج النباتات من الأرض بعد نزول المطر وتنبت كل بذرة، كذلك عند نزول نور النبوة يتولد النقاء في العقول والأذهان، والجلاء في نور الفراسة، وإن كان ذلك على قدر المراتب ويستفيد منه كل شخص بقدر مواهبه. كل ذلك يحدث ببركة نور النبوة سواء شعر به المرء أم لم يشعر. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ٣١٥/٣/١٩٠٣م، ص ١)

قد انعدم الصدق مع الله والوفاء والإخلاص والحب والتوكل على الله، وقد أراد الله ﷻ الآن أن يحيي هذه القوى من جديد. فالله الذي ظل ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ منذ الأزل قد أراد الإحياء وقد اتخذ الطرق العديدة لذلك. فمن ناحية أرسل مبعوثاً منه ليدعو بقول لِيِّن، ويهدي الناس، ومن ناحية أخرى تطورت العلوم والفنون، ويعقل الناس. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٩)

لقد شبه الإنسان بالأرض أيضاً كما ورد في القرآن الكريم ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فالمراد من إحياء الأرض إحياء أهلها. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٧، عدد ٦/٣/١٩٠٨م، ص ٨)

الآية ١٩: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

ومن سنة الله الجارية في القرآن الكريم أنه يستخدم فيه بعض الكلمات بصرفها عن حقيقتها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ والمعلوم أن من مفهوم القرض الحقيقي أن الإنسان يسأل غيره شيئاً عند الحاجة والاضطرار ويعده بتسديده

في وقت آخر. ولكن الله جلّ شأنه منزّه عن الحاجة؛ لذا فالمراد من مفهوم القرض في هذا المقام شيء واحد فقط وهو أخذ المرء شيئاً جاعلاً نفسه مسؤولاً عن إرجاعه إلى صاحبه في وقت آخر. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٤-١٥٥)

الآية ٢٦: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

﴿أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾.... إن كلها أن كلمة نزول لا تدل على النزول المادي من السماء دائماً، أما إضافة "السماء" إليها، فمثله كمثّل جائع يُسأل: ما مجموع ٢ و ٢ فيقول: أربع خبزات. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٤٥، الحاشية)

"فانظروا إلى القرآن الكريم كيف بيّن معنى النزول في آياته العظمى. وتدبروا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾... وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء بل تحدث وتتولد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف عليكم أن حقيقة نزول المسيح من هذه الأقسام." (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٤١)

"﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ - ومعلوم أن الحديد لا ينزل من السماء بل يتكوّن في المعادن، وكذلك يتولد الحمير من الحمير والخيل من الخيل، وما رأى أحد من الناس أن هذه الحيوانات تنزل من السماء، وكذلك الألبسة تُتخذ من القطن والصوف والجلود والحريز، وهذه الأشياء كلها تكون في الأرض ولكن بحكم ربّ السماوات، ولو اجتمع أهل الأرض جميعاً على أن يخلقوا هذه الأشياء بقوتهم وتديبرهم لم يستطيعوا أبداً، فكأنها نزلت من السماء." (حمامة البشرى، الخزان

الروحانية، المجلد ٧، ص ١٩٦)

قال الحكيم نور الدين بأن الحديد خرج من الأرض إلى الآن بكثرة بحيث لو جُمع في مكان واحد لصار كجبال الهيمالايا. لم تُسبر إلى اليوم أغوار مناجم الحديد ولم يُعثر على نهايتها، ولا يُدرى كيف أن الحديد لا يزال يخرج من أعماق الأرض. فقال المسيح الموعود عليه السلام:

لقد أهمل الله تعالى ذكر الذهب والفضة وقال: ﴿أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ (أي هو الأنفع لبني البشر). (بدر، مجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١١/١١/١٩٠٢م، ص ٣٠)

قيل يتبين من هنا من الآية قيد التفسير أن الحديد أذى واجبه: "فيه بأس شديد" في زمن النبي ﷺ إذ استُخدم بعد أن صُنعت منه الأسلحة، وأما وقت "منافع للناس" فهو وقت المسيح والمهدي إذ يستفيد العالم كله من الحديد مثل القطار، ونظام البرقية والسفن وغيرها من الأشياء التي تُصنع من الحديد.

فقال المسيح الموعود عليه السلام: أنا أيضا أكتب المقالات كلها بقلم من حديد إذ لست متعودا على صنع الأقلام بكثرة لذا أستخدم قلما برأس حديدي. استخدم النبي ﷺ الحديد، وأستخدمه أنا أيضا، وقلم الحديد يعمل عمل السيف. (بدر مجلد ١، رقم ٩، عدد ٢٦١/١٢/١٩٠٢م، ص ٦٨)

الآية ٢٨: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ .. أي أن هناك أناسا ابتدعوا بأنفسهم طرقا لذلك: كأن كَفُّوا عمداً عن الزواج إلى الأبد، أو عطلوا قواهم الجنسية بطرقٍ مصطنعة ليكونوا كالمصابين بالعمّة، أو تهربوا بأي طريقٍ آخر؛ ولكننا لم نفرض ذلك عليهم، ومن ثم فشلوا في العمل بهذه البدعات تماما.

وقوله تعالى إننا ما كتبنا على الناس أن يترهبوا يشير إلى أننا لو كنا فرضناه عليهم لاستطاع الجميع العمل به؛ وبالتالي لأدى ذلك إلى القضاء على أهل الدنيا من زمن بعيد بانقطاع النسل الإنساني.

ثم إن الاستعفاف يبتز عضو التناسل ليس إلا اعتراضاً على الصانع الحكيم الذي خلق ذلك العضو. ثم إن الثواب كله يتوقف على وجود قوة الشهوة أولاً، وعلى مقاومة الإنسان المستمرة لنزعاتها الفاسدة خشيةً من الله، وعلى استفادته من تلك القوة.. لينال نوعين من الثواب. وما دام الأمر كذلك، فمن البديهي أن بتر العضو يحرم الإنسان من الثوابين، لأن الثواب إنما يتحقق بوجود الشهوة الثائرة وقمعها. فأين الثواب إذا انعدمت تلك الشهوة وأصبح الإنسان كالطفل؟ وهل يُثاب الطفل على عفاه؟ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٢)

لا أقول لكم أن تتخلوا عن أمور الدنيا كلية، وتتركوا أهليكم وأولادكم وتذهبوا بعيداً إلى غابة أو جبل وتقبعوا فيه. كلا، إن الإسلام لا يجيز ذلك، وليست الرهبانية هدفه. إنما يريد الإسلام أن يكون الإنسان نشيطاً ومجتهداً ومجدداً، لذا أقول: عليكم أن تنجزوا أمور دنياكم بجد واجتهاد. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٢)

إن القيام بالممارسات الخطيرة وتعطيل الأعضاء والقوى بمجاهدات شاقة أمرٌ عقيم لا جدوى منه، ولذلك قال هادينا الكامل عليه السلام: لا رهبانية في الإسلام. بمعنى أنه إذا تيسرت للإنسان حالة الإسلام.. أي الخضوع التام لأمر الله تعالى والموافقة التامة للمقادير الإلهية فلا حاجة له للرهبانية، أي المجاهدات الممارسات الشاقة. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٨٩٩م، ص ٥)

الرهبانية والإباحية تُبعدان الإنسان عن الصدق والإخلاص اللذين يريد الإسلام خلقهما فيه، لذلك يعلم الإسلام الإنسان الصدق والإخلاص اللذين يجذبان اللذات الروحانية كلها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٢)

الراهب الذي ينزوي إلى زاوية الحمول خائفا الأمور الدنيوية إنما ييدي ضعفه. لا رهبانية في الإسلام. لا أقول مطلقا أن تتركوا نساءكم وأولادكم أو اتركوا المشاغل الدنيوية بل يجب على الموظف أن يؤدي ما تفرض عليه وظيفته، وعلى التاجر أن يكمل على ما يرام ما تقتضيه تجارته، ولكن فليقدم الدين.

إن نظير ذلك موجود في الدنيا نفسها حيث أن التجار والموظفين يؤدون مقتضيات تجارتهم ووظيفتهم بكل براعة ولهم زوجات وأولاد ويؤدون حقوقهم أيضا على أحسن وجه. كذلك يستطيع الإنسان أن يؤدي حقوق الله تعالى إلى جانب كل هذه المشاغل ويستطيع أن يقضي حياته على أحسن وجه مقدما الدين على الدنيا. إن علاقة الإنسان مع الله تعالى علاقة فطرية لأن فطرته أقرت أمام الله قائمة: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ في جواب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾

اعلموا أن الذي يقول أن عليه أن يذهب إلى فلاة ويعبد ربه بعيدا عن المشاغل الدنيوية هو يهرب من الدنيا خائفا ويتخلى عن سيرة الرجال. خذوا مثل القاطرة التي تستقطب آلاف الناس مع أنه لا حياة فيها وتوصلهم إلى غاياتهم المنشودة. فالأسف على حي لا يقدر على استقطاب أحد. لقد وهب الله الإنسان قوى عظيمة وأودعه كنز القوى ولكنه يضيعها بالكسل ويصير أضعف من النساء أيضا. المعلوم أن القوى التي لا تُستخدم تبطل رويدا رويدا. إذا بقي أحد في الظلام إلى أربعين يوما يزول نور عينيه. (بدر، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ١٤٠٣/٣/١٩٠٧م، ص ٦)

الآية ٢٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ويجعل لكم نورا تمشون به، أي روح القدس الذي سيمشي معكم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٩٧)

....أي إذا داومت على التقوى وتمسكت بها وثبتت عليها لوجه الله، فسوف يجعل الله بينكم وبين غيركم فرقا واضحا وهو أنكم ستعطون نورا تسلكون به في جميع مسالككم بمعنى أن ذلك النور سيعم أفعالكم وأقوالكم وقواكم وحواسكم؛ فسيكون في عقولكم نور وفي كل ما تقولونه تخميناً نور، وفي عيونكم نور، وفي آذانكم نور، وفي لسانكم نور، وفي كلامكم نور، وفي كل حركة من حركاتكم وسكناتكم نور، والسبل التي تسلكونها ستصبح نورانية. باختصار، ستملأ كافة السبل لقواكم وحواسكم نورا وستمشون في النور كلياً.

ويتبين من هذه الآية بكل جلاء أن التقوى لا يمكن أن تجتمع مع الجهل قط، غير أن فهم المرء وإدراكه يمكن أن يزيد أو ينقص بحسب مراتب التقوى. ومن هنا يثبت أيضاً بأن الكرامة العظيمة والعليا التي يُعطاها الأولياء البالغون درجة الكمال من التقوى هي أن كافة حواسهم وعقولهم وفهمهم وقياسهم يودع نورا، وتُغسل قوتهم الكشفية بمياه النور وتُطهر لدرجة لا تكون في نصيب غيرهم، وتغدو مرهفة جداً وتُفتح عليهم الينابيع المقدسة من المعارف والحقائق، ويجري فيض سائغ من الله تعالى في كل ذرة من كيانهم مجرى الدم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٧٧-١٧٩)

أي ستعطون نورا لن يوجد في غيركم قط. وهو نور الإلهام ونور إجابة الدعاء ونور كرامات الاصطفاء. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٦٩)

"ويجعل لهم نورا يمشون به. فالنور، الذي هو الأمر الفارق بين خواص عباد الله وبين عباد آخرين.. هو الإلهام والكشف والتحديث، وعلوم غامضة دقيقة تنزل على قلوب الخواص من عند الله." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٨٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا﴾، قد يبدو ذلك تحصيلًا حاصلًا في الظاهر، ولكن يتضح بجلاء عند التأمل في حقيقة الأمر أن هناك مراتب كثيرة، لذلك يريد الله التكميل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٢م، ص ٧)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة المجادلة



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٨: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

العرش هو مقام التنزيه لذلك إن الله تعالى حاضر وموجود في كل مكان كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠،

عدد ٢٢/٣/١٩٠٨م، ص ٢)

الآية ١٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

أي إذا طلب منكم أن تفسحوا مكانا في المجالس لجلوس الآخرين فافسحوا لهم من فوركم، وإذا قيل لكم اتركوا أماكنكم من المجلس فاتركوها بدون تردد أو تدمير. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

الآية ٢٢: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

هذه الآية أيضا تبين سنة الله المستمرة والجارية في كل زمان، وليس المراد أنه سيكون هناك أنبياء في المستقبل وسيجعلهم الله تعالى غالبين في المستقبل بل معناه أن سنة الله المستمرة هي أن الرسل يكونون هم الغالبين دائما سواء كان الزمن زمن الحال والمستقبل أو الماضي. (الحق، مناظرة دهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٣)

لقد كتب الله منذ الأزل أنه سيغلب هو ورسله. (عاقبة آتهم، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ٥٩)

"إن الذين يكونون لله فيكون الله لهم. ألا إن أولياء الله هم الغالبون في مآل الأمر على المخالفين. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، إن الله لا يُخزي عباده المأمورين." (مكتوب أحمد، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ٢٦٥)

إنني - بتلقي العلم اليقيني من الله ﷻ - أقول إنه إذا نافسني وباراني جميع هؤلاء المشايخ وأصحاب الزوايا والملهمون مجتمعين في الأمور الإلهامية فسوف يُكرمني الله ﷻ بالفتح، لأنني منه ﷻ، فلا بد أن أحرز الفتح بموجب الآية الكريمة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. (عاقبة آتهم، الخزان الروحانية،

المجلد ١١، ص ٣٤١-٣٤٢)

لقد كتب الله تعالى منذ الأزل وسنّ قانونه وسنته أنه هو ورسله سيغلبون، فما دمتُ رسولا من الله ولكن دون شريعة جديدة ودون ادّعاء جديد وبغير اسم جديد؛ بل جئت حاملا اسم النبي الأكرم خاتم الأنبياء، وجئت تابعا ومظهراً له ﷺ، فأقول بأنه كما ظلّ مضمون هذه الآية يتحقق منذ القدم -أي منذ زمن آدم إلى النبي ﷺ- كذلك سوف يتحقق في حقّي أنا أيضا. (نزل المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٨٠-٣٨١)

هل يقدر هؤلاء بإعراضهم هذا أن يحولوا دون مشيئة الله الحقّة التي ما زال جميع الأنبياء يشهدون عليها منذ البداية؟ كلاّ بل يوشك أن تتحقق النبوءة الربانية القائلة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٨)

هذه هي سنة الله الجارية، ومنذ أن خلق الإنسان في الأرض مازال يدي هذه السنة دون انقطاع أنه ينصر أنبياءه ومرسله. ويكتب لهم الغلبة، كما يقول: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ والمراد من الغلبة هو أنه كما أن الرسل والأنبياء يريدون أن تتم حجة الله على الأرض بحيث لا يقدر أحد على مقاومتها، فإن الله تعالى يظهر صدقهم بالبينات، ويزرع بأيديهم بذرة الحق الذي يريدون نشره في الدنيا. (الوصية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٠٤)

وقد ورد في القرآن الكريم بكل وضوح: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي قد وعد الله تعالى وعدا قاطعا أن الذين يأتون من عنده يغلبون خصومهم. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٦٢)

عند المواجهة ينتصر الصادق: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٩، عدد ١٠٥١/٣/١٩٠١م، ص ١٠)

الحق أن الله إذا أحب أحدا أيده لأنه يقول: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٣م، ص ٢)

إِنَّ اللَّهَ يُجَاهِدُ عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ وَيُفْلِحُ الْإِسْلَامُ. يريد العدو أن يقضي عليهم ويبيدهم لكنهم يوما بعد يوم يحرزون التقدم والرقى، ويغلبون أعداءهم باستمرار، كما قد صدر وعده: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّهِ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠٧) كلمة "كتب" تدل على سنة الله، أي من عادة الله ﷻ أنه حتما يهب الغلبة لرسله، فالمصاعب العابرة في الطريق لا شيء، حتى لو كانت مصداق: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ (التوبة: ١١٨). (بدر، مجلد ٣، رقم ٩، عدد ١/٣/١٩٠٤م، ص ٤) اعلموا أن عاقبة عباد الله لا تكون سيئة أبدا، وإن وعد الله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّهِ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ صادق تماما ويتحقق عندما يعارض الناس رسله. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد ١٦٤/٣/١٩٠٤م، ص ١١)

الآية ٢٣: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

المراد من كتابة الإيمان هو أنه دخل إراداتهم الفطرية والطبيعية وصار جزءا منهم لا يتجزأ، ولم يعد هناك أي تكلف أو تصنع. إن مرتبة رسوخ الإيمان في كل ذرة من القلب ينالها الإنسان حين يحظى بتأييد روح القدس وينال حياة جديدة؛ فكما تبقى الروح داخل الجسد دائما لحفظه وتلقي عليه بنورها كذلك تسكن روح القدس لهذه الحياة الجديدة وتلقي بنورها على القلب في كل لحظة وآن، وكما يحيا الجسد دائما بوجود الروح كذلك يجب أن يحيا القلب وكافة القوى الروحانية بتأثير روح القدس. لذلك قال تعالى أيضا - بعد بيان أننا كتبنا في قلوبهم الإيمان - بأننا أيدناهم بروح القدس، لأنه حين كُتِبَ في قلوبهم الإيمان ودخل فطرهم نال الإنسان

حياة جديدة، وهذه الحياة الجديدة لا تُنال قط إلا بتأييد من روح القدس. لقد سُمِّيَ روح القدس بهذا الاسم لأنه بدخوله يُعطى الإنسان روحاً طاهرة. إن القرآن الكريم زاخر بذكر الحياة الروحانية، وقد سُمِّيَ المؤمنون أحياءً مراراً، وسمي الكفار أمواتاً. وهذه إشارة إلى أن المؤمنين ينالون حياة جديدة نتيجة دخول روح القدس. أما الكفار فمع أنهم أحياء جسداً لكنهم محرومون من الحياة التي تهب القلب والذهن حياة الإيمان.

ولا بد من التذكر هنا أنه قد وردت أحاديث كثيرة تؤيد هذه الآية الكريمة، ففي صحيح البخاري حديث برواية السيدة عائشة رضي الله عنها جاء فيه: "أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد فكان ينافح عن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: اللهم أيّد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك". أي كان حسان يجابه الكفار من قبل النبي ﷺ ويردّ على هجوههم بالمدح، فدعا له النبي ﷺ فقال: اللهم أيّد حسان بروح القدس؛ أي أيده بجبريل. ولقد نقل أبو داود عن ابن سيرين وكذلك الترمذي الحديث نفسه وعده حديثاً حسناً صحيحاً. وقد ورد في البخاري حديث بطول الكلمات أن رسول الله ﷺ قال لحسان: "أجبت عني، اللهم أيده بروح القدس." وهناك حديث آخر بحق حسان هو: "هاجهم وجبريل معك". أي رُدّ على هجو الكفار بمثله.

فقد ثبت من هذه الأحاديث كلها أن جبريل كان مع حسان دائماً وكان رفيقه الدائم. وكذلك فإن قوله تعالى في الآية المذكورة ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ يعلن أيضاً بكل وضوح بأن روح القدس يبقى مع المؤمنين دائماً، لأن الآية المماثلة لها التي جاءت بحق عيسى عليه السلام أي: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قد اتفق المفسرون جميعاً في تفسيرها على أن روح القدس كان قريناً ورفيقاً دائماً لعيسى عليه السلام ولم يفارقه لحظة واحدة. انظروا التفسير الحسيني، والتفسير المظهري، والتفسير العزيزي، ومعالم وابن كثير وغيرها. ولقد أورد المولوي صديق حسن خان في تفسير

فتح البيان تحت تفسير هذه الآية عبارة: "وكان جبريل يسير مع عيسى حيث سار، فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء". (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٠٠-١٠٥)

لقد قيض الله تعالى داعيين روحانيين لابتلاء الناس؛ أحدهما الداعي إلى الخير واسمه روح القدس، والثاني هو الداعي إلى الشر واسمه إبليس وكذلك الشيطان. وكلاهما يدعوان إما إلى الخير أو إلى الشر، ولكنهما لا يُكرهان على شيء. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٨٠-٨١)

وقال ﷺ على غرار ذلك بحق أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾؛ والمراد من تأييد روح القدس هو أنه يحمي القلوب ويُنقذها من الموت الروحاني، ويهبها كل ما هو طاهر من قوى وحواس وعلم، ويوصل إلى مقام قرب الله تعالى بالعلوم اليقينية والبراهين القاطعة، لأن مقربيه ﷺ هم أولئك الذين يعلمون يقينا أنه موجود، ويعلمون يقينا أيضا أن قدرته ورحمته وعقابه وعدله كلها حق وصدق وهو مبدأ جميع الفيوض ومنبع نظام العالم كله وعلة العلل لسلسلة المؤثرات والمتأثرات كلها، وهو متصرف بالإرادة ويده ملكوت السماوات والأرض كله. وإن هذه العلوم التي هي مدار النجاة، لا تُنال -قطعا ويقينا- إلا بالحياة التي ينالها الإنسان بواسطة روح القدس. والقرآن الكريم يعلن بكل قوة وشدة أن تلك الحياة الروحانية إنما تتسقى نتيجة اتباع رسول الله ﷺ فقط، أما المارقون عن اتباع هذا النبي الأكرم ﷺ فهم ميّتون ولا توجد فيهم روح هذه الحياة.

والمراد من الحياة الروحانية هي قوى الإنسان العلمية والعملية التي تحيا بتأييد روح القدس. وثبت من القرآن الكريم أن الأحكام التي يريد الله أن يثبت الإنسان عليها هي ستمئة حُكم، ومقابلها ستمئة جناح لجبريل ﷺ. وما لم تأت بيضة البشرية تحت أجنحة جبريل حاملة نير الستمئة حُكم هذه فلا يتولد منها ولدُ الفناء في الله. وحقيقة البشرية تتسع لستمئة بيضة. فمن دخلت بيضات استعداد

الستمئة تحت أجنحة جبريل الستمئة؛ كان إنسانا كاملا، وكان تولده كاملا، وحياته كانت كاملة. ويتبين بنظرة التأمل والتدبر أن الأولاد الروحانيين لبيضة البشرية - الذين وُلدوا بواسطة روح القدس ببركة اتباع النبي ﷺ - هم أتم وأكمل كيِّفاً وكمًّا وصورةً ونوعاً وحالةً من أولاد الأنبياء جميعا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٩٤-١٩٧)

اعلموا أن ﴿كَلِمَةً﴾ و﴿رُوح﴾ كلمتان عامتان، ولا تخصَّان المسيح أيما خصوصية. فقد قال تعالى ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فكلمات الله ﷻ لا حصر لها، كما قد ورد قوله ﷻ في حق الصحابة ﴿أَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، فأى ميزة للمسيح في ذلك؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٨)

التباهي بالعلوم المادية حق، ينبغي أن تكون قوتكم قوة الروح. لم يقل الله إنا علَّمنا الإنسان العلوم والفلسفة والمنطق، وأيدناه بها، بل قال ﴿أَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، فكان الصحابة أميين، وكان نبيهم (سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) أيضاً أميا، لكن المعارف والحكم التي بينها لم تخطر ببال كبار العلماء، وذلك لأنهم كانوا مؤيدين من الله بوجه خاص، فالتقوى والطهارة تؤيد الإنسان داخليا. إن أسلحة العلوم المادية ضعيفة، ومن المحتمل وعلى الأغلب أن يكون عند العدو أقوى وأمضى منها. ينبغي أن يتزود الإنسان بسلاح لا يقاومه العدو به، وذلك السلاح هو التغير الصادق وطهارة القلب وتركته. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠ عدد ٢٤/٥/١٩٠٨ م، ص ٣)

لقد سمى الله البعض سابقين ومهاجرين وأنصاراً، وقال بحقهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، فهؤلاء آمنوا أولا، أما الذين آمنوا لاحقا فقد سمَّاهم بالناس فقط. كما قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ٢ - ٣). صحيح أن هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام سُمُّوا مسلمين، ولكنهم لم يُعطوا مراتب أعطيها الأولون. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٦، عدد ١٧/٧/١٩٠٣ م، ص ٢)

انظروا إلى جماعة صحابة النبي ﷺ الذين أراقوا دماءهم كالأنعام، وتفانوا في طاعة النبي ﷺ بحيث استعدوا لمواجهة كل ألم ومصيبة كل حين وآن، وأحرزوا تقدما هائلا لدرجة أنهم قد منحوا وثيقة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. (الحكم المجلد ٨، رقم ٧، عدد: ٢٤/٢/١٩٠٤م، ص ٢)

الجماعة - التي قال الله عنها في القرآن الكريم أنهم عملوا الصالحات فرضي الله عنهم ورضوا عنه - لم تتكون بترك الشر فقط، بل قد استخفوا بحياتهم في سبيل نيل رضا الله تعالى. لقد تخلوا عن راحتهم لإفادة خلق الله، عندها وصلوا إلى مدارج ومراتب حتى تناهى إليهم صوت: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٥م، ص ٣)

الحق أن المرء يخجل عند مقارنة الحواريين مع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. لن تجدوا كلمة واحدة في الإنجيل كله تمدح الحواريين بأنهم ضحوا بحياتهم في سبيلي، بل على النقيض من ذلك تثبت لهم أعمال يتبين منها أنهم كانوا غير مثابرين إلى أقصى الحدود، وكانوا غدارين وعديمي الوفاء وعبداء الدنيا. أما الصحابة - رضي الله عنهم - فقد أبدوا في سبيل الله ورسوله إخلاصا حتى جاءهم نداء: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البينة: ٩). هذا هو المقام السامي الذي حصل عليه الصحابة عليهم السلام. إن الألفاظ عاجزة عن بيان محاسن هذا المقام وكمالاته. الرضا بالله تعالى ليس بوسع كل إنسان، بل هو أعلى مقام التوكل والتبتل والرضا والتسليم الذي إذا بلغه المرء لا يبقى عنده شكوى من الله. إن رضا الله بعبده يعتمد في الحقيقة على كمال صدق المرء ووفائه وطهارته ونزاهته وكمال طاعته. الأمر الذي يتبين منه أن الصحابة كانوا قد اجتازوا مدارج المعرفة والسلوك كلها ولا يمكن العثور على نظيرها في الحواريين قط مهما بحثنا. الاعتزاز بالشفاء من الأمراض فقط ليس من العقل في شيء. والمولع بالكمالات الروحانية لا يرضى بذلك قط. لذا أحب لكم أن تطهروا قلوبكم ليرضى الله بكم وترضوا به. فسيبارك في أجسامكم وأقوالكم

حتى يستغرب لرؤيتها مزيلو الأمراض أيضا ويخجلون. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٩، عدد ٣١/٥/١٩٠٥ م، ص ٩)

الجماعة التي تيسرت للنبي ﷺ على النقيض من ذلك، والذين استفادوا من قوته القدسية ورد عنهم في القرآن الكريم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فما السبب وراء ذلك؟ إنها نتيجة قوة النبي ﷺ القدسية. ومن أوجه أفضلية النبي ﷺ أيضا أنه أعد جماعة مثالية مثلهم. أقول بكل تحدٍ أنه لم تكن جماعة مثلها في نصيب أي نبي بدءا من آدم إلى يومنا هذا. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١، عدد ٣١/١/١٩٠٦ م، ص ٣)

أما تكميل الصحابة على يد النبي ﷺ فيقول الله تعالى عنه بنفسه: ﴿مَنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ ثم يقول: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٦ م، ص ٤)

ورحل الصحابة رضي الله عنهم من هذا العالم بعد أن زينوا عرش الخلافة لمدة معينة وقاموا بإنجازاتهم وأحرزوا نجاحات عظيمة وفازوا برضوان الله وقد وهبت لهم الجنات والعيون المقدرة لهم في الآخرة، ونالوا ما وعدوا. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠، عدد ٣١/٣/١٩٠٨ م، ص ٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

تفسير

سورة الحشر



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٨: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

أي ما آتاكم الله من العلم والمعرفة فخذوا وما نهاكم عنه فانتهوا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٦)

إن حكم "ما آتاكم الرسول" ليس دون قيد أو شرط. يجب الانتباه أولاً هل يدخل حديث معين في قائمة "ما آتاكم" فعلاً أم لا. الحق أنه لا يُصنَّف في قائمة

"ما آتاكم" إلا ما عرفنا أن الرسول ﷺ قد آتانا فعلًا. وما لم نفتنح بذلك جيداً فهل يجوز أن ندخله في قائمة "ما آتاكم" بمجرد سماع كلمة: "حديث"؟ (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٠٧)

الآية ١٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أي أنه يعلم أعمالكم ويعلمها علماً كاملاً ويراقبها.... فلن يقبل أعمالكم الزائفة. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٥-٢٢٦)

الآية ٢٢: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

نضرب هذه الأمثال للناس لكي يتدبروا ويتفكروا لمعرفة عظمة الكلام الإلهي. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٦٣)

من معاني هذه الآية أن القرآن الكريم يبلغ من التأثير القوي بحيث لو أنزل على جبل لتحطّم الجبل من خشية الله وتمزّق وسوّي بالأرض. فما دام هذا هو تأثيره على الجمادات، فيمكن تقدير غباء الذين لا يستفيدون من تأثيره! والمعنى الآخر لهذه الآية أنه ليس بوسع أحد أن يفوز بحب الله ورضاه ما لم يتّصف بصفتين؛ أولاً: أن يحطّم كيّره نهائياً، فكما يتحطّم الجبل الشامخ ويستوي بالأرض، كذلك يجب على الإنسان أن يتخلى عن أفكار الكبر والزهو تماماً، ويتحلّى بالتواضع والمسكنة. وثانياً: أن يقطع علاقاته السابقة كلها، فكما أن الجبل يتحطّم ويكون ﴿مُتَصَدِّعًا﴾، وتنفصل أحجاره بعضها عن بعض، كذلك يجب على المرء أن تنفصم جميع علاقاته السابقة التي كانت مدعاة للرجس والخبث ولسخط الله تعالى، حتى تكون لقاءاته وصداقاته ومحبهه وعداوته كلها لله تعالى وحده. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢١، عدد ١٠/٦/١٩٠١م، ص ٩)

الآية ٢٣: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمُ﴾

أي أن الله هو الإله الأحد، الذي ليس له شريك يستحق العبادة والطاعة. ذلك لأنه لو كان معه إله شريك لجاز أن يغلب عليه الإله الشريك بسلطته، وبالتالي تتعرض ألوهيته للخطر. وقوله بأن لا أحد يستحق العبادة سواء فيعني أنه إله كامل ذو محامد كاملة ومحاسن عالية وكمالات سامية.. بحيث لو أردنا أن نختار معبودا من بين جميع الموجودات نظرا إلى كمال الصفات، أو تصورنا غاية ما نستطيع تصوّره من صفاتٍ أعظم وأعلى لمعبود، لكان الأعلى بين الجميع.. الذي لا يوجد أعلى منه مطلقا.. هو الله.. الذي من الظلم أن يشرك في عبادته مَنْ هو دونه.

ثم قال إنه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾، أي أنه هو نفسه يعلم ذاته، ولا يقدر غيره أن يحيط ويدرك ذاته. نستطيع أن نرى صورة الشمس والقمر وكل مخلوق، إلا أننا عاجزون عن رؤية ذات الله تعالى.

ثم قال ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾، يعني أنه لا شيء مستتر عن نظره. لا يجوز أن يسمى إلها مَنْ يبقى في غفلة عن علم المخلوقات. كلا، إن كل ذرة من العالم تحت بصره، وأما الإنسان فلا يستطيع ذلك. إنه تعالى يعلم متى يُفني هذا النظام ومتى يقيم القيامة، ولا أحد سواه يعلم متى يكون هذا.. فالذي يعلم جميع هذه المواعيد هو الله تعالى.

وقوله ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ يعني أنه هو الذي يُهيئ لذوات الحياة كل ما تحتاج إليه من أسباب المعيشة والراحة حتى قبل وجودها. كل ذلك بفضلٍ بحت منه، وليس نتيجة لأعمالها وسعيها. فإنه سبحانه خلق لأجلنا الشمس والأرض وغيرهما من المخلوقات حتى قبل وجودنا ووجود أعمالنا. وهذا العطاء يسمى في كتاب الله "الرحمانية"، ونظرًا إلى هذا الصنيع يُدعى الله بـ"الرحمن".

وقوله "الرَّحِيمُ" يعني أنه يجزي على الأعمال الصالحة خيرا، ولا يضيع عمل عامل. وباعتبار هذه الصفة يُدعى الله بـ "الرحيم". (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٢-٣٧٣)

الآية ٢٤: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

ثم قال "الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ" أي أنه صاحب السلطان الذي ليس فيه وصمة عيب. الواضح أن مُلك البشر لا يخلو من نقص، فمثلا لو هاجرت الرعية كلها من دولة مُلكٍ إلى دولة أخرى لضاع مُلكه؛ أو لو حل القحط والمجاعة بالرعية كلها، فمن أين تُجبي الأموال؟ أو إذا قامت الرعية بتجادل المَلِكِ قائلة: بأية ميزة صرتَ ملكًا علينا.. فماذا عساه يقول ردا على ذلك؟ ولكن سُلطان الله ليس هكذا. إنه قادر على أن يُهلك الجميع في لمح البصر ويأتي بخلق آخر جديد. ولو لم يكن خلاقا وقديرا هكذا لما قام حكمه إلا بظلم. وإلا فمن أين يأتي بخلقٍ جديد إلى الدنيا ليمارس عليهم سلطانه.. بعد أن يكون قد شمل جميع خلقه الأولين بالعفو والنجاة؟ فهل يسترد -ظلمًا واعتسافًا- من عباده الناجين النعم التي أعطاهم إياها، ويسلبهم المغفرة التي تفضل بها عليهم، لكي يزج بهم مرة أخرى في الحياة الدنيا ليعمرها ويحكمها. ستكون ألوهيته في هذه الحالة معيبة، ويصير مُلكه ناقصا شأن ملوك الدنيا الذين لا يبرحون يستنون لرعيتهن قوانين جديدة، ويستبدّ بهم الغضب على كل صغيرة وكبيرة، وعندما لا يجدون بدًّا من الظلم -قضاء لما ربحهم- يستسيغون الظلم والجور كما يستسيغ الرضيع لبن أمه. فمثلا يجيز القانون الملكي إغراق ركاب سفينة صغيرة إنقاذا لسفينة كبيرة، ولكن الواجب ألا يُضطرَّ الإله القدير هذا الاضطرار. فلو لم يكن الإله كاملا في قدرته، خلاقًا من عدمٍ محض، للجأ -بدلاً من إظهار قدرته- إلى الظلم كالمُلك

الضعفاء، أو لتخلي عن ألوهيته مراعاةً للعدل. كلا، إن سفينة الله سائرة مع كل قدرة وفي عدل كامل.

وقوله "السَّلام" يعني أنه منزّه عن جميع العيوب، سالم من كل المصائب والمشقّات، بل إنه مانح السلام للآخرين. وهذا بديهي، لأنه لو كان بنفسه عرضةً للنوائب وللضرب بأيدي الناس، وللفشل في إرادته فكيف تطمئن قلوبنا - برؤية سوء حاله هذا- بقدرة مثل هذا الإله على تخليصنا من الآلام؟ ... أما قوله "المؤمن" فيعني أنه واهب الأمان، والذي يقيم الدلائل على توحيده وكمالاته. وفي هذا إشارة إلى أن المؤمن بالإله الحق لا يخزى أبداً أمام مجلس من المجالس، كما لن يخجل أمام ربه، ذلك لأن معه أقوى البراهين. أما عابد الإله الباطل فهو دائماً في مشكلة كبيرة، وبدلاً من بيان الأدلة يسوق كل لاغية واهية مدعياً أنها من الأسرار الغامضة، هروباً من خزي الاستهزاء، وإخفاءً لأخطاء تأكد زيفها.

وقال تعالى: ﴿الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾.. أي أنه الحافظ للجميع، الغالب عليهم، المصلح لما خرب وفسد، المستغني كل الاستغناء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٣-٣٧٤)

الآية ٢٥: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

أي أنه خالق الأرواح كما أنه خالق الأجسام، وأنه المصور في الأرحام، وأنه صاحب جميع الأسماء الحسنى التي يمكن أن تُتصور.

وقال: "يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".. أي أن سكان السماوات يذكرون اسمه بالتسبيح والتقديس كما يذكره سكان الأرض. وفي هذه الآية إشارة إلى أن الأجرام السماوية أيضاً عامرة بسكان ملزمين بتعاليم الله تعالى. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٥)

قال ﷺ مبينا صفة الله "الخالق" بالأدلة القاطعة:

الدليل الرابع قد أقيم في القرآن الكريم القياس الاقتراضي بواسطة المادة. وليكن معلوماً أن القياس أول أقسام الحجة، والقياس الاقتراضي قياس لا يُذكر فيه عين النتيجة أو نقيضها بالفعل، بل توجد بالقوة. ويدعى اقتراضنا نظراً لكون حدوده - أي الأصغر والأوسط والأكبر - مقترنة. والقياس أعلى وأفضل أنواع الحجة عموماً، لأنه يؤخذ فيه الدليل من الحال الكلي على حال الجزئيات، وهو يفيد اليقين الكامل بسبب الاستيفاء التام. فهذا القياس مندرج في آية ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ويشهد على خالقية البارئ ﷻ، أي أن الله خالق وبارئ؛ أي يهب للأرواح والأجسام وجوداً من العدم، وهو المصور؛ أي يهب لها الصورة المادية والنوعية. فقد ثبتت له جميع الأسماء الحسنى، أي أن جميع الصفات الكاملة التي يمكن أن يقدمها العقل نظراً لكمال القدرة، مجتمعة في ذاته. لذا فهو قادر على الإيجاد من العدم. لأن الإيجاد من العدم أسمى كمالات القدرة. وترتيب مقدمات هذا القياس بحسب الشكل الأول على النحو التالي: نحن نقول بأن الخلق ومنح الوجود بمحض القدرة كمالاً، وجميع الكمالات متحققة للذات الكاملة واجبة الوجود. مما يُستنتج به أن البارئ حائز على كمال الإيجاد من العدم أيضاً. أما إثبات مفهوم الصغرى؛ أي أن الخلق بمحض القدرة كمالاً، فيتحقق بحيث أن نقيضه - أي العجز عن الخلق بمحض القدرة ما لم يدعمه ويساعده أحد من الخارج - يعد نقصاً كبيراً؛ ذلك لأنه لو افترضنا أن المادة الموجودة قد أنفقت هنا وهناك لاضطررنا للافتراض أيضاً أن الله عاجز الآن عن الخلق نهائياً، لكن إطلاق هذا النقص على تلك الذات غير المحدودة والقديرة بمنزلة إنكار ألوهيتها.

وإضافة إلى ذلك قد ثبت - بدلائل في علم الإلهيات - أن كون واجب الوجود جامع الكمالات هو شرطاً لتحقيق ألوهيته، أي من الواجب ألا تكون أي مرتبة للكمال - من المراتب ممكنة التصور التي يمكن أن تخطر بالبال والخيال - مفقودة في

تلك الذات الكاملة. فلا شك أن العقل يقتضي أن ينحصر كمال ألوهية البارئ تعالى في أن تنتهي إلى قدرته سلسلة الموجودات، لا أن يشاركه الكثيرون في القدم والوجود الحقيقي. وبغض النظر عن كل هذه الأدلة والبراهين يمكن أن يفهم كل سليم الطبع أن العمل الأسمى يدل على الكمال أكثر مقارنة بالكمال الأدنى. فإذا كان تأليف أجزاء العالم يعدّ من الكمال الإلهي، فكم سيكون خلق العالم دون الاحتياج إلى الأسباب كمالات أعلى، وهذا الأمر أكثر - بملايين المرات - دلالة على القدرة؛ فثبتت الصغرى لهذا الشكل بوجه كامل.

أما إثبات الكبرى، أي القضية بأن كل كمال متحقق لذات البارئ؛ فعلى النحو أنه إذا كان البارئ غير حائز على بعض الكمالات ففي هذه الحالة ينشأ السؤال: هل حرمانه من تلك الكمالات عن طيب خاطره أم هو قسر؟ وإن قلتم إنه عن طيب الخاطر فهذا كذب؛ لأنه لا أحد يرضى بالنقص في الكمال لنفسه عن طيب خاطره. كما أن هذه الصفة إذا كانت مفقودة مطلقاً في الذات الإلهية منذ القدم فأين طيب الخاطر. وإن قلتم إنه قسر، فلا بد من الإقرار بوجود قاسر آخر أكره الله ومنعه من تنفيذ صلاحيات الألوهية. أو لا بد من الافتراض أن ذلك القاسر هو ضعفه الشخصي وعدم القدرة. وليس هناك أي قاسر من الخارج. باختصار؛ قد عُدّ مُكرهاً، وفي هذه الحالة لم يعد صالحاً للألوهية. فثبت منه بالضرورة أن الله تعالى منزّه عن وصمة الإكراه الذي يستلزم بطلان الألوهية، وأنه حائز على الصفة الكاملة للخالقية والقدرة على الخلق من العدم، وهو المراد. (المقالات القديمة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١١-١٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الممتحنة



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٥: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

يجب أن تحاسبوا أعمالكم دائما. إذا عمل كناس أيضا عملا صالحا فسوف يغفر له، وإذا عمل أحد السادات عملا سيئا فسوف يلقي به في الجحيم. لقد دعا سيدنا

إبراهيم عليه السلام لأبيه ولم يُقبل منه، لقد ورد في حديث أن عليه السلام سيقول يوم القيامة يا إلهي لا أستطيع أن أرى والدي في هذه الحالة ومع ذلك سيجرّونه إلى النار بجبل بمنتهى الذلة، (وهذا بسبب فقدان العمل حيث لن تفيده شفاعة الرسول أيضا) وذلك لأنه كان قد تكبر، أما الأنبياء فقد اتخذوا سبيل التواضع والفقر، وكل من سيتواضع ويزهد يكون أفضل من غيره. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٧، عدد ٢٤/٧/١٩٠٣م، ص ٢١٠)

الآية ٩: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

أي حين نهاكم الله تعالى عن حبّ النصارى وغيرهم فلا تظنوا أنه قد نهاكم عن برّهم والإحسان إليهم ومواساتهم، كلا بل إنّ الذين لم يحاربوكم لقتلكم، ولم يُخرجوكم من أوطانكم فأحسنوا إليهم سواء كانوا من النصارى أو اليهود وواسوهم واعدلوا معهم لأن الله يحب من يقوم بذلك. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٥)

وضّح القرآن الكريم جيّداً، أن الذين قاتلوا فليقاتلوا، أما العزّل الذين لم يشاركوا في القتال فلا تقاتلوهم، بل ينبغي أن تحسنوا إليهم واعدلوا معهم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٢، عدد ٢٦/٣/١٩٠٨م، ص ٨)

الآية ١٠: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

ثمة نقطة تجدر بالذكر هنا وهي أن التوليّ هي الصداقة في اللغة العربية، والتعبير الآخر لها المودة، ومن مظاهر الصداقة الحقيقية المودة النصّح والمواساة. فيجوز للمؤمنين أن يصادقوا النصارى واليهود والهندوس ويواسوهم وينصحوا لهم ويحسنوا

إليهم، غير أنه لا يمكن أن يحبّوهم، فتذكّرو هذا الفرق الدقيق جيداً. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٥)

إن التواء في التولي تشير إلى التكلف الدالّ على المغايرة، أما الحب فلا تبقى فيه أي مغايرة. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٥ الحاشية)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الصف



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣-٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

كثيرون هم الذين يُدْعَوْنَ مشايخ وعلماء، ويعتلون المنابر زاعمين أنهم نُؤَابُ الرُّسُولِ وورثَةُ الأنبياء، ويعظون الناس قائلين: اجتنَبُوا الكبر والزهو وسيئ الأعمال، ولكن يمكنكم قياس أعمال هؤلاء المشايخ وسلوكياتهم على مدى تأثير كلامهم في قلوبكم. لو كانت لدى أمثال هؤلاء قُوَّةُ العمل ولو عملوا أولاً بما يقولون للناس لما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. تبين هذه الآية أنه كان في الدنيا وما زالوا، وسيكونون في المستقبل أيضاً، أناسٌ يقولون ما لا يفعلون.

ألا فاسمعوا وعوا، أن كلام الإنسان يخلو من التأثير إذا لم يكن نابعا عن قلب صادق ومدعوماً بقوة العمل. ومن هنا يتجلى لنا صدق نبينا الكريم ﷺ أيما جلاء، إذ لم يوجد في تاريخ بني آدم نظير لما رُزق من النجاح والتأثير في القلوب. وقد حدث ذلك كله لأن قوله وفعله كانا منسجمين تمام الانسجام. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٧٣-٧٤)

فاعلموا أن فارغ الكلام وثرثرة اللسان من دون العمل لا ينفع شيئا. الكلام الفارغ لا يساوي عند الله شيئا، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٨٠)

يجب على المؤمن ألا يعمل بنفاق، لأن الجبن والنفاق بعيدان عن المؤمن. فاسعوا دوماً لإصلاح القول والفعل وتوافقهما، وكما أن الصحابة قدموا في حياتهم نموذج انسجام القول والفعل، كذلك يجب أن تقدموا نماذج الصدق والوفاء سائرين على خطاهم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٦، عدد ١٠/٥/١٩٠٥، ص ٢)

أرى أن حالة المشايخ في العصر الراهن قد آلت تقريبا إلى: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. وقد صاروا مصداقا لقول الله تعالى هذا، ولم يُعَدِّ إيمانهم بالقرآن الكريم إلا بالكلام فقط، وقد خرجوا كلياً من طاعة حُكم القرآن. لقد ورد في الحديث الشريف بأنه سيأتي على الناس زمان يرتفع فيه القرآن الكريم إلى السماء، وأعلم يقيناً أن هذا الزمان قد أتى. أين اليوم الطهارة والتقوى الحقيقية التي تنشأ نتيجة العمل بالقرآن الكريم؟ لو لم تصبح حالة المسلمين هكذا لما أسس الله تعالى هذه الجماعة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٠، عدد ١٠/٦/١٩٠٥، ص ٢)

إن إعلان الإسلام والمبايعة على يدي بيعة التوبة ليس مهمة سهلة؛ فما دام الإيمان غير المقرون بالعمل لا يفيد، فالادعاء باللسان وعدم إثباته بالعمل يثير غضب الله، وبذلك يكون الإنسان مصداق الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ فالذي يدعي الإسلام

أو الذي يتوب على يدي، إذا كان لا يجعل نفسه موافقا لهذا الادعاء، ويبقى في نفسه زيفاً، فهو يتعرض لغضب الله العظيم، لذا يجب عليه اجتناب ذلك. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ١٠/٧/١٩٠٣ م، ص ١٥)

الأصل أن يطهر الإنسان نفسه، إذ مجرد الإعلان باللسان بأني قد بايعت ليست له أي حقيقة ما لم ينجز المرء شيئاً عملياً. إن اللسان وحده لا يغني عن شيء، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فالوقت سانح لكم للانضمام إلى جماعة السابقين، أي سابقوا في إحراز كل حسنة. إذ لا يفيد الإنسان إلا أعماله، أما الادعاءات الفارغة باللسان فقط فلا تجدي شيئاً. انظروا أن النبي ﷺ قد قال لفاطمة رضي الله عنها أن تدبر لنفسها بنفسها، فهو لن يغني عنها شيئاً.

ليس لله ﷻ أي قرابة مع أحد، وهناك لن يُسأل الإنسان: من أبوك؟ وإنما سيُسأل عن الأعمال فقط. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ١٠/٣/١٩٠٨ م، ص ٥) المقت هو غضب الله ومعناه أن الغضب الأكبر على الذين يُقرون ثم لا يعملون. فينزل غضب الله على أمثالهم. لذا يجب أن تداوموا على الدعاء. لا يمكن أن يتبث أحد ما لم يثبتته الله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ١٠/٣/١٩٠٣ م، ص ٨)

الآية ٦: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

إنما يهدي الله تعالى بدعاء ملهم من لم يغلب قلبه الزيغ والاعوجاج، وإلا يبقى محروماً من الهداية بحسب: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾. (مرآة كمالات الإسلام، الخزن الروحانية، المجلد ٥٥، ٣١٨، الحاشية)

أي حين أعرضوا عن الحق حرم الله قلوبهم من أن تنسجم مع الحق، وأخيراً حدث فيهم انقلاب بتأثير الثوائر المعادية وزاغوا وتغيروا تماماً وكأنهم أناس جدد،

واستولى سُمُّ المعارضة على أنوار فطرتهم تدريجًا. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧-٤٨)

الذي يتعد عن الله تعالى، ولا يسعى للتخلي عن السيئات والخبائث والمنكرات، فإن الله أيضا لا يعبأ به، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٥ م، ص ٥)

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ فهذا هو الختم. إلا أنه ليس من شأن ربنا أن لا يزيل هذا الختم بعده، فهو إذا كان قد ذكر أسباب الختم ففي الوقت نفسه بين الوسائل لإزالة ذلك الختم أيضا، فقال: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾. (الإسراء: ٢٦) (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٤، عدد ١١/٩/١٩٠٣ م، ص ٣٦٧)

الآية ٧: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

والأدهى والأمر من ذلك أن الله جلَّ شأنه يبرهن في كتابه المجيد على موت المسيح عليه السلام، بينما يخلق هؤلاء القوم آلاف الفتن للإسلام بعددهم المسيح حيًا إلى الآن، إذ يعدونه حيًا وقيومًا في السماء مقرين بأن سيد الأنبياء ﷺ مَيِّتٌ في الأرض مع أنه قد وردت في القرآن الكريم شهادةُ المسيح التالية: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، أي أبشركم برسول اسمه "أحمد" وسيأتي بعد موتي. فإن لم يكن المسيح قد خلا من هذا العالم المادي إلى الآن فذلك يستلزم أن نبينا الأكرم ﷺ أيضا لم يشرف هذا العالم بمجيئه إلى الآن، لأن النص يقول بكلمات صريحة إن النبي ﷺ سيأتي إلى هذا العالم المادي بعد أن يغادره المسيح عليه السلام، فالرحيل قد دُكر في هذه الآية مقابل المجيء، ولا بد أن يكون المجيء والرحيل على المنوال نفسه؛ بمعنى أن يرحل أحد إلى ذلك العالم ويأتي منه آخر. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٢)

تشير آية ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.. أي سيظهر في الزمن الأخير مظهر للنبي ﷺ، وكأنه إحدى يديه وسيكون اسمه في السماء أحمد، وسينشر الدين على شاكلة المسيح في صبغة الجمال. (أربعين، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٢١)

إن للنبي ﷺ بعثتين: ... والبعثة الثانية الأحمدية تتسم بالجمال التابع لكوكب المشتري الذي ذكره القرآن الكريم انطلاقاً مما ورد في الإنجيل: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٥٤)

لقد سُمي نبينا ﷺ باسم آخر أيضاً، وهو أحمد. وقد أنبا المسيح ﷺ بهذا الاسم قائلاً: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. وكانت هذه إشارة إلى أنه ﷺ سيحمد الله حمداً كثيراً. لقد تبين من هذا اللفظ بكل جلاء -وهو الحق بلا مرأى- أن المرء يحمّد مَنْ يأخذ منه شيئاً، وكلما أخذ منه أكثر حمده أكثر، فمن أُعطي روية واحدة مدح المعطي بقدرها، ومن أُعطي ألفاً مدحه بقدر الألف. باختصار، لقد تبين من ذلك بوضوح أن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس حظاً من فضل الله تعالى. والحق أن هذا الاسم نبوءة بأنه ﷺ سيرث من الله أفضالاً كثيرة وعظيمة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١م، ص ٤)

واسم رسول الله ﷺ "أحمد" قد ذكره المسيح ﷺ حيث قال: ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. وقوله "من بعدي" يبين أن ذلك النبي سيأتي من بعده بلا فصل، أي لن يكون بينهما نبي. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠١م، ص ١١)

في: ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ بشارة ولها جانبان حصراً: أولاً كان وجوده بشارة بحد ذاته لأن النبوة انقطعت من عائلة إسرائيل، ثانياً: بشر شفويا أيضاً بولادته، أي كانت في ولادته أيضاً بشارة وشفويا أيضاً. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٢/١/١٩٠٣م، ص ٧٥)

الآية ٩: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

فقد فهم في هذه الآية بصراحة أن المسيح الموعود سيولد في القرن الرابع عشر لأن الليلة الرابعة عشرة حددت لإتمام النور. (التحفة الغلورية الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ١٢٤)

يريد المعارضون أن يطفئوا نور الله أي يمحوا مكرها بمختلف الطرق ولكن الله سوف يتم نوره ولو كره الكافرون. (نزل المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٢٦)

يريد المعارضون أن يطفئوا نور الله ولكن الله سوف يتم نوره ولو كره المنكرون. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٤١)

أي يقولون على سبيل التباهي والتبجح بأن هذا الدين لن ينال أي انتصار، بل سيبور بأيدينا، ولكن الله لن يضيعه ولن يتركه ما لم يُتم أمره. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٩٠)

يريد هؤلاء الكفار الأشرار أن يطفئوا نور الله بنفخات أفواههم ولكن الله متم نوره وإن كره الكافرون. ما هو المراد من نفخات أفواههم؟ المراد أن بعضهم يتهم مبعوث الله بالخداع، وبعضهم يسميه كاسب الدنيا وكافرا وملحدا. فبمثل هذا الكلام يريدون أن يطفئوا نور الله، ولكنهم لا ينجحون في ذلك أبداً، بل يحترقون كمداء، ويكون مآل سعيهم لإطفاء نور الله الذل والهوان. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٣)

هؤلاء الأصدقاء الأغبياء والجهلاء لم يقدروا جماعة الله هذه، بل يسعون لكيلا يسطع هذا النور، ولكن يجب أن يتذكروا أن الله قد وعد: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٢م، ص ٥)

الآية ١٠: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

هذه الآية تتضمن نبوءة بحق المسيح ﷺ ماديًا وسياسيًا. وإن الغلبة الكاملة التي وُعد بها الإسلام ستتحقق بواسطة المسيح؛ فعندما يأتي المسيح ﷺ إلى الدنيا ثانية سينتشر الإسلام على يده في جميع الأقطار والأمصار.

وقد كُشف على هذا العبد المتواضع أن حياتي تماثل حياة المسيح ﷺ في فترتها الأولى من حيث الفقر والتواضع والتوكل والإيثار والآيات والأنوار، وأن هناك تشابها كبيرا بين طبعتي وطبيعة المسيح، وكأنهما قطعتان من جوهر واحد، أو ثمرتان لشجرة واحدة، ويوجد بينهما اتحاد شديد بحيث لا يوجد بينهما إلا فارق بسيط جدا من حيث النظرة الكشفية. ثم هناك مماثلة ظاهرية أيضا وهي أن المسيح كان تابعا لني كامل وعظيم، أعني موسى عليهما السلام، وكان خادما لدينه، وإنجيله فرع للتوراة، وأنا أيضا من أحقر خدام ذلك النبي الجليل الشأن ﷺ الذي هو سيد الرسل وتاج المرسلين أجمعين. فإذا كان هؤلاء حامدين فهو أحمد، وإذا كان هؤلاء محمودين فهو محمد ﷺ. فما دامت هناك مشابهة تامة بيني وبين المسيح ﷺ لذا قد أشركني الله تعالى منذ البداية في النبوءة المتعلقة بالمسيح، بمعنى أن المسيح ﷺ هو المصدق الظاهري والمادي للنبوءة المذكورة آنفا، وأنا مصداقها ومحملها من حيث الروحانية والعقل، بمعنى أن غلبة الإسلام الروحانية التي تعتمد على الحجج القاطعة والبراهين الساطعة مقدرة بواسطتي أنا العبد المتواضع، سواء كانت في حياتي أو بعد مماتي. ومع أن الإسلام كان غالبا منذ البداية من حيث أدلته الصادقة وظل معاندوه يواجهون الخزي والذلة، لكن ظهور غلبته على الفرق والأقوام المختلفة فهي مقدر في زمن من شأنه أن يجعل الدنيا كلها - بسبب اكتشاف الوسائل - كبلاد متحدة، ويدخلها في حكم قوم واحد، ويهيئ كافة أسباب إشاعة التعليم ووسائل إشاعة

الدين بكل سهولة ويسر، ويكون الأنسب والأصلح للتعليم الصادق داخلها وخارجها؛ وهو هذا الزمن الراهن لأنه بسبب اكتشاف الوسائل والتعارف المتبادل بين الأقوام والبلاد قد تيسرت أسباب تبليغ الدعوة بأحسن وجه. وقد سهلت الأمور إلى حد كبير لنشر التأليفات الدينية بفضل نظام البريد والبرقية والقطار والسفن وغيرها من وسائل متنوعة أخرى.

باختصار، لا شك أنه قد حان الأوان الذي بدأت فيه الدنيا كلها تدخل في حكم بلد واحد. وبسبب ذبوع مختلف اللغات ورواجها اكتشفت وسائل كثيرة للتفهم والتفهم، وقد زالت مشاكل المغيرة والغربة إلى حد كبير، وبسبب الزيارات المتبادلة والاختلاط تضاءلت الوحشة والنفور الذي كان موجودا بين الأقوام بطبيعة الحال. لقد بدأ الهندوس أيضا يقومون بجولات إلى بريطانيا وأميركا بعد ما كانت دنياهم منحصرة في جبال الهمالايا فقط، وكان السفر بحرا يُخرجهم من دينهم.

فملخص الكلام أن كل وسيلة لنشر الدين قد بلغت منتهاها. ومع أن الظلام سائد في الدنيا كلها، ولكن مع ذلك يبدو أن مرحلة الضلال موشكة على الانتهاء، وكمال الضلال يبدو آيلا إلى الزوال. فالطبائع السليمة شرعت في البحث عن الصراط المستقيم بقدر من الله تعالى، وبدأت الطبائع الطيبة والطاهرة تنسجم مع الطريق الحق تلقائيا. وقد أمال حماس التوحيد الطبيعيُّ القلوبَ النشطة إلى عين التوحيد النقية. ويتبين هوان فكرة عبادة المخلوق للعقلاء يوما إثر يوم، وبدأ ذوو الفطنة يرون الآلهة الزائفة وقد بدأت تلبس لباس البشرية من جديد. وإلى جانب كل ذلك إن النصر السماوية في هياج لتأييد الدين الحق، حتى أن الآيات والخوارق التي أُلِّه العباد العاجزون والناقصون بناء عليها أصبحت اليوم مشهودة وملحوظة على أيدي أدنى خدام سيد الرسل ﷺ. والآيات التي كان بعض الأنبياء في الأزمنة السابقة يُرونها متحققين لحواريهم فقط، تظهر اليوم أمام الأعداء على أيدي أحقر أتباع سيد الرسل ﷺ. وبشهادة

الأعداء أنفسهم ترى شمس صدق الإسلام آخذة في الطلوع على العالم كله. وبالإضافة إلى ذلك إن هذا الزمن ملائم لنشر الدين؛ فما كان مستحيلا نشره في الأزمنة الماضية خلا مئة سنة يمكن نشره الآن في كافة البلاد في غضون عام واحد فقط. فتوجد في العصر الراهن قوة وقدرة لدق طبول الهدى الإسلامي والآيات الربانية ما وُجد نظيرها في الأزمنة الخالية. فترى اليوم مئات الوسائل؛ مثل القطارات ونظام البرقيات والجرائد وغيرها.. على أتم الاستعداد لأداء هذه الخدمة وتوصيل أحداث بلد إلى بلد آخر. فلا شك أن انتشار أدلة صدق الإسلام في العالم كله من حيث العقل والروحانية كان مقدرا لهذا الزمن. وهذا الزمن المزود بالأسباب يهيئ الأسباب من جميع الوجوه لخدمة هذا الضيف العزيز. فلقد خلق الله تعالى أحقر العباد هذا في هذا العصر وأعطاني مئات الآيات السماوية والخوارق الغيبية والمعارف والحقائق وأطلعني على مئات الأدلة العقلية القاطعة، وبذلك أراد أن ينشر تعاليم القرآن الكريم الصادقة في كل قوم ويروّجها في كل بلد ويتم حجته عليهم. فبناء على مشيئته هذه وقّفي الله تعالى لألحق بهذا الكتاب إعلانا بجائزة عشرة آلاف روبية إتماما للحجة، وقدمت آية من السماء بشهادة الأعداء والمعادين، ودعوت جميع المعارضين لمنافستها ومواجهتها؛ لكيلا أدخر جهدا في إتمام الحجة، ولكي يشهد كل معارض على كونه مغلوبا وعدم قدرته على الجواب.

باختصار، إن الأسباب والوسائل التي أعطانيها الله تعالى لنشر الدين وما رزقني من الأدلة والبراهين لإتمام الحجة بمحض فضله ورحمته، لم يُعْطها أحدا من الأمم الخالية إلى يومنا هذا. وما رزقته أنا العبد الضعيف من أصناف التوفيق الغيبي في ذلك ما رزق أحد منهم إياها. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فلقد خصني الله تعالى بأسباب خاصة، وخلقني في زمن هو الأنسب والأكثر فائدة لإتمام خدمة التبليغ. لذا فقد بشرني ﷺ أيضا بمحض فضله ولطفه أنه مقدّر

منذ الأزل أني أنا المصداق الروحاني للآية المذكورة آنفا والآية: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾. وأن الأدلة والبراهين وجميع الأمور الأخرى التي كتبتها موجّهة إلى الأعداء سيتولى الله تعالى بنفسه أمر إيصالها إليهم، وسيظهر على العالم أنهم مغلوبون وعاجزون لا يطيقون جوابا، وبذلك يحقق مضمون الآية المذكورة آنفا. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٩٣-٥٩٧، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

إن المدة لظهور المسيح - وهي ١٤٠٠ عام - والتي حدّدها القرآن الكريم، قد سلّم بها كثير من الأولياء بناء على كشفهم. والآية: ﴿وَأِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٩) التي أحرفها في حساب الجمل هي ١٢٧٤ تشير إلى ليالي السليخ بحسب التقويم الإسلامي القمري. وفي ذلك تكمن إشارة إلى طلوع الهلال الجديد المذكور في أحرف "غلام أحمد قادياني" بحسب حساب الجمل. والآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ تتعلق في الحقيقة بزمان المسيح ابن مريم هذا، لأن تحقّق الغلبة الروحانية على الأديان كلها ما كان ممكنا إلا في زمنه هو. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٦٤)

لا يوجد نظير في الأزمنة الخالية للأوهام الباطلة التي نشأت مقابل الحق في قلوب المعجّبين بالمعقولات، ولا لطوفان الاعتراضات العقلية النائر في العصر الراهن. لذا فقد أُجِّلَ منذ البداية إلى العصر الراهن أمر إظهار تفوّق الإسلام على الأديان الباطلة كلها- بدحض تلك الاعتراضات بالبراهين المقنعة والدامغة والمدعومة بآيات القرآن- لأن ذكر إصلاح هذه المفاسد قبل ظهورها للعيان كان في غير أوانه. لذلك فقد احتفظ الله الحكيم المطلق بتلك الحقائق والمعارف في كلامه المجيد ولم يكشفها لأحد حتى حان موعد كشفها. غير أنه تعالى كان قد أخبر بهذا الموعد من قبل في كتابه العزيز؛ وهو مذكور بكل وضوح في الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾. فهذا هو الوقت المناسب الذي يحتاج فيه كل امرئ إلى النور الروحاني. وقد أرسل

الله شخصا إلى الدنيا بذلك النور. فمن هو ذلك الشخص؟ إنما هو هذا الذي يتكلم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥١٥)

لقد سماني الله "عيسى" في الوحي ووصفني بأني مصداق النبوءة القرآنية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الخاصة بعيسى ﷺ وأنشأ في نفسي جميع صفات المسيح الموعود القادم. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٧٢)

قد ورد في الأحاديث الشريفة بالتواتر أن المسيح المقبل سيكون صاحب المنارة وفي زمنه سيصل صدق الإسلام إلى ذروة العلو مثل المنارة العليا، وسيغلب الإسلام على الأديان كلها كما عندما يؤذن أحد صاعدا المنارة يغلب صوته على الأصوات كلها. فكان من المقدر أن يحدث ذلك في زمن المسيح كما يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. هذه الآية تتحدث عن المسيح الموعود، وإن صوت الإسلام العالي الذي تُغلب أمامه جميع الأصوات قد جعل خاصا بالمسيح منذ الأزل، وقد اعتُبر قدم المسيح الموعود منذ القدم على هذه المنارة العليا التي لا بناية أعلى منها. (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٨)

"إن إظهار الدين على أديان أخرى، لا يتحقق إلا بالبينّة الكبرى، والحجج القاطعة العظمى، وكثرة أهل الصلاح والتقوى. ولا شك أن الدين الذي يعطي الدلائل الموصلة إلى اليقين، ويزكّي النفوس حق التزكية وينجيهم من أيدي الشيطان اللعين، هو الدين الظاهر الغالب على الأديان، وهو الذي يبعث الأموات من قبور الشك والعصيان، ويحييهم علماً وعملاً بفضل الله المتان. وكان الله قد قدر أن دينه لا يظهر بظهور تام على الأديان كلها، ولا يُرزق أكثر القلوب دلائل الحق، ولا يُعطى تقوى الباطن لأكثرها إلا في زمان المسيح الموعود والمهدي المعهود. وأمّا الأزمنة التي هي قبله فلا تعمّ فيها التقوى ولا

الدراية، بل يكثر الفسق والغواية." (الخطبة إلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ٣٢١-٣٢٢)

المسيح الموعود متم نور قمر الإسلام. لهذا فإن تجديده يشبه البدر ليلة الرابع عشر، وإلى ذلك تشير آية: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، لأن الإظهار التام وإتمام النور شيء واحد. وإن قول "ليظهره على الأديان كل الإظهار" يساوي القول "ليتم نوره كل الإتمام." (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٢٤)

كان في خلق المسيح الموعود على رأس القرن الرابع عشر إشارة إلى أن المعارف الإسلامية والبركات ستصل إلى الكمال في زمنه. كما تشير إلى ذلك الكمال التام نفسه الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ٢٠٩، الحاشية)

القرآن الكريم ذو وجوه، فقد وقع تعبيره على نحو بحيث يكون النبي ﷺ مصداق آية ثم يكون المسيح الموعود أيضا مصداق الآية نفسها، وهذا يتبين من آية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾، فالمراد من الرسول هنا النبي ﷺ والمسيح الموعود أيضا. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢١٧)

كان من الضروري أنه كما تحقق تكميل الهداية على يدي النبي ﷺ أن يتحقق تكميل نشر الهداية أيضا بواسطته ﷺ، لأن هاتين المهمتين كلتيهما كانت موكولة إلى النبي ﷺ نفسه. فلما كان خلوده لهذه المدة مستحيلا بحسب سنة الله حتى يجد ذلك الزمن الأخير، كما كان ذلك الخلود سيعد وسيلة لانتشار الشرك، لهذا قد حقق الله ﷻ مهمة النبي ﷺ هذه الموكولة إليه بواسطة أحد أفراد الأمة الذي كان كأنه جزء من وجود النبي ﷺ من حيث الملامح والروحانية. أو يمكن أن تقولوا كأنه هو نفسه، وكان شريكا في اسمه ظلما في السماء، ولقد كتبنا قبل قليل أن يوم تكميل الهداية كان يوما سادسا أي يوم الجمعة، لهذا قد حدد مراعاة للعلاقة يوم تكميل نشر الهداية أيضا سادسا، أي نهاية الألف السادس الذي هو اليوم السادس للدنيا عند الله، كما تشير

إلى هذا الوعد الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وقد بعث في هذا اليوم السادس- على سيرة النبي ﷺ- شخص كان مظهر التجليات الأحمديّة والمحمدية، لكي يتحقق تكميل نشر الهداية الفرقانية بواسطة ذلك المظهر التام. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٥٨-٢٥٩)

إن الله قد وكل إلى النبي ﷺ في القرآن الكريم منصبين: (١) أحدهما تقديم الكتاب الكامل كما ورد ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (البينة: ٣-٤)، (٢) والثاني نشر هذا الكتاب في العالم كله كما قال ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وحدد الله لإكمال الهداية اليوم السادس، فهذه السنّة الإلهية الأولى تفهّمنا أن يوم إكمال نشر الهداية أيضا سادس، وهو الألف السادس، وقد قبل علماء الإسلام وجميع أكابر الملة أن إكمال النشر سيتحقق بواسطة المسيح الموعود، فالآن قد ثبت أن إكمال النشر سيكون في الألف السادس، مما يُستنتج منه أن المسيح الموعود سيبعث في الألف السادس. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٦١، الحاشية)

"هو الذي أرسل رسوله" أي لقد أرسل الله رسوله بأمرين؛ أولهما أنه شرفه بنعمة الهدى.. أي قد وهبه العيون الروحانية لمعرفة سبيله وجعله متميزًا بالعلوم اللدنية ونور قلبه بالكشف والإلهام، وهكذا أعانه بنفسه في أداء حق المعرفة الإلهية والحب والعبادة التي كانت حقًا عليه وسمّا المهدي. والأمر الثاني الذي أرسله به هو إبراء المرضى الروحانيين بدين الحق.. أي إزالة الشبهات والوساوس من القلوب بحل المسائل من مسائل الشريعة الدقيقة العويصة والمعضلات. فسمّا عيسى من هذا المنطلق أي مبرّئ المرضى. باختصار إن أولى الجملتين في هذه الآية أعني "باهدى" و"دين الحق" توضّح أن ذلك المبعوث هو المهدي إذ قد طهره الله بيده وأن الله ﷻ وحده معلّمه. وأما الجملة الثانية أي "دين الحق" فتوضّح أن ذلك المبعوث هو عيسى وأنه قد وهب العلم لإبراء المرضى وتنبيههم على أمراضهم، وأعطى له دين الحق لكي يستطيع كشف أمراض أتباع كل ديانة ليبرئهم منها بترغيبهم للذهاب إلى

المستشفى الإسلامي. لأنه حين عُهدت إليه مسؤولية إثبات محاسن الإسلام وتفوقه على جميع الأديان من كل ناحية فاقتضى ذلك أن يوهب له علم إظهار محاسن الأديان وعيوبها، وأن يوهب قدرة خارقة على إقامة الحجة وإفحام الخصم، لكي يتمكن من كشف نقائص كل دين على صاحبه ويثبت حسن الإسلام في كل ميدان، ويُعالج المرضى الروحانيين من كل ناحية. باختصار قد أُعطي المصلح القادم الذي هو خاتم المصلحين ميزتين، إحداهما علم الهدى الذي يُشير إلى اسم المهدي الذي هو مظهر للصفة المحمدية أي تعليمه مع كونه أميًا. والثانية تعليم دين الحق الذي يُشير إلى أنفاس المسيح الشافية، أي إعطاؤه القدرة على الشفاء من الأمراض الروحانية وإتمام الحجة من كل جانب. وصفة علم الهدى تدلُّ على الفضل الذي سيتلقاه من الله مباشرة دون أي واسطة إنسانية، وصفة تلقي علم دين الحق تدلُّ على الإفادة وتسكين القلوب والعلاج الروحاني. (أربعين، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٥٦-٣٥٧)

إن العلوم والمعارف أيضا تدرج ضمن قائمة الأسلوب الجمالي وكان الله تعالى قد وعده في آية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الصف ١٠) أي أن هذه العلوم والمعارف ستُوَهَّب للمسيح الموعود على وجه الكمال لأن وسيلة ظهور الإسلام على جميع الأديان هي العلوم الحقة والمعارف الصادقة والدلائل البينة والآيات القاهرة وعليها تتوقف غلبة الدين. (أربعين، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٤٤، الحاشية)

قبل نحو عشرين عاما أُلْهِمْتُ الآية القرآنية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وأُفْهِمْتُ معنى الإلهام أني أُرْسِلت من الله تعالى ليجعل الله ﷻ الإسلام غالبا على الأديان كلها بيدي. وليكن معلوما هنا، أن هذه الآية نبوءة عظيمة في القرآن الكريم، ويتفق العلماء الباحثون على أنها ستتحقق على يد المسيح الموعود. فلم يُعلن أحد من الأولياء والأبدال الذين خلّوا من قبلي أنه مصداق هذه النبوءة، ولم يدّع أحد أنه ألهم الآية المذكورة بحقه. ولكن حين جاء

زمني أنا، أُلْهِمْتُهَا وَأُخْبِرْتُ: "إنك أنت مصداق هذه الآية، وبيدك وفي عصرك ستتحقق أفضلية الإسلام على الأديان الأخرى." (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٣١-٢٣٢)

فعلاية المسيح الموعود التي يبينها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ قد تحققت على يدي. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٤٦)

"من الواضح أن الدين الحي هو ذلك الذي تحالفه الآيات السماوية ويلمع على رأسه نور التفرد الكامل. وذلك الدين هو الإسلام. هل من أحد في المسيحيين أو السيخ أو الهندوس يقدر على أن يبارزني في ذلك؟ وكفى حجةً على صدقي ألا تستقر قدمٌ مقابلي. تفقدوا وتحققوا كما تشاؤون من أنه قد تحققت ببعثي نبوءة وردت في البراهين الأحمدية وكانت بحسب مضمون القرآن الكريم وهي: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله." (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٤٩)

أُخْبِرْتُ أَيْضاً أَنَّ النَّبَأَ عَنِي مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَأَنِّي الْمَصْدَاقُ لِلآيَةِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. (إعجاز الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١١٣)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، في هذه الآية إشارة إلى زمن المسيح الموعود. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٨٧)

إذا رأيتم يأجوج ومأجوج غالبين في الأرض فاعلموا أن الوعد الصادق لانتشار الدين الحق قد اقترب. والوعد هو: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣١٠)

إن النبي ﷺ هو في صدر العصر المحمدي وفي آخره المسيح الموعود، وكان ضرورياً ألا تنقطع سلسلة العالم ما لم يُبعث هو لأن خدمة تحقيق الوحدة بين الأمم أنيطت بزمن ذلك النائب للنبي ﷺ. وإلى ذلك تشير الآية: ﴿هُوَ الَّذِي

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ... أي ليرزقه غلبة عالمية. ولأن الغلبة العالمية لم تتحقق في زمن النبي ﷺ ومن ناحية ثانية لا يمكن أن تبطل النبوءة الإلهية لذا فقد اتفق جميع المتقدمين الذين سبقونا فيما يتعلق بهذه الآية أن هذه الغلبة سوف تتحقق في زمن المسيح الموعود إذ لا بد للغلبة العالمية أن تتضمن ثلاثة أمور لم توجد في أي زمن خلا.

(١) أن تفتح بين الأمم المختلفة سبل سهلة ومواتية للقاءاتهم المتبادلة بالتمام والكمال، وأن تزول صعوبات السفر الشاقة ويتم السفر بسرعة هائلة وكأنه لم يكن سفرا أصلا، وأن تيسر أسباب فوق العادة للقيام بالسفر لأنه ما لم تيسر لسكان مختلف البلاد أسباب لملاقاة بعضهم بعضا كأهم يسكنون في مدينة واحدة، لا تتسنى لقوم فرصة الادّعاء بأن دينهم غالب على أديان العالم كلها؛ لأن إظهار الغلبة مشروط بأن يكون الناس مطلعين على كل الأديان التي أظهرت الغلبة عليها، وكذلك الذين عُدّوا مغلوبين يجب أن يعرفوا أنهم ييؤون بالغلبة. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا تقارب الناس من مختلف البلاد كأهم سكان حارة واحدة. والمعلوم أن هذا لم يحدث في زمن النبي ﷺ المبارك لأن أقواما كثيرة كانت تسكن حينها في أقصى أرجاء المعمورة، وأسباب إيصال الرسالة والسفر وتدير اللقاءات بينهم على فترات قريبة لم تكن متاحة كما في عصرنا الحاضر.

(٢) والأمر الثاني الذي يشكّل شرطا للفهم أن دينا معينا غالب على الأديان كلها من حيث مزاياه، هو أن تستطيع أمم العالم كلها عقد المناظرات بحرية تامة ويستطيع قوم أن يقدموا أمام قوم آخرين محاسن دينهم، ويبينوا مزاياه ونقائصه بواسطة التأليفات. وأن يجد الأقوام كلهم فرصة لأن يجتمعوا في ميدان واحد من أجل الصراع الديني ويهاجموا بعضهم في النقاش الديني، ويلاحقوا بعضهم كما يقع موج البحر على موج آخر، وينبغي ألا يتم هذا الصراع الديني بين قوم أو قومين فقط بل يجب أن يكون عالميا لا يبقى فيه قوم خارج هذه الحلبة. فلم تيسر هذه

الغلبة للإسلام في زمن النبي ﷺ المبارك لأن اجتماع أمم العالم كلها في ذلك الزمن كان مستحيلا مبدئيا. ثم الأقوام التي واجهها نبينا الأكرم ﷺ ما كانوا مهتمين قط بسماع الأدلة الدينية أو ببيانها. بل حاولوا القضاء على الإسلام بالسيف منذ البداية ولم يحملوا قلما لدحضه عقليا. لهذا السبب لن تجدوا من ذلك الزمن كتابا كُتب فيه شيء ضد الإسلام من حيث العقل والنقل بل كانوا يريدون أن يتغلبوا بواسطة السيف فأهلكهم الله بالسيف. ولكن أعداء الإسلام في عصرنا هذا قد غيروا أساليبهم إذ لا يرفع أحد من معارضي الإسلام سيفاً من أجل دينه. ونظرا إلى هذه الحكمة ورد في حق المسيح الموعود: "يضع الحرب". أي أبطلت الحروب وألغى القتال بالسيف، والوقت الآن هو وقت القتال القلمي. ولأني جئت للقتال القلمي لذا أُعطيت أقلاما حديدية بدلا من السيف الحديدي. كذلك سنحت لنا لطباعة الكتب ونشرها إلى بلاد نائية وسائل سهلة ومواتية لا يوجد نظيرها في زمن من الأزمنة الحالية إلى درجة أن المواضيع التي كان يستحيل كتابتها إلى سنوات تُكتب الآن في أيام معدودة. كذلك التأليفات التي كان إيصالها إلى بلاد نائية يستغرق مدة طويلة نستطيع إيصالها الآن إلى أنحاء العالم في أيام قليلة، فنستطيع أن نُطلع الأمم كلها على حجتنا البالغة. ولكن هذا النوع من النشر وإتمام الحجة بهذه الطريقة كان مستحيلا في زمن النبي ﷺ لأن أدوات طباعة الكتب لم تكن متوفرة في تلك الأيام كما لم تيسر طرق سهلة لإرسال الكتب إلى بلاد أخرى.

(٣) الأمر الثالث الذي هو شرط للإظهار على العالم أن ديننا كذا يحظى بتأييد الله بوجه خاص مقابل أديان العالم كلها ويخالفه فضل الله ونصرته الخاصة، وهو أن تحالفه الآيات السماوية لتأييد الله مقابل الأمم الأخرى كلها في العالم دون أن يوجد نظيره في أيّ دين آخر، وأن يهلك الله الأديان الأخرى رويدا رويدا بيده دون أيدي البشر، وأن يرفع من بينها البركة الروحانية. وأن يثبت هذا الدين الغالب حالته المتميزة مقابل الأديان الأخرى بآيات الله الساطعة، وألا يقدر دين من أقصى

العالم إلى أقصاه على مبارزته في الآيات السماوية مع أنه لم يبق جزء من سكان العالم غافلين عن دعوة المبارزة هذه. فظهور هذا الأمر بالكامل أيضا كان مستحيلا في زمن النبي ﷺ لأنه كان مشروطا بشرط أن تجتمع جميع أمم العالم الساكنة في الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب فرصة ليطلبوا من الله تعالى أن يشهد على صدق دينهم بالآيات السماوية مقابل الأديان الأخرى. ولكن لما كان كل قوم خافيا ومحجوبا عن الأقوام الأخرى وكأنهم يعيشون في عالم آخر فكانت هذه المواجهة مستحيلة. بالإضافة إلى ذلك لم يبلغ تكذيب الإسلام منتهاه في ذلك العصر ولم يأت زمان لتقتضي غيرة الله أن تمطر الآيات السماوية في تأييد الإسلام. ولكن جاء هذا الوقت في عصرنا لأنه قد أسيء إلى نبينا الأكرم ﷺ والإسلام في هذا العصر بواسطة الكتابات السيئة إلى درجة ما أسيء بمثلها إلى أي نبي في أي زمن. لا يثبت أن مسيحيا أو يهوديا قد ألّف في زمن النبي ﷺ حتى كتبنا ذا ورقتين أو ثلاث أوراق لدحض الإسلام والإساءة إلى النبي ﷺ. أما الآن فقد ألّفَت للإساءة إليه ﷺ ولدحض الإسلام كتب كثيرة ونُشرت الإعلانات والجرائد في العالم كله بحيث لو جُمعت كلها لصارت كومة كبيرة مثل الجبل، بل أكبر منه. لقد عدّ هؤلاء العمهون الإسلام محروما من كل بركة وادّعوا أن النبي ﷺ لم يُظهر آية سماوية، وركّزوا على ألا يبقى للإسلام أدنى أثر على وجه الأرض. ولإثبات ألوهية إنسان ضعيف أهين دينُ الله المقدس ونبي الله الطاهر إلى درجة ما أهين بمثلها أي دين أو أي رسول إلى الآن منذ بدء الخليقة. والحق أنه قد جاء زمان بذل فيه الشيطان قصارى جهده مع ذريته كلها ليقضي على الإسلام. ولأن المعركة الحالية هي المعركة الأخيرة بين الصدق والكذب دون أدنى شك لذا يستحق هذا الزمن أن يأتي فيه مأمور من الله لإصلاحه. فذلك المصلح هو المسيح الموعود الموجود بين ظهرائكم. ومن حق الزمن أن تتم فيه حجة الله على الناس بالآيات السماوية. وهناك ثورة في السماء تُظهر آيات سماوية بكثرة حتى تُدقّ طبول انتصار الإسلام

في كل بلد وفي كل منطقة من مناطق الأرض. فيا أيها الإله القادر، إئتِ سريعا بأيام يظهر فيها الفتوح الذي قررتَه ويسطع جلالك في الدنيا وينتصر دينك ورسولك، آمين ثم آمين. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩١-٩٥)

عندما نرى أنه لم يُذكر حياة رسول الله ﷺ إلا هدفان اثنان فقط، وهما: إكمال الهداية وإكمال نشر الهداية، وقد تحقق الهدف الأول في اليوم السادس، أي يوم الجمعة، حين نزل قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، أما الهدف الثاني -أي إكمال نشر الهداية- فقد انعقد الإجماع على أنه سيتحقق في زمن المسيح ابن مريم، أي زمن المسيح الموعود. فقد كتب المفسرون بالإجماع أن قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ سيتحقق في زمن المسيح الموعود. وحيث إن الإكمال الأول، إكمال الهداية، قد تم في اليوم السادس، فلا بد أن يتم الإكمال الثاني، أي إكمال نشر الهداية، أيضا في اليوم السادس نفسه. واليوم يساوي ألف عام وفق القرآن، وهذا يعني أن المسيح الموعود سيبعث في الألفية السادسة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٤، عدد ٢٦٦/٧/١٩٠٨م، ص ٣)

ثم هناك وعد بأن الأديان كلها ستُجمع وسيُجعل دينٌ واحد غالبا عليها، هذا أيضا نوع من أنواع كثيرة للجمع التي هي مقدرة في زمن المسيح الموعود، لأن المفسرين قد أجمعوا على أن قول الله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ سيتحقق في زمن المسيح الموعود. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٣، عدد ٢٦٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٢)

النعمة التي قد أتمها الله على الأمة ليست إلا هذا الدين الذي سماه الإسلام. ويوم الجمعة الذي تمت فيه هذه النعمة أيضا نعمة بحد ذاتها. وفي ذلك إشارة إلى أن الزمن الذي ستم فيه هذه النعمة على شاكلة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أيضا يكون جمعة عظيمة الشأن. فقد حانت تلك الجمعة الآن، لأن الله تعالى أناط تلك الجمعة بالمسيح الموعود. الحق أن هناك سبيلين لإتمام النعمة، أولا إكمال الهداية، وثانيا: إكمال نشر الهداية. لو نظرتم بإمعان لوجدتم أن إكمال الهداية قد تم في زمن

النبي ﷺ على أحسن وجه، وكان الله تعالى قد قدّر أن يكون زمن إكمال نشر الهداية زمناً آخر حين يُبعث النبي ﷺ بصورة بروزية، وذلك الزمن هو زمن المسيح الموعود والمهدي. لذلك قيل بحقه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. وقد أجمع المفسرون كلهم على أن هذه الآية تختص بزمن المسيح الموعود. والواقع أن إظهار الدين لا يمكن إلا عند خروج الأديان كلها إلى المضمار وعند توفر كل الوسائل المفيدة لنشر الدين، وها قد جاء ذلك الزمن بفضل الله تعالى. فلمرافق المتاحة في هذه الأيام لطبع ونشر الكتب بسبب المطابع معروفة لدى الجميع. ويمكن الآن تبليغ الدعوة إلى العالم كله بواسطة البريد، ويطلع الإنسان على أحوال العالم عبر الجرائد، وقد سهل السفر بسبب القطار. باختصار، كلما اخترعت مخترعات جديدة يوماً بعد يوم اتضح زمن المسيح الموعود بقوة وعظمة أكثر، وبدت للعيان أساليب جديدة لإظهار الدين. فهذا هو الوقت الذي أنبأ الله به على لسان رسوله قائلاً: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. وهذا هو الزمن الذي يُعلي شأن قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٤). وهذا هو زمن إتمام النعمة مجدداً بصورة إكمال نشر الهداية، وهذا هو الوقت والجمعة نفسها التي تحققت فيها نبوءة: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، حيث بُعث رسول الله ﷺ في هذا الوقت بصورة بروزية، وأنشئت جماعة الصحابة مجدداً. لقد جاء وقت إتمام النعمة، ولكن قليلون هم الذين يعرفون هذا، وكثيرون هم الذين يستهزئون ويسخرون. ولكن الوقت قريب حين سيتجلى الله تعالى بحسب وعده، وسيُري بصولاته القوية أن نذيره صادق. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٨، عدد ١٧/٥/١٩٠٢م، ص ٥-٦)

لقد خطر ببالي في أثناء التأمل في: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أن الله تعالى أورد في هذه الآية كلمتين: "الهدى" و"الحق"، والمراد من الهدى ما يخلق النور باطنياً ويزيل المعضلة، وهذه إشارة إلى الإصلاح الباطني، وهي مهمة المهدي. وكلمة "الحق" تشير إلى إلحاق الهزيمة الخارجية بالباطل،

وقد جاء في آية أخرى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (بني إسرائيل: ٨٢). وقال في هذه الآية التي نذكرها: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أي ستكون نتيجة مجيء هذا الرسول أنه سيجعل الحق غالباً، ولن تكون هذه الغلبة بالسيف والسنان بل بأوجه عقلية. اعلّموا أن ميزة العقل الطاهر هي أنها لا تقتصر على القصص فقط بل تجذب الأسرار. لذلك يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(الحكم، مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ١٠ / ٤ / ١٩٠٢ م، ص ٦)

لقد خلق الله تعالى خاتم الخلفاء ليثبت أن الإسلام لم ينتشر بالإكراه وجعل مهمته "يضع الحرب" وقرر من جانب آخر: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي أنه سيجعل الإسلام غالباً على الملل الهالكة بالحجة والبرهان، ويرفع الحرب والقتال. إن الذين ينتظرون مهدياً ومسيحاً سفاكاً مخطئون أشدّ الخطأ. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٤، عدد ١٠ / ٧ / ١٩٠٢ م، ص ٣)

قد خلق الله تعالى في هذا العصر وسائل حتى صار العالم كله في حكم مدينة واحدة، وتحققت نبوءة: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير: ٨). لقد خرجت الأديان كلها إلى المضمار الآن، ومن الضروري أن تتصارع كلها. والدين الصادق منها سيكون الغالب. هذا ما تشير إليه الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الصف: ١٠). لقد بدأت هذه المواجهة بين الأديان، وسلسلة هذا الصراع الديني لم تعد مقتصرة على اللسان فقط، بل قد أسهم القلم فيها أكثر من غيره إذ تُنشر مئات آلاف المجلات الدينية. وتشنّ حالياً الأديان المختلفة ولا سيما النصارى هجمات على الإسلام، فمن كان مطلعاً على هذه الظروف وأتيحت له الفرصة للتأمل فيها سوف يعترف عفويّاً نظراً إلى هذه الحاجات بأن هذا هو الوقت الأنسب ليتوجه الله تعالى إلى دينه الإسلام أكثر من ذي قبل. والذي يراقب سرعة هذه الهجمات على الإسلام يشعر بهذه الحاجة. ولكن الذي ليس لديه أدنى إلمام بالموضوع ماذا عسى أن يقول عن الخسائر التي ألحقت بالإسلام، وقد ألحقها به المسلمون كمواسين

راعين أغبياء، وأصحاب الأديان الأخرى ولا سيما المسيحيون في لباس العداوة؟ سيقول: أية خسارة لحقت بالإسلام؟ ولكنه لا يدري أن حالة الإسلام الظاهرية والمادية أيضا قد ضعفت. ولم تعد السلطنة الإسلامية حائزة على القوة والشوكة. ومن حيث الدين أيضا لا يلاحظ نموذج ما علّم به في ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ١-٢)

الآية ١١-١٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

.... أي هذه التجارات التي تشغلون فيها لا تخلو من الخسائر، ويواجه المرء فيها كل يوم عذابا. فتعالوا أخبركم عن تجارة رابحة فقط وليس فيها أي احتمال للخسائر. وهي أن تؤمنوا بالله ومرسله وبذلك ستكثر ثروتكم الروحانية. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٥)

ولأن المال يزداد بالتجارة، لذا قد سمى الله طلب الدين وأمنية رقيه تجارة، فقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف: ١١). والتجارة المثلى هي التجارة الدينية التي تنجي من عذاب أليم. فأقول لكم أنا أيضا بكلمات الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٢م، ص ٥)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الجمعة



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

يعلن القرآن أن الأرض ليست خالية من تقديس الله، بل إنه تعالى يقدّس في الأرض أيضاً وليس في السماء فحسب، كما قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٥)، وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: أن كلّ ذرة في السماء والأرض تسبح بحمد الله وتقدّس له، وأن كلّ ما فيهما من كائن مشغول في تحميده وتقديسه وَجَلَّ جَلَلُهُ، فالجبال تذكره والأنهار

تذكره والأشجار تذكره، وكثير من الأبرار مشغولون بذكره، أما الذي لا يذكره بقلبه ولسانه ولا يتواضع له، فقضاء الله وقدره يُرغمه على الخضوع له بأنواع البلاء والعذاب. لقد وصف كتابُ الله القرآن الكريم الملائكة بأنهم يطيعون الله غاية الطاعة، وقد ورد الوصف نفسه في القرآن لكل ذرة وكل ورقة في الأرض حيث ورد أنه ما من شيء إلا وهو قانتٌ له وَعَبَّكُ، فيستحيل أن تسقط ورقة إلا بإذنه، ويشفي دواء إلا بإذنه، ويطيب غذاء إلا بإذنه، فكل شيء يخضع على أعتابه بغاية النذل والعبودية ويتفانى في طاعته وَعَبَّكُ. إن كل ذرة من الجبال والأرض، وكل قطرة من الأنهار والبحار، وكل ورقة من أوراق الأعشاب والأشجار وكل جزء من أجزائها، وكل ذرة من الإنسان والحيوان، لتعرف الله وتطيعه وتنشغل في تحميده وتقديسه وَعَبَّكُ، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: كما أن كل شيء في السماء يسبح لله ويحمده، كذلك فكل ما في الأرض أيضًا يقوم بتسبيح الله وتحميده. فكيف يقال إذن بأن تحميد الله وتقديسه لا يتم في الأرض؟ من المحال أن تخرج مثل هذه الكلمة من فم أحدٍ من العارفين الكاملين.

الواقع أن بعض الكائنات الأرضية تطيع أحكام الشريعة، وبعضها تخضع لأحكام القضاء والقدر، وبعضها تطيع أحكام الشرع وأحكام القضاء كليهما. الكل متفاني في طاعة الله وتقديسه؛ سحابًا كان أو ريحًا أو نارًا أو أرضًا. وإذا كان بعض البشر يتمرّدون على أحكام الشريعة فإنهم خاضعون لقضاء الله وقدره، ولا شيء خارج عن سيطرة هاتين السلطتين، بل إن عُقُ الجميع واقعٌ تحت نير إحدى هاتين الحكومتين السماويتين. غير أن الغفلة والذكر الإلهي يغلبان في الأرض بالتناوب وفقًا لصلاح القلوب وفسادها، ولكن هذا المدّ والجزر لا يقعان تلقائيًا بل يحصلان بحكمة الله ومصلحته، لقد أراد الله أن يقع ذلك في الأرض فوقع. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٢-٣٣)

الآية ٣-٤: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

... أي أن الله هو الكريم والرحيم الذي أرسل من بينهم رسولا كاملا يتلو عليهم آيات الله مع كونه أُمِّيًّا ...، وفي حزبهم أناس من بلاد أخرى أيضا قُدِّر دخولهم في الإسلام منذ البداية ولكنهم لم يلحقوا بالمسلمين بعد. وهو الغالب الحكيم الذي لا يخلو فعله من الحكمة؛ أي حين يأتي ذلك الزمن الذي قُدِّر الله تعالى بحكمته الكاملة أن تدخل الإسلام بلاد أخرى، عندها سيدخل هؤلاء الناس في الإسلام. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٢، لحاشية رقم ١١)

إن مغزى هذه الآية أن الله هو الذي أرسل رسولا في زمن كان الناس فيه قد صاروا عديمي الحظ من العلم والحكمة، كذلك العلوم الحكيمة الدينية التي تكتمل بها النفس وتصل النفوس الإنسانية كمالها في العلم والعمل كانت قد اختفت نهائيا، وكان الناس ضالين، أي كانوا قد ابتعدوا كثيرا عن الله وصراطه المستقيم، ففي هذا الزمن أرسل الله رسوله الأُمِّي فزَكَّى ذلك الرسولُ نفوسَهم وملاهم بعلم الكتاب والحكمة، أي أوصلهم إلى مرتبة اليقين الكامل بالآيات والمعجزات ونور قلوبهم بنور المعرفة الإلهية. ثم قال: ستظهر في الزمن الأخير فئة أخرى، وسيكونون هم أيضا في الظلام والضلال بادئ الأمر وبعيدين عن العلم والحكمة واليقين، وسوف يصبغهم الله بصبغة الصحابة؛ أي سيُرَوَّن كل ما رأى الصحابة، حتى يكون صدقُهم ويقينهم كصدق الصحابة ويقينهم. وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان قد قال -واضعاً يده على كتف سلمان الفارسي- عند تفسير هذه الآية "لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجل من فارس". أي إذا ارتفع الإيمان إلى السماء فسوف يُعيدَه رجل فارسي الأصل، ففي ذلك أشار إلى أنه سيولد في الزمن الأخير شخص فارسي

الأصل. فالزمن الذي ورد بحقه أن القرآن سوف يُرفع فيه إلى السماء، هو زمن المسيح الموعود، وهذا الفارسي الأصل هو الذي يُسمى مسيحا موعودا، لأن الهجمة الصليبية التي ينبغي أن يأتي المسيح الموعود لمنعها، هي على الإيمان. وكل هذه الآثار وردت بحق الهجمة الصليبية. وقد ورد أن تلك الهجمة ستؤثر سلبيا في إيمان الناس كثيرا، وهذه الهجمة نفسها تسمى هجوم الدجال. وقد ورد في الآثار أنه عند هجوم ذلك الدجال سيترك الكثيرون من السفهاء الله الذي لا شريك له. وسيفتر حُبّ الكثيرين للإيمان، وستكون المهمة العظيمة للمسيح الموعود تجديد الإيمان لأن الهجوم هو على الإيمان. وثابت من حديث "لو كان الإيمان..." المتعلق برجل من فارس، أن ذلك الرجل الفارسي سيأتي لإقامة الإيمان من جديد، فإذا كان زمن المسيح الموعود والرجل فارسي الأصل واحدًا ومهمتهما واحدة، أي استعادة الإيمان، فقد ثبت يقينا أن المسيح الموعود هو نفسه الرجل الفارسي، وجماعته مصداق آية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. ومعنى هذه الآية أن الفائزين بالهداية والحكمة - بعد الضلال الكامل - ومشاهدي معجزات النبي ﷺ وبركاته فئتان فقط. أولاهما صحابة النبي ﷺ رضي الله عنهم، الذين كانوا قبل بعثة النبي ﷺ في ظلام دامس، وبعده حظوا بزمن النبي ﷺ بفضل من الله وشاهدوا المعجزات بأعينهم ولاحظوا النبوءات، وأحدث اليقين في نفوسهم تغييرا كأنهم بقوا أرواحا فقط. أما الفئة الثانية المثيلة للصحابة بحسب الآية المذكورة آنفا فهي جماعة المسيح الموعود، لأن هذه الجماعة أيضا ستتمكن من مشاهدة معجزات النبي ﷺ كالصحابة، وتحظى بالهداية بعد الظلام والضلال. فحين مُتِّعَت هذه الجماعة بثروة "منهم" في آية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ أي وهبت لهم نعمة مماثلة للصحابة، ففي ذلك إشارة إلى تلك المماثلة؛ أي كما رأى الصحابة ﷺ معجزات النبي ﷺ وشاهدوا تحقق النبوءات سيرونها هم أيضا. وأما الزمن الوَسْطِي فلن يفوز بهذه النعمة على وجه الكمال، فهذا ما حدث

في هذه الأيام؛ حيث انفتح باب معجزات النبي ﷺ مرة أخرى بعد مضي ثلاثة عشر قرناً، وشاهد الناس بأعينهم حدوث الخسوف والكسوف في رمضان تحقيقاً لحديث "الدارقطني" وفتاوى ابن حجر. أي قد انخسف القمر والشمس في رمضان، وكما كان قد ورد في الحديث قد انخسف القمر في أولى ليالي الخسوف، بينما انكسفت الشمس في وسط أيام كسوفها، وذلك في زمن وُجد فيه من يُعلن بأنه المهدي. وهذا الوضع لم يظهر قط منذ خلق السماوات والأرض، لأنه إلى الآن لم يقدر أحد على الإتيان بنظيره من التاريخ. فكانت معجزة النبي ﷺ ورآها الناس بأعينهم. ثم طلع المذنب ذو السنين أيضاً الذي ورد أنه سيطلع في زمن المهدي والمسيح الموعود، وقد رأى الآلاف من الناس طلوعه، كما شاهد مئات الألوف من الناس نشوب النار في جاوا، وكذلك قد شاهد الجميع بأعينهم تفتشي الطاعون والمنع من الحج. كما كان الصحابة رضي الله عنهم رأوا الآيات فإن صُنِعَ القطار وتعطل العشار مثل ذلك لمن معجزات النبي ﷺ التي شوهدت في هذا الزمن. ولهذا السبب قد نادى الله ﷻ هذه الجماعة الأخيرة بكلمة ﴿مِنْهُمْ﴾ لكي يُشير إلى أنهم أمثال الصحابة في معاينة المعجزات. تدبروا بإمعان من الذي غيري فاز بزمان منهاج النبوة خلال ثلاثة عشر قرناً؟ إن جماعتنا التي خلقت في هذا الزمن تشابه جماعة الصحابة رضي الله عنهم من نواح عديدة. فهم يرون المعجزات والآيات كما رآها الصحابة، هم يكسبون النور واليقين نتيجة رؤيتهم آيات الله المتجددة وتأييده المتكرر، كما تمتع به الصحابة رضي الله عنهم. هم يتحملون في سبيل الله صدمة استهزاء الناس وضحكهم ولعنهم وطعنهم وأنواع الإيذاء، والبذاء وقطع الرحم كما تحمل الصحابة رضي الله عنهم، فهم يتمتعون بالحياة الطاهرة نتيجة ظهور آيات الله البينات والتأييدات السماوية وتعليم الحكمة كما تمتع بها الصحابة رضي الله عنهم. كثيرون منهم سيكونون في الصلاة ويبتلون مساجدهم بالدموع، كما كان الصحابة رضي الله عنهم. كثيرون منهم يرون رؤى صادقة ويتشرفون بالإلهام الإلهي

كما كان الصحابة يتشرفون به، وكثيرون منهم ينفقون أموالهم - التي كسبوها بالجهد - على جماعتنا ابتغاء مرضاة الله فقط، كما كان الصحابة رضي الله عنهم ينفقون. ستجدون فيهم كثيرين يذكرون الموت وهم ليّين القلوب ويسلكون مسالك التقوى الحقّة، كما كانت سيرة الصحابة رضي الله عنهم، فهي جماعة الله وهو الذي يتكفلهم ويظهر قلوبهم يوما بعد يوم، ويملاً صدورهم بحكم الإيمان ويجذبهم إليه بآيات سماوية كما كان يجذب الصحابة. باختصار، تتصف هذه الجماعة بجميع الصفات التي تُستنبط من القول ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾، وكان يجب أن يتحقق يوما ما قول الله تعالى.

وفي آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ أُشير أيضا إلى أنه كما تُشابه جماعة المسيح الموعود هذه جماعة الصحابة رضي الله عنهم كذلك فإن الذي يؤمّ هذه الجماعة هو الآخر يماثل النبي صلى الله عليه وآله ظليا. كما قد بين النبي صلى الله عليه وآله نفسه في وصف المهدي الموعود أنه سيمثله صلى الله عليه وآله، وتجتمع في نفسه مائلتان: إحداهما للمسيح عليه السلام، فنظراً إلى ذلك يُدعى المسيح. والثانية للنبي صلى الله عليه وآله، ونظراً إلى ذلك يُدعى المهدي. وإشارة إلى ذلك قد ورد أن جزءاً من جسمه سيكون على هيئة إسرائيلية، والجزء الثاني على هيئة عربية. وكان المسيح قد بُعث في زمن كانت الملة الموسوية تعيش فيه وضعاً خطيراً بسبب هجمات الفلاسفة اليونانيين إذ كانوا يُهاجمون تعليم التوراة وأنباءها ومعجزاتها بشدة، وكان وجود الله أيضاً قد عُدد بحسب أفكار أهل اليونان كأنه مختلط في المخلوق وليس مدبراً بالإرادة، كما كانوا يسخرون بسلسلة النبوة؛ لهذا أراد الله تعالى من بعثة عيسى الذي جاء بعد موسى بأربعة عشر قرناً أن يُقيم شهادة على صحة النبوة الموسوية وصدق تلك السلسلة من جديد، ويرمّم البناية الموسوية بتأييدات جديدة والأشهاد السماويين. وكذلك كان الهدف من بعثة المسيح الموعود الذي بُعث لهذه الأمة على رأس القرن الرابع عشر أن يردّ أنواع الهجمات التي شنتها الفلسفة والدجالية الأوروبيتان على الإسلام، وكُفّرهم برسالة النبي صلى الله عليه وآله ونبوءاته ومعجزاته، واعتراضهم على تعليم القرآن الكريم، واستهزائهم

ببركات الإسلام وأنواره أشد استهزاء، وأن يجعل النبوة المحمدية - على صاحبها ألف ألف سلام - تُشرق من جديد على طلاب الحق بتصديقه وتأييده لها. وهذا هو السر في نزول وحيٍّ قبل سبعة عشر عاما وسُجل في الصفحة ٥٢٢ من كتاب "البراهين الأحمدية" في هذا الخصوص ونشر في مئات الألوف من الناس وهو: "بخرام كه وقت تو نزيك رسيده پائے محمدیاں بر منار بلند تر محكم افتاد. پاک محمد مصطفیٰ نبیوں کا سردار۔ خدا تیرے سب کام درست کر دے گا اور تیری ساری مرادیں تجھے دے گا۔ رب الافواج اس طرف توجہ کرے گا۔ اس نشان کا مدعا یہ ہے کہ قرآن شریف خدا کی کتاب اور میرے منہ کی باتیں ہیں۔"^١ انظروا كتاب البراهين الاحمدية، الصفحة ٥٢٢. تدبروا جيدا ما هي الغاية المنشودة من آياتي؟ ولقد بينت قبل قليل أن لهذا الهدف كان قد بُعث عيسى ﷺ لكي يُصدّق بآيات جديدة التوراة التي كُذبت، وللهدف نفسه قد أرسلني الله لأثبت للعالمين صدق القرآن الكريم من خلال آيات جديدة، وإلى ذلك أشار الوحي الإلهي "أن قدم المحمدين وَقَعَتْ على المنارة العليا" والإشارة نفسها تكمن في الإلهام الآخر الوارد في البراهين الأحمدية أي "الرحمن علّم القرآن. لئنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ". وإن قال أحد إن عيسى حين بُعث لتصديق التوراة كان نبيا، فما قيمة شهادتك مقابله؟ إذ يجب أن يكون هنا أيضا نبي للتصديق الجديد. فجواب ذلك أنه قد سُدَّ باب النبوة التي تُقيم سلطتها، إذ يقول الله تعالى ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١)، كما قد ورد في الحديث "لا نبي بعدي"، ومع ذلك قد ثبتت وفاة المسيح ﷺ قطعاً من النصوص القطعية، فالأمل في عودته

^١ ترجمة من كتاب الاستفتاء: تَبَحَّرْ فَإِنْ وَقَتَكَ قَدْ أَتَى، وَإِنَّ قَدَمَ الْمُحَمَّدِيِّينَ وَقَعَتْ عَلَى المنارة العليا. إن محمداً سيّد الأنبياء، مطهّر مصطفى. إنّ الله يصلح كلّ أمرك، ويعطيك كلّ مراداتك. ربُّ الأفواج يتوجّه إليك كذلك يُري الآيات ليُثبت أنّ القرآن كتاب الله وكلمات خرجت من فوهي. (المترجم)

إلى هذا العالم ثانية غاية لا تدرك. ولو جاء نبي آخر - قديما كان أو جديدا - فكيف يمكن أن يبقى نبينا خاتم النبيين؟ إلا أن باب وحي الولاية والمكالمات الإلهية لم يوصد، فلما كانت الغاية المنشودة تصديق دين الحق بآيات جديدة وإصدار الشهادة على الدين الصادق، فإن الآيات الإلهية على درجة واحدة، سواء ظهرت على يد نبي أو ولي، لأن مظهرها واحد. فمن الجهل المحض والحمق الاعتقاد بأن التأييد السماوي الذي يُظهره الله على يد نبي وبواسطة نبي يكون أكثر قوة وشوكة من التأييد الذي يتحقق على يد ولي. بل الحقيقة أن بعض الآيات تظهر لتأييد الإسلام في زمن لا يكون فيه أيُّ نبي ولا ولي، مثل آية القضاء على أصحاب الفيل. ومن المسلم به أن كرامة الولي تُعدّ معجزةً للنبي المتبوع. إذن فما دامت الكرامة أيضا معجزة فالتفريق بين المعجزات لا يليق بالمؤمنين.

وبالإضافة إلى ذلك قد ثبت من الحديث الصحيح أن المحدث أيضا يندرج في قائمة المرسلين من الله كالأنبياء والرسل. فاقروا في البخاري بتدبر قراءة: "وما أرسلنا من رسول ولا نبي ولا محدث". وقد جاء في حديث آخر "علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل" وقد سجّل الصوفية في مكاشفاتهم تصحيح هذا الحديث من رسول الله ﷺ، ولا يغيين عن البال أنه قد وردت بحق المسيح الموعود في صحيح مسلم كلمة "النبي"، وذلك مجازا واستعارة. ولهذا السبب قد جاءت مثل هذه الكلمات بحقي في البراهين الأحمديّة، فاقروا في الصفحة ٤٩٨ إلهام "هو الذي أرسل رسوله بالهدى" فالمراد من رسول هنا هذا العبد الضعيف. ثم في الصفحة ٥٠٤ من البراهين الأحمديّة ورد إلهام "جريُّ الله في حلل الأنبياء" ومعناه "رسول الله في حلل الأنبياء" ففي هذا الإلهام سميت رسولا ونبيا أيضا. فعُدّ الإنسان الذي سمّاه الله نفسه بهذه الأسماء رجلا من العامة لتجاسر شنيع. ولا يمكن أن تكون شهادات آيات الله ضعيفة بحال من الأحوال، سواء أظهرت عن طريق نبي أو محدث، فالحقيقة أن نبوة نبينا ﷺ وفيضه

هو نفسه يخلق مظهرًا له ليشهد له، أما الولي فيكتسب الاسم مجانًا. فالحق أن الولي المصدق يتزين بجماله ﷺ ولا يصح العكس. والله در القائل:

إن جميع الجميلين في العالم كلّه يتجملون بالخلي، أما أنت يا صاحب الجسم الفضي فبك تتزين الخلي. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ٣٠٤-٣١٠) تتلخص هذه الآية في أن للقرآن الكريم فائدتين عظيمتين جاء النبي ﷺ لإيصالهما. أولاهما: حكمة القرآن الكريم، أي معارفه ودقائقه. ثانيتهما: تأثيره الذي مآله تزكية النفوس. إن حفظ القرآن لا ينحصر فقط في أن تحافظ على نُسخه المكتوبة جيدًا لأن هذا ما فعله اليهود والنصارى أيضًا في بداية الأمر حتى أحصوا النقاط في التوراة أيضًا. بل المراد هنا هو حفظ فوائد القرآن وتأثيراته أيضًا إلى جانب حفظه الظاهري. وهذا الحفظ لا يتأتى - بحسب سنة الله ﷻ - إلا إذا ظل يأتي بين فينة وفينة نائبون عن الرسول يملكون بصورة ظلية كافة نعم الرسالة والذين أعطوا جميع البركات التي يُعطّاها الأنبياء. (شهادة القرآن، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٨)

القرآن الكريم كان موجودًا عندهم، وهو كسيف ذي حدّين، حدّ يقطع كدر المؤمنين الداخلي وحدّ آخر يقضي على الأعداء. ومع ذلك كان ذلك السيف بحاجة لأن يكون في يد بطل شجاع لقوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فلم يذكر الله تعالى التزكية الحاصلة بواسطة القرآن منفصلة بل ذكرها مقرونة بصفات النبي. لذا لم ينزل كلام الله من السماء وحده قط، بل جاء معه دائمًا، لاستخدام هذا السيف، بطل يُحسن استخدامه. إذن، فكانت هناك دائمًا حاجة إلى يد بطل لخلق اليقين الصادق والحي بالقرآن الكريم ولإظهار ميزاته وإتمام الحجّة به، وكانت هذه الحاجة على أشدها في الزمن الأخير، لأن هذا الزمن زمن الدجال، وهناك حرب دائرة بين الأرض والسماء. (نزول المسيح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٨-٤٦٩)

أي أن الإله الرحيم هو الذي بعث... وكذلك هذا الرسول الذي يرَبِّي هؤلاء الناس تربية، سوف يرَبِّي حزبا آخر أيضا سيلحقون بهؤلاء ويخلقون في أنفسهم كمالاً لهم. ويجب الانتباه في هذا المقام إلى نكتة أن كلمة «آخِرِينَ» في الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ...﴾ جاءت في محل المفعول، وتقدير قوله تعالى: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلم الآخرين منهم الذين لما يلحقوا بهم. أي أنّ لنا آخرين أيضا من العباد الخالصين الكاملين غير الصحابة، وسيُخلَقون في الزمن الأخير بكثرة. وكما ربّي النبي ﷺ أصحابه ﷺ كذلك سيربّيهم النبي ﷺ أيضا تربية باطنية أي أنهم سيأتون في زمن تنقطع فيه سلسلة الإفاضة والاستفاضة الظاهرية، وتتطرق إلى الإسلام أخطاء وبدعات كثيرة، وتخلو قلوب الزهاد أيضا من النور الباطني، عندها يوصل الله تعالى نفسا سعيدة إلى كمال الروحانية ببركة تربية النبي ﷺ الروحانية فقط دون واسطة الوسائل والطرق الظاهرية، وسيجعله جماعة ستُحرز مماثلة قوية بالصحابة، لأن تلك الكمالات كلها تكون من ثمار تربية النبي ﷺ، وسيكون فيضه جاريا فيهم، فسيلحقون بالصحابة؛ أي سيشبهونهم من حيث كمالهم، وستستقي لهم بفضل الله تعالى ورحمته -لنيل الأجر والثواب- الفرص نفسها التي نالها الصحابة. وبسبب قلة عددهم وقلة حيلتهم ونتيجة ثباتهم سيُعدّون صادقين عند الله كما عدّ الصحابة؛ لأن ذلك الزمن سيكون زمن انتشار كثير من الآفات والفتن والإلحاد، وسيواجه الصادقون المضاعف نفسها التي واجهها الصحابة ﷺ، لذا سيُعدّون على درجة الصحابة بسبب ثباتهم. ولكن سيتخلل هذين الزمنين زمنٌ فيجّ أعوج يتضاءل فيه عددُ الذين حذوا حذو الصحابة وحازوا مراتبهم بصورة ظلية، وذلك بسبب الرعب من سلاطين الإسلام وشوكتهم، ونتيجة كثرة أسباب التنعّم ولكن الزمن الأخير سيشبه الزمن الأول لأن العُربة تعمّ الناس فيه، ولن تكون في أيديهم حيلة لمواجهة تلك البلايا إلا قوة الإيمان. لذا فإن إيمانهم يكون قويا وثابتا عند الله لدرجة أن لو

كان الإيمان بالثريا لنالوه وأعادوه إلى الأرض؛ أي ستحل بهم الزلازل ويُبتَلون وتحيط بهم فتن قاسية، ولكنهم سيثبتون ويصمدون بحيث لو صار الإيمان بالأفلاك لما تركوه. إذًا، إن المديح بأنه لو صار الإيمان بالسماء لنالوه، يشير إلى أنهم سيأتون في زمن يكون فيه الإلحاد منتشرًا في كل حذب وصوب ويزول فيه حب الله الصادق من القلوب بوجه عام، ولكن إيمانهم في قلوبهم يكون قويا، وسيملكون قوة عظيمة لتحمل المشاق والمعاناة في سبيل الله، وسيكونون صادقين وصامدين إلى أقصى الحدود. لن يمنهم خوف، ولن يجعلهم الطمع الدنيوي كسالى. والحق أن قوة الإيمان تتحقق بأن يبقى المرء ثابتا صامدا في زمن الابتلاءات من هذا النوع، وفي زمن انتشار الإلحاد.

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن الحزب المذكور سيكون حتما في الزمن الذي ستوجد فيه أسباب لابتلائه، وتكون الدنيا بعيدة كل البعد عن الإيمان الحقيقي وكأنها تجردت منه نهائيا. فملخص الكلام أن الله جلّ شأنه يقول في حقهم بأن الذين سيأتون في الزمن الأخير سيكونون عبادا خالصين وكاملين ويتصبغون بصبغة الصحابة من حيث كمال إيمانهم وكمال إخلاصهم وكمال صدقهم وكمال استقامتهم وكمال ثباتهم وصمودهم وكمال عرفانهم، ومعرفتهم بالله تعالى. يجب أن يفهم جيدا أن في هذه الآية إشارة إلى زمن الكاملين الذين سيكونون في الزمن الأخير وليس إلى زمن آخر، لأنه يتبين من ظاهر كلمات الآية أيضا أن هؤلاء الكاملين سيأتون في الزمن الأخير إذ تعلن الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بكل جلاء.

والأزمة ثلاثة؛ زمن الصحابة، والزمن الوَسْطِي الذي كان بين المسيح الموعود والصحابة، والزمن الأخير هو زمن المسيح الموعود ومصدق الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ الذي نحن فيه الآن كما قال الشيخ المرحوم صديق حسن خان القنوجي ثم البهوبالي - وهو مجدد الوقت بحسب رأي الشيخ البطالوي - في الصفحة ١٥٥ من كتابه "حجج الكرامة" ما معناه: إن فترة الآخرين في آخر هذه الأمة

قد بدأت من الألف الثاني. وقد فُقدت آثار التقوى في بدايته، وكذلك فُقدت سطوة الإسلام المادية أيضا. تم كلامه. من المعلوم أن النبي ﷺ قد عدّ زمن الصلاح فترتين فقط؛ أولاهما زمن الصحابة الذي يُصور أنه يمتدّ إلى وفاة آخر صحابي، ويثبت أن ذلك كان في عصر الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمته الله. وثانيهما هو الزمن الوسطي الذي يجب أن يُسمّى "زمن أم الخبائث" من حيث كثرة البدعات، وسماه النبي ﷺ "فَيْج أعوج". ونهاية هذا الزمن الملحق بزمن مجيء المسيح الموعود. ويبدو من الأحاديث النبوية أنه أسوأ حالا. ولقد أورد البيهقي بهذا الشأن حديثا معناه أن النبي ﷺ قال بأن المشايخ والمفتين في ذلك الزمن يكونون أسوأ الناس الموجودين على وجه الأرض حينذاك. وقد ورد في "حجج الكرامة" أن هؤلاء القوم سيُصدرون فتوى التكفير ضد مهدي الله؛ أي المسيح الموعود. إن معظم المسلمين لا يعرفون أنه ثابت من الأحاديث أن فتوى التكفير ستُصدّر ضد المسيح الموعود أيضا؛ فها قد تحققت هذه النبوءة. فالفترة بين الزمن الأول وزمن المسيح الموعود فاسدة جدا. فيقول النبي ﷺ عن الناس في ذلك الزمن: "خير هذه الأمة أولها وآخرها؛ أولها فيهم رسول الله ﷺ، وآخرها فيهم عيسى بن مريم، وبين ذلك فَيْج أعوج ليسوا مني ولست منهم." المراد من "فَيْج أعوج" هو جيش مُعَوَّج، يبدو في الظاهر فوجا ولكنه ميت من حيث الروحانية. وقد جاء في الحديث الصحيح أنه عندما نزلت الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وضع النبي ﷺ يده على كتف سلمان الفارسي وقال: "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من فارس أو رجال من فارس". فيتبين من هذا الحديث أنه سيولد في الزمن الأخير رجلٌ من أصل فارسي يكون قويّ الإيمان لدرجة لو كان الإيمان عندئذ بالثريا لناله من هناك. وقد سُمي هذا الرجل في حديث آخر باسم المهدي وقيل بأنه سيظهر من البلاد الشرقية في الزمن الأخير، وقيل بأن الدجال أيضا سيخرج في الزمن الأخير من البلاد الشرقية فيثبت بإلقاء نظرة شاملة على هذين

الحديثين أن الذي سيتصدى للدجال هو هذا الرجل. ومن مقتضى سنة الله تعالى أيضا أن البلد الذي يولد فيه خبيث مثل الدجال، يجب أن يولد فيه نفسه هذا الرجل الطيب أيضا؛ فالطبيب عندما يأتي، يتوجه إلى المريض مباشرة. ومن الغريب جدا أن يخرج الدجال من الهند بحسب الأحاديث الصحيحة وينزل المسيح على منارة في دمشق. مما لا شك فيه أن الهند تقع شرقي المدينة المنورة. والثابت من الحديث الصحيح دون أدنى شك أن الدجال سيخرج من الشرق. ومن المشرق ستظهر رايات مهدي الله السود فكانه مقدّر منذ الأزل أن الشرق هو محلّ الفتن، وهو محل إصلاحها أيضا.

وهناك نكتة أخرى جديرة بالتذكر في هذا المقام وهي أنه كما استخدم الله جلّ شأنه قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ في كلمات الآية الظاهرية وأشار إلى أن الذين سيأتون متصبغين بصبغة الصحابة في الكمالات سيكونون في الزمن الأخير، كذلك أشار من خلال قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وهو يساوي ١٢٧٥ - في حساب الجمل - إلى أن الرجل الفارسي الأصل الذي هو مصداق الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ سيكمل بلوغ نشأته الظاهرية في هذه السنة، ويحقق مماثلته مع الصحابة. فالسنة ١٢٧٥ الهجرية التي تتبين من القيمة العددية لقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بحسب حساب الجمل تمثل تاريخ بلوغي وولادتي الثانية؛ أي الولادة الروحانية التي مضى عليها ٣٤ عاما إلى يومنا هذا.

وإذا قيل إن عبارة: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ جاءت بصيغة الجمع فكيف يمكن إطلاقها على فرد واحد؟ فجوابه بأن النبي ﷺ نفسه أطلقها على واحد لأنه عند شرحه لهذه الآية وضع يده على كتف سلمان الفارسي وقال بأنه سيولد من أصل فارسي رجل يوشك أن يعيد الإيمان من الثريا إلى الأرض بمعنى أنه سيولد في وقت يكون فيه الناس ضعفاء وكسالى من حيث حالتهم الإيمانية بسبب تمسكهم بالأفكار الفلسفية وانتشار الإلحاد وفتور حب الله تعالى. عندها سيخلق الله تعالى الإيمان الحقيقي في

قلوب الناس من جديد على يده وبركة وجوده، وكأن الإيمان المفقود سينزل من السماء مجدداً. لقد جاءت أحياناً في القرآن الكريم صيغة الجمع وهي تفيد المفرد؛ فقد دُعي إبراهيم عليه السلام "أمة" مع أنه كان فرداً واحداً. وبالإضافة إلى ذلك فقد اختير هذا اللفظ في الآية للتفهم أن ذلك القادم لن يبقى واحداً، بل سيتحول إلى جماعة يؤمنون بالله إيماناً صادقا، ويلاحظ فيهم إيمان مثل إيمان الصحابة تماماً. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٠٨-٢٢٠)

الأمة تتطلب الرحمانية، وقد قال الله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ (الجمعة: ٣). ومفهوم الرحمانية يتضح جلياً من المثل القائل:

”کردے کرادے اور اٹھانے والا ساتھ دے۔“

أي: أُنْجِزْ لَنَا وَأْمُرِ الْآخِرِينَ بِإِنْجَازِهِ، وابعث معنا من يحمل عنا أيضاً. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٤، عدد ١٧٤/٤/١٩٠٠م، ص ٧)

جاء المسيح الموعود على رأس القرن الرابع عشر كما يُستنبط العدد ١٤٠٠ بحسب حساب الجمل من عبارة: "عيسى عند منارة دمشق". ولما كانت القيمة العددية للآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ هي ١٢٧٥ بحسب حساب الجمل، فقد أُعِدَّ ذلك المصلح في الزمن نفسه لإصلاح الخلق. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٧٥)

"﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ يعني يُرَكِّي النبي الكريم آخرين من أمته بتوجهاته الباطنية كما كان يُرَكِّي صحابته." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٤)

يثبت من النص القرآني أن نبينا ﷺ مثل موسى، وأن سلسلة خلافته تماثل تماماً سلسلة خلافة موسى، وكما كان موسى عليه السلام قد وُعد بأنه عندما تصل سلسلة النبوة الإسرائيلية في الزمن الأخير منتهاها، ويفترق بنو إسرائيل على فرق كثيرة، وتكذب بعضها بعضاً، حتى تكفر بعضها بعضاً، فعندئذ سيرسل الله خليفة حامياً

الدين الموسوي، أي عيسى ﷺ، وسوف يجمع عنده شتى خراف بني إسرائيل، ويجمع الذئب والشاة في مكان واحد، ويرفع الخلافات الداخلية بصفته حكماً لجميع الأمم، ويرفع البغض والحقد.

وهذا الوعد نفسه قد ورد في القرآن الكريم وأشير إليه في آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، والأحاديث تفصّل ذلك كثيراً بأن هذه الأمة أيضاً ستفترق على فرق كثيرة، مثل اليهود، تكذب وتكفر بعضها بعضاً، وكلهم سيتقدمون في العناد والبغض حتى ينزل المسيح الموعود حكماً في العالم، وعندما يأتي حكماً سيرفع البغض والشحناء، وفي زمنه سيجمع الذئب والشاة في مكان واحد. فجميع المطلعين على التاريخ يعرفون أن عيسى ﷺ جاء في وقت كانت الشعوب الإسرائيلية قد افترقت كثيراً وكانت تكذب وتكفر بعضها بعضاً، وكذلك جاء هذا العبد المتواضع في زمن قد بلغت فيه الخلافات الداخلية منتهاها، وبدأت كل فرقة تكفر الأخرى. وفي زمن الفرقة هذا كانت الأمة المحمدية بحاجة إلى حكم، فبعثني الله ﷺ حكماً. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٥٥-٢٥٧، الحاشية)

ملخص هذه النبوة أن الله ﷻ يقول: قد رُزقت علم القرآن الكريم، علما يقضي على الباطل. وفي هذه النبوة نفسها قال: هناك إنسانان بورك فيهما بركات كثيرة، أولهما ذلك المعلم الذي اسمه محمد المصطفى ﷺ، والثاني هذا المتعلم أعني مؤلف هذا الكتاب. كما يشير ذلك إلى آية قرآنية أيضاً حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي لهذا النبي تلامذة آخرون أيضاً لم يظهروا بعد، وسيظهرون في الزمن الأخير، فهذه الآية تشير إلى هذا العبد المتواضع حصراً، لأنه كما مرّ في الوحي المذكور آنفاً فإن هذا العبد المتواضع من تلاميذ النبي ﷺ الروحانيين. وهذه النبوة التي تنبأ بتعليمي القرآن الكريم من الله ﷻ، قد ألفت تحقيقاً لها كتاب "كرامات الصادقين" الذي لم يتوجه إليه أي معارض، فوالله الذي نفسي بيده إني جعلت متفوقاً على كل نفس في فهم معارف القرآن الكريم وحقائقه. فلو بارزني أي

شيخ معارض استجابة لطلباتي المتكررة في كتابة تفسير القرآن الكريم لأهانه الله ﷻ وأخجله. فَفَهُمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ هُوَ آيَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ. إِنِّي لِأَمَلُ بِفَضْلِ اللَّهِ أَنَّ الْعَالَمَ سِيرَى عَنْ قَرِيبٍ أَنِّي صَادَقُ فِي هَذَا الْبَيَانِ. (السراج المنير، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٤٠-٤١)

"وَإِنَّ آدَمَ آخِرَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ، وَالنَّسَبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَنَسَبَةِ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، فَفَكَّرْتُ فِي قَوْلِهِ ﴿أَخْرَيْنَ﴾. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فَيُضِ هَذَا الرُّسُولَ فَاتَّمَّهُ وَأَكْمَلَهُ، وَجَذَبَ إِلَيَّ لُطْفَهُ وَجُودَهُ، حَتَّى صَارَ وَجُودِي وَجُودَهُ، فَمَنْ دَخَلَ فِي جَمَاعَتِي دَخَلَ فِي صَحَابَةِ سَيِّدِي خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَدَبِّرِينَ. وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُصْطَفَى، فَمَا عَرَفَنِي وَمَا رَأَى." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٥٧-٢٥٩)

"جاء في الآثار أنه ﷺ بُعِثَ فِي الْأَلْفِ السَّادِسِ، مَعَ أَنَّ بَعْثَهُ كَانَ فِي الْأَلْفِ الْخَامِسِ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى وَقْتِ التَّجَلِّيِ التَّامِّ وَاسْتِيفَاءِ الْمَرَامِ وَكَمَالِ ظُهُورِ الرُّوحَانِيَةِ وَأَيَّامِ تَمْوُجِ الْفَيُوضِ الْمَحْمَدِيَّةِ فِي الْعَالَمِينَ، وَهُوَ آخِرُ الْأَلْفِ السَّادِسِ الَّذِي هُوَ الزَّمَانُ الْمَعْهُودُ لِنَزُولِ الْمَسِيحِ الْمَوْعُودِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كُتُبِ النَّبِيِّينَ. وَإِنْ هَذَا الزَّمَانُ هُوَ مَوْطِئُ قَدَمِهِ ﷺ مِنَ الْحَضَرَةِ الْأَحَدِيَّةِ، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ آيَةِ ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ وَأَيَّاتِ أُخْرَى مِنَ الصَّحْفِ الْمَطْهُرَةِ، فَفَكَّرْتُ إِنْ كُنْتُ مِنَ الْعَاقِلِينَ. وَاعْلَمْ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ كَمَا بُعِثَ فِي الْأَلْفِ الْخَامِسِ كَذَلِكَ بُعِثَ فِي آخِرِ الْأَلْفِ السَّادِسِ بِاتِّخَاذِهِ بُرُوزَ الْمَسِيحِ الْمَوْعُودِ، وَكَذَا ثَابِتُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْجُحُودِ، وَلَا يَنْكَرُهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ مِنَ الْعَمِينَ. أَلَا تَفَكَّرُونَ فِي آيَةِ ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾، وَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ مَفْهُومُ لَفْظِ ﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الرُّسُولُ مَوْجُودًا فِي الْآخِرِينَ كَمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ؟ فَلَا بَدَّ مِنْ تَسْلِيمِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَلَا مَفَرٍّ لِلْمُنْكَرِينَ. وَمَنْ أَنْكَرَ مِنْ أَنَّ بَعْثَ النَّبِيِّ ﷺ يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْفِ السَّادِسِ كَتَعَلُّقِهِ بِالْأَلْفِ الْخَامِسِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الْحَقَّ

ونصَّ الفرقانِ وصار من الظالمين. بل الحق أن روحانيته عليه السلام كان في آخر الألف السادس - أعني في هذه الأيام - أشدَّ وأقوى وأكمل من تلك الأعوام، بل كالبدْر التام. " (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٦٨-٢٧٢)

"اعلموا أن الختمية أُعطيت من الأزل لمحمد عليه السلام، ثم أُعطيت لمن علّمه روحه وجعله ظلّه، فتبارك من علّم وتعلّم. فإن الختمية الحقيقية كانت مقدّرة في الألف السادس الذي هو يوم سادس من أيام الرحمن، ليشابه أبا البشر من كان هو خاتم نوح الإنسان. واقتضت مصالح أخرى أن يُبعث رسولنا في اليوم الخامس.. أعني في الألف الخامس بعد آدم، لما كان اليوم الخامس يوم اجتماع العالم الكبير، وهو ظلّ لآدم الذي أعزّه الله وأكرم، فإن آدم جمع في نفسه كلّ ما تفرّق فيه ووصل كلّ ما تجذّم، فلا شك أن العالم الكبير قد نزل بمنزلة خلقه أولى لآدم في صور متنوعة، فقد خلّق آدم بهذا المعنى في اليوم الخامس من غير شك وشبهة، ثم أراد الله أن يُنشئ نبياً الذي هو آدم خلقاً آخر في الألف السادس بعد خلقته الأولى، كما أنشأ من قبل صفيه آدم في آخر اليوم السادس من أيام بُدوّ الفطرة ليتمّ المشابهة في الأولى والأخرى، وهو يوم الجمعة الحقيقية، وكان جمعة آدم ظلاً له عند أولي النّهى، فاتخذ على طريق البروز مظهرًا له من أمته، وهو له كالعين في اسمه وماهيته، وخلقّه الله في اليوم السادس بحساب أيام بُدوّ نشأة الدنيا لتكميل مماثلته.. أعني في آخر الألف السادس ليشابه آدم في يوم خلقته، وهو الجمعة حقيقة، لأن الله قدّر أنه يجمع الفرق المتفرقة في هذا اليوم جمعًا برحمة كاملة، ويُنفخ في الصور.. يعني يتجلّى الله لجمعهم فإذا هم مجتمعون على ملّة واحدة إلا الذين شقّوا بمشيئة وحبسهم سجن شقوة، وإليه أشار سبحانه في قوله ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ في سورة الجمعة، إيماءً إلى يوم الجمعة الحقيقية. وأراد من هذا القول أن المسيح الموعود الذي يأتي من بعد خاتم الأنبياء هو محمد عليه السلام من حيث المضاهاة التامة، ورفقاؤه كالصحابة، وأنه هو عيسى الموعود لهذه الأمة، وعدًا من الله ذي العزة في سورة التحريم والنور والفاحة.. قول الحق الذي

فيه يمترون. ما كان لني أن يأتي بعد خاتم الأنبياء إلا الذي جعل وارثه من أمته، وأُعطي من اسمه وهويته، ويعلمه العالمون. فذلك مسيحكم الذي تنظرون إليه ولا تعرفونه، وإلى السماء أعينكم ترفعون." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣١٠-٣١١)

"إن الله كان أوحى إلي وقال: "كُلُّ بَرَكَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ"، يعني أن النبي ﷺ علّمك من تأثير روحانيته وأفاض إناء قلبك بفيض رحمته، ليدخلك في صحابته، وليشركك في بركته، وليتم نبأ الله ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ بفضله ومنته." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣١٠، الحاشية)

من جملة الأدلة التي تبرهن على أن المسيح القادم الذي وعد بمجيئه في هذه الأمة سيكون رجلا من هذه الأمة نفسها، حديث البخاري ومسلم؛ حيث ورد فيهما "إمامكم منكم" و"أممكم منكم"؛ أي سيكون إماما لكم وسيكون منكم حصرا. فلما كان هذا الحديث بحق عيسى القادم وبحقه قد وردت فيه صفتا الحكم والعَدْل قبل هذه الجملة، لهذا فإن كلمة الإمام أيضا تخصه، ولا شك أن الخطاب في "منكم" هنا موجه إلى الصحابة، وهم كانوا مخاطبين. لكن الواضح أن أحدا منهم لم يعلن بأنه المسيح الموعود، لهذا فالمراد من "منكم" شخص بمنزلة الصحابة في علم الله، وهو الذي وُصف بالقائم مقام الصحابة في آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، لأن هذه الآية كشفت أنه تلقى التربية الروحانية من النبي الكريم ﷺ، ومعدود ضمن الصحابة نظرا إلى هذا المعنى. وهناك حديث يشرح هذه الآية، وهو "لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجل من فارس". فلما نُسبت إلى هذا الرجل الفارسي صفة تخص المسيح الموعود والمهدي؛ أي يملأ الأرض عدلا بعد خلوها من الإيمان والتوحيد كما مُلئت ظلما، لذلك فإن هذا الرجل هو المهدي والمسيح الموعود وهو أنا. وكما أنه لم يحدث كسوف وخسوف في رمضان في زمن أي مدعٍ للمهدوية، كذلك لم يدع أحد خلال مدة ثلاثة عشر قرنا أنه مصداق نبوءة "ناله رجل من

فارس" بتلقي الإلهام من الله. وإن النبوءة بكلماتها تصرح بأن هذا الرجل سيكون في الزمن الأخير حين تكون قلوب الناس قد أصابها ضعفٌ كبير، وسيكون فارسي الأصل، وبواسطته سيقام الإيمان في الأرض من جديد. وواضح أنه ليس ثمة زمن أكثر ضررا للإيمان من زمن غلبة الصليب، وفي هذا الزمن وحده يمكن أن نقول بأن الإيمان قد رُفع من الأرض، كما تُفصح بذلك بجلاءِ الحالات العملية في العصر الراهن، والاندفاع العظيم إلى السيئة والعلامات الصغرى للقيامة التي ظهرت من زمن. ثم إن آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ تشير إلى أن الشرك كما كان منتشرا في الأرض في زمن الصحابة سيكون في ذلك الزمن أيضا، وليس من شك في أنه يفهم يقينا بقراءة هذه الآية مع هذا الحديث أن هذه نبوءة بحق مهدي آخر الزمان ومسيح آخر الزمان. لأنه قد ورد في تعريف المهدي أنه سيملا الأرض عدلا كما مُلئت ظلما وجورا، بينما قد ورد بحق مسيح آخر الزمان أنه سيقم الإيمان والأمن في الأرض من جديد ويمحو الشرك ويقضي على الملل الباطلة. وإن مفاد هذه الأحاديث أيضا أن يقام من جديد، في زمن المهدي والمسيح، الإيمان الذي ارتفع من الأرض وبلغ الشرى، ومن الضروري أن تمتلئ الأرض أولا ظلما ويرتفع منها الإيمان، لأنه إذا كان قد ورد أن الأرض كلها ستمتلئ ظلما، وحيث إن الظلم والإيمان لا يجتمعان في مكان، فلا بد أن يرتفع الإيمان إلى السماء التي هي مقره الأصلي. باختصار، إن زمن المصائب الذي تمتلئ به الأرض ظلما ويرتفع منها الإيمان زمن وحيد بعد زمن النبي ﷺ، ويقال له زمن المسيح أو زمن المهدي. وذكر هذا الزمن في الأحاديث بثلاثة أسماء؛ أي زمن رجل من فارس، وزمن المهدي، وزمن المسيح. ومعظم الناس فهموا لقلة التدبر أنهم ثلاثة أشخاص نظرا لوجود ثلاثة أسماء، وحددوا لهم ثلاثة شعوب؛ أحدها الشعب الفارسي، والثاني قوم بني إسرائيل، والثالث قوم بني فاطمة. لكنها أخطاء، والحقيقة أن شخصا واحدا سُمي بثلاثة أسماء لعلاقته بكل قوم. فمثلا في أحد الأحاديث في "كنز العمال" يُفهم أن أهل فارس أي بنو فارس من بني

إسحاق، وبذلك صار المسيح القادم إسرائيليا، أما علاقته ببني فاطمة فتكون بناء على علاقة الأمهات- كما حصلت لي هذه العلاقة فصرتُ فاطميا- فكأن نصفه إسرائيلي ونصفه الآخر فاطمي بحسب ما ورد في الأحاديث. إلا أنني لا أملك أي دليل على كوني فارسيا سوى الإلهام الإلهي، إلا أن هذا الإلهام من زمن لم يكن فيه أي أثر لدعواي هذه. أي قد كُتب في "البراهين الأحمديّة" قبل عشرين عاما من اليوم، وهو "خذوا التوحيد التوحيد يا أبناء الفارس." وفي موضع آخر إلهام: "إن الذين صدوا عن سبيل الله ردّ عليهم رجل من فارس شكر الله سعيه." وكذلك في موضع آخر من البراهين الأحمديّة إلهام "لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجل من فارس." أي لو رفع الإيمان إلى الثريا وامتألت الأرض إحادا محضا لاستعادته من السماء هذا الرجل فارسي الأصل. أما عن كوني من بني فاطمة فبحسب الإلهام التالي: "الحمد لله الذي جعل لكم الصهر والنسب. اشكر نعمتي رأيت خديجتي" أي الحمد لله الذي شرفك بأن تكون صهر السادات وتكون سليل عائلة عريقة نبيلة، وكلا هذين الشرفين متماثلان أي قد وهبك فضيلة كونك صهرا للسادات، كما شرف نسبك بخلقك في بني فاطمة. واشكر نعمتي إذ قد حظيت بخديجتي، أي كنت حائزا على شرف الآباء لكونك من بني إسحاق، ثم أضيف إليه الشرف الثاني وهو كونك من بني فاطمة. وفي كوني صهر السادات إشارة إلى زوجة هذا العبد المتواضع التي من عائلة سادات السندي من دلهي، أي من عائلة مير دزد. وإلى هذه العلاقة الفاطمية أشير في الكشف الذي نُشر في البراهين الأحمديّة قبل ثلاثين عاما من اليوم، حيث رأيت خمسة أشخاص، هم السادة "سيد الكونين والحسنين والسيدة فاطمة الزهراء وعليّ رضي الله عنه" في عين اليقظة، ووضعتُ السيدة فاطمة الزهراء رأسي على فخذه بلطف وحب شديدين كالأم الحنون، وظلوا يجلسون في عالم الصمت حزينين. ومنذ ذلك اليوم أيقنت وبتمام الثقة بهذا الاختلاط في الدم. فالحمد لله على ذلك. (التحفة الغلورية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٧، ص ١١٤-١١٨)

إنّ مصداق المنعم عليهم بصفة كاملة من حيث كثرة العدد وصفاء الكيفية والحصول على نعماء حضرة الأحدية في ضوء النص القرآني الصريح والأحاديث المتواترة لحضرة المرسل الرباني فريقان فقط؛ أحدهما فريق الصحابة، والفريق الثاني جماعة المسيح الموعود؛ لأن هذين الفريقين كليهما تربّيا على يدي النبي ﷺ وليسوا بحاجة إلى اجتهداهم الشخصي، والسبب أن في الفريق الأول كان يقيم النبي ﷺ نفسه والذي كان يتلقى الهدى مباشرة من الله ثم ينفخ الهدى نفسه في قلوب الصحابة رضي الله عنهم بتركيز النبوة الطيب، وكان مريهم دون أي توسط، وفي الفريق الثاني المسيح الموعود الذي يتلقى الإلهام من الله وينال فيضا من روحانية النبي ﷺ. لذا فإن جماعته أيضا ليست بحاجة إلى اجتهد عقيم، كما يفهم من آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢٢٤)

كان زمن البعثة الأولى للنبي ﷺ الألف الخامس الذي كان مظهرًا لتجلي اسم محمد، أي أن هذه البعثة الأولى كانت لإظهار آيات الجلال، بينما البعثة الثانية التي تشير إليها آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، فهي مظهر تجلي اسم أحمد الذي هو الاسم الجمالي. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢٥٣)

فلما كانت البعثة الثانية للنبي ﷺ بحسب الآية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ مستحيلة إلا في صورة البروز، فقد اختارت روحانية النبي ﷺ شخصا يمثله خلقا وملامح وهمة ومواساة للخلق، وأعطاه اسمه أحمد ومحمد مجازا ليفهم أن ظهوره هو ظهور النبي ﷺ بعينه. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٦٣)

لما كانت المهمة الثانية الموكلة إلى النبي ﷺ، وهي إكمال نشر الهداية، مستحيلة التحقق في زمنه بسبب انعدام وسائل النشر، وُعد بمجيء النبي ﷺ ثانيا في آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. وقد ظهرت الحاجة لهذا الوعد؛ لأن الواجب الثاني للنبي ﷺ، أي إكمال نشر الهداية الدينية، الذي كان يجب أن يتحقق على يديه، لم يتحقق في زمنه، لعدم توفر الوسائل. وقد أدّى النبي

هذا الواجب ببعثته الثانية بروزا في زمن توفرت فيه الوسائل لإيصال الإسلام إلى جميع شعوب العالم. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٦٣، الحاشية)

الجدير بالذكر أنه كما كان لله يدا الجلال والجمال، فاقتداءً بذلك قد وهب الله ﷺ نبينا الكريم ﷺ أيضا يدي الرحمة والشوكة كليهما لكونه مظهرا أتم لله ﷺ. فإلى يد الجمال تشير آية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، أما يدُ الجلال فتشير إليها آية ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٨)، فلما كان الله ﷻ يريد أن تتجلى صفتا النبي ﷺ هاتان في وقتهما فقد أظهر ﷺ جلاله (ﷺ) بواسطة الصحابة رضي الله عنهم، وأوصل صفة الجمال إلى الكمال بواسطة المسيح الموعود وجماعته، وإلى ذلك تُشير آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (أربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٢١، الحاشية)

"قال: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، فأشار إلى المسيح الموعود وجماعته والذين اتبعوهم." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٥٤)

كان نبينا ﷺ جامعا للجلال والجمال، حيث كانت حياته في مكة تصطبغ بصبغة الجمال أما في المدينة فاصطبغت بالجلال، ثم وُزعت هاتان الصفتان على الأمة بحيث وُهبَتْ لصحابة النبي ﷺ حياة تتسم بالجلال، أما المسيح الموعود فجعل مظهرا للنبي ﷺ في حياته المتسمة بالجمال. ولهذا قال في حقه "يضع الحرب" أي لن يُقاتل. وكان الله ﷻ قد قال في القرآن الكريم أنه سيُبعث لتحقيق هذا الجانب المسيح الموعود وجماعته، كما تُشير إليه آية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ مثلما تُشير آية: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد: ٥). (أربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٤٣-٤٤٤)

كان من المقدر في كلام الله تعالى أن الجزء الثاني من الأمة سيحتوي على جماعة المسيح الموعود. لذا فقد ذكر الله تعالى تلك الجماعة منفصلة فقال: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿١﴾ أي هناك جماعة من الأمة المحمدية سيأتون فيما بعد. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ وضع يده عند نزول هذه الآية الكريمة على سلمان الفارسي وقال: لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجل من فارس. فهذه النبوة كانت تخصني أنا. كما أوحى الله تعالى إليَّ الحديث نفسه تصديقا لتلك النبوة، كما ورد في "البراهين الأحمديّة". ولم يكن هناك أحد مصداقا بصورة محددة لهذا الحديث قبلي، فجعلني وحي الله تعالى مصداقا لها، فالحمد لله. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٠٧، الحاشية)

الرجل من فارس والمسيح الموعود اسمان لشخص واحد كما أشير إليه في القرآن الكريم: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي أن هناك فئة أخرى من أصحاب النبي ﷺ لم تظهر بعد. من الواضح أن الأصحاب هم أولئك الذين يعاصرون نبي الوقت ويحفظون بصحبته في حالة الإيمان ويتلقون منه التعليم والتربية. فيتبين من ذلك أنه سيُبعث في الآخرين نبي يكون ظلا للنبي ﷺ، لذا سُمِّيَ أصحابه أصحاب النبي ﷺ. وكما أدى الصحابة رضوان الله عليهم خدمات في سبيل الله حسب ظروفهم كذلك سيؤديها هؤلاء أيضا حسب ظروفهم.

على أية حال، إن هذه الآية نبوءة عن نبي سيظهر في الزمن الأخير، وإلا فلا مبرر لإطلاق تسمية أصحاب رسول الله على الذين سيولدون بعده ﷺ ولم يروه ﷺ. لم يقل الله تعالى في الآية المذكورة آنفا: وآخرين من الأمة، بل قال: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ ويعرف الجميع أن ضمير "منهم" عائد على الصحابة رضوان الله عليهم. لذا لا تنطبق كلمة "منهم" إلا على الذين يوجد فيهم رسول هو بروز للنبي ﷺ. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٠١-٥٠٢)

نوقن أن نبينا الأكرم ﷺ يحتل درجة عليا من بين جميع الأنبياء من حيث الحياة الروحانية، وإن الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ تشير إلى تلك الحياة لأن المراد منها أنه كما استفاد الصحابة رضوان الله عليهم من النبي ﷺ أيضا باطنيا كذلك سيحدث في الزمن الأخير

وسيستفيض منه عليه السلام المسيح الموعود وجماعته كما يحدث الآن. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٣٨٦-٣٨٧)

من الممكن أن يأتي النبي عليه السلام إلى العالم بصورة بروزية، ليس مرة واحدة بل ألف مرة ويُعلن نبوته أيضا بصورة بروزية وبالكمالات. وهذا البروز كان عهدا مقرا من عند الله كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. الأنبياء لا يغارون على بروزهم لأنه يكون صورتهم ونقشهم في الحقيقة ولكنهم يغارون على الآخرين. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٥٢٩)

فكان المقدر أن تكتمل مشيئة الله في عصرين، أحدهما عصر النبي عليه السلام، والآخر العصر الأخير؛ عصر المسيح والمهدي. أعني في العصر الأول نزل القرآن والهدي الحق، ولكن في عصر الفيج الأعوج جعل على هذا الهدي غطاء، وكان كشف الغطاء عنه مقدرا في زمن المسيح الموعود، حيث صرح الله تعالى في القرآن بأن هذا الرسول قد زكى هذه الجماعة، أي الصحابة الكرام، كما قد زكى جماعة قادمة فيما بعد صفتها: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. والواضح أن الله تعالى قد بشر أنه لن يدع هذا الدين يضيع في عصر الضلال، بل سوف يكشف حقائق القرآن في الزمن الآتي أيضا. فقد ورد في الآثار أن من فضائل المسيح الآتي أنه سيؤتي فهم القرآن الكريم ومعارفه، وسوف يستنبط من القرآن وحده لينبّه الناس إلى أخطاء تسربت إليهم لجهلهم بحقائق القرآن. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٥٢-٥٣)

لتكن معاملاتكم مع الله ومع الخلق لا بتغاء مرضاة الله كلية، لأن هذا سيجعلكم مصدقا لقول الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٥٧)

بحسب وعد الله الموثق ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠) قد جاء معلّم من السماء، وهو المصدق لوعد الله تعالى في قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، وهو ذلك الذي يتكلم بين ظهرانيكم الآن.. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٩٥)

لقد شرف الله تعالى جماعة المسيح الموعود بأن ألحقهم بجماعة الصحابة: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. لقد أقرّ المفسرون بأن (آخرين منهم) هم جماعة المسيح الموعود، وكأنهم جماعة الصحابة ﷺ، وكأنهم ليسوا مع المسيح الموعود بل هم مع رسول الله ﷺ حقيقة، لأن المسيح الموعود إنما يأتي في حلة جمال النبي ﷺ، وسيكون مأمورا بإكمال مهمة تبليغ دينه ونشره.. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٠م، ص ٣)

لا تظنوا أن جماعة الصحابة اقتصرت فقط على الصحابة الذين خلوا من قبل، كلا بل هناك فئة أخرى ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، وهي أيضا من الصحابة، وهم الذين يكونون مع بروز "أحمد ﷺ"، حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي لا تظنوا أن هؤلاء الأولين هم فقط من الصحابة، كلا، بل إن الجماعة التي تكون في زمن المسيح الموعود هي أيضا من الصحابة أنفسهم. فقد اعترف المفسرون بأن هذه الآية تتحدث عن جماعة المسيح الموعود، وكلمة "منهم" تؤكد أن توجههم الباطني واستفاضتهم ستكون مثل الصحابة تماما. لقد تربى الصحابة على يد النبي ﷺ كما هو ظاهر بين، أما هذه الجماعة فهم أيضا سينالون التربية على يد رسول الله ﷺ في الواقع وإن كان الناس لا يستطيعون رؤية هذه التربية في ظاهر الأمر، ومن أجل ذلك قد سمى علماء السلف كلهم هذه الجماعة صحابة. فكما أن هذه الصفات الأربع قد تجلت في الصحابة الأولين، كذلك كان لزاما أن تتجلى أيضا في هذه الجماعة من الصحابة التي هي مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٤)

قد أسس هذه الجماعة لإثبات أن آثار الاتباع الحقيقي للنبي ﷺ وثمراته توجد في كل حين وأن. إن الإله الناطق منذ الأزل يرسل كلامه العذب لهداية العالم، ويثبت إعجاز القرآن الكريم الآن أيضا. إنها المعجزة القرآن الكريم فقط حين أتحدى القوم أن يكتبوا مقابلي بالعربية معارف القرآن الكريم وحقائقه، ولكن لا أحد يقدر

على مبارزتي. إن مبارزتي هي مبارزة رسول الله ﷺ في الحقيقة، لأنه قد قيل: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. الهدف من تعليم الكتاب والحكمة الجارية حاليا هو أن الله تعالى يريد أن يكون قوما كالصحابة، والغرض الحقيقي من ذلك هو إثبات إعجاز القرآن الكريم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١٥/٥/١٩٠٣م، ص ١)

في هذا العصر معجزة الكلام أيضا لإثبات معجزة كلام القرآن الكريم، كما أُعطي خوارق وآيات أخرى لإثبات آيات النبي ﷺ وخوارقه. كل نوع من الخوارق التي أُعطيها النبي ﷺ قد أظهرها الله تعالى نفسها في هذه الجماعة، لأن هذه الجماعة تحذو حذو النبي ﷺ، بل هي جماعته هو. لقد أنبأ الله سلفا بمجيء النبي ﷺ على سبيل البروز. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١٥/٥/١٩٠٣م، ص ٢)

إن الناس يثيرون الضجة على الجمع بين الصلاتين، مع أنه قد قُدرت للمسيح الموعود مناسبات اجتماع كثيرة. فقد اجتمع الكسوف والخسوف، وكانا آية لي، كما ورد بحقي أنا: ﴿وَإِذَا الثُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير: ٨)، كما قيل لي: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، وهو أيضا نوع من الجمع حيث جُمع بين الأولين والآخرين، وهو جمع عظيم حيث يدل على حياة رسول الله المليئة بالبركات والفيوض. ثم هناك جمع آخر وهو أن الله جمع اليوم كل وسائل الدعوة، وقد صار العالم كله في حكم مدينة واحدة بسبب المطابع، وكثرة الورق، والبريد، والبرقية، والقطار، والسفن البخارية. ثم إن الاكتشافات والمخترعات المتجددة تزيد هذا الجمع أكثر من ذي قبل، إذ تيسر بذلك أسباب نشر الدعوة. الآن يمكن استخدام "آلة التسجيل" أيضا لنشر الدعوة ويمكن أن تنفع كثيرا. أضف إلى ذلك طباعة الجرائد والمجلات. باختصار، قد اجتمعت الآن لنشر الدعوة وسائل بما لا نظير له في أي زمن من الأزمنة الحالية. كان من أهداف بعثة رسول الله ﷺ إكمال الدين أيضا، وقد قال تعالى عنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٤). وإكمال الدين ذو ميزتين: أولاها إكمال الهداية والأخرى إكمال نشر الهداية. إن

زمن إكمال الهداية كان زمن النبي ﷺ الأول، أما زمن إكمال نشر الهداية فهو زمنه ﷺ الثاني، أي زمن ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، وهو هذا الزمن الراهن، وهو زمني، أي زمن المسيح الموعود. وهكذا قد جمع الله تعالى بين زمن إكمال الهداية وزمن إكمال نشر الهداية، وهذا أيضا جمعٌ عظيم الشأن. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٣، عدد ١٩٠٢/١١/٣٠، ص ١-٢)

لقد مرّت على الإسلام ثلاثة أزمنة، أولها القرون الثلاثة، ثم زمن "الفيج الأعوج" الذين قال رسول الله ﷺ عنهم: "لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ". والزمن الثالث هو زمن المسيح الموعود، وهو ملحقٌ بزمن رسول الله ﷺ نفسه، بل الحق أنه زمن النبي ﷺ نفسه. حتى ولو لم يذكر النبي ﷺ زمن "الفيج الأعوج" فإن القرآن الكريم في أيدينا، ويتبين من قول الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بكل وضوح أن هناك زمناً منافياً لمسلك الصحابة. ويتضح من الأحوال أن الإسلام ظل عرضةً للمصائب والمصاعب الكثيرة خلال الألف عام الماضية. فقد تخلّى الجميع عن الإسلام إلا القليل، ونشأت فرق كثيرة كالمعتزلة وأصحاب المذاهب الإباحية الأخرى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٩٠٢/٨/١٧، ص ٥)

هذا هو الوقت والجمعة نفسها التي تحققت فيها نبوءة: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، حيث بُعث رسول الله ﷺ في هذا الوقت بصورة بروزية، وأنشئت جماعة الصحابة مجدداً. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٨، عدد ١٩٠٢/٥/١٧، ص ٦)

أما ما قيل: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ فهو عن زمن المسيح الموعود. والمراد من كلمة: "منهم" هنا هو "إمامكم منكم"، ويتبين من ذلك بكل جلاء أن هذه الجماعة أيضاً جماعة الصحابة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٩٠٢/١٠/١٠، ص ١١)

إن الله تعالى ألحق هذه الجماعة بالصحابة بقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ فلا بد من أن يكون فيهم إخلاص ووفاء وحسن اعتقاد مثل الصحابة. ماذا فعل الصحابة؟

كلما رأوا ظهور جلال الله اختاروا الأسلوب نفسه حتى ضحوا بأرواحهم في سبيل الله. كانوا يعلمون أن زوجاتهم سيتزملن وسيصبح أولادهم أيتاما وسيسخر الناس منهم، ولكنهم لم يأبجوا بأي شيء، بل قبلوا كل ذلك ولم يرتدعوا عن إظهار الإيمان بالله ورسوله. الحق أن إيمانهم كان قويا جدا لدرجة لا نظير له. (الحكم، مجلد ٦، عدد ٤٠، رقم ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٣)

القرآن فاتح ومنتصر في كل مجال، فقد جعل النبي ﷺ خاتم الأنبياء، وجعل المسيح الموعود بروزه بالقول: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. (الحكم، مجلد ٦، عدد ٤٠، رقم ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٥)

كانت في التوراة آية مقابل الآية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ وكان المراد منها جماعة المسيح الإسرائيلي، بينما المراد من آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ هو جماعتنا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٦، عدد ٢٧/٢/١٩٠٣م، ص ٤٢)

يتبين من هذه الآية أن هناك جماعة أخرى أيضا من الصحابة رضي الله عنهم لم يلحقوا بهم بعد، ستكون أخلاقهم وعاداتهم وصدقهم وإخلاصهم مثل الصحابة تماما. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٥، عدد ٣٠/٩/١٩٠٧م، ص ٨)

الآية ١٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال ﷺ عن فرضية الجمعة على النساء:

في هذا الخصوص يجب النظر إلى ما هو سائد ورائج في المسلمين، الأمر الذي قد ثبت من القرآن والحديث كيف نفسه أكثر من ذلك، فما دام النبي ﷺ قد استثنى النساء بقي الحكم للرجال فقط. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٤، عدد ١١/٩/١٩٠٣م، ص ٢٦٦)

سئل حضرته ﷺ عن أداء صلاة الجمعة في القرية فقال:

إن مجيء المرء المدينة من قريته لا يُتصور بغير وقوع الحرج، ولما كان المسجد موجودا في القرية لذا حتى ولو كانت القرية بالقرب من المدينة فهي في حكم حارة في المدينة. ولا يوجد في أي حديث ذكر هذا المنع فالجمعة في القرية جائزة دون شك. ما جعل عليكم في الدين من حرج. (مكتوبات أحمد، المجلد ٥ الجزء ٥، الصفحة ٥٤، مكتوب إلى منشي حب الرحمن عليه السلام)

الآية ١١: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي أكثروا من ذكر ربكم لكي تنجوا من نار جهنم. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٢٠)

اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: كما تكون علاقة ذهنية بشيء فتحفظه كثرة التكرار في الذهن، كذلك هناك علاقة روحانية أيضا، وهناك حاجة إلى التكرار فيها أيضا. ولا تبقى الصلة والعلاقة الروحانية قائمة بدون التكرار. والحق أن الأمر يتوقف على النية. والذي يقرأ بنية الحفظ يقتصر على هذا الحد، أما الذي يزيد العلاقة الروحانية ...

يقول الإمام جعفر عليه السلام ما مفاده: أقرأ الآية بكثرة حتى توحى إلي. وقد ذهب الصوفية أيضا هذا المذهب. معنى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ هو أن اذكروا الله بكثرة حتى تحفظوا اسمه. في كلام الأنبياء عليهم السلام أسلوب بوجه عام أنهم يبينون الكلام بالتكرار وبأساليب مختلفة ويكون الهدف من ورائه أن ينفع الناس. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥ م، ص ٩)



فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
١	نبوءة عظيمة في كلمة "القرآن"
٣	المؤمن يوهب مكانا في الجنة بعد وفاته فورا
٤	جعل الله تعالى علامة كل نبي صادق أن يُستهزأ به
٤	دحض فكرة نزول المسيح الموعود من السماء في ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
٥	سماني علماء على منهاج ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ.. يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كافرا ودجالا وفاسقا وفاجرا وبغيرها من الألقاب
٧	فكرة علماء الفلك الأوروبيين عن وجود السماوات لا تتعارض مع بيان القرآن الكريم
٩	تفسير ﴿كل في فلك يسبحون﴾
١٠	دليل على وجود الله من ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾
١١	يأتي فعل المضارع بمعنى فعل الماضي أيضا ومثاله
١٢	يثبت موت عيسى عليه السلام من ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾
١٤	دليل على الخلق التمثيلي في عالم الآخرة
١٥	خلق السماوات والأرض في ستة أيام يدل على الضعف، لأن كل شيء يجب أن يحدث على إثر إرادة الله فورا
١٧	ما يُخلق بالعلل والأسباب هو "الخلق"، وما ينشأ بمجرد "كُنْ" هو "الأمر"

١٩	معنى ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾
٢٠	الهدف الوحيد من تعليم القرآن هو أن نجعل الله واحد لا شريك له في حبنا له أيضا
٢١	دليل على أن المؤمنين يدخلون الجنة فورا بعد موتهم
٢١	كتاب الله يذكر مقامين لجزاء البارّ والفاجر، أحدهما عالم البرزخ، والثاني يوم تجلّ أعلى بعده
٢٢	الهمزة في ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ للاستفهام التقريري، وفيها معنى التعجب، والفاء هنا للعطف على محذوف
٢٢	استدلال أبي هريرة عند وفاة النبي ﷺ من ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾
٢٤	شبه القرآن أشجار الإيمان الطيبة بالفواكه الطيبة، وسمى كلمة الكفر الخبيثة شجرة الزقوم في الآخرة
٢٤	إن تلقي الإلهام ليس ميزة شخصية لأحد بل المؤمن يركز دائما على الأعمال الصالحة
٢٥	أطلق إبراهيم السكين ليذبح بها ابنه
٢٦	نرد من كتب النصرارى المسلم بما ردودا إلزامية لتنبههم
٢٧	معنى توقف نزول جبريل في زمن بعثة النبي ﷺ
٢٨	الرد على خطأ العلماء القائلين بتوقف نزول جبريل على الأنبياء
٣٠	حقيقة نزول الملائكة
٣٣	سوء ظن منكري الأنبياء بقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ أن ادعاءهم يتضمن طمعا شخصا
٣٦	لو استنبط من ﴿وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ معنى أخذه المفسرون لأدّى ذلك إلى فتح باب الحيل في الشرع
٣٦	يقول الله في صفة عباده: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾

٣٧	كل مؤمن يُرفع بعد وفاته. وفي ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ إشارة إلى هذا الرفع
٣٧	الكافر لا يُرفع؛ ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ تشير إلى ذلك
٣٨	"لهم" في ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ تقتضي الأجسام، فهل يصعد الجميع بهذا الجسم المادي؟
٤٠	﴿فقعوا له ساجدين﴾ بيّن الله بكلمة السجدة أن الملائكة ليسوا أفضل من الإنسان الكامل
٤١	﴿خلقتُ بيدي﴾ يعني أن آدم خُلق جامعا للتجلي الجلاي والجمالي
٤٢	الكبر من الشيطان، ويجعل الإنسان شيطانا، فيجب اجتناب الكبر بكل أنواعه
٤٣	لا توجد التكاليفات في أولياء الله، بينما لا يخلو أي قول أو فعل أصحاب الزوايا والمشايخ من الكبر
٤٥	لله تعالى أربع صفات أساسية
٤٦	دليل في القرآن على كون الله خالقا بمادة القياس الاستثنائي
٤٨	معنى النزول في القرآن الكريم
٤٩	خلق الإنسان في ظلمات ثلاث، البطن، الرحم، المشيمة التي يتكوّن فيها الجنين
٥٠	نبوءة الوعد لا تزول، ونبوءة الوعيد تزول بالخوف والدعاء والصدقة
٥١	لقد مشى القرآن بإزاء قانون الطبيعة في التعليم الأخلاقي
٥٢	عند وفاة والدي تلقيت إلهاما: "أليس الله بكاف عبده"
٥٣	الميت لا يرجع إلى الدنيا
٥٧	يدلل القسس على ألوهية عيسى أنه كان يحيي الأموات
٥٧	السّر في اختيار أسلوب: ﴿قل يا عبادي﴾ في ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾

٦١	معنى ﴿وُفِّحَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾
٦٣	الجزاء الكامل لا يتحقق إلا بتجلي الملكية الذي يستلزم هدم بنيان الأسباب
٦٥	من علامات الصادق أن بعض نبوءاته تتحقق
٦٥	السبب وراء شرط ﴿إِنْ يَكْ صَادِقًا يَصْبِحْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾
٦٧	النبوءات نوعان: نبوءة الوعد ونبوءة الوعيد
٧٠	﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾، يقول المفسرون إن المراد من الناس هنا الدجال
٧٢	قضية استجابة الدعاء في الحقيقة فرع لقضية الدعاء
٧٢	ماهية الدعاء
٧٤	ليس المراد من "أدعوا" في ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أدعية عادية
٧٦	العلاقة بين الدعاء والاستجابة
٧٧	أول علامة المقبولين هي كونهم مستجابو الدعوات
٧٨	الفكرة أن كافة أدعية المقبولين مستجابة حتما خاطئة تماما
٧٩	الدعاء ورعاية الأسباب
٧٩	ثلاث وسائل فحسب لاستجابة الدعاء
٨٠	العلاقة بين التدبير والدعاء
٨١	إن الله الحكيم يُنزل بعد الدعاء نصرته وعونه بأسلوبين
٨١	أربعة أسباب لفرضية الدعاء
٨٢	بعض الأحيان يُستجاب الدعاء بصورة الرفض
٨٤	الذين يشتكون من عدم استجابة أدعيتهم لا يراعون القواعد والمراتب الضرورية لاستجابة الدعاء
٨٥	للدعاء علاقة قوية مع القضاء والقدر. بالدعاء يزول القدر المعلق

٨٥	للدعاء جانبان، في أحد الجانبين يريد الله أن تُقبل مشيئته، وفي الجانب الثاني يستجيب لعبده
٨٨	وهب الله لي حماسا للدعاء كهياج البحر
٨٨	أَمْ إِنْعَامَاتِ اللَّهِ هِيَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾
٨٩	التدبير لا يفيد ما لم يقترنه الدعاء ولا ينفع الدعاء وحده ما لم يصحبه التدبير
٩٤	عندما يرد "التوفي" بحق النبي ﷺ يستنتجون منه معنى الموت، وعندما يُستخدم اللفظ نفسه بحق المسيح يرفعونه بجسده إلى السماء حيًّا. ما الذي أصاب غيرهم؟
٩٧	نعظم كل نبي مقبول بين الأنام خلا في الدنيا ونجّله ونؤمن به بحسب تعليم القرآن الكريم
٩٨	الرد على سؤال: هل كان زرادشت نبيا؟
١٠٢	نص صريح على خلق آدم، في آخر ساعات يوم الجمعة
١٠٣	ما معنى قول الملائكة لله ﷻ: أَجْعَلِ الْمَفْسِدَ خَلِيفَةً؟
١٠٧	الذي يحرز مرتبة الانقطاع الكامل والتوكل الكامل، تُسَخَّرُ الملائكة لخدمته
١٠٨	ما هي الاستقامة؟
١٠٩	الذين يؤمنون بالله ثم يبدون الاستقامة تنزل عليهم الملائكة بإلهامات مبشرة
١١٠	ما هو الإلهام
١١١	ما المراد من الاستقامة
١١٢	أولى علامات حقيقة الإسلام وصدقِه أنه يوجد فيه دائما الصالحون الذين يكلمهم الله
١١٤	﴿نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تكذب الجاهلين الذين أنكروا نزول الملائكة في هذه الحياة

١١٤	في ﴿نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ إشارة إلى ثمة ذكرت في: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾
١١٥	علامات الذين يحبون الله حبا صادقا وهو يحبهم
١١٧	ماذا تعلّم ﴿إدفع بالتي هي أحسن﴾
١١٨	مقام ﴿اعملوا ما شئتم﴾ ومعناه
١٢٢	الخطوة التي اتخذها الوجوديون خارجة عن حد الأدب
١٢٣	تفسير سماع خبر القيامة في الرؤيا
١٢٤	كُشِفَ عَلَيَّ أَنْ ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ تشير إلى أن العربية أُمُّ الألسنة.
١٢٤	إن لله صفتين، صفة تشبيهية وصفة تنزيهية
١٢٦	بيّن الله ضرورة نزول القرآن أولا، ثم أشار إلى القانون المادي
١٢٨	يجب أن يرى إذا كانت المناسبة تقتضي العفو والصفح عن الخطأ أم تتطلب العقوبة
١٢٩	﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ هذه العبارة الإجمالية جاءت توسيعاً للقانون
١٣١	المقارنة بين تعليم الإسلام وتعليم اليهود والنصارى للانتقام
١٣٨	تعليم الإنجيل في العفو مائل إلى التفريط
١٣٨	ثلاثة طرق لكلام الله وهي الرؤيا والكشف والوحي
١٤٠	السواد الأعظم من العلماء يتفق على عدّ الإلهام مرادفا للوحي
١٤٠	الإلهام إلقاء من الغيب ولا يتوقف الحصول عليه على فكرة أو تفكير أو تدبير
١٤١	الفرق بين الكلام والإلهام
١٤٢	يمكن أن يكون صاحب الكشف ملحدا، ولكن لا يمكن أن يكون من يتلقى الوحي إلا المسلم
١٤٦	لقد أودع الله تعالى كلّ شخص موهبة الوحي والإلهام

١٤٧	كل وحي إنما ينزل مطابقاً لفطرة النبي المنزل عليه
١٤٩	الوحي الإلهي أحياناً لا يتبع ظاهرياً في بعض الفقرات قواعد الصرف والنحو التي وضعها الناس
١٥١	الإلهام وحده لا يجدي نفعاً قط ما لم ترافقه شهادة الله الفعلية
١٥٢	ضرورة الإلهام
١٦٠	يكثُر في جماعتي الملهمون، بحيث يمكن أن تصبح إلهاماتهم كتاباً
١٦١	لا تحسبوا أنَّ زمان الوحي قد ولى ولا يمكن أن ينزل الآن
١٦٣	كل ملهم من الله تعالى يتلقى الإلهامات من ثلاثة أنواع
١٦٥	الوحي قسمان، وحي الابتلاء ووحي الاصطفاء
١٦٥	للإلهام أو الكشف أو الرؤيا ثلاثة أنواع، من الله، وحديث النفس، ومن الشيطان
١٦٦	ثلاث علامات للإلهام النازل من الله
١٦٩	عشرة علامات للإلهام الصادق النازل من الله
١٧١	إحدى عشرة علامة للإلهام من الرحمن
١٧٩	الرد على السؤال: كيف ينزل الوحي؟
١٨٢	التهمة بأنه لا تثبت إلهامات الصحابة، باطلة وفي غير محلها
١٨٥	الرد على: إذا كانت أقواله ﷺ وأفعاله مبنية على الوحي فلماذا صدر منه خطأ اجتهادي؟
١٨٧	لا يستطيع أن يقول نبي شيئاً ما لم يوح إليه
١٨٩	محكمات القرآن وبيناته علمٌ يقيني وما خالف القرآن فهو ظنٌّ
١٩٠	دحض اعتراض الكفار: لماذا لم ينزل القرآن على رجل عظيم من أثرياء وزعماء مكة أو الطوائف ليليق بشأن زعامته، ولينتشر الدين بسرعة أكثر بسبب نفوذه وسياسته وبذل ماله؟

١٩٢	سنة الله مع عباده المصطفين أنهم يُلْقُونَ في الورطة العظيمة
١٩٣	تمسكوا بالقرآن سنداً وقدموه على كل شيء
١٩٣	معنى ﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ أن زمن بعثة المسيح كان علامة انحطاط اليهود وذلّتهم
١٩٥	لا علاقة لـ ﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ فلا تترن بها ﴿بنزول عيسى
١٩٦	قال الله بحق المسيح ﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ ولم يقل: إنه سيكون علماً للساعة
١٩٦	﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾، ضمير إنه هنا عائد إلى القرآن الكريم
١٩٧	المراد من الساعة هنا هو العذاب الذي حل باليهود على يد طيطس الرومي بعد عيسى
١٩٩	لا يعلم القيامة حقيقة إلا الله
٢٠٢	من سنة الله أن كلام الله ونبيّه ينزل في الدنيا في ليلة القدر
٢٠٢	المراد من ليلة مباركة في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾
٢٠٣	المراد من الدخان في ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾
٢٠٤	﴿إِنَّا كَاشَفُوهَا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ تدل صراحة على أن الله ﷻ يكشف العذاب قبولاً لضراعة المرء
٢٠٦	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ كلام مبني على غضب شديد
٢٠٧	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ تدحض حياة المسيح
٢٠٩	إذا كان هناك حديث يعارض القرآن فيجب ألا يقبل
١٧١	إحدى عشرة علامة للإلهام من الرحمن
١٧٩	الرد على السؤال: كيف ينزل الوحي؟
١٨٢	التهمة بأنه لا تثبت إلهامات الصحابة، باطلة وفي غير محلها
١٨٥	الرد على: إذا كانت أقواله ﷺ وأفعاله مبنية على الوحي فلماذا صدر منه خطأ اجتهادي؟

١٨٧	لا يستطيع أن يقول نبي شيئاً ما لم يوح إليه
١٨٩	محكمات القرآن وبيناته علم يقيني وما خالف القرآن فهو ظن
١٩٠	دحض اعتراض الكفار: لماذا لم ينزل القرآن على رجل عظيم من أثرياء وزعماء مكة أو الطائف ليليق بشأن زعامته، ولينتشر الدين بسرعة أكثر بسبب نفوذه وسياسته وبذل ماله؟
١٩٢	سنة الله مع عباده المصطفين أنهم يلقون في الورطة العظيمة
١٩٣	تمسكوا بالقرآن سنداً وقدّموه على كل شيء
١٩٣	معنى ﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ﴾ أن زمن بعثة المسيح كان علامة انحطاط اليهود وذلتهم
١٩٥	لا علاقة لـ ﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ﴾ فلا تمترن بها ﴿بنزول عيسى
١٩٦	قال الله بحق المسيح ﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ﴾ ولم يقل: إنه سيكون علماً للساعة
١٩٦	﴿إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ﴾، ضمير إنه هنا عائد إلى القرآن الكريم
١٩٧	المراد من الساعة هنا هو العذاب الذي حل باليهود على يد طيطس الرومي بعد عيسى
١٩٩	لا يعلم القيامة حقيقة إلا الله
٢٠٢	من سنة الله أن كلام الله ونبيه ينزل في الدنيا في ليلة القدر
٢٠٢	المراد من ليلة مباركة في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾
٢٠٣	المراد من الدخان في ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾
٢٠٤	﴿إِنَّا كَاشَفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ تدل صراحة على أن الله ﷻ يكشف العذاب قبولا لضراعة المرء
٢٠٦	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ كلام مبني على غضب شديد
٢٠٧	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ تدحض حياة المسيح
٢٠٩	إذا كان هناك حديث يعارض القرآن فيجب ألا يُقبل

٢١٠	نبوءة في كلمة "حديث" في ﴿فَبَآئِيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾
٢١١	ذكر سلسلتين متقابلتين، السلسلة الموسوية والسلسلة المحمدية
٢١١	والذي لا يغار للنبي ﷺ هو ملحد
٢١٢	﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ تدل على صدق النبي ﷺ
٢١٤	الإلهام وحده لا يجدي نفعا قط ما لم ترافقه شهادة الله الفعلية
٢١٤	الاجتهاد بالكتب السابقة ليس حراما
٢١٥	يجب على المرء أن يستمر في الدعاء لذريته وزوجته بالإضافة إلى إحداث التغير في نفسه
٢١٦	إن الله يعمل ضد معارضي الأنبياء ببطء وحلم بحسب حِكْمِهِ وسننه
٢١٨	﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي قاتلوا حتى يأتي زمنُ المسيح
٢١٩	﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ جوانب مختلفة للأكل كالأنعام
٢٢٠	شهادة صدق النبي ﷺ أن العرب تحولوا من ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ إلى ﴿يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾
٢٢١	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾؛ بين الله هنا أنه يمكن أن تفهموا الجنة على سبيل التمثيل على هذا النحو
٢٢١	معنى لا إله إلا الله في موارد استخدام اللغة العربية
٢٢٣	معنى الشهادتين وحقيقتهما
٢٢٦	معنى استغفار الأنبياء
٢٢٦	يصبح الإنسان كافرا بمجرد الاعتراض على الأنبياء
٢٢٨	دحض اعتراض أن نوحا دعا لابنه على عكس مشيئة الله تعالى وبذلك ارتكب الذنب
٢٢٨	معنى الاستغفار الحقيقي

٢٣٤	المراد من الله واللعب
٢٣٨	وصف الله ﷻ حادث الحديبية بالفتح المين
٢٣٨	الرد على سؤال: ما علاقة الفتح مع غفران الذنوب
٢٣٨	وصف الله ﷻ ذات النبي ﷺ مجازاً بأنها ذات الله المقدسة
٢٣٩	الأموال والبلاد المذكورة في ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَآثِمَ كَثِيرَةً﴾ .. ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾
٢٣٩	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ نبوءة بحق المسيح ﷺ مادياً وسياسياً
٢٤١	في ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أخبر موسى عن أصحاب النبي ﷺ
٢٤١	أشار عيسى في ﴿كَزَرَ حَرْجَ شَطْأَهُ﴾ إلى أصحاب المسيح الموعود
٢٤٢	للنبي ﷺ بعثتان: البعثة المحمدية والبعثة الأحمدية
٢٤٢	معنى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾
٢٤٥	الذي يعتمد على توحيده الجاف ويقطع علاقته مع الرسول فهو يعصي الله
٢٤٦	لا يسمى الصحابة كافرين بسبب المقاتلات والمحاربات الداخلية
٢٤٧	لا يناد أحدكم غيره بما يستفزه، فهذا دأب الفساق والفجّار
٢٤٨	تذكروا جيداً أن سوء الظن هو مصدر الفساد كله
٢٤٩	غيبة المرء مثل أكل لحم أخيه الميت
٢٥١	أولياء الله والرسول قسمان: ١- الذين لا يؤمنون بإصلاح الآخرين ٢- الذين يسمون رسلاً أو أنبياء أو محدّثين
٢٥٣	المكرم من هو تقى، أما الشعوب فليست مدعاة للإكرام
٢٥٥	علاقة بين أبي بكر ﷺ ويشوع بن نون
٢٥٦	جاء بحق المؤمنين ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، والذين ما حلت بهم الابتلاءات بعد الإيمان يندرجون في "أَسْلَمْنَا"

٢٥٩	أفعال الله كثيرة وإن قدرته لا تعجز عن شيء
٢٦٠	مقام نهاية السلوك
٢٦٤	بيان العلل الروحانية في ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾
٢٦١	﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ رد على قول أن الله استراح في اليوم السابع
٢٦٤	معنى "عمرة" في ﴿قَتَلَ الْحَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾
٢٦٥	المراد في المحروم في ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾
٢٦٦	وعد الله المؤمنين المتقين بإعطائهم الرزق
٢٦٧	يجب مراعاة الأسباب من جانب والتوكل الكامل من جانب آخر
٢٦٨	غاية خلق الإنسان هي عبادة الله بحسب ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾
٢٧٦	وجود جميع الأشياء الممكنة دون واسطة واجب الوجود يستلزم خمسة مستحيلات
٢٨٠	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، كلما توشك آية إلهية على الظهور في الأرض تظهر بعض العلامات قبلها في السماء
٢٨٠	دحض فكرة أن روح القدس كان ينزل على النبي ﷺ في بعض المناسبات الخاصة فقط
٢٨٠	في بعض الأحيان انقطع الوحي على النبي ﷺ لستين يوما، والمراد من عدم نزول الوحي
٢٨١	لم يخلُ فعلٌ للنبي ﷺ أو أي قول له من هدي الوحي
٢٨٢	إذا كان منشأ كل أقواله ﷺ وأفعاله مبنيا على الوحي فلماذا صدر منه خطأ اجتهداي
٢٨٤	نزول جبريل من السماء ليس حقيقيا بل على سبيل التمثيل
٢٨٩	اسم المهدي يخص نبينا الكريم ﷺ، أما اسم المسيح فيتعلق بعيسى

٢٨٩	معنيان لمفهوم المهدي والمسيح
٢٩٠	دحض اعتراض أن "ذو مِرَّة" اسم الشيطان
٢٩٢	شرح إلهام: أردت أن أستخلف فخلقت آدم، وإني جاعلك في الأرض خليفة
٢٩٥	تفسير ﴿دنا فتدلى﴾
٢٩٥	شرح ﴿قاب قوسين﴾
٢٩٨	جمال النبي الروحاني العظيم أدى حقوق الله وحقوق العباد
٢٩٩	معنى "تدلى" هو التوجه إلى الناس بكمال المواساة والنصح
٣٠٠	السبب وراء استخدام "أدنى" في ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾
٣٠١	سبب استخدام أحيانا كلمات قاسية عند الرد على المسيحيين
٣٠٢	الفرق بين تزكية النفس وإظهار النعمة
٣٠٤	لقب الله إبراهيم ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ على صدقه وإخلاصه
٣٠٥	الرد على اعتراض: لماذا طلب إبراهيم أن يطمئن على كيفية إحياء الموتى، أفلم يكن قلبه مطمئنا من قبل؟
٣٠٦	لا يقول الإسلام بأن الأحزان والمحن الإنسانية هي بسبب أكل حواء التفاحة
٣٠٦	﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ تدحض كفارة المسيح أن الثمار تترتب على السعي وليس على الإيمان بدم المسيح
٣٠٩	في ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ حصر الله فيضَه في السعي والمجاهدة
٣١٠	﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ تعني أن سلسلة العلل والمعلولات تنتهي على الله
٣١٢	معجزة شق القمر آية إلهية تصحبها أدلة تاريخية كثيرة
٣١٢	الرد على قول إن معجزة شق القمر منافية للنواميس الطبيعية
٣١٤	الرد على اعتراض: كيف انشق القمر وخرج من الكمين، هو عديم الأصل وباطل تماما
٢١٥	دحض اعتراض: انشقاق القمر يخالف العقل وبه يحتل نظام العالم

٣١٦	انشقاق القمر حادثٌ تاريخي ورد ذكره في القرآن
٣١٧	صمت معارضي الإسلام يشكّل برهانا على صدق انشقاق القمر، وقد شهدوا شق القمر
٣٢١	ليس ضروريا أن يطلع سكان كل بلد على حادث انشقاق القمر الذي لم يحدث لأكثر من ثوانٍ.
٣٢١	شهادة كتب الهندوس الموثوق بها على شق القمر
٣٢٢	الحكمة وراء شق القمر في زمن النبي ﷺ
٣٢٣	ليس المراد من القول بأنه لا يعلم أحد ساعة القيامة أنه لا يعلم عنها أحد شيئا على الإطلاق
٣٢٤	يطعن الجهال في معجزة شق القمر متذرعين بالنواميس الطبيعية
٣٢٧	معجزة شق القمر و﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ليستا خارجتين عن الأسباب
٣٢٨	شق القمر كان نوعاً من الخسوف
٣٢٩	نبوءة بفتح بدر في ﴿سَيُهَرِّمُ الْجُمُعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾
٣٣٣	العلم نور ولا يمكن أن يكون حجابا بل الجهل هو الحجاب الأكبر
٣٣٤	في "علمه البيان" إشارة إلى بلاغة اللغة العربية
٣٣٤	هدفان من ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾
٣٣٤	الهدف من تقديم ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ على ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانُ﴾
٣٣٦	الرد على اعتراض التكرار في سورة "الرحمن"
٣٣٧	الإشارة في اختيار لفظ "فانٍ" دون "يفنى" في ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾
٣٣٨	في ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إشارة إلى أن الله يهلك كل شيء ويُبري وحدانيته
٣٤٠	في ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ إشارة إلى أن الإنسان يكون تحت ظل صفات الله الجلالية أحيانا

٣٤١	المراد من "جنتان" أن الإنسان سيعطى الجنة أولا في هذه الحياة وثانيا: بعد الممات سيعطى جنة أبدية
٣٤٤	لم يوضع شرط الدين في ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾
٣٤٦	الخمر في الجنة لا تشبه الخمر الدنيوية أدنى شبه
٣٤٧	بيّن الله في الأمة فريقين: فريق الأولين وفريق الآخرين، أي صحابة النبي ﷺ وجماعة المسيح الموعود
٣٥٠	عباد الله الخواص يُعطون معارف القرآن وحقائقه ولطائفه
٣٥٠	معيّار تفسير القرآن: هو التدبر في القرآن بالنفس المطهّرة
٣٥٤	الحصول على العلوم المادية لا يحتاج إلى التقوى والطهارة، ولكنه ضروري للحصول على العلوم الدينية
٣٥٧	المسيح مظهر اسم الله "الآخر" كما أشير في "هو الآخر"
٣٥٨	المراد من ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ استواؤه على عرش الألوهية
٣٦٠	بيّن القرآن ضروره نزوله في ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض...﴾
٣٦٦	أدّى الحديد واجبه: ﴿فيه بأس شديد﴾ في زمن النبي ﷺ، أما ﴿منافع للناس﴾ ففي وقت المسيح والمهدي
٣٦٧	لو أمر الله بالرهبانية لعمل بها الجميع ولأدى ذلك إلى القضاء على أهل الدنيا من زمن بعيد بانقطاع النسل الإنساني
٣٦٩	أعلى كرامة لأولياء الله هي أن نورا يودّع في كافة حواسهم، في عقلهم وفهمهم وقياسهم
٣٧٢	لا بد أن أحرز الفتح بموجب ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِيَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾
٣٧٣	المراد من الغلبة في ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِيَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾
٣٧٤	المراد من "كتب" في ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾
٣٧٥	﴿أيدهم بروح منه﴾ يعلن بكل وضوح أن روح القدس يبقى مع المؤمنين دائما

٣٧٨	تقدم الصحابة لدرجة مُنحوا وثيقة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾
٣٧٩	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ نتيجة قوة النبي ﷺ القدسية
٣٨١	إن حكم ﴿ما آتاكم الرسول﴾ ليس دون قيد أو شرط
٣٨٢	معنيان لـ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ...﴾
٣٨٣	صفات الله المختلفة ومعانيها
٣٨٦	الدليل على ضرورة خالقية الله بواسطة مادة القياس الاقتراضي
٣٨٩	إذا عمل كناس عملاً صالحاً سيُغفر له، وإذا عمل أحد من السادات عملاً سيئاً سيُلقي به في الجحيم
٣٩٠	أحسنوا إلى اليهود والنصارى واعدلوا في أمورهم
٣٩٠	نقطة في "التولي" في ﴿أن تولوهم﴾
٣٩٠	يجوز للمؤمن أن يصادق النصارى واليهود والهندوس ويواسيهم وينصح لهم ويحسن إليهم، ولا يمكن أن يحبهم
٣٩٤	الادعاءات الفارغة باللسان لا تجدي شيئاً ما لم يرافقه العمل
٣٩٤	المشايخ في العصر الراهن صاروا مصداقاً لقول الله: ﴿لَمْ تَفْعَلُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
٣٩٥	المقت هو غضب الله
٣٩٦	دليل على وفاة المسيح في ﴿مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾
٣٩٧	جانبان للبشارة في ﴿مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾
٣٩٨	معنى النفخ بالأفواه في ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾
٣٩٩	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ تتضمن نبوءة بحق المسيح ﷺ مادياً وسياسياً
٤٠٥	يقول علماء الإسلام وأكابر الملة إن إكمال النشر سيتحقق بواسطة المسيح الموعود

٣٠٨	اتفق جميع المتقدمين أن الغلبة سوف تتحقق في زمن المسيح الموعود ولا بد للغلبة العالمية من أن تتضمن ثلاثة أمور
٤١١	هدفان للنبي ﷺ: إكمال الهداية وإكمال نشر الهداية
٤١٢	الحكمة في إيراد "الهدى" و"الحق" في ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
٤١٧	في ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ إشارة إلى ولادة شخص فارسي الأصل في الزمن الأخير
٤١٨	فئتان فقط تشاهدان معجزات النبي ﷺ وبركاته، أولاهما صحابته والثانية هم جماعة المسيح الموعود
٤١٨	إشارة في آية ﴿وآخرين منهم﴾
٤٢٣	إن للقرآن فائدتين: حكمة القرآن، وتأثير القرآن
٤٢٤	تفسير ﴿وآخرين منهم﴾ والجملة في محل المفعول
٤٢٥	الأزمنة الثلاثة؛ زمن الصحابة والزمن الوَسْطِي وزمن المسيح الموعود
٤٣٠	من دخل في جماعتي دخل في صحابة سيدي خير المرسلين
٤٣٢	الأدلة على أن المسيح المقبل سيكون من هذه الأمة
٤٣٣	هناك زمن واحد بعد زمن النبي ﷺ وهو زمن المسيح أو زمن المهدي، وقد ذكرته الأحاديث بثلاثة أساليب
٤٤٢	الرد على سؤال عن فرضية الجمعة على النساء
٤٤٣	الرد على سؤال عن أداء الجمعة في القرى



فهرس الآيات المفسرة

الصفحة	سورة يس	رقم الآية
١	﴿يس﴾	٢
١	﴿والقرآن الحكيم﴾	٣
٢	﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	٧
٢	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾	١٣
٣	﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي...﴾	٢٧-٢٨
٤	﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	٣١
٦	﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	٤٠-٤١
١١	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾	٥٢
١١	﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾	٥٩
١٢	﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾	٦٩
١٣	﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا...﴾	٧٨-٨٢
١٥	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٣
١٧	﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٤
سورة الصافات		
١٩	﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	١١

٢٠	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾	٣٦
٢١	﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي....﴾	٥٨-٥٥
٢٢	﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى...﴾	٦١-٥٩
٢٤	﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ...﴾	٦٦-٦٣
٢٤	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٧
٢٤	﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا...﴾	١٠٦-١٠٥
٢٥	﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾	١٠٨
٢٦	﴿فَاسْتَفْتَيْهِمَ الرِّبَّكَ الْبَنَاتِ وَهُمْ الْبُنُونَ﴾	١٥٠
٢٦	﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾	١٦٦-١٦٥
<u>سورة ص</u>		
٣٣	﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾	٧
٣٦	﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾	٨
٣٦	﴿وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا...﴾	٤٥
٣٦	﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾	٤٦
٣٧	﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ...﴾	٥١ - ٥٠
٣٩	﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾	٦٣
٤٠	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾	٧٥ - ٧٢
٤١	﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾	٧٦
٤٢	﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	٧٧
٤٢	﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٦
٤٣	﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾	٨٧

سورة الزمر

٤٥	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾	٤
٤٦	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	٧
٥٠	﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا رَهْمَ هُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ﴾	٢١
٥٠	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾	٢٢
٥١	﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي تَقْشَعُرُ﴾	٢٤
٥٢	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	٣١
٥٢	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ ...﴾	٣٧
٥٢	﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ﴾	٤٠ - ٤١
٥٣	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي ...﴾	٤٣
٥٧	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾	٥٤
٦٠	﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ﴾	٦١ - ٦٢
٦١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ﴾	٦٨
٦١	﴿وَوُفِّحَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ ...﴾	٦٩

سورة غافر

٦٣	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ...﴾	٤
٦٣	﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ...﴾	١٧
٦٤	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾	٢٩
٧٠	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾	٥٢
٧٠	﴿لَخَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾	٥٨
٧٢	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...﴾	٦١

٦٧	﴿قُلْ إِنِّي هُيْتُ أَنَّ أَعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ...﴾	٩٣
٧٨	﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي﴾	٩٣
٧٩	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا﴾	٩٧

سورة فصلت

١٢-١٣	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا...﴾	١٠١
٢٤	﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَتْكُمْ...﴾	١٠٦
٢٧	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ...﴾	١٠٧
٣١	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٧
٣٢-٣٣	﴿نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا﴾	١١٤
٣٥	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي...﴾	١١٦
٣٨	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾	١١٧
٤١	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ...﴾	١١٨
٤٢-٤٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ...﴾	١١٩
٥٤	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾	١٢٠

سورة الشورى

٦	﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ﴾	١٢١
٨	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾	١٢٢
١٢	﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	١٢٤
١٨	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ...﴾	١٢٥
٢٠	﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	١٢٥
٢٥	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَحْتَمِ﴾	١٢٥
٢٦	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو...﴾	١٢٥

٢٩	﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا...﴾	١٢٦
٣١	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾	١٢٧
٤١	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ...﴾	١٢٨
٥٢	﴿وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ...﴾	١٣٨
٥٣	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾	١٨٧

سورة الزخرف

٢١	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا هُمْ...﴾	١٨٩
٣٣-٣٢	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾	١٨٩
٣٦	﴿وَرُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	١٩٢
٣٧	﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا...﴾	١٩٢
٤٥-٤٤	﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى...﴾	١٩٣
٥١	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾	١٩٣
٦٢-٦٠	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا...﴾	١٩٣
٦٩	﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾	١٩٨
٨٥	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾	١٩٨
٨٦	﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	١٩٨

سورة الدخان

٧-٢	﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ...﴾	٢٠١
١٠-٨	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾	٢٠٣
١٢-١١	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ...﴾	٢٠٣
١٦-١٣	﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ...﴾	٢٠٤

٢٠٦	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾	١٧
٢٠٦	﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ...﴾	٤٤-٤٧
٢٠٦	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	٥٠
٢٠٧	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى...﴾	٥٧

سورة الجاثية

٢٠٩	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾	٧
٢١١	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	١٧-١٩
٢١١	﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	٢٠
٢١٢	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا...﴾	٢٥

سورة الأحقاف

٢١٣	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرْوِي...﴾	٥-٦
٢١٤	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ...﴾	٩
٢١٤	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ﴾	١١
٢١٥	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾	١٦
٢١٥	﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٣
٢١٦	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا...﴾	٣٦

سورة محمد

٢١٧	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ﴾	٣
٢١٧	﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا﴾	٥
٢١٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي...﴾	١٣

٢٢٠	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾	١٦
٢٢١	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...﴾	٢٠
٢٣٤	﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾	٣٧
سورة الفتح		
٢٣٧	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ...﴾	٣-٢
٢٣٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ﴾	١١
٢٣٩	﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَلَ...﴾	٢٢-٢١
٢٣٩	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾	٢٩
٢٤٠	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾	٣٠
سورة الحجرات		
٢٤٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٢
٢٤٦	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ...﴾	٩-٨
٢٤٦	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾	١٣-١٠
٢٥٠	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...﴾	١٤
٢٥٥	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا...﴾	١٥
٢٥٨	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾	١٦
سورة ق		
٢٥٩	﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾	١٢
٢٥٩	﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ...﴾	١٦

٢٦٠	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾	١٧
٢٦١	﴿هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	٣٦
٢٦١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾	٣٩
سورة الذاريات		
٢٦٣	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا...﴾	٥-٢
٢٦٤	﴿فُقِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾	١٢-١١
٢٦٥	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	٢٠
٢٦٥	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾	٢٢
٢٦٥	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ...﴾	٢٤-٢٣
٢٦٨	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٧
سورة الطور		
٢٧٥	﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾	٣٠
٢٧٥	﴿أَمْ خُلِيفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِفُونَ...﴾	٣٨-٣٦
٢٧٧	﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ...﴾	٤٩
سورة النجم		
٢٧٩	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ...﴾	٧-٢
٢٩٢	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾	١٠-٩
٣٠١	﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾	١٨
٣٠١	﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾	٢٣-٢٢
٣٠٢	﴿وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عَلَمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي...﴾	٢٩

٣٠٢	﴿الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾	٣٣
٣٠٣	﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	٣٨
٣٠٦	﴿أَلَا تَنْزُرُ وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى﴾	٣٩
٣٠٦	﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾	٤٠
٣١٠	﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾	٤٣

سورة القمر

٣١١	﴿اِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾	٤-٢
٣٢٩	﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾	٦
٣٢٩	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾	١١
٣٢٩	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾	١٨
٣٢٩	﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾	٤٤-٤٦
٣٣٠	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهْرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾	٥٥-٥٦

سورة الرحمن

٣٣٣	﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾	٢-٣
٣٣٣	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	٤-٦
٣٣٦	﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	١٤
٣٣٧	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٧-٢٨
٣٣٩	﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	٣٠

٣٤٠	﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾	٣٤
٣٤٠	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾	٤٧
٣٤٤	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	٦١
سورة الواقعة		
٣٤٥	﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ﴾	٢٠-١٩
٣٤٦	﴿ثُلَّةً مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةً مِنَ الْآخِرِينَ﴾	٤١-٤٠
٣٤٨	﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ...﴾	٨٠-٧٦
٣٥٥	﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾	٩٦
سورة الحديد		
٣٥٧	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...﴾	٤
٣٥٨	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٥
٣٥٩	﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾	١٣
٣٥٩	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ ...﴾	١٨
٣٦٤	﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ...﴾	١٩
٣٦٥	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾	٢٦
٣٦٦	﴿ثُمَّ فَفَقِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاتَّبَعْنَاهُ...﴾	٢٨
٣٦٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾	٢٩

سورة المجادلة

٣٧١	﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ...﴾	٨
٣٧٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾	١٢
٣٧٢	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢٢
٣٧٤	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾	٢٣

سورة الحشر

٣٨١	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾	٨
٣٨٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ...﴾	١٩
٣٨٢	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ...﴾	٢٢
٣٨٣	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ...﴾	٢٣
٣٨٤	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ...﴾	٢٤
٣٨٥	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ...﴾	٢٥

سورة الممتحنة

٣٨٩	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا...﴾	٥

٣٩٠	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ...﴾	٩
٣٩٠	﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ...﴾	١٠
سورة الصف		
٣٩٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ...﴾	٤-٣
٣٩٥	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ...﴾	٦
٣٩٦	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا...﴾	٧
٣٩٨	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	٩
٣٩٩	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾	١٠
٤١٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾	١١-١٤
سورة الجمعة		
٤١٥	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾	٢
٤١٧	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾	٤-٣
٤٤٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾	١٠
٤٤٣	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا﴾	١١

